

دَوَائِنُ شُعَرَاءِ الْحَنَابِلَةِ
(١)

دِيَّوَانُ الْإِمَامِ
عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ بَدْرٍ

المستحب
تَسْلِيَةُ اللَّيْبِ عَنْ ذِكْرِ حَبِيبِ

اعتنى به
يُؤَدُّ الدِّينَ بِطَالِبِهَا

تَحَارِيرُ النَّوَّالِيِّ

دِيَوَاتُ الْإِمَامِ

عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ بَدْرٍ

المستعمل

تَسْلِيَةُ اللَّيْلِ عَنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ

نَظْمُ الشَّاعِرِ

العلامة عبد القادر بن بدران الدومي الحنبلي

رحمه الله تعالى

إِعْتَقَابُهُ

تَحْقِيقًا وَضَبْطًا وَتَرْجُمًا

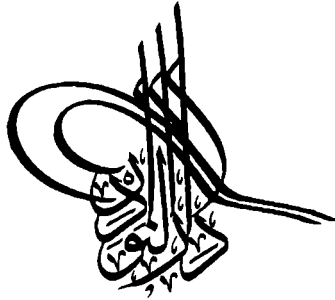
نُورُ الدِّينِ طَالِبُهَا

تَحْقِيقُ النُّوَالِ

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م



لصاحبها وسيرها العام

نُورُ الدِّينِ طَالِبُهَا

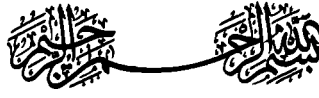
سوريا - دمشق - ص.ب. : ٢٤٢٠٦

لبنان - بيروت - ص.ب. : ١٤/٥١٨٠

هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ (٠٠٩٦٣١١) فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

www.daralnawader.com





مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ وَنُسْتَهْدِيهِ وَنُسْتَرْشِدُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جَنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَجَمَعَ الْأُمَّةَ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ.

أما بعد،

فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤَكَّدِ لَدَى الْمُتَتَبِّعِ لِسِيرَةِ الْعَلَامَةِ الْفَقِيهِ الْمَحْدُثِ الْمُؤَرِّخِ الشَّاعِرِ الْأَدِيبِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ بَدَارٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّ عَطَاءَاتِهِ الْمَثْمُورَةَ، مَعِينٌ لَا يَنْضُبُّ، وَنَهْرٌ لَا يَنْقَطِعُ، وَإِنْ لَدَيْهِ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوَقُّفِ عَنِ الْعَطَاءِ، وَنَفْسًا رَضِيَّةً قَدَّمَتْ مَا تَحَسَّبُ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِيهِ خَيْرٌ كَبِيرٌ لَدِينِهِ وَأُمَّتِهِ.

وهذا أثرٌ جديدٌ - بعد كلِّ أثرٍ جديدٍ - مِنْ عَطَاءَاتِهِ الْمُتَالِيَةِ، وَهُوَ دِيْوَانُهُ الْكَبِيرُ، الَّذِي نَقَدَّمُهُ لِمُحِبِّيهِ وَمَتَابِعِي آثَارِهِ فِي حُلَّةٍ - نَرْجُو أَنْ لَوْ رَأَاهَا الْعَلَامَةُ ابْنُ بَدَارٍ لَأَعْجَبَتْهُ وَرَاقَتْهُ -.

وقد افتتح - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - دِيْوَانَهُ هَذَا بِمَقْدَمَةٍ بَلِيغَةٍ، ذَكَرَ فِيهَا فَضْلَ

الشَّعْرَ وطرائقه، وأسباب نُرُوعِهِ إليه، ورغبته فيه، وبَيَّنَ حالَهُ من هَجْرِهِ للأوطانِ لطلبِ العلمِ في سائرِ البلدانِ، وأنه كانَ في أثناءِ المطالعةِ، وتكرارِ البحثِ والمراجعةِ، يُرَوِّحُ نفسَهُ ببعضِ الأبياتِ، فتارةً يتذكَّرُ الدَّمَنَ والأطلالَ، وتارةً يكونُ في إحدى الرياضِ بجانبِ العذبِ الزُّلالِ، فيتسَلَّى ببعضِ الغزليَّاتِ، أو يقتضي حالَهُ نظمَ بعضِ المراثيِّاتِ.

وتأسَّفَ لفقدِ أكثرِ شعرِهِ بعدَ عودتِهِ من الرحلةِ المغربيَّةِ الشهيرةِ، فراحَ يبحثُ في ذاكرتِهِ عن بقايا تلكِ الأطلالِ، مما حرَّكَ هِمَّتَهُ لجمعِها؛ لتكونَ له تذكَّاراً وسَميراً على ما مضى من الأحوالِ.

ثم ابتداءً ديوانه، فقَسَّمَهُ إلى أربعةِ أبوابٍ:

البابُ الأولُ: خَصَّصَهُ لما قاله وهو في دمشقَ الفيحاءِ، وذلك في أثناءِ طلبهِ للعلمِ، وقد قَسَّمَ هذا البابَ إلى خمسةِ فُصولٍ:

الفصلُ الأولُ: في المدائحِ، مَفْتَتِحاً به مدائحُ الرسولِ ﷺ، ثم امتداحُ جملةٍ من شيوخه الذين تلقَّى عنهم العلمَ: كالشيخِ سليمِ العطارِ، والشيخِ أحمدِ الشَّطِّيِّ، والشيخِ محمدِ بنِ حسنِ الشَّطِّيِّ، والشيخِ محمدِ بدرِ الدينِ الحسنيِّ، والشيخِ عمرَ العطارِ، ثم ثلَّثَ بمدحِ جملةٍ من الأعيانِ: مثلِ عثمانِ باشا، وغيره.

وقد تضمنَ هذا الفصلُ: اثنتي عشرةَ مقطوعةً، في مئتين وخمسةِ وأربعين بيتاً.

الفصلُ الثاني: في الفخرِ والحماسةِ، ومعظمُهُ في وصفِ حالِهِ، وأخلاقِهِ وشمائلِهِ، وكثرةِ تَطَلُّبِهِ للعلمِ، وتحريرِهِ لمعضلاتِهِ، وذكرِ أموراً متعلقةً بالعزلةِ، والبعدِ عن الناسِ، وتقلُّباتِ الدهرِ به.

وقد تضمنَ هذا الفصلُ: ثلاثةَ عشرَ مقطوعاً، في اثنين وثمانين بيتاً.

الفصل الثالث: في الغزل والتشبيب والنسيب، وذكر أن هذا الفصل كان يمكن أن يكون قطب هذا الديوان لو أنه حَضَرَ وتذكر من قصائده كل ما كان، وذكر فيه نمطاً مشهوراً من الغزل والتشبيب، وأظهر فيه براعة أدبية متألفة، وتطرق إلى كل المعاني الدائرة في ذلك، كالشكر والصَّخو، والهَجْر والصُّدود، والوِصال والصَّبْر على البعد، والضَّنى من الافتراق، ولم ينس الوصف الماديِّ لمحبوبه؛ كالجفون، واللِّحَظ، والقُدود، والمبَسَم، وغيرها، وتفنَّن هنا غاية التفنُّن.

وقد تضمن هذا الفصل: ثلاثة وتسعين مقطعاً، في ثلاث مئة وتسعة وخمسين بيتاً.

الفصل الرابع: في المراسلات: وذكر فيه مراسلاته مع بعض طلبة العلم من أصدقائه بدومة، وحلب، واللاذقية، وغيرها.

وقد تضمَّن هذا الفصل: عشرة مقاطع، في ثمانية وتسعين بيتاً.

الفصل الخامس: في جملة باقية من الغزل والتاريخ والنصيحة والهجاء، وبه ختم النظم الدمشقي، وذكر فيه تأريخاً لبعض الحوادث، وهجواً لبعض الشخصيات الهزليَّة، ومدحاً للعلم وأهله وفوائده، وتقريضاً لبعض الرسائل العلمية، . . . إلخ.

وقد تضمن هذا الفصل: تسعة وخمسين مقطوعة، في مئتين وسبعة وسبعين بيتاً.

الباب الثاني: فيما قاله في الرحلة المغربية، وقد افتتحه بقصيدة رائعة أثناء انتظارهم للوابور في مدينة بيروت، والذي سيقُلُّهم إلى فرنسا، وافتتحها بقوله:

ما كان أسرع نقض الودِّ يا أملي
أذ أبطأت في الجواب عنهم رُسلي
أسائلُ الريح عنهم كلُّما لعبت
منها الغصون وموج البحر كالجبل

وذكر في هذا الباب صُحبته وصدقاته ولقاءاته بالأعيان، وما تعرَّض له هو ورفاقه في أثناء رحلته من أهوالٍ عظام في البحر وغيره، وذكر مراسلةً بديعةً لوالدته، ورسالةً أخرى أرسلها إلى «دومة» مادحاً لها ولأهلها:

حيَّا الحيا «دوما» البديعة إنَّها
وسمت على المرَجين في عزٍّ وفي
بلدٍ لدى الإنصافِ أطيب موضعٍ
أكرم بها من عادةٍ كم أسكرت
من أين للمدُن العظيمة ما لها
ما «جلق» إلا رياضُ محاسنٍ
هي جنة الدنيا ودُرَّة تاجها
هي دُرَّة ما مسَّها من فاسقٍ
ما مات فيها فاضلٌ إلا أتى
أو عاث فيها جاهلٌ إلا وقا
من قال: إنَّ الغرب أحسنُ موطناً
أضحت جمال الغوطة الفيحاء
طيب الهواء وباليَد البيضاء
رغمًا على أنف العدو النَّائي
بسُلفة النَّدماء والخلطاء
بالنَّيربين ومن كمال بهاءٍ
ومفاخرٍ ومكارمٍ وهناءٍ
ومعادنُ العلَماء والأدباء
إلا أنته تواترُ اللاَّواءِ
من بعده بيتمة عذراءٍ
م مقامه أسد الحمى بلواءٍ
فلقد رآه بمقلَّة عمياء

وقد تضمن هذا الباب ستاً وعشرين مقطوعةً، في مئتين وثلاثٍ وثلاثين بيتاً.

البابُ الثالثُ: فيما قاله في أثناء إقامته في «دومة»، وفي أثناء رواجه إلى غيرها حسب التنقُّل، وذكر فيه كافة فنون الشعر: غزلاً، ومدحاً، وهجاءً، وحماسةً، وفخرًا، وبكافة أنواعه: تشطيراً، وتخميساً، وغيرها.

وقد تضمّن هذا المقطعُ مئةً وإحدى وتسعين مقطوعةً، في ألفٍ وسبع مئةٍ وخمسةٍ وأربعين بيتاً.

[البابُ الرابعُ]: السّوانحُ في المستشفى، وذلك فيما قاله عَقَبَ مرضه سنة (١٣٤٢هـ)، حيثُ أُدخل «مستشفى الغرباء» بدمشق الفيحاء، وبقي فيه مدةً، وقد أُصيب بفالجٍ في طَرَفِهِ الأيمن، مما عَطَّلَ له يَدَهُ اليمنى عن الكتابة، فاستعانَ بيده اليسرى، وكتب بها شعراً أودعه خاتمةً ديوانه هذا.

وقد تضمّن هذا البابُ أربعةً وأربعين مقطوعةً، في خمس مئةٍ وستةٍ وثمانين بيتاً^(١).

* * *

هذا وقد تمّ العملُ في تحقيق هذا الديوان على النحو التالي:

- ١- نسخُ الديوان من المخطوطِ الأصل.
- ٢- معارضةُ المنسوخِ بالمخطوطِ لإثباتِ صحّةِ النسخ.
- ٣- تفصيلُ الديوان إلى مقاطعَ شعريةٍ، بلغت أربع مئةٍ وثمانيةٍ وأربعين مقطعاً، مع ترقيمها.
- ٤- ضبطُ الديوان بالشكلِ الكامل، حتى تسهّلَ قراءتهُ على قارئه.
- ٥- التعليقُ على مواطنَ يسيرةٍ منه، مما اقتضى التنبيهُ عليه، وبخاصّةٍ فيما يتعلقُ بالأُمُورِ العقائدية.
- ٦- كتابةُ ترجمةٍ لصاحبِ الديوان، مفصّلةٍ لحياته وآرائه.
- ٧- صناعةُ فهرسٍ شاملةٍ لأعلامِهِ وأماكنِهِ وأبياتِهِ وموضوعاتِهِ.

(١) وعليه، فأبيات الديوان كاملة (٣٨٩٥) بيتاً في (٤٤٨) مقطوعة.

هذا وأسأل الله تعالى أن يتقبل مني عملي هذا، وألاً يحرمني ثوابه، وأن
يجزي خيراً كل مَنْ أعان عليه، آمين، والحمد لله رب العالمين .

وَكَتَبَهُ
نور الدين بن طالع
دراسة، الزاوية
مطلع سنة ١٤٢٧هـ

ترجمة الشاعر (١)

* اسمه ونسبه:

هو العلامة الفقيه الأصولي المحدث المفسر النحوي المتفنن عبد
القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن

(١) مصادر الترجمة:

- * «منتخبات تواريخ دمشق» لتقي الدين الحصني (٢/ ٧٦٢-٧٦٣).
- * «أعلام الأدب والفن» لأدهم الجندي (١/ ٢٢٤، وما بعدها).
- * «أعيان دمشق» لمحمد جميل الشطي الحنبلي (ص: ٣٤٥).
- * مقدمة «مناداة الأطلال» لمحمد بهجت البيطار، (ط: المكتب الإسلامي).
- * خاتمة «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل» لمحمد بن سعيد الحنبلي.
- * «الأعلام» لخير الدين الزركلي (٤/ ٣٧).
- * «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (٢/ ١٨٤-١٨٥).
- * «الأعلام الشرقية» لزكي مجاهد (٢/ ١٢٨-١٣٠).
- * «معجم المطبوعات العربية والمعربة» لسركيس (ص: ٥٤١).
- * «معالم وأعلام» لأحمد قدامة (١/ ١٢٣).
- * «معجم المؤلفين السوريين» لعبد القادر عياش (ص: ٢٥٧).
- * «تاريخ دومة» لمعروف زريق (ص: ١٠٣-١٠٤).
- * «شعراء من دومة» له أيضاً (ص: ٩٨، وما بعدها).

بَدْرَان، السَّعْدِيُّ، الدُّومِيُّ، ثُمَّ الدَّمَشْقِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، الْأَثَرِيُّ السَّلَفِيُّ^(١).

= * «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» لمحمد مطيع الحافظ (٣٠٠/١).

* «علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي» لمحمد بن ناصر العجمي .
* مواضع متفرقة من كتب المترجم؛ كـ «تهذيب تاريخ دمشق»، و «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل»، و «مناداة الأطلال»، و «نزهة الخاطر العاطر»، و «حاشية أخضر المختصرات»، و «تسليية اللبيب»، و «العقود الياقوتية»، وغيرها.

* مشافهات عديدة من أهل دومة تُعَدُّ تنمة لبعض المواضع الغامضة من سيرة ابن بدران.

(١) تفصيل النسبة:

- بدران: اسم الجد الأكبر لأسرة ابن بدران، وهو بدران السَّعْدِي، حجازي من قبيلة بني سَعْدٍ، وهذه الأسرة أسرة كبيرة ممتدة في دومة.

- السَّعْدِيُّ: نسبة إلى بني سعد، وهي قبيلة حجازية، ترجع أصول آل بدران إليها، كما أشار إلى ذلك في غير موضع من كتبه، من ذلك قوله في «تهذيب تاريخ دمشق» (٦/١) بعد ذكر نسبه: «المشهور كأسلافه بابن بدران، المنتمي أصله ونجاره لبني سعد، جيران الصَّفا».

- الدُّومِيُّ: نسبة إلى دومة، موطن ولادة المترجم ونشأته، ومقر إقامة أسرته، وهي بلدة تبعد عن دمشق ثلاثة عشر كيلاً من الجهة الشرقية الشمالية، وقد صارت الآن مدينة ممتدة، وهي مركز الغوطة - حرسها الله وسائر بلاد المسلمين -.

ويتنسب أهل دومة إلى المذهب الحنبلي منذ أكثر من خمسة قرون، وقد خرج منها جماعة من أعلام الحنابلة، منهم: الشيخ سليمان بن عثمان بن محمد المرداوي - فقيه دومة - (ت: ٩٥٠ هـ تقريباً)، والشيخ عبد القادر التغلبي - صاحب «نيل المآرب» - (ت: ١٠٥٧ هـ)، والشيخ أحمد الدُّومِي قاضي الحنابلة بدمشق (ت: ١١٠٧ هـ)، والشيخ حمزة بن يوسف الدُّومِي، أحد مدرسي الجامع الأموي (ت: ١١١٦ هـ)، والشيخ مصطفى الدُّوماني، شيخ الحنابلة بالأزهر =

* ولادته ونشأته:

وُلِدَ ابنُ بَدْرَانَ في بلدةِ دومةَ سنة (١٢٦٥هـ)، ونشأ بها في أسرةٍ تقيّةٍ صالحَةٍ، فكانَ والدُه الشَّيْخُ أحمدُ المُتَوَفَّى سنة (١٣١٧هـ) رجلاً صالحاً، وجدهُ الشَّيْخُ مصطفى المَتَوَفَّى سنة (١٣٢٢هـ) من أهلِ العلمِ والفضلِ، وانتسبَ في صغره إلى كُتَّابِ الشَّيْخِ عدنانَ بنِ محمَّدٍ عَدَسٍ في جامعِ المَسِيدِ^(١)، فتعلَّمَ لديه مبادئَ القراءةِ والكتابةِ.

= (ت: ١١٩٦هـ)، والشَّيْخُ محمد بن عثمان الخطيب - مفتي الحنابلة بالمدينة المنورة - (ت: ١٣٠٨هـ)، والشَّيْخُ عبد القادر بن بدران الدُّومي (ت: ١٣٤٦هـ)، والشَّيْخُ أحمد بن صالح الشامي مفتي دومة وفتيها (ت: ١٤١٤هـ) - وغيرهم كثير، وقد فصَّلت الكلامَ عليهم في كتاب مستقل سميتُه: «أعلامُ دُومة»، يَسرُّ الله إتمامه. - الدمشقيُّ: نسبة إلى دمشق، موطن هجرة المترجم ووفاته. - الحنبليُّ: نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى، - وهو المذهب الفقهي للمترجم. - الأثريُّ: نسبة إلى الأثر، وهو الحديث، ينسب إليه كل من سلك مذهب المحدثين في الاعتقاد. - السَّلَفِيُّ: نسبة إلى السَّلَفِ الصَّالح، ينسب إليه كلُّ من اقتفى أثرهم في العقيدة والسلوك.

وهاتان النسبتان (الأثريُّ السلفيُّ) ذكرهما المترجم عن نفسه في غير موضع، من ذلك في كتابه «العقود الياقوتية» (ص: ٢٠٤).

(١) مسجد من مساجد دومة القديمة، بناه أحد الأشراف السادة، فأخذ لقبهم، ويقع الآن في وَسَطِ دومة، وكان به كُتَّابٌ قديمٌ، تخرَّج فيه كثيرٌ من أولاد دومة في الحقبة الماضية.

قلت: ثم أفادنا الشَّيْخُ العلامة محمد بن الأمين بوخبزة التطواني - حفظه الله تعالى - أن لفظ «المسيد» يطلقه المغاربة على «الكُتَّاب» الذي يتعلم فيه الأطفال القرآن الكريم، وفعلًا فقد كان هذا المسجد في أول أمره «كُتَّابًا» ثم تحول إلى مسجد، والله أعلم.

ثُمَّ انتَقَلَ بَعْدَ ذَلِكَ لِتَلَقِّي الْعِلْمِ عَلَى يَدِ جَدِّهِ الشَّيْخِ مُصْطَفَى بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بَدْرَانَ، كَمَا قُرَأَ كِتَابَ «دَلِيلُ الطَّالِبِ» عَلَى بَعْضِ شُيُوخِ دُومَةَ.

ثُمَّ اشْتَغَلَ عَلَى يَدِ الْعَلَّامَةِ الْفَقِيهِ الْمُفْتِي مُحَمَّدِ بْنِ عِثْمَانَ بْنِ عَبَّاسٍ الْخَطِيبِ الدُّومِيِّ الْحَنْبَلِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٠٨هـ)، فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ «مَخْتَصَرِ الْإِفَادَاتِ» لِلْعَلَّامَةِ الْبَلْبَانِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، وَتَأَثَّرَ بِأَسْلُوبِ شَيْخِهِ وَطَرِيقَتِهِ، وَأَعْجَبَ بِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ، مِمَّا جَعَلَهُ يُكْثِرُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ فِي مَطَاوِي كُتُبِهِ وَمُصَنَّفَاتِهِ.

ولمَّا وجدَ كفايَتَهُ من شيخه الخطيب، ارتحلَ إلى دمشقَ حالاً بدارِ الحديثِ الأُشرفِيَّةِ، حيثُ كانَ يُقيمُ مُحَدِّثُ الشَّامِ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بدرِ الدِّينِ الحَسَنِيُّ - رحمه الله تعالى -، فاتَّصلَ ابنُ بدرانَ به، وأخذَ عنه، ومدَّحَهُ، وأثنى عليه.

وأخذَ عنِ العلامةِ الفقيهِ الحِيسُوبِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ مُصطَفَى الطَّنْطاوِيِّ
الأزهريِّ (ت: ١٣٠٦هـ) عِلْمَ الهَيْئَةِ والمِيقَاتِ والحِسابِ، إلى أنْ برَعَ
فيها، فألَّفَ وناظَرَ وتصدَّى لتدريسها.

وأخذَ عن العلامةِ الفقيهِ أحمدَ بنِ حَسَنِ الشَّطِّيِّ الحنبليِّ (ت: ١٣٠٦هـ) الفقهَ والفرائضَ، وأشارَ عليه بوضع حاشيةٍ على «الروضِ المربع»، فابتدأَ بها، ووصلَ فيها إلى بابِ السَّلَمِ سنة (١٣٠٤هـ)، ثمَّ انصرفَ عنها.

كما تلقى على يد العلامة المحدث سليم بن ياسين العطار الدمشقي -
مُسْنِدُ الشَّام - (ت: ١٣٠٧هـ)، فقرأ عليه الحديث، وأجازَهُ إجازةً عامَّةً.

واشْتَغَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ شُيُوخِ دِمَشْقَ، كَالشَّيْخِ عَلَاءِ الدِّينِ عَابِدِينَ الدَّمَشْقِيِّ الْحَنْفِيِّ (ت: ١٣٠٦هـ)، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ يَاسِينَ الْعَطَّارِ

الدَّمشقيّ الشَّافعيّ (ت: ١٣٠٧هـ)، والشَّيخ عمر بن طه بن أحمد العطار
الدَّمشقيّ الشَّافعيّ (ت: ١٣٠٨هـ)، والشَّيخ محمد بن محمد الأنباري
المِصْريّ (ت: ١٣١٣هـ).

وقد استمرَّ طلبُهُ للعلم في دمشق قرابة ستِّ سنواتٍ، حصَّل خلالها
بجدِّه واجتهاده ما لم يحصله غيره في السَّنوات الطَّوالِ، وكان ذلك من آثارِ
المنهجية العلمية التي لقَّنه إياها شيخه العلامة محمد بن عثمان الخطيب -
رحمه الله تعالى -.

لكنَّه لم يقتصر على ما أخذ، وإنَّما أكَّب بعد ذلك على المطالعة بنفسه،
حتَّى برع في الكتاب والسُّنة، والأصْلين، والمذهب، ومعرفة الخلاف،
وسائر العلوم العقلية والأدبية والرياضية.

وعادَ إلى دومة، وبدأ يُلقِي دروساً منتظمةً في جامعها الكبير، يشرحُ
فيها الفقه الحنبليّ في كتاب «شرح مُنتهى الإرادات» للبهوتيّ.

إلى أن حصلت له فتنةٌ كبيرةٌ، ومِحنةٌ عظيمةٌ؛ حيثُ سعى به حُساذهُ
ومناهضوه إلى قرينه الشاعر صالح بن أحمد طه الدُّوميّ (ت: ١٣٢٥هـ)،
وكان آنذاك رئيسَ بلدية دومة، فاستصدرَ أمراً بإبعاد ابنِ بدران عن دومة.

وتمَّ لسائنيه ما يُريدون، فهاجرَ إلى دمشق، وعانى فيها من الغربة
والبُعد، والعزلة والفقر، لكنَّ ممَّا خفَّفَ ذلك عنه ما لقَّيه من الوجيه التَّاجرِ
محمود الباروديّ من ترحابٍ وحُسن ضيافة، نزلَ عنده مدَّة سنتين ونصفٍ،
قام خلالها بمساعدة ابنه «فخري» في بعض العلوم والفنون.

ثمَّ استقرَّ به الأمرُ في مدرسة عبد الله باشا العظم، جنوب المسجد
الأمويّ، وسكنَ فيها بغرفة علوية، كانَ فيها مقامه وطعامه ومَنامه
وتدريسُه، وبقي فيها قرابة نصفِ قرنٍ.

* وَظَائِفُهُ وَأَعْمَالُهُ:

تَنَقَّلَ ابْنُ بَدْرَانَ بَيْنَ عِدَّةٍ وَظَائِفَ فِي حَيَاتِهِ، وَهِيَ لَا تَعْدُو مَجَالَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَمِنْهَا:

١ - التَّدْرِيسُ:

تَصَدَّرَ ابْنُ بَدْرَانَ لِلتَّدْرِيسِ مِنْذُ إِقَامَتِهِ فِي دُومَةِ، فَأَقْرَأَ الْفَقْهَ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ، مُقَرَّرًا كِتَابَ «شَرْحِ مُنْتَهَى الْإِرَادَاتِ» لِلْبُهْوتِيِّ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَضَعَ عَلَيْهِ حَاشِيَةً مُفِيدَةً.

وَبَعْدَ انْتِقَالِهِ إِلَى دِمَشْقَ بِمَدَّةٍ، عُيِّنَ مُدَرِّسًا تَحْتَ قَبَّةِ النَّسْرِ فِي الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَكَانَ يَدْرُسُ الْفَقْهَ وَالتَّفْسِيرَ وَالحَدِيثَ، وَيَمِيلُ فِي دُرُوسِهِ إِلَى الْإِصْلَاحِ وَالتَّجْدِيدِ، وَمِمَّا دَرَسَهُ تَحْتَ قَبَّةِ النَّسْرِ كِتَابُ «عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» لِلْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيِّ.

وَدَرَسَ - أَيْضًا - فِي الْمَدْرَسَةِ الشَّمْسِيَّاتِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى الدُّرُوسِ الْخَاصَّةِ لَطَلِبَةِ الْعِلْمِ، وَالَّتِي كَانَ يَقُومُ بِهَا فِي مَدْرَسَةِ عَبْدِ اللَّهِ بَاشَا الْعَظَمِ مَقَرَّ إِقَامَتِهِ. وَكَانَ - مَعَ ذَلِكَ - كَثِيرَ التَّنَقُّلِ بَيْنَ قُرَى غَوَطَةِ دِمَشْقَ لِتَعْلِيمِ الْعَامَّةِ وَإِرْشَادِهِمْ، وَتَلْقِينَ الطَّلَبَةِ الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الرِّحْلَةِ.

٢ - عُضُوبِيَّةُ شُعْبَةِ الْمَعَارِفِ بِدُومَةِ:

تَشَكَّلَتْ فِي دُومَةِ سَنَةِ (١٣٠٩هـ) شُعْبَةٌ لِلْمَعَارِفِ، مَهَمَّتُهَا نَشْرُ الْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَشَحَذُ هِمَمِ النَّاسِ عَلَى تَعْلِيمِ أَطْفَالِهِمْ وَإِرْسَالِهِمْ إِلَى الْكُتَاتِيْبِ وَالمَدَارِسِ.

وَكَانَ ابْنُ بَدْرَانَ أَحَدَ أَعْضَاءِ هَذِهِ الشُّعْبَةِ.

٣ - تَوَلَّى إِفْتَاءَ الدِّيَارِ الْحِجَازِيَّةِ بِسُورِيَّةَ :

عَيَّنَ الْمَلِكُ عَبْدُ الْعَزِيزِ آلِ سُعُودٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ابْنَ بَدْرَانَ ، مُفْتِيًا لِلدِّيَارِ الْحِجَازِيَّةِ فِي سُورِيَّةَ ، وَذَلِكَ لَشِدَّةِ وَثُوقِهِ بِهِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ .

وَقَدْ أَشَارَ الزَّرْكَلِيُّ فِي «الْأَعْلَامِ» إِلَى أَنَّ ابْنَ بَدْرَانَ تَوَلَّى إِفْتَاءَ الْحَنَابِلَةِ ، وَلَعَلَّ مَقْصُودَهُ تَوَكُّيَهُ لِهَذَا الْمَنْصَبِ تَبَرُّعًا مِنْهُ ، وَإِقْبَالًا مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ ، لَا كَوَظِيفَةٍ رَسْمِيَّةٍ ، إِذْ أَنَّ مَنْصَبَ إِفْتَاءِ الْحَنَابِلَةِ بِدَمَشَقَ كَانَ بِالتَّنَاوُبِ بَيْنَ آلِ الشُّيُوطِيِّ ، وَآلِ الشُّطِّيِّ مِنْذُ مَطْلَعِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ الْهَجْرِيِّ ، وَكَانَ آخِرَهُمُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ جَمِيلُ الشُّطِّيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

٤ - التَّصْحِيحُ فِي الْمَطَابِعِ وَإِدَارَةُ تَحْرِيرِ الْجَرَائِدِ :

عَمَلَ ابْنُ بَدْرَانَ مُصَحِّحًا وَمُحَرِّرًا بِمَطْبَعَةِ الْوَلَايَةِ وَجَرِيدَتِهَا فِي دَمَشَقَ ، كَمَا شَارَكَ بِتَحْرِيرِ جَرِيدَةِ «الْمُقْتَبَسِ» الدَّمَشَقِيَّةِ .
وَأَنْشَأَ مَجَلَّةَ «مَوَارِدِ الْحِكْمَةِ» سَنَةَ (١٣٩٢ هـ) .

وَكَتَبَ فِي الصُّحُفِ الدَّمَشَقِيَّةِ ؛ كَ «الْمِشْكَاةِ» ، وَ«الشَّامِ» ، وَ«الكَائِنَاتِ» وَ«الرَّأْيِ الْعَامِّ» .

٥ - التَّنْقِيبُ عَنْ آثَارِ دَمَشَقَ :

انْصَرَفَ ابْنُ بَدْرَانَ مَدَّةً مِنْ حَيَاتِهِ لِلتَّنْقِيبِ عَنْ آثَارِ دَمَشَقَ ، وَمَا بَقِيَ مِنْ أَطْلَالِهَا ، حَتَّى كَانَ يَسْتَعِيرُ سُلَّمًا خَشَبِيًّا ، وَيَنْقُلُهُ بِيَدَيْهِ لِيَقْرَأَ كِتَابَةً عَلَى جِدَارٍ ، أَوْ اسْمًا فَوْقَ بَابٍ .

وَكَانَ السَّبَبُ فِي عَمَلِهِ هَذَا ، تَكْلِيفَ قَاضِي دَمَشَقَ الشَّيْخِ الْمُعَمَّرِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْأُسْطُوَانِيِّ (ت : ١٣٨٣ هـ) لَجَنَةً عَلَى رَأْسِهَا ابْنُ بَدْرَانَ ، لِلطَّوَافِ عَلَى مَدَارِسِ دَمَشَقَ ، وَوَصْفِ حَالَتِهَا ، وَمَا فِيهَا مِنْ

الطُّلَّابِ، وما قد تحتاجُ إليه من إصلاحٍ وترميمٍ، فقَامَتِ اللَّجْنَةُ بالعملِ المكلَّفةِ بهِ، وقَدَّمَتِ التَّقريرَ إلى القاضي في (١٨/ صفر/ ١٣٢٨هـ)، وقد نُشرَ هذا التَّقريرُ الدُّكتورُ صلاحُ الدِّينِ المنجِّدِ في «مجلَّةِ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العربيِّ بدمشق» بعنوان: «وثيقةٌ رسميّةٌ عن مدارسِ دمشق القديمة».

ويظهرُ أنَّ ابنَ بدرانَ جمعَ ما عثرَ عليه خلالَ هذا التَّنقيبِ، فكانَ ذلكَ نَوَاةَ كتابهِ «مُنادمةُ الأطلالِ ومسامرةُ الخيالِ في الآثارِ الدَّمشقيَّةِ والمدارسِ العلميَّةِ»، وقد أثارَ هذا الكتابُ مباحثَ مهمَّةٍ في تعدِّي كثيرٍ من النَّاسِ على أوقافِ المسلمين، وإهمالِ مسؤولي الأوقافِ الإسلاميَّةِ المُطالبَةَ بحقوقِ المساجدِ والمدارسِ الوقفيَّةِ الإسلاميَّةِ، واللهُ الأمرُ.

* رَحَلَاتُهُ:

أولى رَحَلَاتِ ابنِ بدرانَ هي رَحَلَتُهُ في طلبِ العِلْمِ إلى دمشق، واستقرارُهُ بها مُدَّةً في دارِ الحديثِ الأشرفيَّةِ.

ثمَّ اتَّصلَ ابنُ بدرانَ بالأميرِ عبدِ القادرِ الجزائريِّ، ورافقَهُ في رَحَلَتِهِ إلى المغربِ وأوروبَّا، وزارَ الجزائرَ، وتونسَ، وإيطاليا، وفرنسا، ودامتَ رَحَلَتُهُ ستَّةَ أشهرٍ، صاغَ مذكَّراتِهِ فيها شِعْراً أودَعَهُ ديوانَهُ: «تَسْلِيَةُ اللَّيْلِ».

وكانتَ رَحَلَتُهُ الثَّانيةُ إلى دمشق مُهاجِراً إليها بعدَ مِخْتَتِهِ في دومةَ.

وفي خلالِ إقامَتِهِ في دمشقَ زارَ لُبْنانَ ضيفاً على الأميرِ السَّيِّدِ عبدِ الرَّحمنِ باشا اليوسُفِ صَدْرِ سوريَّةِ وأميرِ الحَجِّ.

ويُحتملُ أنَّه رَحَلَ إلى مصرَ، فأخَذَ فيها عن شيخِ الأزهرِ مُحَمَّدِ الأنبايِّ (ت: ١٣١٣هـ)، أو أنَّه التَّقاءهُ في دمشق، إذ أنَّ شيوخَ الأزهرِ كانوا يتردَّدونَ إلى دمشق.

لكن ممّا يقوّي أمرَ رحلته إلى مصرَ ذكرُه في كتابه «المدخل» أنّه اطَّلَعَ على بعضِ كتبِ الحنابلةِ في خزانةِ الكتبِ الخديويّةِ بمصرَ، واللهُ أعلمُ.

* صَلَاتُهُ:

عُرِفَ ابنُ بدرانَ بحبِّ العزلةِ والانفرادِ، وذلكَ بعدَ تَوَاصُلِ المَحَنِ عليه، وَحَسَدِ كثيرٍ من مُعاصريه لَهُ.

ومَعَ هذهِ العزلةِ فَقَدْ كَانَتْ لَهُ صَلَاتٌ جَيِّدَةٌ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ، وَالْحُكَّامِ وَالسِّيَاسِيِّينَ، وَمِنْهُمْ:

١- الأميرُ عبدُ القادرِ الجزائريُّ: الَّذِي اصْطَحَبَهُ مَعَهُ فِي رَحْلَتِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأُورَبَّا.

٢- والوجيهُ محمودُ الباروديُّ - أَحَدُ رِجَالِ السِّيَاسَةِ وَالتَّجَارَةِ فِي سُوْرِيَّةَ - حَيْثُ نَزَلَ ابْنُ بَدْرَانَ فِي ضِيَاْفَتِهِ سَتَتَيْنِ وَنِصْفَ السَّنَةِ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَى دِمَشْقَ.

٣- وَالْعَلَامَةُ الْمُصْلِحُ الْمُفَسِّرُ الْمُحَدِّثُ مُحَمَّدُ جَمَالِ الدِّينِ الْقَاسِمِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -، وَالتَّقِيُّ الرَّجُلَانِ عَلَى الْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ، وَالْمَنْهَجِ الْإِصْلَاحِيِّ، وَكَانَ لِهَمَا أَمَلٌ كَبِيرٌ، وَسَعْيٌ عَظِيمٌ فِي تَجْدِيدِ النُّهْضَةِ الدِّينِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ.

٤- وَالْعَلَامَةُ الرُّحَلَةُ الْأَسْتَاذُ خَلِيلُ بْنُ بَدْرِ الْخَالِدِيُّ الْمَقْدِسِيُّ (ت: ١٣٦٠هـ) الَّذِي كَانَ أَعْجُوبَةً فِي مَعْرِفَةِ الْمَخْطُوطَاتِ وَأَمَاكِنِ وَجُودِهَا.

وَقَدْ اسْتِضَافَهُمَا فِي مَجْلِسِ وَاحِدِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بَهْجَةَ الْبَيْطَارِ.

٥- وَأَمِيرُ الْحَجِّ وَصَدْرُ سُوْرِيَّةِ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَاشَا الْيُوسُفُ (ت: ١٣٣٩هـ)، وَتَوَجَّ ابْنُ بَدْرَانَ صِلَتَهُ بِهِ بِأَنْ أَلْفَ كِتَابًا فِي سِيرَتِهِ سَمَّاهُ:

«الكواكب الدُّرِّيَّة في تاريخ عبد الرَّحمنِ باشا اليُوسُفِ صَدْرِ سورِيَّة»، وطُبِعَ في مطبعة الفيحاء بدمشق سنة (١٣٣٩هـ).

٦- والملكُ عبدُ العزيزِ آلِ سعودٍ - رحمه الله -، وأهداهُ كتابه: «نُزْهَةُ الخاطرِ العاطرِ شرحَ رَوْضَةِ النَّاطِرِ»، فأمرَ الملكُ عبدُ العزيزِ بطبعِ الكتابِ على نفقته.

وكانَ الملكُ عبدُ العزيزِ يرسلُ لابنِ بدرانَ جماعاتٍ من أهلِ نجدٍ، يستفيدونَ منه، وينهلونَ من علمه.

ولذا كانَ ابنُ بدرانَ يذكرُ أنَّ سببَ تنشيطِ همَّتهِ لعددٍ منَ تآليفه هو زيارةُ بعضِ طلبةِ العلمِ من نجدٍ له، وسؤالهم إياه وضعَ بعضِ الحواشي والشُّروحِ على كتبِ الفقهِ خاصَّةً.

ومن ذلك: «حاشيةُ أَخْصَرِ الْمُخْتَصِرَاتِ»، و«البدرانيَّةُ شرحُ المنظومةِ الفارضية»، و«حاشية روضة الناظر»- المارَّ ذكرها -.

٧- ولعلَّ أبرزَ علماءِ نجدٍ ممَّنْ كانتَ لَهُ صلةٌ بابنِ بدرانَ هو علامةُ الكُوَيْتِ الشَّيْخُ عبدُ اللهِ بنُ خَلَفِ بنِ دحيانَ، فقد كانَ ابنُ بدرانَ يُوَدُّهُ وَيُحِبُّهُ، وكانتَ بينهما مُراسلاتٌ علميَّةٌ، ومُذاكراتٌ فقهيةٌ، حتَّى كانَ ابنُ بدرانَ يتألَّمُ أحياناً - كما ذكرَ عن نفسه في كتابه «العقود الياقوتية» - من انقطاعِ رسائلِ ابنِ دحيانَ، - رحمهما الله تعالى -.

* إجازتهُ :

تقدَّم أن ابنَ بدرانَ حصلَ على الإجازةِ العامَّةِ في الحديثِ وسائرِ العلومِ الشرعيَّةِ من محدِّثِ الشَّامِ الشَّيْخِ سليمِ بنِ ياسينَ العَطَّارِ - رحمه الله تعالى -.

ويظهرُ أنَّه أخذَ إجازاتٍ من شيوخِ عِدَّةٍ، يدلُّ على ذلكَ قوله في «نزهة الخاطرِ العاطرِ» (٢٠٦/١): «... وقد صَنَّفَ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ ثابتٍ الخطيبُ البغداديُّ جزءاً في الإجازةِ للمَعْدومِ، وحكى حُجَجَهُ وأقوالَ النَّاسِ فيه، فالموجودُ أولى .

أقولُ - أي: ابنُ بدرانَ -: هذا إنَّمَا هو باعتبارِ المحدثينَ، وأما في زمننا فإنَّه يكونُ المُجيزُ أشبهَ بالعامِّيِّ، وقد يُجيزُ بكتابٍ لا يعرفُ منه إلاَّ اسمُهُ، وقد حصلتُ لنا إجازاتٌ بمسندِ الإمامِ أحمدَ، ومسندِ عبدِ الرَّزَّاقِ، وابنِ أبي شَيْبَةَ، وغيرهم من أناسٍ ما رأوا هذه الكتبَ، ولا اطلَّعوا عليها، فما فائدةُ هذه الإجازةِ؟! فَلْيَتَبَصَّرِ الْمُجَازُ، وَلْيَعْلَمْ عَمَّنْ يَسْتَجِيزُ» .

ويشتكي ابنُ بدرانَ من طَلَبَةِ العلمِ الَّذِينَ وُلِعُوا بِالْإِكْثَارِ مِنَ الْإِجَازَاتِ، وَالتَّفَاخُرِ بَعْدِ الشُّيُوخِ، وَالِاسْتِجَازَةِ عَمَّنْ دَبَّ وَدَرَجَ، فيقولُ - أيضاً - في «النَّزْهَةِ» (٢٠٢/١): «... قَالَ الْجَوِينِيُّ: وَشَرُطُ صَحَّةِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ - يَعْنِي: طَرِيقَةَ الْعَرْضِ عَلَى الشَّيْخِ - أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ عَالِمًا بِمَا يَقْرَأُ عَلَيْهِ التَّلْمِيزُ، وَلَوْ فُرِضَ مِنْهُ تَصْحِيفٌ أَوْ تَحْرِيفٌ لَرَدَّهُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا لَمْ تَصَحَّ الرَّوَايَةُ عَنْهُ، قَالَ: وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ شَيْخٍ يَسْمَعُ أَصْوَاتًا وَأَجْرَاسًا، وَلَا يَأْمَنُ تَدْلِيسًا وَإِلْبَاسًا، وَبَيْنَ شَيْخٍ لَا يَسْمَعُ مَا تَقْرَأُ عَلَيْهِ؟ .

قلتُ - أي: ابنُ بدرانَ -: وهذا هو الصَّوابُ، وبهذا تعلَّمُ أَنَّ أَكْثَرَ الْإِجَازَاتِ فِي زَمَنِنا، لَا ثِقَةَ بِهَا، فَلَمْ يَتَلَقَّ الطَّالِبُ عَلَى شَيْخٍ كِتَابَ حَدِيثٍ، وَالشَّيْخُ لَا عِلْمَ لَهُ بِضَبْطِ أَلْفَاظِهِ، وَيَجِيزُ بِكِتَابٍ لَمْ يَرَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ إِلَّا فِي بَطُونِ الْأَثْبَاتِ وَالتَّرَاجِمِ؟! فَاللَّهُ يُلْهِمُنَا الرُّشْدَ وَالصَّوَابَ» .

*** عَقِيدَتُهُ :**

كَانَ ابْنُ بَدْرَانَ سَلَفِيَّ الْعَقِيدَةِ، حَكَى ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ

كتبه، وقد صرَّحَ في كتابه «المدخل» (ص: ٤٢-٤٣) بأنه كان في بدء أمره لا هئلاً وراء منهج المتكلمين، فكان تارة يطَّوِّحُ نفسه فيما سلكه ابن سينا في «الشفا»، و«الإشارات»، وتارة يتلقَّفُ ما سبكه الفارابي من صناعة المنطق وتلك العبارات، وتارة يجولُ في مواقف «المقاصد» و«المواقف»، وأحياناً يطلبُ «الهداية» لابن رشد ظناً منه أنها تهدي إلى رشدٍ.. فلا يَحْصُلُ من معرفة الله - تعالى - إلا على أوهامٍ وخطراتٍ، ووساوسٍ وإشكالاتٍ، ويرتدُّ إليه الطرفُ خاسئاً وهو حَسِيرٌ، إلى أن ناداه مُنادي الهدى الحقيقي أن هَلُمَّ إلى الشرفِ والكمالِ، ودعْ نَجاةَ ابن سينا الموهومةَ إلى النجاةِ الحقيقيةِ، وما ذاك إلا بأن يكونَ على ما كانَ عليه السلفُ الكرامُ من الصَّحابةِ والتَّابعينَ، والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ، فهُنالك هَدًى رُوعُهُ، وجعلَ عقيدته كتابَ الله، يَكُلُّ علمَ صفاته له بلا تجسيمٍ ولا تأويلٍ، ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ. هكذا كان ابنُ بدرانَ في عقيدته، ولذا فإنه يُكثِرُ من الثناءِ على أئمَّةِ السلفِ الصَّالحِ، وينقلُ عنهم في كتبه؛ كالإمامِ ابنِ تيميةَ، والإمامِ ابنِ القيمِ، وغيرهما - رحمَ الله الجميع -.

*** مَذْهَبُهُ :**

نشأ ابنُ بدرانَ في بيئةٍ حنبليَّةٍ، وأوَّلُ ما ابتدأ به دراسةَ الفقه الحنبليِّ، كما حكى ذلك عن نفسه، وقد مرَّ آنفاً.

ولأجل ذلك توجَّهَتْ عنايتهُ لخدمةِ هذا المذهبِ، والذَّبِّ عنه، وتوضيحِ مقاصدهِ، وزادَ من همِّه في ذلك اتِّصالُ أهلِ نجدٍ به، وتشجيعُهُم إيَّاهُ على وضعِ الحواشي والنُّكْتِ على الكتبِ المعتمَدةِ، وكان من أشهرِ كتبه في خدمةِ المذهبِ كتابه «المدخلُ إلى مذهبِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ» الَّذي لم يؤلَّفْ في موضوعه قبله مثله، وقد تحدَّثَ فيه عن تاريخِ نشأةِ

المذهب، وعن الأصول التي بُنيَ عليها، وعن مصطلحات المصنِّفين في المذهب؛ وأشهر الكتب المدونة فيه، ولذا كثر الانتفاع به، وتوجَّهت العناية إليه، فطُبِعَ عِدَّةُ طَبَعَاتٍ، واستفادَ منه خَلْقٌ كثيرٌ من الحنابلة وغيرهم، وكان أحد الكتب المقررة لدى مُتَفَقِّهَةِ الحنابلة في بلاد الشام.

ووضع ابنُ بدران حواشي الحنابلة؛ كـ «أَخْصَرَ الْمُخْتَصِرَاتِ»، و«شرح مُنْتَهَى الْإِرَادَاتِ»، و«الرَّوْضِ الْمُرْبِعِ»، و«مُخْتَصَرِ الْإِفَادَاتِ».

وألَّفَ في تاريخ المذهب ورجاله «ذيلًا» على طبقات الحافظ ابن رَجَبٍ.

وكتب في الفرائض كتابين هما: «كِفَايَةُ الْمُرتَقِي إِلَى مَعْرِفَةِ فَرَائِضِ الْخِرْقِيِّ»، و«الْبَدْرَانِيَّةُ شَرْحُ الْمَنْظُومَةِ الْفَارِضِيَّةِ».

وتولَّى الإجابة عن الأسئلة والفتاوى الموجهة إليه، فخرجت تلك الإجابات في مؤلفات مستقلة؛ كـ «روضة الأرواح»، و«دُرَّةُ الْغَوَاصِ»، و«العقود الياقوتية»، و«الفريدة اللؤلؤية»، و«تَشْنِيفِ الْأَسْمَاعِ»، و«الْأَجْوِبَةُ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْبَيْرُوتِيَّةِ»، وغيرها.

وقد أغرب الأستاذ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْعُمَانِيِّ الْحَنْبَلِيُّ في ترجمته لابن بدران؛ حيث ذكر أنه كان شافعياً فتحوَّلَ، وهذا النقلُ غريبٌ، إذ أنَّ الْمُتَبَّعَ لسيرة ابن بدران - فيما حكاؤه عن نفسه - يرى أنه نشأ نشأة حنبليَّةً، ودرس في بدء أمره «دليل الطالب»، وتفقه على الشيخ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْخَطِيبِ مُفْتِيِ الْحَنْبَلَةِ، وقرأ عليه: «مختصر الإفادات»، وكُلُّ ذَلِكَ قَبْلَ رَحْلَتِهِ إِلَى دِمَشْقَ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَهُ الْمَذْهَبُ الشَّافِعِيُّ، ودومة لم تعرف مذهباً غير المذهب الحنبلي؟! .

ومع ذلك فيمكن توجيه كلام العُمانيِّ من أحد وجهين:

الأوّل: أنّ لابن بدرانَ تَحَوُّلَيْنِ: مرّةً مِنَ المذهبِ الحنبليِّ إلى المذهبِ الشافعيِّ، والأخرى مِنَ الشافعيِّ إلى الحنبليِّ! - وهذا بعيدٌ..

الثاني: أنّ مقصودَ ابنِ بدرانَ في كلامِهِ تَحَوُّلُهُ في الأصولِ لا في الفُروعِ، حكى ذلكَ عنْ نفسِهِ على طريقةِ المتقدِّمينَ الَّذينَ كانوا يعبرونَ عن الأشاعرةِ بالشافعيّةِ، وعن أهلِ الحديثِ بالحنابلةِ، فظنَّ السامعُ لَهُ، أو النّاقلُ عنه، أنّ مقصودهُ في ذلكَ في الفروعِ.

وهذا التوجيهُ - عندي - أرجحُ وأصحُّ.

ومن هنا تعلمُ خطأَ إدخالِهِ في «التحوّلِ المذهبيِّ»، وكذا خطأَ مَنْ تابعَ الأستاذَ العُمانيَّ على ما ذكرَهُ في ترجمتهِ لابنِ بدرانَ مِنْ تَحَوُّلِهِ. واللهُ أعلمُ.

* اختياراتُهُ الفقهيةُ:

تقدّمَ أنّ ابنَ بدرانَ حنبليُّ المذهبِ، إلّا أنّه إذا اتّضحَ لَهُ دليلٌ صحيحٌ صريحٌ خلافَ مذهبهِ، لم يلتفتْ إلّا للدَّلِيلِ، ولذا فإنَّهُ وافقَ مذهبهُ في أشياء، وخالفَهُ في أشياءَ أخرى، وسوفَ أُلَمِّحُ هنا إلى بعضِ اختياراتِهِ الفقهيةِ، تاركاً استقصاءَها إلى دراسةٍ مُطوّلةٍ مُوعَبةٍ.

فَمِنْ اختياراتِهِ:

- أنّ المعتبرَ في تطهيرِ المُتَنَجِّسِ زوالُ عَيْنِ النّجاسةِ دونَ اشتراطِ عددٍ معينٍ.

- وأنَّهُ يجوزُ المسحُ على الخُفِّ الممزّقِ ما لم يَظهرْ أكثرُهُ.

- وأنَّ لمسَ الأُمُرْدِ بشهوةٍ ناقضٌ للوضوءِ.

- وأنَّ خِتَانَ الأنثى مُسْتَحَبٌّ لا واجبٌ.

- وأنَّهُ يجوزُ ضبطُ وقتِ الصَّلَاةِ بالسَّاعةِ العَصْرِيَّةِ إذا تَكَرَّرَتْ إصَابَتُهَا.

- وَأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ سِتْرُ كَفَّيْهَا فِي الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهُمَا لَيْسَا بِعَوْرَةٍ.
- وَأَنَّ النِّيَّةَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي الصَّلَاةِ هِيَ نِيَّةُ الْقَلْبِ.
- وَأَنَّ لَفْظَ «السُّلْطَانِ» يَعُمُّ كُلَّ ذِي سُلْطَةٍ، حَتَّى شَيْخَ الْقَرْيَةِ، وَرَئِيسَ الْبَلَدِيَّةِ!
- وَأَنَّهُ لَا يُكْرَهُ السَّفَرُ قَبْلَ الزَّوَالِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِذَا خَافَ فَوَاتَ السَّفَرِ.
- وَأَنَّ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ تَتَعَدُّ بِحُضُورِ ثَلَاثَةِ أَشْخَاصٍ مِمَّنْ تَجِبُ عَلَيْهِمْ، وَتَحْدِيدُ الْعَدَدِ لَمْ يَصَحَّ فِيهِ دَلِيلٌ.
- وَأَنَّ اسْتِعْمَالَ الدَّوَاءِ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِهِ.
- وَأَنَّ حَكْمَ زَكَاةِ الْعُمْلَةِ الْوَرَقِيَّةِ كَحَكْمِ زَكَاةِ الدِّينَرِ.
- وَأَنَّهُ يَجُوزُ تَرْكِيبُ أَسْنَانِ الذَّهَبِ، وَإِنْ قَامَ الْمَعْدِنُ وَالْفِضَّةُ مَقَامَهَا.
- وَأَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ يَثْبُتُ بِالْإِخْبَارِ عَنْهُ بِالتَّلْغُافِ إِذَا كَانَ الْمُخْبِرُ عَدْلًا.
- وَأَنَّهُ يَجُوزُ إِخْرَاجُ الْكَفَّارَةِ عَنِ الصَّوْمِ بَعْدَ الْمَوْتِ عَلَى نَحْوِ مَا يَفْعَلُهُ الْحَنْفِيَّةُ فِي إِسْقَاطِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا كَطَوَافٍ وَاعْتِكَافٍ!!
- وَأَنَّهُ يَجُوزُ بَيْعُ الْمُعَاطَاةِ فِي قَلِيلِ الْمَالِ وَكَثِيرِهِ.
- وَأَنَّ الْمَرْجِعَ فِي الْكِيلِ وَالْوِزْنِ إِلَى الْعُرْفِ بِالْحِجَازِ.
- وغير ذلك كثيرٌ.

* شِعْرُهُ :

كَانَ ابْنُ بَدْرَانَ أَدِيبًا، شَاعِرًا، نَازِمًا، نَازِرًا.
فَقَدْ تَفَوَّقَ فِي مَجَالِ الشَّعْرِ، فَتَرَكَ لَنَا دِيوانًا كَامِلًا أَوْدَعَهُ مَقَاطِعَ مِنْ
شِعْرِهِ، سَمَّاهُ: «تَسْلِيَةُ اللَّيْلِ عَنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ».

كما تفوّق في النثر، فصاغ كتبه التاريخية والفقهية بأسلوب الأدباء لا بأسلوب الفقهاء، فجاءت كتبه سهلة ميسرة، مذلّلة الصّعب.

ولعلّ القارئ لديباجة كتابه «المُنادمة» يتذوّق رفعة أسلوب ابنِ بدران، وتحليقه في سماءِ البلاغة الأدبية، وقدرته على صياغة ما يريد في أساليب متنوعة.

ولأجل ذلك ذكر جميع من ترجم لابنِ بدران أنّه شاعرٌ وأديبٌ. فقال الجُندي: «كانَ شاعِراً وأديباً وقُطباً وعالمًا فذاً بليغاً، جَمَعَ شعرُهُ في ديوانٍ.. وكانَ يهوى المطارحاتِ والمُساجلاتِ الشعريةَ مع الشعراءِ والأدباءِ».

وقال الحصيني: «سَبَقَ كثيراً من إخوانه وأقرانه في الأدب واللغة». وقال الزركلي: «... عارفٌ بالأدب والتاريخ، له شعرٌ». وقد شمل شعرُ ابنِ بدران فنونَ الشعرِ كلّها؛ كالمدحِ والغزلِ والوصفِ والرتاءِ والهجاءِ والحكمةِ والمراسلاتِ، وغيرها. كما نرى فيه جمالَ صنعةِ الشعرِ من توريةٍ وجناسٍ وطباقٍ وتشطيرٍ وتخمينٍ وتطريزٍ وموشحاتٍ وتضمينٍ وإجازاتٍ، وغير ذلك. وسيرى المطالعُ لديوانه هذا جملةً وافرةً من النماذجِ المشرقةِ لما تقدّم.

*** مَكْتَبَتُهُ:**

امتلك ابنُ بدران مكتبةً علميةً جيّدةً، تضمُّ نفائسَ المخطوطاتِ، وخاصّةً في المذهبِ الحنبليِّ، ورثَ بعضها عن جدّه لأُمّه الشَّيخِ الفقيهِ أحمدَ بنِ مصطفى بنِ حسينِ النّعسان (ت: ١٢٨١هـ)، وبعضُها الآخرُ تملّكه لنفسه، أو وهبَ له.

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا حَصَلَتْ لَهُ تِلْكَ الْفِتْنَةُ الْمُظْلِمَةُ فِي بَلَدِهِ، وَدَاجَ عَلَيْهِ جَهْلَةُ الْخَلْقِ، وَاسْتَعْدَوْا عَلَى مَكْتَبَتِهِ، فَأَحْرَقُوا مَا وَجَدُوهُ فِيهَا - كَمَا حَدَّثَنِي بِذَلِكَ بَعْضُ كِبَارِ السُّنِّ فِي دَوْمَةَ -، وَلِذَلِكَ حَقٌّ لَهُ أَنْ يَصِمَهُم بِالْحُمْرِ الْمُسْتَفْرِةِ، وَيَصُبَّ جَامَ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ فِي دِيبَاجَةِ كِتَابِهِ «الْمُنَادِمَةُ».

وَمَا بَقِيَ مَعَهُ مِنْ مَكْتَبَتِهِ احْتَمَلَهُ إِلَى دِمَشْقَ، وَأَوْدَعَهُ غُرْفَتُهُ إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّ مَكْتَبَتَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ قَدْ صَارَتْ لِعِدَّةِ أَشْخَاصٍ مِنْهُمْ:

١- الشَّيْخُ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الذَّرَّةَ الدُّومِيَّ، وَكَانَ شَابًا مُحِبًّا لِلْعِلْمِ، عَاشِقًا لِلْكِتَابِ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لَدَيْهِ مَكْتَبَةٌ غَنِيَّةٌ بِالنِّفَاسِ، اشْتَرَاهَا مِنْ عَدِيدٍ مِنَ الْأَسْرِ الثَّنِي وَرَثَ الْكِتَابَ وَلَمْ تَعْرِفْ قَدَرَهَا، ثُمَّ إِنَّهُ تَوَفَّى وَهُوَ شَابٌ، فَقَامَ وَرَثَتُهُ بِبَيْعِ مَكْتَبَتِهِ، وَكَانَ بَعْضُهَا مِنْ نَصِيبِ الْأَسَازِ شَامِلِ الشَّاهِينَ، مِنْهَا خَمْسَةٌ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ ابْنِ بَدْرَانَ بِخَطِّهِ، وَقَدْ نُشِرَ تَقْرِيرٌ وَصَفِيٌّ لِهَذِهِ الْمَخْطُوطَاتِ فِي «مَجَلَّةِ مَعْهَدِ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ» الصَّادِرَةِ فِي الْكُوَيْتِ (مج ٣٢/ ج ٢/ ص: ٢١٣-٢٣٩).

٢- وَمِنْهُمْ الْأَسَازُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْعُمَانِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، حَيْثُ قَالَ فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ بَدْرَانَ بَعْدَ ذِكْرِ كِتَابِهِ: «هَذَا سَوَى مَا لَدَيَّ مِنَ الرِّسَالِ وَالْفَتَاوَى مِنْ أَصْنَافِ الْعُلُومِ، مِمَّا لَوْ جُمِعَ لَبَلَغَ مُجَلَّدَاتٍ، وَمَا كَانَ يَقَعُ فِي كُرَّاسٍ أَوْ كُرَّاسِينَ أَضْرَبْنَا عَنْهُ خَوْفَ الْإِطَالَةِ».

قُلْتُ: وَلَيْتَهُ لَمْ يَخَفْ مِنْ هَذِهِ الْإِطَالَةِ، فَلَقَدْ حَرَمْنَا هَذَا الْخَوْفَ كَثِيرًا مِنَ النَّفَاسِ.

٣ - وَصَارَ جُزْءٌ آخَرُ بِخَوَازَةِ الْأَسَازِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ زُهَيْرِ الشَّوَيْشِ، فِي مَكْتَبَتِهِ فِي بَيْرُوتَ.

أَقُولُ: وَلَا زِلْتُ أَسْمَعُ بِوُجُودِ كِتَابٍ أُخْرَى مِنْ مَكْتَبَةِ ابْنِ بَدْرَانَ لَدَيَّ

بعض الأسر في دابة، ولكن لم أستطع الوصول إلى شيء ملموس في الواقع، فإله يُيسره بفضلِهِ وَمَنَّهُ.

* مؤلفاته:

ترك العلامة ابنُ بدران مؤلفات كثيرة، في موضوعات شتى، دلت على جلالته قدره، وجميل فضله، وسعة اطلاعه، وتنوع علومه ومعارفه. ولأجل هذه المؤلفات الجليلة ذاع صيته، وانتشر في الآفاق اسمه، وأصبح علماً من أعلام التجديد والإصلاح في القرن المنصرم. ولو لم يُوفق لصنع هذه المؤلفات، لما عرفه أحد، ولا توجه إليه اهتمام، ولا خلد ذكره في سجل التاريخ. وقد بلغت مؤلفاته قرابة الخمسين، أوردتها هنا مرتبة حسب موضوعها، وقد رمزت للكتاب المطبوع بـ: (ط)، وللمخطوط بـ: (خ)، وللמفقود أو ما في حكمه بـ: (?). والله الموفق..

- مؤلفاته في القرآن وعلومه:

١- «جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في تفسير كلام العزيز الجبار» (ط).

٢- «الكشف عن حال قصة هاروت وماروت» (خ).

- مؤلفاته في الحديث وعلومه:

١- «شرح الأربعين حديثاً المُنذرية» (خ).

٢- «شرح ثلاثيات مُسنَد الإمام أحمد» (?).

٣- «شرح حديث أمّ هانئ في صلاة الضحى» (خ).

٤- «شرحُ سُنَنِ النَّسَائِيِّ» (خ).

٥- «شرحُ شِهَابِ الْأَخْبَارِ لِلْقُضَاعِيِّ» (ط).

٦- «مَقْدَمَةٌ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ» (ط).

٧- «مَوَارِدُ الْأَفْهَامِ مِنْ سَلْسَبِيلِ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» (خ).

- مُؤَلَّفَاتُهُ فِي الْفَقْهِ وَأُصُولِهِ :

١- «تَشْنِيفُ الْأَسْمَاعِ فِي بَيَانِ تَحْرِيرِ الْمُدِّ وَالصَّاعِ» (خ).

٢- «تَعْلِيقٌ عَلَى مَخْتَصَرِ الْإِفَادَاتِ، لِلْبَلْبَانِيِّ» (خ).

٣- «حَاشِيَةٌ عَلَى أَخْصَرِ الْمُخْتَصَرَاتِ، لِلْبَلْبَانِيِّ» (ط).

٤- «حَاشِيَةٌ عَلَى رِسَالَةِ دَمِّ الْمُؤَسَّسِينَ، لِابْنِ قُدَامَةَ» (؟).

٥- «حَاشِيَةٌ عَلَى مُنْتَهَى الْإِرَادَاتِ، لِلْبُهْوتِيِّ» (خ).

٦- «حَاشِيَةٌ عَلَى الرُّوْضِ الْمُرْبِعِ شَرْحِ الْمُسْتَقْنَعِ، لِلْبُهْوتِيِّ» (خ).

٧- «نُزْهَةُ الْخَاطِرِ الْعَاطِرِ شَرْحِ رَوْضَةِ النَّاطِرِ، لِابْنِ قُدَامَةَ» (ط).

٨- «الْمَدْخَلُ إِلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ» (ط).

- مُؤَلَّفَاتُهُ فِي الْفَرَائِضِ :

١- «الْبَدْرَانِيَّةُ شَرْحُ الْمَنْظُومَةِ الْفَارِضِيَّةِ» (ط).

٢- «كِفَايَةُ الْمُزْتَقِي إِلَى مَعْرِفَةِ فَرَائِضِ الْخِرْقِيِّ» (ط).

- الْفَتَاوَى :

١- «الْأَجُوبَةُ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْبِيرُوتِيَّةِ» (ط).

٢- «دُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي حُكْمِ الزَّكَاةِ بِالرَّصَاصِ» (ط).

٣- «رَوْضَةُ الْأَزْوَاحِ» (ط).

٤- «الْعُقُودُ الْيَاقُوتِيَّةُ فِي جَيْدِ الْأَسْئَلَةِ الْكُوتَيْيَّةِ» (ط)

٥- «الْفَرِيدَةُ اللَّؤْلُؤِيَّةُ فِي الْعُقُودِ الْيَاقُوتِيَّةِ» (ط).

٦- «الْعُقُودُ الدَّرِّيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ الْقَازَانِيَّةِ» (ط).

- مُؤَلَّفَاتُهُ فِي الْعَقِيدَةِ:

١- «تَغْلِيْقٌ عَلَى لُْمَعَةِ الْاِعْتِقَادِ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ، لابنِ قَدَامَةَ»

(ط).

٢- «رِسَالَةُ تَهْكَيمِيَّةٍ عَلَى الصُّوفِيَّةِ» (خ).

٣- «شَرْحُ نُونِيَّةِ ابْنِ الْقَيْمِ» (؟).

٤- «الصَّحِيْحُ مِنْ حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ» (خ).

- مُؤَلَّفَاتُهُ فِي التَّارِيخِ وَالتَّرَاجِمِ:

١- «تَارِيْخُ دَوْمَةِ مِنْذُ فَجْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَاسِيَّةِ حَتَّى الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ

الْهَجْرِيِّ» (؟).

٢- «تَهْذِيْبُ تَارِيْخِ الْأَمِيْرِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجَزَائِرِيِّ» (؟).

٣- «تَهْذِيْبُ تَارِيْخِ دِمَشْقَ، لابْنِ عَسَاكِرَ» (ط).

٤- «ذَيْلٌ عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ، لابْنِ رَجَبٍ» (؟).

٥- «الرَّحْلَةُ الْمَغْرِبِيَّةُ» (؟).

٦- «الرَّوْضُ الْبَسَّامُ فِي تَرَاجِمِ الْمُفْتِيْنَ بِدِمَشْقَ الشَّامِ» (؟).

٧- «الْكَوَاكِبُ الدَّرِّيَّةُ فِي تَارِيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيُوسُفِ صَدْرِ سُوْرِيَّةِ»

(ط).

٨- «مُنَادِمَةُ الْأَطْلَالِ وَمُسَامَرَةُ الْخَيَالِ» (ط).

٩- «مُنْتَحَبُ النَّفَائِسِ فِي تَهْذِيبِ الدَّارِسِ» (خ).

- مَوْلَفَاتُهُ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ :

١- «آدَابُ الْمُطَالَعَةِ» (؟).

٢- «إِيضَاحُ الْمَعَالِمِ مِنْ شَرْحِ الْعَلَامَةِ ابْنِ النَّازِمِ» (خ).

٣- «دِيَوَانُ تَسْلِيَةِ اللَّيِّبِ عَنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ» (ط).

٤- «رِسَالَةٌ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ» (خ).

٥- «الْمَنْهَلُ الصَّافِي فِي شَرْحِ الْكَافِي فِي الْعُرُوضِ وَالْقَوَافِي» (خ).

- مَوْلَفَاتُهُ فِي الْوَعْظِ وَالْخُطَابَةِ :

١- «دِيَوَانُ الْخُطَبِ الْمُنْبَرِّيَّةِ» (؟).

٢- «سَبِيلُ الرَّشَادِ إِلَى حَقِيقَةِ الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ» (؟).

- مَوْلَفَاتُهُ فِي عِلْمِ الْفَلَكَ :

١- «رِسَالَةٌ فِي الرَّبْعِ الْمُجَبَّبِ» (؟).

٢- «رِسَالَةٌ فِي الرَّبْعِ الْمُقَنْطَرِ» (؟).

* ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ :

أثنى على العلامة ابنِ بدرانَ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ وَأَنْصَفَهُ، وَقَدَّرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ .

ومن هؤلاء :

- العلامةُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ حَسَنِ الْبَيْطَارُ؛ حَيْثُ قَالَ عَنْهُ فِي تَقْرِيطِهِ

لِكِتَابِ «الْمَنْهَلِ الصَّافِي» : « . . الْأَدِيبُ الْكَامِلُ، وَالْأَرِيبُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ » .

- والمُؤرِّخُ تقيُّ الدِّينِ الحِصْنِيُّ فقالَ: «... وهو مُتَصَلِّعٌ من العلومِ العَصْرِيَّةِ، والفُنُونِ الكَثِيرَةِ، اشتهَرَ في الشَّعْرِ والتَّارِيخِ... كانَ سَلَفِيَّ العَقِيدَةِ، يُحِبُّ التَّقَشُّفَ، ويميلُ طَبْعُهُ إلى الانفرادِ عَنِ النَّاسِ والبُعْدِ عَنِ الأُمَرَاءِ... وله اختِصاصٌ في علمِ الآثارِ والكتبِ القديمةِ، ومعرفةِ أسماءِ الرِّجالِ ومؤلِّفاتِهِم من صدرِ الإسلامِ إلى اليومِ».

- والعلَّامَةُ مُحِبُّ الدِّينِ الخطيبُ في ترجمته لَهُ بِمَجْلَةِ «الفتح» حيثُ قالَ: «وهو من أفاضلِ العلماءِ، تلقَّى العلمَ عَنِ المشايخِ مدَّةَ خمسِ سنواتٍ، ثمَّ انصرفَ إلى تعليمِ نَفْسِهِ بنَفْسِهِ، فكانَ من أَهْلِ الصَّبْرِ على التَّوَسُّعِ في اكتسابِ المعارِفِ من العلومِ الشرعيَّةِ والأدبيَّةِ والعقليَّةِ والرياضيَّةِ».

- والأستاذُ أدهمُ الجندِيُّ، فقالَ: «وبرَعَ في سائرِ العلومِ العقليَّةِ والأدبيَّةِ والرياضيَّةِ، وتبحَّرَ في الفقهِ والنَّحوِ، فكانَ - رحمه الله - علماً من الأعلامِ». وقالَ - أيضاً -: «كانَ شَيْخاً جَلِيلاً، زاهداً في حُطَامِ الدُّنْيَا، مُتَقَشِّفاً في مَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَمَعِيشَتِهِ، وكانَ - رحمه الله - ذا قِرْعَةٍ طَوِيلَةٍ امتدَّتْ إلى أسفلِ رَقَبَتِهِ، أَعْمَشَ العَيْنينِ».

- والأستاذُ خَيْرُ الدِّينِ الزَّرْكَلِيُّ، فقالَ: «فقيهٌ، أَصُولِيٌّ، حنبليٌّ، عارفٌ بالأدبِ والتَّارِيخِ، لَهُ شِعْرٌ... كانَ حَسَنَ المُحَاضَرَةِ، كارهاً للمُظَاهَرِ، قانِعاً بالكُفَافِ، لا يُعْنَى بِمَلْبَسٍ أو بِمَأْكَلٍ، يَصْبِغُ لِحْيَتَهُ بِالْحِنَاءِ، وَربَّما ظَهَرَ أَثَرُ الصَّبْنِ على أَطرافِ عِمَامَتِهِ، ضَعُفَ بَصَرُهُ قَبْلَ الكُهُولَةِ، وفُلِحَ في أعوامِهِ الأَخِيرَةِ».

هذا غَيْضٌ من فَيْضٍ لما قالَهُ العُلَمَاءُ في مَدْحِ ابنِ بَدْرانَ، ولا أعرفُ أَحداً تكلَّم بِذِمَّتِهِ، أو تَنَقَّصَ من عِلْمِهِ، سوى ما كَتَبَهُ الشَّيْخُ الفقيهُ مُحَمَّدٌ

جَمِيل الشَّطِيطِ - سَامَحَهُ اللهُ - عِنْدَمَا أَشَارَ إِلَى ابْنِ بَدْرَانَ فِي خَاتَمَةِ كِتَابِهِ
«أَعْيَانُ دِمَشْقَ»، فَقَالَ: «عَالِمٌ مُتَطَرِّفٌ!».

وَلَا غَرَابَةَ فِيمَا قَالَهُ الشَّطِيطِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ آلِ الشَّطِيطِ وَقَفُوا مِنْ ابْنِ بَدْرَانَ
مَوْقِفَ الْخَصْمِ؛ لِمَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْإِصْلَاحِ وَالتَّجْدِيدِ، وَنَبَذَ الْبِدْعَ
وَالْخُرَافَاتِ، وَقَدْ ذَهَبَ الْجَمِيعُ لِرَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ، فَنَسَأَلُ اللهُ - تَعَالَى - أَلَّا
يَجْعَلَ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا.

* وَفَاتُهُ:

أُصِيبَ الْعَلَامَةُ ابْنُ بَدْرَانَ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ بِدَاءِ الْفَالَجِ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ
النَّصْفِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ (١٣٤٢هـ)، وَنُقِلَ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى الْمُسْتَشْفَى
الْعَامِّ بِدِمَشْقَ، وَانْقَطَعَ النَّاسُ عَنْهُ، وَكَانَ الْعَامِلُونَ فِي الْمُسْتَشْفَى - وَهُمْ مِنْ
النَّصَارَى - يَعْرِفُونَ قَدْرَهُ، وَيُلَاطِفُونَهُ أَحْسَنَ مُلَاطَفَةٍ.

وَكَانَ فِي أَثْنَاءِ إِقَامَتِهِ فِي الْمُسْتَشْفَى يُسَلِّي نَفْسَهُ بِنَظْمِ الشَّعْرِ، يُرَوِّضُ
بِذَلِكَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى الْكِتَابَةِ، حَتَّى اجْتَمَعَ مِنْ شَعْرِهِ هَذَا الدِّوَانُ الَّذِي
سَمَّاهُ: «تَسْلِيَةُ اللَّيْبِ عَنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ».

وَقَدْ مَكَثَ فِي الْمُسْتَشْفَى نَحْوَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى غُرْفَتِهِ فِي
مَدْرَسَةِ عَبْدِ اللهِ بَاشَا الْعَظُمِ، وَأَكَبَّ عَلَى الْمُطَالَعَةِ حَتَّى أُصِيبَ بِضَعْفٍ فِي
بَصَرِهِ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ مَدَّةَ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ، حَتَّى وَاثَاهُ أَجَلُهُ فِي مَدِينَةِ دِمَشْقَ يَوْمَ
الْأَحَدِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ (١٣٤٦هـ)، الْمَوْافِقِ
لِلْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ أَيْلُولِ سَنَةِ (١٩٢٧م)، وَذَلِكَ فِي مُسْتَشْفَى
الْغُرَبَاءِ بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الْبَابِ الصَّغِيرِ - رَحِمَهُ اللهُ وَغَفَرَ لَهُ -.



صور المخطوطات

ديوان تسليمة اللبيب
عن ذكرى حبيب نظم الفقير
عبد القادر بن أحمد المشهور
بابن بدران الحجازي الأندلسي
تم التمسك غفر الله له
ولوالديه ولكل
المسلمين
أجمعين
هـ
م

عبد القادر

تم التمسك غفر الله له
ولوالديه ولكل
المسلمين
أجمعين

صورة الصفحة الأولى من الديوان بخط الشاعر

وحنان الحب أنسى وإلى بال المعقريه
 أنا لا يغيبوها أن تكون على غيبه
 كم أنا أهوى غفلة بالذكاء المعسره
 هذا آخر ما تحت نظره فلم يستغنى وكنته يبدى اليسرى
 والحمد لله على كل حال

صلى الله عليه وسلم
 هذا هو السعد على دواهم ومنه يستغنى لانه قد سئل
 فقال يا أبا القاسم ما كنت له شئ إلا نوح وأنا لحي
 يا لحيوب لهما شئ فكره ويرى إلى حاله من مشهور
 ويرى في هذا الداد قضيه صعد لا انسياها تهيلا
 حقل الكرم لنا السعد تفضل
 وأدام ورد نواله موددا
 وقنت مودعا ربيته المستغنى
 شيمنا الشغس المشيه
 من بعدنا عن جهاتها
 في بعثت فمنا لا عاي
 فافترقا في قلوب
 روحها روح عفا
 انتم روي بها
 ان ترم ترك وروى
 قانا فسر هو ها
 ساعه القوديع جانت
 من ذلك ما جنتاري
 فانك ربي يا حاتم
 على ألام الأرق
 زلنا ربي شفاه
 وخلصت من أده
 عندما نفصم جوقا
 يا نسيم الخرحري
 معهد الاحياء وايق
 أنى بالرحم عفى

صورة اللوحة الأخيرة من الديوان

دولتون شعراء الخنابلة
(١)

ديوان الإمام

عبد القادر بن بدر

المستمر

تسليّة اللبيب عن ذكرى حبيب

نظم الشاعر

العلامة عبد القادر بن بدران الدومي الحنبلي

رحمه الله تعالى

اعتقابه

تحقيقاً وضبطاً وتزجيلاً

نور الدين ظالم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الَّذي جَعَلَ الشُّعْرَ دِيوانَ الْعَرَبِ، واختَصَّهُم بِدائعِ المعاني
وبَدِيعِ الْأَدَبِ، وبرِيقَةِ الطَّبَعِ، وجَوْدَةِ الْفِكْرِ، وبِمَحَاسِنِ الْأَحَاسِنِ الَّتِي
تَضَمَّنْهَا سِحْرُ النَّثْرِ وَالشُّعْرِ، فالتَقَطُوا مِنْ أَبْحُرِ الْمَعَانِي، ما لَا يَصِلُ إِلَيْهِ فِكْرُ
الْمُعَانِي مِنْ دُرَرِ الْمَعَانِي، وَقَلَّبُوا الْأَحْدَاقَ فِي زَهْرِ سَمَاءِ الْمَبَانِي، وفي زَهْرِ
رِياضِ الْبَدِيعِ فَأَطْرَبُوا وَلَا كَطَرَبِ الْمَثَانِي، وأَظْهَرُوا إِعْجَازَ آيَاتِ الْمَثَانِي،
فَسُبْحَانَ الْقُدُّوسِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ ثَانِي.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَفْصَحِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ، وَمَفْخَرِ مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي
الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، مَنْ قَالَ فِي مَدْحِهِ مَنْ كَمَلَهُ وَفَضَّلَهُ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا
يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]، أَلَا وَإِنَّ ذَلِكَ لَصِيَانَةٌ مُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ، وَلِلرَّدِّ عَلَى مَنْ
قَالَ: إِنَّهُ شِعْرٌ أَوْ مِنْ مَقَالَةِ الْكُهَّانِ، الْقَائِلِ: «إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً، وَإِنَّ مِنَ
الْبَيَانِ لَسِحْرًا»، وَقَدْ سَمِعَ الشُّعْرَ، وَعَلَى قَائِلِهِ تَيَّارَ بَرِّهِ أَجْرَى، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ما اشتاقَ إِلَى اللَّقَاءِ فُوَادُ الْمُحِبِّ الْوَالِهِ، وما سَجَعَتْ
حَمَائِمُ الْأَفْكَارِ عَلَى أَفْنَانِ الْبَلَاغَةِ، واستَفْرَغَ الْمِصْقَعُ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ
بَلَاغَهُ.

وَبَعْدُ: فَيَقُولُ أَفْقَرُ الْوَرَى لِرَحْمَةِ الْمَنَانِ، عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ أَحْمَدَ بَدْرَانَ

الدَّمَشَقِيُّ - فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ فَتوحَ الْعَارِفِينَ، وَأَذَافُهُ حِلَاوَةُ التَّحْقِيقِ مِنْ عَيْنِ
الْيَقِينِ -: لَمَّا كَانَتْ بَنَاتُ الْأَفْكَارِ أَغْلَى مِنَ الْبَنَاتِ الْأَبْكَارِ، وَمَحَاسِنُ
التَّشْبِيهِ، رِيَاضَ الْأَدِيبِ النَّبِيهِ، وَبِدَائِعُ الْبَدِيعِ، أَبْدَعَ مِنْ أَزْهَارِ الرَّبَّيعِ،
وَتَذَكُّرُ الدَّمَنِ وَالْمَنَازِلِ، أَسْكَرَ مِنْ احْتِسَاءِ الْبَلَابِلِ، وَأَسْحَرَ مِنْ سِحْرِ بَابِلِ،
وَالْغَزَلِ وَالنَّسِيبِ، نَسِيبِينَ لِذِكْرِ حَبِيبِ، وَشَكْوَى الْأَرْقِ وَالْهَجْرِ، أَرْقَ مِنْ
نَسِيمِ الْفَجْرِ، وَالْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ، حِكْمًا تُخَمِّدُ مِنَ الْعَدُوِّ أَنْفَاسَهُ، وَالتَّقَنُّنُ
بِفَنُونِ الْأَسَالِيبِ، لَفْظًا صَقَلَتْ مُتُونُهُ الْأَعَاجِيبِ، فَهُوَ فِي مُشْرِقَاتِ النَّظْمِ دُرٌّ
سَحَابٍ، جَرَى فِي صَفَحَاتِهِ حُرُّ اللَّجِينِ وَخَالِصُ الزُّرْيَابِ. [من الكامل]

وَإِذَا تَرَفَّرَقَ فِي الصَّحِيفَةِ مَاؤُهُ عَبَقَ النَّسِيمُ فَذَاكَ مَاءُ شَبَابٍ

يُصْنِي إِلَيْهِ دَوُو الْأَلْبَابِ، فَيَقْسِمُ لِيَهُمْ بَيْنَ التَّعَجُّبِ وَالْإِعْجَابِ، فَهُوَ جِدٌّ
يَطِيرُ مِنْهُ الشَّرَرُ، وَكُفَاهَةٌ تَسْتَعِطِفُ الْأَحْبَابَ لِلْأَحْبَابِ وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبُ نَفَرٌ،
جَرَى أَفَاضِلُ الْبُلْغَاءِ، وَشَنُوءَا الْغَارَةِ الشَّعْوَاءِ؛ لِإِفْتِنَاصِ شَوَارِدِ مَعَانِيهِ،
وَانْتِقَاصِ مَنْ يَلْمُ مُعَافِيَهُ، وَتَعَاطُوا كُؤُوسَ مُحَاضَرَتِهِ، وَتَهَادَوْا فُنُونَ
مُحَاوَرَتِهِ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ نَظَّمَ أَوْ رَوَى شِعْرًا، أَوْ اسْتَنْبَطَ مِنْهُ مَعْنَى إِلَيْهِ
جَوَادَ فِكْرِهِ أَجْرَى، بَيَّنَّ أَنَّ بِضَاعَتَهُ رُمِيتَ فِي زَمْنِنَا بِالْكَسَادِ، وَسَلَقَتْهَا
الْحُسَادُ بِالْأَسِنَّةِ حِدَادِ، وَأُولِعُوا بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ، وَتَفَاخَرُوا بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ،
وَأَكْبَوْا عَلَى دَمِّ الْحَدِيثِ غَيْرِ الدِّمِيمِ.

لابن شرف: [من الخفيف]

أُولِعَ النَّاسُ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ وَبِذَمِّ الْحَدِيثِ غَيْرِ الدِّمِيمِ
لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ حَسَدُوا الْحَيَّ وَمَالُوا إِلَى الْعِظَامِ الرَّمِيمِ
وَلَيْسَ لِقَدَمِ الْعَهْدِ يُفْضَلُ الْقَائِلُ، وَلَا لِحِذْثَانِ الْعَهْدِ يُهْتَضَمُ الْمُصِيبُ،

ولكن يُعْطَى كُلُّ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وَكَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ! وَلِلَّهِ حِكْمٌ تَخْفَى عَلَى أُولِي الْبَصَائِرِ.

نَعَمْ، الشَّعْرُ عَقْلُ الشَّخْصِ، دَالٌّ عَلَى كَمَالِهِ أَوِ النِّقْصِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيِّنَةٍ قَالَهُ الْإِنْسَانُ، مَا كَانَ صِدْقاً كَمَا قَالَ حَسَّانُ:

وإِنَّمَا الشَّعْرُ عَقْلُ الْمَرْءِ يَغْرِضُهُ عَلَى الْبَرِّيَّةِ إِنْ كَيْساً وَإِنْ حَمَقاً
وإِنَّ أَحْسَنَ بَيِّنَةٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيِّنَةٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ: صَدَقَا

هَذَا وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قُرِّرَ، وَخُلِدَ فِي بُطُونِ الدَّفَاتِرِ وَسُطَّرَ، وَكَانَتْ الرِّحْلَةُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، عَلَامَةُ الثُّبُلِ وَدَلِيلُ الْحِلْمِ، لَا جَرَمَ هَجَرْتُ الْأَوْطَانَ، وَوَاصَلْتُ دِمَشْقَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، فَكُنْتُ فِي أَثْنَاءِ الْمُطَالَعَةِ، وَتَكَرَّرَ الْبَحْثُ وَالْمُرَاجَعَةُ، وَمُلَازِمَةُ الْخَلَوَاتِ، أُرَوِّحُ النَّفْسَ بِبَعْضِ الْأَبْيَاتِ، تَارَةً أَتَذَكَّرُ الدِّمْنَ وَالْأَطْلَالَ، وَتَارَةً أَكُونُ فِي إِحْدَى الرِّيَاضِ بِجَانِبِ الْعَذْبِ الزُّلَالِ، فَاتَّسَلَّى بِبَعْضِ الْغَزَلِيَّاتِ، أَوْ يَقْتَضِي الْحَالُ نَظْمَ بَعْضِ الْمَرْثِيَّاتِ.

ثُمَّ لَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ السَّفَرَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَقَدَ مِنِّْي أَكْثَرُ الْأُورَاقِ، فِرَاراً مَعَ عُنُقَاءِ مَغْرِبِ، وَتَشَتَّتَ مَا كُنْتُ نَظَّمْتُهُ، وَتَفَرَّقَ عَنِّي مَا جَمَعْتُهُ.

وَلَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ الرُّجُوعَ إِلَى الْوَطَنِ، تَذَكَّرْتُ تِلْكَ الْأَطْلَالَ وَالدِّمْنَ، فَرَأَيْتُهَا شَيْئاً سِيراً، فَأَرَدْتُ جَمْعَهَا لِتَكُونَ لِي تَذْكَاراً عَلَى مَا مَضَى وَسَمِيراً، مَعَ أَنِّي لَمْ أَكَلِّفْ نَفْسِي نَظْماً، وَلَا أَنْعَبْتُ لَهُ قَرِيحَةً وَلَا فَهْماً، بَلْ شَيْءٌ وَقَعَ عَفْواً؛ تَرْوِيحاً لِلْبَالِ، وَفِي الْخَلَوَاتِ نَجْوَى، وَجَعَلْتُ مَا نَظَّمْتُهُ مُرْتَباً عَلَى أَبْوَابِ وَفُصُولِ؛ حَسَبَ الْإِقَامَةِ وَالطُّعُونِ، وَعَلَى اللَّهِ اعْتِمَادُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ، وَبِهِ أَسْتَعِينُ وَهُوَ الْغَفُورُ.



الْبَيِّنَاتُ الْأَوَّلَى
فِي مَا قُلْتُ وَالْأَنْفَاءُ وَرِسَّةُ الْفَتْحَاءِ

فصل في المدح

(١)

وقلت في مدحه ﷺ :

[من الكامل]

وَتَوَالَّتِ الزَّفَرَاتُ فِي الرَّمْضَاءِ	أَزِفَ الصَّبَاحُ فَجَدَّ فَرْطُ جَوَائِي
طَيْرُ السَّمَاءِ فِي الرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ	أَمْسَيْتُ فِي حُرْقِ التَّأْسِفِ مَا شَدَا
ذِكْرِي لَهَا شَغْفًا وَطُولَ عَنَاءِ	أَشْكُو مَرَارَاتِ النَّوَى فَيَزِيدُنِي
لَمْ يُغْنِنِي فِي النَّائِبَاتِ بُكَائِي	فَأَنَا الصَّبِيبُ دِمَاءَ عَيْنِي حَيْثُمَا
فِي مَدْحِ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ وَفَائِي	أَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي الْمَدِيحِ وَلَمْ أَجِدْ
دُخْرًا إِذَا جَالَتْ خِيُولُ بِلَائِي	أَشْتَأْقُهُمْ وَأَوْدُهُمْ وَأُظْنُهُمْ
عَكَفَ الشَّقِي لِعِبَادَةِ الْأَنْوَاءِ	أَوَاهُ كَمْ عَكَفُوا عَلَى حَسَدِي كَمَا
فَرَحًا وَيُمَقِّتُهُمْ أَرِيحُ ثَنَائِي	إِنْ يَسْمَعُوا مِنْ فِرْيَةٍ طَارُوا بِهَا
مُتَفَنِّئٌ وَلَهُ بَسْطُتُ رِدَائِي	أَوْلَمْ يَرَوْا أَنِّي بِمَدْحِ الْمُصْطَفَى
فَوْقَ الثَّرَى وَسَرَى إِلَى الْعَلْيَاءِ	الْهَاشِمِيِّ الْمُخْتَارِ أَفْضَلُ مَنْ مَشَى
الطَّاهِرِ ابْنِ الطَّاهِرِ ابْنِ الطَّاهِرِ الْآبَاءِ	الطَّاهِرِ ابْنِ الطَّاهِرِ ابْنِ الطَّاهِرِ الْآبَاءِ
وَالْكَاشِفِ الدَّيْجُورَ بِالْأَضْوَاءِ	النَّاصِرِ الْمَلْهُوفِ مِنْ أَعْدَائِهِ
تَجِدُ بِهِ عِزًّا وَطِيبَ ثَنَاءِ	إِنْ تَسْتَجِرْ يَوْمًا بِعِزِّ جَنَابِهِ

أَغْنَتْ حِمَايَتَهُ عَنِ الْبَيْضِ الَّتِي سَفَكْتُ مَوَاضِيَهَا دَمَ الْأَعْدَاءِ
أَهْدِيهِ مِنِّي أَفْضَلَ التَّسْلِيمِ مَا أَزِفَ الصَّبَاحُ فَجَدَّ فَرْطُ جَوَائِي

(٢)

[من الكامل]

وقلتُ:

يَا قَلْبُ لَا تُبْدِي التَّضَجُّرَ وَاتَّئِدْ إِذْ ضِيقُ حَالِكَ لِلْمَسَرَّةِ صَائِرُ
وَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ نِعْمَ الْمُعِينُ لَنَا وَنِعْمَ النَّاصِرُ
وَأَنْزِلْ حِمَى طَهَ الشَّفِيعِ الْمُصْطَفَى فَهُوَ الْمُرَجَّى وَالْحَبِيبُ الطَّاهِرُ
خَيْرُ الْأَنَامِ وَنُخْبَةُ الْعُلَيَّا وَمَنْ لِلْمُسْتَجِيرِ بِهِ فَلَاحٌ ظَاهِرُ

(٣)

وَقُلْتُ مَا دِحًا فَخَرَ الْمُفَسِّرِينَ، وَعُمْدَةَ الْمُحَدِّثِينَ الْعَلَامَةَ الْأَوْحَدَ الْجَهْبَذَ
التَّخْرِيرَ كَوَكَبَ الدِّيَارِ الشَّامِيَّةِ سَيِّدِي وَأُسْتَادِي الشَّيْخَ سَلِيمَ الْعَطَّارِ: [من الكامل]
مَا رُمْتُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ نَظْرَةً إِلَّا رَمْتَنِي بِالسَّهَامِ نَوَاطِرُ
تَاللهِ لَوْلَا الْحُبُّ أَمْسَى فَاتِنِي مَا بَتْ لَيْلًا لِلنُّجُومِ أَسَامِرُ
نَشْوَانٌ فِي أَلَمِ الصُّدُودِ وَحَبَّذَا طَرْفٌ بِحُبِّكَ فِي الدِّيَاجِي سَاهِرُ
يَصُبُّوْ إِلَى تَذْكَارِ عَهْدٍ قَدْ مَضَى فِي طِيبِ عَيْشٍ وَالْهَزَارُ مُحَاضِرُ
وَلَهُ الْحَمَامُ يَحْنُ شَوْقًا عِنْدَمَا لَاحَ الصَّبَاحُ وَلِلشُّرُورِ بَشَائِرُ
وَالْغُصْنُ فِي رَوْضِ التَّهَانِي يَنْشِي طَرِبًا وَزَهْرَاتُ الرُّبَا تَنْثَائِرُ
وَلَطَائِفُ التَّدْمَانِ قَدْ فَعَلْتُ بِنَا فَعَلَ الْعُقَارِ وَبِالتَّقَى نَتْفَاحِرُ
وَالْبَدْرُ يَخْجَلُ مِنْ جَمَالِ مُنَادِمِي وَلَهُ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ أَسَاوِرُ
وَكَذَا الْغَزَالَةُ مَا تَبَدَّى أَوْ رَنَا إِلَّا انْتَنَتْ وَلَهَا الْكُصُوفُ حَظَائِرُ

ظَنِي مِنَ الْأَتْرَاكِ صُبْحُ جَبِينِهِ
مُذْ دَبَّ آسُ عِذَارِهِ فِي خَدِّهِ
مَا الْعِشْقُ إِلَّا لَمَحَةٌ سِحْرِيَّةٌ
يَا لِلْعَشِيرَةِ مَنْ لَصَبٌ قَدْ صَبَا
يَسْتَأْقُ طَيْفَ الطَّيْفِ فِي جُنْحِ الدُّجَى
هَجَرَ الْمَنَامَ وَوَاصَلَتْ زَفْرَاتُهُ
لَوْ كَانَ يُمَكِّنُهُ الْفِرَارُ لَفَرَّ مِنْ
لِكْنَتِهِ الْمَخْبُوسِ فِي لَوْعَاتِهِ
إِنَّ الْكَيْبَ إِذَا أَسَاءَ زَمَانُهُ
يَزْنُو إِلَى الْأَصْحَابِ رَمَقَةً وَامِقٍ
لَمْ أَلَقْ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
دَهْرٌ إِذَا أَبْدَى الْجَمِيلَ رَأْيَتَهُ
مَا حِيلَتِي مَنْ مُنْصِفِي مَنْ مُنْجِدِي
لَا أَرْتَجِي فِي النَّائِبَاتِ سِوَى عُلَا
يَكُلُ النَّزِيلَ بِهِ إِلَى الْبُشْرَى فَكَمْ
فَهُوَ السَّلِيمُ مَدَى الزَّمَانِ وَحَمْدُهُ
الْفَاضِلُ الْعَطَّارُ مَنْ أَسْرَارُهُ
عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْجَبْرِ الَّذِي
يُزَوِّي حَدِيثَ الْمَجْدِ عَنْهُ مُسْلَسَلًا
فِي هِمَّةٍ حَسَدِ السَّمَاءِ مَحَلَّهَا
وَرِثَ النَّجَابَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
لَوْ أَنَّ سَحْبَانَ رَأَاهُ بِدَرْسِهِ

أَنْتَى تَبَلَّجَ فَالظَّلَامُ مُسَافِرُ
أَصْبَحْتُ فِي خَلْعِ الْعِذَارِ أَنَاظِرُ
مِنْ طَرْفِ ظَنِي لِلْعُقُولِ يُقَامِرُ
وَعَلَيْهِ دَارَتْ مِنْ نَوَاهِ دَوَائِرُ
وَعَلَى الرُّبُوعِ دُمُوعُهُ تَتَقَاطِرُ
فَالصَّبْرُ نَاءٌ وَالتَّأَوُّهُ حَاضِرُ
قَفْصِ الْغَرَامِ وَصَفْوُهُ مُتَوَاتِرُ
يَرْضَى الْأَسِيرُ وَلَا يَرِقُّ الْآسِرُ
عَزَّ الصَّدِيقُ وَقَلَّ فِيهِ النَّاصِرُ
وَعَلَيْهِ مِنْ كَيْدِ الْأَعَادِي سَاتِرُ
عِنْدَ الْمَضِيقِ سِوَى فُلَانٍ شَاعِرُ
مُتَنَدِّمًا وَلَدَى الْإِسَاءَةِ جَائِرُ
وَالدَّهْرُ يَنْسُطُو وَالْهُمُومُ مَوَاطِرُ
الشَّهْمِ الَّذِي لِكَسِيرِ قَلْبِي جَابِرُ
عُقِدْتُ عَلَى الْأَفْضَالِ مِنْهُ خَنَاصِرُ
مُتَحَرِّقٌ مُتَحَسِّرٌ بَلْ دَائِرُ
لِلْمُسْتَبِينَ الْحَقُّ نُورٌ ظَاهِرُ
مِنْ بَعْدِ «أَمَّا بَعْدُ» بَخَرٌ زَاخِرُ
عَنْ مَكْرُمَاتٍ مَا لَهُنَّ أَوَاحِرُ
وَلِعَزْمِهَا ذَلَّ الْهُصُورُ الْكَاسِرُ
وَبِلَفْظِهِ قُسُ الْإِيَادِي حَائِرُ
لَا زَنْدٌ مَبْهُوتًا وَقَالَ أَهَاجِرُ

شَمْسُ الْمَعَارِفِ وَالْحَقَائِقِ مَنْ غَدَا
بَحْرُ الْعُلُومِ تَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُهُ
وَلَهُ مَعَ الْمَجْدِ الرَّفِيعِ تَوَاضَعُ
لَوْ كَانَ فِي عَصْرِ الْجَهَابِذَةِ الْأَلَى ابْنِ
أَوْ لَوْ رَأَاهُ سَيَّوِيهِ مُنَاطِرًا
و«دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ» ظَاهِرَةٌ بِهِ
مَا لِلْقُرْآنِ وَلِلصَّحِيحَيْنِ سَوَى
وَالْفِقْهُ بَعْدَ الشَّافِعِيِّ لَهُ انْتَمَى
بِ«مُطَوَّلِ» الْإِسْعَادِ دَامَ عِلَاؤُهُ
فِي كُلِّ فَنٍّ إِنْ تَبَدَّى شَارِحًا
وَبِهِ الْمَسْرَّةُ إِنْ تُلِمَّ بِبَابِهِ
شَهِدَتْ لَهُ الْأَعْدَاءُ بَعْدَ تَلْعُثِمْ
لَمْ يَحْكِهِ فِي جُودِهِ وَسَخَائِهِ
قُلُوبٌ لِلْبَلِيغِ وَقَدْ أَرَادَ مَدِيحَهُ
وَلِلْجُحُودِ إِذَا بَدَا انْكَارُهُ
مَا رَامَ نَظْمَ حَضَرَ كُلِّ صِفَاتِهِ
مِنْ أَجْلِ ذَا قَصَّرَتْ فِي تَطْوِيلِهِ
وَأَتَيْتُهُ نَظْمِي الْبَدِيعَ هَدِيَّةً
يَا سَيِّدَا بَزْ الْأَنْامِ بِفَضْلِهِ
خُذْهَا إِلَيْكَ فَصِيدَةً مَنْظُومَةً
زُقْتُ إِلَيَّ عَلَيْكَ بِكَرَأْ دُونَهَا
تَخْتَالُ فِي ثَوْبِ الْحَيَاءِ وَقَصْدُهَا

أَهْلُ الْعُلَا عَنْ شَأْوِهِ تَتَقَاصَرُ
فِي الْمَدِّ وَالْقَبْضِ لَدَيْهِ جَوَاهِرُ
وَكَمَالُهُ لِلْكَامِلِينَ مَصَادِرُ
تَكَرُّوا الْعُلُومَ لَسَرٍّ مِنْهُ الْخَاطِرُ
فِي فَنِّهِ لَعْدَا بِهِ يَتَفَاخَرُ
مِنْهُ اسْتَمِدَّتْ لِلنُّفُوسِ مَحَابِرُ
قُطِبِ الْعُلَا ذَاكَ الْإِمَامُ الْمَاهِرُ
فَبَدْرُكُمْ يَا شَافِعِيَّةُ بَاهِرُ
مَا هَزَّ عِطْفَ «الْكَامِلِينَ» مَاثِرُ
أَلْفَيْتَ بَحْرَ عُلُومِهِ يَتَزَاخَرُ
وَبِجَاهِهِ لِلْوَارِدِينَ شَعَائِرُ
وَاللَّهُ يُعْلَمُ مَا تَكُنُ ضَمَائِرُ
وَنَوَالِهِ إِلَّا السَّحَابُ الْمَاطِرُ
هَيْهَاتَ أَنْ تُحْصِيَ ثَنَاهُ دَفَاتِرُ
أَلَامُ فِي شَمْسِ النَّهَارِ تُكَابِرُ
إِلَّا رَأَى طَوْلَ الْمُنَى يَتَقَاصَرُ
وَجَنَحْتُ نَحْوَ الْإِخْتِصَارِ أَبَادِرُ
وَكَذَاكَ مَا يُهْدِي الْمُقِلُّ الْخَاسِرُ
وَلَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ حَظٌّ وَافِرُ
أَمْسَتْ لِسُحْرِ الْبُخْتَرِيِّ تُذَاكِرُ
نَظْمُ الْهِلَالِيِّ وَالْكَمَالِ مَظَاهِرُ
حُسْنُ الْقَبُولِ وَذَاكَ مِنْكَ مَفَاخِرُ

وَارْزُقْ بِتَوْبِ الْعِزِّ فِي رَوْضِ الْهِنَا
وَقَرَّ بِالْأَنْجَالِ عَيْنًا مَا بَدَا
أَوْ صَاحَ قُمْرِي الرِّيَاضِ مُغْنِيًا
وَارْزُقْ بِعِزٍّ مَعَ سُرُورٍ دَائِمٍ
فَدَوَامُ سَعْدِكَ بِالْمَسَرَّةِ ظَافِرُ
بَذْرٌ عَلَى أَفْقِ الدِّيَاجِي زَاهِرُ
فَأَجَابَهُ الشَّادِي الرَّخِيمُ الزَّامِرُ
مَا لَاحَ بَرْقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرُ

(٤)

وَقُلْتُ لَمَّا خَتَمَ شَيْخُنَا «صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ» وَبَقِيَّةَ دُرُوسِنَا حِينَ جَاءَ شَهْرُ
رَمَضَانَ، وَدَعَانَا لِبَيْتِهِ الْعَامِرِ:

طِيبِي ثَنَاءً يَا دِمَشْقُ وَغَرْدِي
وَاشْدِي عَلَى أَغْصَانِ دَوْحَاتِ الْهِنَا
فَلَقَدْ حَوَيْتِ الْيَوْمَ شَهْمًا قَدْ سَمَا
تَتَقَاسَمُ الْأَقْطَارُ طِيبَ ثَنَائِهِ
مَوْلَى الْفَضَائِلِ شَيْخُ أَهْلِ الْحَقِّ مَنْ
بَخَّرَ الْعُلُومَ سَلِيمٌ طَبَعَ مَا لَهُ
بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْعِلْمِ الَّذِي
طُوبَى لَنَا هُوَ شَيْخُنَا بُشْرَى لَنَا
يَا سَيِّدَا بَهْرَ الْأَنْامِ بِفَضْلِهِ
فَاسْلَمْ وَدُمْ مَا غَنَّتِ الْوَرَقَا عَلَى
فَلَكَ الْمَنَازِلُ فَوْقَ هَامِ الْفَرْقَدِ
وَإِنِّي الْمَحَامِدَ فِي الصَّبَاحِ وَرَدَدِي
عِنْدَ الْمَفَاخِرِ كُلِّ شَهْمٍ أَوْحَدِ
فَتَعُودُ فِي سَعَةِ الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ
كُلُّ الْأَنْامِ لِمَجْدِهِ كَالْأَعْبُدِ
فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ نَظِيرٍ مُرْشِدِ
بَهْرَ الْعُقُولِ أَنْارَ نَهْجِ الْمُهْتَدِي
فَلَقَدْ وَرَدْنَا صَفْوَةَ عَذْبِ الْمَوْرِدِ
أَنْتَ الْإِمَامُ لِكُلِّ شَهْمٍ مُقْتَدِي
دَوْحِ الرِّيَاضِ وَجَادَهَا الطَّلُّ النَّدِي

(٥)

وَقَدْ أَمَرَنِي أَسْتَاذِي الْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُ بِتَشْطِيرِ بَيْتِ لَأْبِي نُوَّاسٍ، فَسَطَّرْتُهُ
وَحَمَسْتُهُ، وَجَعَلْتُ الْمَدْحَ لَهُ، فَقُلْتُ:

عُلُومٌ مِنَ الْوَهَّابِ أَعْظَمُ مِنْحَةٍ
كَسَاهَا شَذَا «الْعَطَارِ» أَطْيَبَ نَفْحَةٍ

«سَلِيمٌ» لَهُ التَّمْدَاحُ فِي كُلِّ لَمَحَةٍ (إِذَا جَرَتْ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ

فَعَنْ مَوْزِدِ التَّصْرِیحِ إِفْضَالُهُ يُغْنِي)

نَظَمْنَا دَرَارِي الشُّهْبِ مَدْحًا بِلَوْحِنَا فَلَمْ نَبْلُغِ الْمِعْشَارَ مِنْهُ بِشَرْحِنَا
فَمَدْحُكَ قَصْدٌ وَالرَّجَاءُ لِنُجْحِنَا (فَإِنْ نَزَّجِي الْعُلْيَا وَنَقْصِدْ بِمَدْحِنَا
لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي)

وَبَيَّتُ أَبِي نُوَاسٍ قَوْلُهُ:

إِذَا جَرَتْ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ لِّغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

(٦)

وَقُلْتُ أَمَدَحُ الْأُسْتَاذَيْنِ الْمُكْرَمَيْنِ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا وَالشَّيْخَ أَحْمَدَ وَلَدَيِ
الْمَرْحُومِ الْعَلَامَةِ الْكَامِلِ وَالْمُحَقِّقِ الْكَامِلِ شَيْخِ مَشَايِخِنَا الشَّيْخِ حَسَنِ
الشَّطِّيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :
[من البسيط]

أَنْسَمَةُ الْفَجْرِ أَمْ نَشَاتُ إِسْفَنْطِ
أَمْ تِلْكَ خَوْدُ تَهَادَى فِي مَجَالِسِنَا
نَعَمْ تَجَلَّتْ لَنَا خُرْعُوبَةٌ سَحَرًا
تَسْقِي بِكَأْسِ ثَوَى مِثْلِ الْعَقِيقِ إِذَا
أَرَمَتْ لَوَاحِظَهَا نَبْلًا وَهَى جِلْدِي
فَتَّانَةٌ لَوْ رَأَى الصُّوفِيُّ طَلْعَتَهَا
مُذْ أَقْبَلْتَ تَنْجَلِي فِي لَيْلِ طُرَّتِهَا
هَيْفَاءُ مِنْ قَدَّهَا الْأَغْصَانُ فِي خَجَلِ
لَوْ أَنَّهَا أَسْفَرَتْ فِي اللَّيْلِ بُرْقُعَهَا
أَضَحَتْ تُخَبِّرُنِي عَنْ حَالَةِ الْبَسْطِ
بَنُورِ حُسْنٍ بَدَا مِنْ ظَاهِرِ الرِّيطِ
وَوَرْدُ وَجْنَتِهَا يَزْهُو عَلَى الْخَمِطِ
أَغْنَاهُ طِيبُ اللَّمَى الْخُمَيْرِيِّ عَنْ خِلْطِ
وَمَا لِقَرْحِ الصَّبَا فِي الْحُبِّ مِنْ بَطْ
أَلْهَتُهُ غُرَّتُهَا عَنْ مَنْهَجِ الْقِسْطِ
أَبْصَرْتُ شَمْسَ الضُّحَى مِنْ جُمْلَةِ الْوَهْطِ
مَيْسَاءُ فِي مَشِهَا لَوَّاحَةُ الْقُرْطِ
رَأَيْتَ بَذَرَ الدُّجَى فِي غَايَةِ الْغَمْطِ

يا لائمي في الهوى خلّ الملام فما
ظنّ الجهول بنا ظنّ القبيح وهل
من شأنه سفها عيب الكرام بما
ألم يروا أنّي بذرّ سما شرفاً
محمّداً أحمّد الميمون طالعهم
بدور فضل زهت في الكون طلعتها
من فقه ميراثنا قد حصّلوا أمداً
فرائض فرضت أنف العدو وقد
وعلم حسابنا شادوا دعائمه
فقهاء قد أئنع الفرع البهي بهم
حلّوا ذرا «المنتهى» و«المجد» في مدد
يا طالباً «مقنعاً» من فقه مذهبهم
واخذر تعادل بهم في العلم مدّعياً
هم حقّقوا مذهب الصديق سيّدنا
فصار من نظمهم فازوا بنيل منى
يا طالما رحلت أهل الكمال لهم
سل آل نجد وسل آل العراق فكّم
واسأل مقادسة تنمى لنا بلس
هجرُوا منازلهم شوقاً لرؤيتهم
ورّد الكمال حلى من طيب منطقتهم
زواهر العلم بالتحقيق مطلعها
فالله يُثخّفهم باللطف ما صدحت

لام الشجيّ سوى من لجّ في البعط
يذرّ العدو سوى البهتان والجلط
أخفت سريرته من حالة الثرط
أمدّه بالسنا طراً بنو الشطي
تبدو مآثرهم بالفضل للنخط
تكسو الرشيّد سناً وترشد المخطي
ما لا يحصّله الشنّوري كالسبط
أودت بجمع العدا للحتف والقط
حتّى بدا هائماً منه ذوو القبط
وأحكموا أصله في غايّة الضبط
فأبتهوا من سناهم صاحب «السقط»
دّم في السرى نحوهم واشكرّ لذا الرهط
يزوي الثقول الألى في غايّة الخبط
نجل ابن حنبل ذي الإنصاف والحوط
لا ينتهي أبداً كالذرّ في السمط
حيث اللقا راحة من شدة الشخط
تعب المهاري لهم بالشيل والخط
كم يبدّلوا للسرى الأزواح في الغيط
واستبدّلوا كتباً عن فاخر البقط
إذ شيدوا أصله بالرُكن والشرط
يُخفي مريد الثنا من مُهمّل النقط
حمّامة المنحنى في أطيّب اللقط

وَقَالَ دَاعِي الْهَنَا حَيْثُ السُّرُورُ بَدَا أَنْسَمَةُ الْقَجَرِ أَمْ نَشَاتُ إِسْفَنْطِ

(٧)

وَقُلْتُ وَنَحْنُ خَارِجَ دِمَشْقَ عِنْدَ الْقَبْرِ الَّذِي يُقَالُ: إِنَّهُ قَبْرُ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى
عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ، وَأَنَا فِي صُحْبَةِ أَسَازِنَا الْوَلِيِّ الصَّالِحِ الشَّيْخِ بَذْرِ
الدِّينِ بْنِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ يَوْسُفَ الْمَغْرِبِيِّ الْبَيْهَانِيِّ: [من الرمل]

فِي رِيَاضِ طَيْبِهَا الذَّاكِي سَمَا قَدْ كَسَاهَا الْأَنْسُ ثَوْبَ السُّنْدُسِ
زَارَتْ الْأَفْرَاحَ فِيهَا عِنْدَمَا نُورُهَا يَجْلِي ظِلَامَ الْحِنْدُسِ

دور

فِي حِمَى الشَّهْمِ الْهُمَامِ الْأَمْجَدِ نُورِ أَهْلِ اللَّهِ كَشَافِ الظَّلَامِ
ذَاكِي الْأَخْلَاقِ سَامِيِ الْمُخْتَدِ مُظْهِرِ الْأَسْرَارِ مِنْ دِينِ السَّلَامِ
وَعَدَا الْمَجْدُ يَقُولُ مَقْصِدِي نُورُ بَذْرِ الدِّينِ مِصْبَاحِ الْأَنَامِ
يَا لَهُ بَخْرًا خِصْمًا قَدْ طَمَى فَيْضُهُ يُهْدِي حَيَاةَ الْأَنْفُسِ
عَمَّ كُلَّ النَّاسِ طُرّاً بِرُّ مَا يَكْتَسِي مِنْ فَضْلِهِ مَنْ يَكْتَسِي

دور

هَامَتْ الْأَرْوَاحُ مِنَّا فِي انْشِرَاحٍ وَصَفَتْ أَوْقَاتُنَا فِي كُلِّ آنٍ
وَعَدُونَا نَجْتَلِي كَأْساً وَرَاحٍ مِنْ خُمُورِ اللَّفْظِ فِي هَذَا الْمَكَانِ
زَالَتِ الْأَكْدَارُ وَالْإِسْعَادُ لَاحٍ وَلِسَانُ الْحَالِ مِمَّا تَرْجُمَانِ
وَعَدَا الْبَذْرُ نَدِيمَ النُّدْمَا وَهُوَ سَحْبَانُ الذَّكََا فِي الْمَجْلِسِ
وَعَظِيمُ الْفَتْحِ أَبْدَى شِيَمَا مِنْ سَنَا ذَاكَ الْهُمَامِ الْأَنْفُسِ

دور

صَحْتُ شَوْقًا يَا فُؤَادِي يَا فُؤَادُ
لَسْتُ أَشْكُو مِنْ رُقَادِي حِينَ بَادُ
إِنَّمَا قَصْدِي وَسُؤْلِي وَالْمُرَادُ
فَارْفُقُوا بِالصَّبِّ فِيكُمْ كَرَمًا
وَاخْذُوا بِيَدِهِ فَرُبَّمَا
لَيْسَ سُعْدَى لَيْسَ لَيْلَى مَقْصِدِي
وَاعْتَرَانِي السَّقْمُ يَسْطُو بِالْيَدِ
نَظْرَةً مِنْ فَضْلِكُمْ كَيْ أَهْتَدِي
قَبْلَ أَنْ يَبْدُو تَلَاشِي النَّفْسِ
مِنْ كُؤُوسِ الْفَتْحِ يَوْمًا يَحْتَسِي

(٨)

وقلت أيضاً:
بَيِّدِرِ الدِّينِ مَوْلَانَا
لَقَدْ كُنْتُ كَلَا شَيْءٍ
سَمَا حَظِّي وَإِنَاسِي
فَصِرْتُ خَيْرَةَ النَّاسِ
[من الهزج]

(٩)

وقلتُ مادحاً سيدي وأستاذي علامة المعقول، وأستاذ الصوفية سيدي
الشيخ عمر العطار، عليه رحمة العزيز الغفار:
فَنُكُ الْقَوَامِ بِمُهْجَتِي مَوْصُولُ
يَا مُفْرَدًا فِي الْحُسْنِ هَا أَنَا مُفْرَدُ
لَا تَسْقِنِي مُرَّ الْجَفَاءِ فَإِنَّنِّي
مِنْ غَيْرِ سِحْرِ هِمْتُ لَا أَذْرِي السَّوَى
يَا نَاعِسَ الْأَجْفَانِ طَرْفِي سَاهِرُ
قَدْ كَانَ يَرَعَى النَّجْمَ فِي غَسَقِ الدُّجَى
يَهْنِكَ صَبْرِي فِي هَوَاكَ فَقَدْتُهُ
فَالْأَمَ بِاللَّخْظِ الصَّقِيلِ تَصُولُ
فِي الْحُبِّ مَجْرُوحُ الْفُؤَادِ ذَلِيلُ
صَبَّ عَلَى حُلُو الرُّضَابِ دَخِيلُ
فَكَيْفَ بِي سِحْرِ الْبَيَانِ يَجُولُ
وَعُدَّ الدُّمُوعَ لِنَضْرِهِ مَمْطُولُ
وَالْيَوْمَ أَضْحَى بِالضَّنَى مَكْحُولُ
وَالْقَلْبُ مِنْ نَبْلِ الْجُفُونِ عَلِيلُ
[من الكامل]

كَمْ أَشْتَكِي ظُلْمَ اللَّحَاطِ لِعَادِلِ الدِّ
 أَوَاهُ مِنْ قَاسٍ غَدَا مُتَحَكِّمًا
 لَجَّ الْعَوَازِلُ فِي عَقِيقِ مَدَامِعِي
 يَا عَاذِلِي كُفَّ الْمَلَامَ فَإِنَّهُ
 بِي شَاغِلٌ عَنْ حُبِّهِ لَا أَتُنْثِي
 يَا مُهَجَّتِي ذُوبِي لَدَى هِجْرَانِهِ
 قَدْ كَذْتُ مِنْ وَجْدِي بِهِ أَفْضِي جَوَى
 فَارُوقُ أَهْلِ الْحَقِّ مَنْ بَيَّانِهِ
 عَلَامَةُ الْأَعْلَامِ فَخَرُّ زَمَانِهِ
 لِكَمَالِهِ سَعْدُ الْمَعَالِي يَنْتَمِي
 ذُو مَنْطِقٍ يَشْفِي الْجَوَى لَكِنَّهُ
 يَا طَالَمَا أَقْلَامُهُ شَكَتِ الشُّرَى
 إِنْ قُلْتُ مُخَيِّي الدِّينِ فَهُوَ مُسَلِّمٌ
 لَوْلَا سَنَاهُ لَمَا رَأَيْنَا رُشْدَنَا
 آيَاتُهُ الدَّرَرُ الْمُضِيئَةُ يَنْجَلِي
 أَوْ مَا تَرَى شَرْحَ «الْفُصُوصِ» فَإِنَّهُ
 وَمَآثِرَ «الْفَتْحِ الْمُبِينِ» طَالَمَا
 وَجَلَا عَنِ «الْإِظْهَارِ» لَيْلَ خَفَائِهِ
 وَعُلُومُ أَرْطَالِيْسَ الْبَسَهِ الْبَهَا
 وَرَسَائِلُ يَشْفِي الْعَلِيلَ نَسِيمُهَا
 يَا فَرَدَ هَذَا الْعَصْرِ يَا قُطْبَ الْعُلَا
 أَنْتَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاءِ مَحَلُّهُ

قَدْ الْقَوِيمِ فَلَا أَرَاهُ يَزُولُ
 مَا لِلْمُحِبِّ إِلَى رِضَاهُ سَبِيلُ
 لَمَّا رَأَوْا شَرْحِي بِهِ تَطْوِيلُ
 لَا عَدَلَ فِي شَرْعِ الْهَوَى مَقْبُولُ
 عَنْ وَدِّهِ أَوْ أُسْتَبَاحَ قَتِيلُ
 يَا صَبْرُ أَنْتَ عَلَى الْبَعَادِ خَلِيلُ
 لَوْلَا شَذَا الْعَطَارِ عَنْهُ يَحُولُ
 نَوْرُ الْحَقَائِقِ بِالصِّفَا مَشْمُولُ
 عَنْ شَأُوهِ قَدْ يَعْجَزُ التَّأْوِيلُ
 وَالْقُطْبُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مَكْبُولُ
 سَيْفٌ عَلَى أَعْدَائِهِ مَسْلُوكُ
 جُنَحَ الظَّلَامِ وَدَمْعُهَا مَسْبُوكُ
 وَهُوَ إِلَى هَذِي النَّبِيِّ دَلِيلُ
 مُتَكَفِّلاً بِظُهُورِهِ التَّنْزِيلُ
 مِنْهَا الظَّلَامُ وَيُكْشَفُ التَّزْمِيلُ
 لِسَنَامٍ مَجْدٍ عُلُومِهِمْ إِكْلِيلُ
 تَبَعَ الْغَوَاةَ بِفَتْحِهِ تَنْكِيلُ
 فِي «شَرْحِهِ» فَكَأَنَّهُ إِنْجِيلُ
 «شَرْحُ» لَهُ فِي فَنِّهِ تَفْصِيلُ
 فِي كُلِّ فَنٍّ مَا لَهُنَّ مَثِيلُ
 يَا مَنْ إِلَى طُرُقِ الرَّشَادِ دَلِيلُ
 وَشَاؤُهُ فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ

وقلتُ مادحاً عثمان باشا الفريق الطَّبيب، ومهتئاً له بعيد الفطر: [من الكامل]

نَشَرَ الصَّبَاحُ عَلَى الظَّلَامِ جَنَاحَا
وَاسْتَجَلَ بِكَرٍّ عَتَقَتْ مِنْ قَبْلِ نَوِ
صَفَرَاءَ تَلَمَّعُ فِي الزُّجَاجِ كَأَنَّهَا
قَدْ قُدِّسَتْ مِنْ قَبْلِ عَيْسَى فِي الشَّأِ
يَسْعَى بِهَا تُرْكِي الْمَحَاسِنِ أَهْيَفُ
بَدْرٌ تَرَى لِلشَّمْسِ مِنْ وَجَنَاتِهِ
يَخْتَالُ فِي الرَّوْضِ الْبَسِيمِ فَيَنْشِي
وَيَغَارُ غُصْنُ الْبَانِ مِنْهُ إِذَا مَشَى
اللَّهُ أَكْبَرُ فِي جَمَالِ الثُّرُكِ مَا
قَوْمٌ لَهُمْ فِعْلُ الْجَمِيلِ سَجِيَّةُ
أَوْ مَا تَرَى (عثمان باشا) قَدْ غَدَا
شَهْمٌ فَرِيقُ الْمَالِ مِنْهُ مُفَرَّقُ
يَسْتَعْبِدُ الْأَحْرَارَ فِي أَفْضَالِهِ
وَلَهُ أَبْغَرُاطُ الْمُفَدَّى شَاهِدُ
أَيَّامُهُ غَرَّرَ الزَّمَانَ وَوَقْتَهُ
وَصَوَادُحُ الْأَطْيَارِ تُنْشِدُ فَرْحَهُ
غَنَى الْهَزَارُ لَدَى الصَّبَاحِ مُدَاعِباً
وَالْوَرْدُ أَضْحَى لِلْقُدُومِ مُهَيَّأُ
بِأَوْحَدِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَسَدِ الَّذِي

فَامَلَا الْكُؤُوسَ فَلَا أَرَاهُ جُنَاحَا
حُ شُرْبُهَا يَدْعُ الضَّلَالَ فَلَاحَا
ذَهَبٌ يُذَابُ مَعَ اللَّجِينِ فَسَاحَا
مِ لَذَا بِهَا قَلْبُ الْكَلِيمِ تَلَاخَى
بِلِحَاطِهِ مَلَأَ الْقُلُوبَ جِرَاحَا
خَجَلًا وَمِنْ زَهْرِ الْجَبِينِ صَبَاحَا
طَرِبًا وَيَخْتَلِسُ الْأَسْوَدَ كِفَاحَا
بَيْنَ الرِّيَاضِ وَقَامَ يَجْلُو الرَّاحَا
يَدْعُ الْأَفَاضِلَ تَسْتَبِينُ نَجَاحَا
وَنَوَالُهُمْ مَلَأَ النَّزِيلَ صَلَاحَا
لِفَرِيقِ ذَاتِ الْأَكْرَمِينَ رِبَاحَا
وَبِجَاهِهِ سَعْدُ الْمَسْرَةِ لَاحَا
وَإِذَا رَنَا يَكْسُو الْكِرَامِ وَشَاحَا
يُشْنِي عَلَيْهِ مَدَى الزَّمَانِ صُرَاحَا
طِيبَ التَّهَانِي لِلشُّرُورِ أَبَاحَا
أَنْسَى بَدَا لَا تَسْتَطِيعُ رَوَاحَا
مَنْ كَانَ يَرْجُو مِنْ غُلَاهُ سَمَاحَا
مِنْ حَيْثُ مَا عَرَفُ الْعِبَاهِرِ فَاحَا
ظَلَمَ التَّظْلُمَ بِالشُّيُوفِ أَزَاحَا

بَدَوَامِ سَعْدِكَ لَا يَرُومُ بَرَاخَا
نَشَرَ الصَّبَاحُ عَلَى الظَّلَامِ جَنَاحَا

قَدْ جَاءَكَ الْعَيْدُ السَّعِيدُ مُهْتَبَا
فَاهْنَأْ بِهِ مَا غَنَّتِ الْوَرْقَا وَمَا

(١١)

[من الوافر]

دَعَانِي فِي الْمَلَا الْقُطْبَ الْيَمَانِي
أَغْنَنَّ لَيْسَ مِنْ بِنْتِ الدَّنَانِ
وَأَوْمَأَ بِالْقَوَامِ إِلَى الطَّعَانِ
أَرْتَنِي الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ
أَلَا يَا حَبَّذَا تِلْكَ الْأَمَانِي
فَأَعْيَانِي اكْتِسَامِي مَا دَهَانِي
حَمَانِي اللَّهُ مِنْ هَذَا حَمَانِي
فَقَلْبُ الصَّبِّ لِلْبَلَوِ يُعَانِي
وَوَظَلَّ نَهَارُهُ رَهْنُ الْهَوَانِ
فَلَا أَذْرِي الدَّقَائِقَ وَالثَّوَانِي
هُوَ الْمَجْنُونُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
رَعَاكَ اللَّهُ أَنْتَ يَصْدُقَانِ
إِلَى شَطِّ الْفُرَاتِ يَعُودُ شَانِي
وَفِي أَرْضِ الْعِرَاقِ سَرَى جَنَانِي
فَإِنَّ النُّوقَ أَشْجَاهَا بَيَانِي
لَعَلِّي أَنْ أَرَى مَنْ قَدْ شَجَانِي
فَمَا هَذَا التَّخْلُفُ وَالثَّوَانِي

وَقُلْتُ فِي مَدْحِ بَعْضِ الْأَطْبَاءِ :

هَوَانِي فِي هَوَى الْغَيْدِ الْحَسَانِ
وَسُكْرِي حَيْثُ لَا أَصْحُو بِظَنِّي
فَرِيدٌ فَوْقَ الْقَوْسِ لِنَحْوِي
وَأَرْمَى مِنْ لَوَاحِظِهِ نِيَالاً
يُمْنِي سُدَى لُقْيَاهُ دَلَالاً
كَتَمْتُ هِيَامَهُ زَمَناً طَوِيلاً
جَوَابِي إِنْ يَقُلْ دَعُهُ عَذُولِي
أَلَا يَا أَشْهُمَ الْأَخْدَاقِ رَفَقاً
كَتِيبٌ خَدَّدَ الْوَجَنَاتِ لَيْلَا
زَمَانِي كُلُّهُ بِالْحُبِّ يَمْضِي
هَجَرْتُ الْخَلْقَ حَتَّى قِيلَ عَنِّي
فَدَهْرِي مِثْلُ حَظِّي فِي عُهُودِي
أُرُومٌ بِمَضَرٍ مَطْلُوبِي فَأُمْسِي
فَفِي وَادِي الْعُذَيْبِ حَطَطْتُ رَحْلِي
فَصِفْ يَا أَيُّهَا الْحَادِي حَنِينِي
وَسِرْ بِي نَحْوَ سِرِّي يَا خَلِيلِي
وَحُتَّ السَّيْرِ فِي كِبِدِ الْبَوَادِي

أَنْبَاكَ الزَّمَانُ خُمُولَ سَعْدِي
 أَمْ التُّوقُ اعْتَرَاهَا بَعْضُ مَا بِي
 هُمُومٌ بَلْ سَقَامٌ لَوْ رَأَاهَا
 يَقُولُ لِي الْعَوَازِلُ كُنْ صَبُوراً
 وَيَا وَيْلَ الْحَسُودِ فَكَمْ أَذَابَتْ
 أُرْيَهُ تَجَلُّدًا وَأَغْضُ طَرْفًا
 فَقَالُوا هَلْ لِدَائِكَ مِنْ طَبِيبٍ؟
 خَلِيلَ الْمَجْدِ إِبْرَاهِيمَ أَغْنِي
 فَلَاسِفَةُ الزَّمَانِ لَنَا أَقْرُوا
 طَيْبٌ لِلْقُلُوبِ وَلِلْسَجَايَا
 يُرَوِّحُ نَشْرُ مَعْنَاهَا بِلُطْفٍ
 فَكَمْ أَبْدَى لِسُوفَسْطَا فُنُوناً
 إِذَا أَقْرَانُهُ أَبْدُوا افْتِخَاراً
 وَفِي سَبْقِ الْمَآثِرِ وَالْمَعَالِي
 بِلَفْظِ زَانَهُ لُطْفٌ فَأُضْحَى
 حَكِيمٌ حَكَمْتُهُ بِنَا التَّهَانِي
 لَذَا «جُو مَطْرِيَا» أَحْيَا مُنَاهَا
 وَفَرَّدُ «الْأَرْتَمَاطِيقِي» تَبَدَّى
 إِذَا مَا الْفَيْلَسُوفُ رَأَى سَنَاهُ
 وَكَمْ يَشْدُو الْعَلِيلُ إِذَا رَاهُ
 وَيَتَّبِعُ رَايَةَ النَّظَامِ جَزْماً
 فَوْقَتِي حِينَ طَلَعْتُهُ تَبَدَّتْ

فَجَارَيْتَ الْمُسِيءَ بِمَا بَلَانِي
 فَأَوْمَتْ بِالْكَلالِ لَنَا الْيَدَانِ
 أَرْسَطُو حَارَ مِمَّا قَدْ عَنَانِي
 فَقُلْتُ إِلَيْكُمْ صَبْرِي جَفَانِي
 شَمَاتَتْهُ فُؤَادِي إِذْ رَأَنِي
 عَنِ الْعَلِيَاءِ أَوْ أَلْوِي عِنَانِي
 فَقُلْتُ بَلَى وَعَهْدِي فِي الضَّمَانِ
 إِلَيْهِ الْكُلُّ أَوْ مَا بِالْبَنَانِ
 بِجَوْهَرِهِ الْفَرِيدِ بَدُونِ ثَانِي
 بِأَلْفَاظِ بَدِيعَاتِ الْمَعَانِي
 وَإِظْهَارِ الْمَسَرَّةِ كُلِّ عَانِي
 مِنَ التَّشْرِيحِ طَيِّبَةِ الْمَجَانِي
 تَرَى مَجْلَى عُلاَهُ الْفَرْقَدَانِ
 هُوَ الْمِقْدَامُ فِي هَذَا الرَّهَانِ
 كَنْظَمِ الدَّرِّ فِي عِقْدِ الْجُمَانِ
 وَحَلَّتْهُ الْمَسَرَّةُ بِالْأَمَانِي
 وَ«أَسْطَرْنُومِيَا» حَارَ التَّهَانِي
 لَدَى أَقْسَامِهِ عَالِي الْمَبَانِي
 تَجَلَّى قَالَ: مَا هَذَا بِشَانِي
 مَعَانِي الشُّعْبِ طَيْباً بِالْمَعَانِي
 بَأَنَّ الدَّاءَ كَالْأَعْرَاضِ فَانِي
 بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

إِلَيْكَ أَخَا الْمَحَامِدِ بِنْتَ فِكْرٍ
تَجَلَّتْ فِي الدُّجَى بِكْرًا عَرُوسًا
تَرُومُ بِلُطْفِهَا رِفْقًا بَعَانٍ
كَسَاهُ الدَّهْرُ أَثْوَابَ الْبَلَايَا
فَدُمَ مَا غَنَّتِ الْوَرْقَا سُحَيْرًا
وَمَا قَالَ ابْنُ بَذْرَانَ بِنَظْمٍ
تُبَاهِي مَنْ تَكَلَّفَ بِالْعَوَانِ
لِسَمْسٍ جَمَالِهَا سَجْدَ ابْنُ هَانِي
أَسِيرِ الْقَلْبِ مَطْلُوقِ اللِّسَانِ
وَأَسْلَمَهُ الزَّمَانُ إِلَى السَّنَانِ
مُجَاوِبَةً أَغَانِي الْقِيَانِ
هَوَانِي فِي هَوَى الْغَيْدِ الْحَسَانِ

(١٢)

وقلت أبياتاً كُتِبَتْ عَلَى لَوْحٍ فِي قَصْرِ سَعِيدِ أَفندي البنا الدمشقي: [من الوافر]
أَنْفَحُ الْبَانَ مِنْ وَادِي زُرُودٍ
أَمِ الْمِسْكُ الذَّكِيُّ أَتَى بِنَشْرِ
هُمَامٍ ظَلَّ فِي الْعُلْيَا فَرِيداً
بِهِ صُبْحُ الْمَائِرِ قَدْ تَبَاهَى
وَأَتَحَفَ رَاجِي الْأَفْضَالِ حِلْمًا
بِهِ جِيدُ الزَّمَانِ لَقَدْ تَحَلَّى
فَلَا زَالَ السَّعَادُ لَهُ خَدِيمًا
يَضُمُّ لِنَشْرِهِ أَنْفَاسَ عُودٍ
رَوَى خَبَرَ الْمَعَالِي عَنْ (سَعِيدِ)
وَبَنَاءُ الْمَكَارِمِ لِلْوُفُودِ
وَأُطْلِعَ فِي الدُّجَى نَجْمَ السُّعُودِ
يُنْبِئُ عَنْ كِبَا الْخُلُقِ الْحَمِيدِ
وَأَغْرَبَ بِالْمَدَائِحِ وَالنَّشِيدِ
مَدَى الْأَيَّامِ وَالْعَصْرِ الْجَدِيدِ



الفصل الثاني فيما قلت في الفخر والخماسة

(١٣)

[وقلت]:

[من الكامل]

حُزْتُ الْمَفَاخِرَ مِنْ سَنَا أَهْلِ النَّهْيِ
وَجَعَلْتُ فَوْقَ الشَّمْسِ أَذْنَى رُتَبَتِي
وَتَرَكْتُ قَوْلَ مُوَلَّهِ رَامَ الْهَوَى
مُتَيَقِّظٌ لِلدَّهْرِ ذُو فِكْرِ سَمَا
إِنْ لَمْ أَكُنْ أَرْجَى لِكُلِّ فَضِيلَةٍ
إِنْ يَجْهَلِ الدَّهْرُ الْجَهْلُ مَكَانَتِي
يَا دَهْرُ أَتَقِظْ جَفَنَ عَيْنِكَ إِنِّي
كَمْ ذَا تَلَا حِظُّ كُلِّ فَذَمٍ جَاهِلٍ
لَا عَتَبَ فِيمَا قَدْ صَنَعْتَ فَإِنَّ مَنْ
إِنِّي غَدَوْتُ بِرَغَمِ أَنْفِكَ رَاقِباً
قَدْ حُزْتُ بِالْجَدِّ السَّعِيدِ مَرَاتِباً
مِنْ سَادَةِ الْعُرْبِ الْكِرَامِ أَصُولُنَا
وَقَطَفْتُ مِنْ وَرْدِ الْمَعَالِي الْمُشْتَهَى
وَأَتَى إِلَيَّ مِنَ الْفُنُونِ الْمُنتَهَى
فَهَوَى صَرِيحاً يَشْتَكِي لَحْظَ الْمَهَا
أَجْنِي الْمَعَانِي لَوْ تَوَارَتْ فِي السُّهَا
وَأَفُوزُ فِيهَا كَاللُّيُوثِ فَمَنْ لَهَا
فَلَسَوْفَ يَعْلَمُهَا إِذَا عَصَرِي انْتَهَى
كَالسَّيْفِ أَنْشَبُ بَيْنَ حَلْقِكَ وَاللَّهَا
وَعَنِ الْبَلِيغِ أَرَاكَ طَرْفَكَ قَدْ سَهَا
يُبْلَى بِدَاءِ الْجَهْلِ قَدْ عَدِمَ النَّهْيُ
أَوْجَ السَّمَاءِ وَبِالْعُلُومِ مُوَلَّهَا
تَدْعُ الْحُسُودَ بِمَذْحِهَا مُتَفَوَّهَا
فَلِذَا الْمَعَالِي لَقَبْتَنِي بِابْنِهَا

حُزْتُ الْمَفَاخِرَ مِنْ سَنَا أَهْلِ النَّهْيِ
وَجَعَلْتُ فَوْقَ الشَّمْسِ أَذْنَى رُتَبَتِي
وَتَرَكْتُ قَوْلَ مُوَلَّهِ رَامَ الْهَوَى
مُتَيَقِّظٌ لِلدَّهْرِ ذُو فِكْرِ سَمَا
إِنْ لَمْ أَكُنْ أَرْجَى لِكُلِّ فَضِيلَةٍ
إِنْ يَجْهَلِ الدَّهْرُ الْجَهْلُ مَكَانَتِي
يَا دَهْرُ أَتَقِظْ جَفَنَ عَيْنِكَ إِنِّي
كَمْ ذَا تَلَا حِظُّ كُلِّ فَذَمٍ جَاهِلٍ
لَا عَتَبَ فِيمَا قَدْ صَنَعْتَ فَإِنَّ مَنْ
إِنِّي غَدَوْتُ بِرَغَمِ أَنْفِكَ رَاقِباً
قَدْ حُزْتُ بِالْجَدِّ السَّعِيدِ مَرَاتِباً
مِنْ سَادَةِ الْعُرْبِ الْكِرَامِ أَصُولُنَا

يا مُنْكَرًا قولي بِجَهْلٍ حاسِدًا
 ثُمَّ انْتَنِي نَحْوَ الْعَقِيقِ وَرَامَةً
 بَلَدٌ لَهَا الشَّرْفُ الرَّفِيعُ وَمَنْ عَمِي
 أَنَّنِي تَرَوْمُ السَّالْكِينَ وَإِنَّنِي
 وَسَرَيْتُ فِي جُنْحِ الدِّيَاجِي لِلْعُلَا
 وَتَرَكْتُ قَالَ وَقِيلَ فِي التَّقْرِيرِ
 مَالِي وَلِلتَّقْلِيدِ لِلْكَتُبِ الَّتِي
 يَا دَهْرُ بِالتَّقْلِيدِ طَرَفُكَ فِي عَمِّي
 هَلْ مِنْ أَهْلِلِ الْوَقْتِ ذَلِكَ قَدْ سَرَى
 قَوْمٌ لَهُمْ فَخْرٌ بِنَقْلِ مَسَائِلِ

سَلْ طَيِّبَةَ الْمُخْتَارِ عَنْ ذَاكَ الْبَهَا
 تُنْيِيكَ بَدْرُ أَنَّنَا كُنَّا بِهَا
 عَنْ فَضْلِهَا أَمْسَى يَذُمُّ مُوْهُوَهَا
 لَزَمْتُ جَدًّا صِرْتُ مِنْهُ مُطَمَّهَا
 حَتَّى غَدَوْتُ قُبَيْلَ صُبْحِي مِذْرَهَا
 وَالتَّحْرِيرِ مَعَ شَخْصٍ غَدَا مُتَّفَقَهَا
 تَحْوِي الْجَهَالَةَ لِلَّذِي قَدْ أَمَّهَا
 وَعَنِ الدَّلِيلِ جُمُودُ فَهَمِكِ نَزَّهَا
 أَمْ صِرْتُ مِنْ بُعْدِ الْمَسَافَةِ أَبْلَهَا
 لَا يَفْقَهُونَ أَصُولَهُنَّ تَعْتَهَا

(١٤)

وقلت :

[من الوافر]

وَقَفْتُ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي
 أَحَرَّرُ كُلَّ مُغْضَلَةٍ بِشَوْقٍ
 وَطَبَعِي لَا يَمِيلُ لِغَيْرِ جَبْرِ
 أَسَامِرُ فِي الدُّجَى نُدْمَانٌ كُتْبِي
 أَحِبُّ الْكُتُبَ وَهِيَ الْيَوْمَ مِنِّي

وَفِي نَشْرِ الْعُلُومِ مَدَى الزَّمَانِ
 كَشَوْقِ الْوَالِهَيْنِ إِلَى الْأَغَانِي
 تَرَبَّيْتُ بَيْنَ أَزْهَارِ الْمَعَانِي
 فَاسْكُرْ لَا بَكَاسَاتِ الدَّنَانِ
 مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِ الْجَبَانِ

(١٥)

وقلت :

[من الكامل]

طَبَعُ الْكِرَامِ مَطِيَّتِي وَشَمَائِلِي
 وَنَصِيحَةُ الْخِلَآنِ أَوْفَى مَقْصِدِي

حَمِدْتُ بِدَايَاتِي لَهُنَّ أَوَائِلِي
 وَمَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ عَذْبُ مَنَاهِلِي

وَإِذَا صَدِيقِي لِلنَّصِيحَةِ قَابِلًا
وَأَوْدُهُ بِالرُّوحِ أَفْئِدِيهِ وَقَدْ
وَإِذَا تَكَبَّرَ عَن كَلَامِي وَانْتَنَى
وَأَخْضَهُ بِالْهَجْرِ مِنْ دُونِ الْمَلَا
لَا رَغْبَةَ لِي يَا فُؤَادُ بِمَنْ غَدَا
أَلْقَاهُ بِالْبُشْرِ فَيَنْطِقُ قَائِلًا
فَهُوَ الَّذِي يَشْفِي الْحَسُودَ وَفَعَلَهُ

يَلْقَى أَرِيحَ النَّصْحِ عِنْدَ مَحَافِلِي
يَزْتَاحُ لِلْأُنْسِ اللَّطِيفِ الشَّامِلِ
يَلْقَى عَلَى أَوْجِ السَّمَاءِ مَنَازِلِي
إِنَّ التَّكَبُّرَ قَاطِعُ الْمُتَوَاصِلِ
عَنْ مَنَهْجِ التَّقْوِيمِ أَوَّلَ نَازِلِ
دَعُ مَا تَقُولُ وَخَلِّ عَنْكَ مَسَائِلِي
يَقْضِي بِمَا يُرْضِي الْغَوَاةَ عَوَازِلِي

(١٦)

وقلت في العزلة :

[من الكامل]

مَنْ لَامَنِي فِي الْإِعْتَزَالِ فَإِنَّهُ
أَنَا لَا أَصْدُقُ فِرْيَةً مِنْ جَاهِلٍ
لِلَّهِ قَوْمٌ كَالْبَحَارِ إِذَا هَمَوْا
تَلَقَّاهُمْ سَيْلًا يَرُوعُ مُعَارِضًا

شَخْصٌ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ قَدْ اعْتَزَلَ
بَلْ إِنَّمَا قَصْدِي الدَّلِيلُ أَوْ الْجَدَلُ
سَيَبُ الْعُلُومِ لَدَى الْأَدِلَّةِ قَدْ نَزَلَ
إِنْ حَادَ عَنْ سُبُلِ الْهُدَى أَوْ كَالْجَبَلِ

(١٧)

وقلت مُسْطَرًّا، والأصل للنابغة :

[من البسيط]

(فَمَنْ أَطَاعَكَ فَانْفَعُهُ لِبَطَاعَتِهِ)
وَكُنْ لَهُ أَبَدًا بِالطَّوْعِ مُجْتَهِدًا
(وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبُهُ مُعَاقِبَةً)
سَلِّطْ عَلَيْهِ لِسَانًا فِيهِ عَلَقَمَةٌ

وَاتَّبَعْ مَائِرَهُ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
(كَمَا أَطَاعَكَ وَادَّلُهُ عَلَى الرُّشْدِ)
تُوْهِى قُؤَاهُ وَتُذْنِيهِ مِنَ اللَّحْدِ
(تَنْهَى الظُّلُومَ وَلَا تَقْعُدُ عَلَى ضُمْدِ)

(١٨)

وقلت :

[من الكامل]

دَهْرٌ يُرِيكَ الْجَهْلَ أَفْضَلَ مَكْسَبٍ أَيُظُنُّ صَفْوَاً لِلزَّمَانِ الْعَاقِلُ
لَمَّا رَمَانِي بِالْهُمُومِ وَبِالْأَسَى عِنْدَ الْكَمَالِ عَلِمْتُ أَنِّي فَاضِلُ

(١٩)

وَقُلْتُ مَشْطَرًا ثُمَّ مُحْصَسًا بَيْتِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبَسَ ، الْمَعْرُوفُ بِ«أَبِي دُلْفِ
الْعِجْلِيِّ» ، وَقِيلَ : هُمَا لِمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ «صَرِيحِ الْغَوَانِي» : [من الطويل]

لَنَا صَوْلَةٌ نَحْوَ الْعِدَاةِ تُبِيدُهُمْ كَهَشِيمِ نَبْتٍ وَالرِّمَاحُ تَذُودُهُمْ
تَرَانَا خَلِيلِي حَيْثُ يَجْرِي عَدِيدُهُمْ (نُبَارِزُ أَبْطَالِ الْوَعْيِ فَنُبِيدُهُمْ

وَنُقْنِي بِسَيْفِ الْحَزْمِ جَمَعَ الْمَوَاقِبِ)

سَمَوْنَا عَلَى أَوْجِ الْكَمَالِ فَخَامَةً وَحُزْنَا ثَنَاءً بِالْفَخَارِ كَرَامَةً
أَلَا فَاسْمَعُوا وَدَعُوا الْعَجِيبَ مَقَالَةً (تَخِرُّ لُبُوثُ الْغَابِ مِنَّا مَخَافَةً

وَيَقْتُلُنَا فِي السَّلْمِ لَحْظُ الْكَوَاعِبِ)

لَدَى مَجْلِسِ الْإِنْسَانِ زَفَّتْ كُؤُوسُنَا بُدُورٌ مِنَ الْأَثْرَاكِ حَيْثُ شُمُوسُنَا
فَلَا مَصْدَرُ الْهَيْجَاءِ تَفْرِي لَبُوسُنَا (وَلَيْسَتْ سِهَامُ الْحَرْبِ تُقْنِي نَفُوسُنَا

إِذَا مَا شَكَا الضَّرْعَاغُ حُمْرَ النَّوَائِبِ)

سَقَيْنَا الْأَعَادِي مَوْتَهُنَّ بِكَفْنَا وَخُضْنَا بِحَارَ الْمَكْرُمَاتِ بِلُطْفِنَا
وَلَمَّا بَدَا دَاعِي الْكَمَالِ بِصُخْفِنَا (سَمَوْنَا فَلَا الْهِنْدِي يُهْدَى لِحُتْفِنَا

وَلَكِنْ سِهَامٌ فُوقَتْ فِي الْحَوَاجِبِ)

(٢٠)

وقلتُ مخمّساً بأمرٍ من سيّدي وأستاذي علامة زمانه الشيخ سليم
العطار: [من الكامل]

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ غَادِرٍ قَدْ رَاعَنِي وَإِذَا سَمَوْتُ عَلَى السَّمَاءِ أَضَاعَنِي
مَا حِيلَتِي وَالْعَجْزُ إِلْفُ الظَّاعِنِ (أَنَا مِسْكَةُ الْعَطَّارِ لَكِنْ بَاعَنِي
دَهْرِي لِمَزْكُومٍ عَرِي عَنْ مَكْرُمَةٍ)

مَجْدِي عِلَابِي فِي الْكَمَالِ إِلَى الْعُلَا وَهَلَالُ سَعْدِي قَدْ أَضَاءَ عَلَى الْمَلَا
وَالدَّهْرُ فِي حَسْدِي تَبَدَّى مُقْبِلًا (فَغَدَوْتُ أَنْشِدُ حِينَ ضَيَّعَنِي إِلَّا
مَا أَضْيَعَ الْيَاقُوتَ فِي جِيدِ الْأُمَةِ!)

(٢١)

وقلتُ أيضاً في واقعة حال: [من الكامل]
وَأَنَا الَّذِي أَرْعَى الْوِدَادَ لِمَنْ رَعَى أَفْدِيهِ بِالرُّوحِ وَبِالْمَالِ مَعَا
إِنْ غَابَ عَنِّي أَوْ بِقُرْبٍ خَصَّنِي لَمْ تَرْتَجِ الْعُدَالَ مِنِّْي مَطْمَعَا
مَنْ أَسَدَ مَعْرُوفاً إِلَيَّ فَإِنَّهُ لَمْ يَلْقَهُ طُولَ الزَّمَانِ مُضَيَّعَا

(٢٢)

وقلت: [من البسيط]
إِذَا جَفَاكَ حَيِّبٌ كُنْتَ تَأْلُفُهُ فَاتْرُكْ رِضَاءَهُ وَخَلِّ الْبُعْدَ أَرْكَانَا
تَلْقَى كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَابِ أَقْبَحَهَا مِثْلَ الَّذِي هَاجَرَ لِلْبُعْدِ أَوْ كَانََا
لَا تَرْتَجِي أَبَدًا مِنْ صَاحِبِ ثِقَةٍ وَدَعْ جَمِيعَ الدُّنَا فِي الْكُونِ بُلْدَانَا

ما طَالَعُ الْعِزِّ إِلَّا فِي الرَّحِيلِ فَلَا تُولَعُ بَدَارٍ تَرَى الْمَعْرُوفَ خُسْرَانًا

(٢٣)

وقلت:

[من الوافر]

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ
وَصَابِرْ يَا أَخَا الْبَلَوَى فَعَمَّا
إِذَا مَا الدَّهْرُ أَبْدَى نَاجِذِيهِ
وَحَازِرْ مَنْ تَوَدُّ فَهُمْ أَعَانُوا
فَمُرُّ الْعُسْرِ يَعْقُبُهُ انْقِضَاءُ
قَلِيلٍ يَسْتَبِينُ لَهَا انْجِلَاءُ
فَسَيْفُ النَّصْرِ لِلصَّبْرِ اهْتِدَاءُ
عَلَى إِتْلَافِ نَفْسِكَ حَيْثُ شَاؤُوا

(٢٤)

وقلت، وهو من نَظْمِ الصَّبَا:

[من الكامل]

لَا تَعْتَبَنَّ عَلَى الزَّمَانِ وَفِعْلِهِ
إِنْ رَامَ يَرْمِينِي بِحِدَّةٍ نَصْلِهِ
يَا مَنْ يُكَلِّفُهُ بِضِدِّ طِبَاعِهِ
أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ فِي الْمُحَالِ وَلَيْتَهَا
إِنَّ ابْنَ دَهْرِكَ مَنْ يَقُولُ أَنَا لَهَا
فَهُوَ الْخَوْنُ وَذِي صَنَائِعٍ مِثْلِهِ
أَلْبَسْتُ دِرْعَ الصَّبْرِ مَرَمَى نَبْلِهِ
بِظُنُونِهِ وَيَصُدُّهُ عَنِ جَهْلِهِ
تُبْدِي سُؤْنًا ضِدَّ مَا فِي فَصْلِهِ
عِنْدَ الْمَضِيقِ وَلَا يَرُوعُ لِنَقْلِهِ

(٢٥)

وقلت، وهو كذلك:

[من البسيط]

لِلْحُرِّ ظَنٌّ كَنُورِ الشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ
فَإِنْ الْأَمَانِي وَلَا تَرْكُنْ إِلَى وَطَنِ
وَفِي الْفِرَاسَةِ إِنْبَاءٌ عَنِ الرَّجُلِ
فَصُحْبَةُ الْوَعْدِ تَأْتِي بَعْدُ بِالْخَجَلِ



الفصل الثالث
فيما قلته في الغزل والتسبيح والنسيب
 وهو مذهب هذا الزيدان ، لراثة مفضل كل ما كان
 وبالله المستعان

(٢٦)

قلت ارتجالاً :

[من الخفيف]

مُدْنَقاً صَارَ بِالتَّحِيَّاتِ حَيًّا فَاتِنًا بِالْجَمَالِ سُعْدَى وَرِيًّا عِنْدَمَا قَامَ يَجْلُو كَاسَ الْحَمِيَّا وَالْحَبِيبُ نَوَى مَكَانًا قَصِيًّا فَعَسَى أَنْ يَهُونَ أَمْرِي عَلَيَّا لِأَضْبَحَ الصَّخْرُ ثَاوِيًّا أَوْ خَفِيًّا وَغَدَا فِي تَعْذِيبِ قَلْبِي رَضِيًّا وَعَلَى أَهْلِ الْحُسْنِ صَارَ وَلِيًّا أَوْ تَنَّى أَصَابَ صَبًّا رَمِيًّا أَسَدَ غَابِ الْجَوَى فَهَامُوا مَلِيًّا فَالْهُوَى حُكْمُهُ مُقَدَّرٌ لَدَيَّا	لَمَعَ الْبَرْقُ بِالْغَوِيرِ وَحَيًّا وَتَجَلَّى فِي رَوْضَةٍ يَتَهَادَى فَتَرَى الْعَاشِقِينَ سَكْرَى حَيَارَى يَالَ وَدِّي وَهَلْ لَصَبِّ فُؤَادُ أَنْبِئُونِي عَنْ حَالِ أَهْلِ التَّصَابِي بِي مِنَ الْحُبِّ لَوْ أَقَامَ بِرَضْوَى يَا رَعَى اللَّهُ ظَبِيَّ أَنْسِ سَبَانِي شَادِنُ أَمْرُهُ مُطَاعٌ بِرَغَمِ إِنْ رَنَا أَخْجَلَ الْبُدُورَ سَنَاهُ لَخَطُّهُ أَوْدَى بِهِ فِي كِفَاحِ لَا تَلْمَنِي يَا عَاذِلِي فِي هَوَاهُ
---	--

فَالْقُلُوبُ لَهَا اتِّصَالٌ بَدِيعٌ مِنْ «أَلَسْتُ» كَانَ الْوَدَادُ سَرِيًّا
أَلِفْتُ عَهْدَ الْحُبِّ دَهْرًا قَدِيمًا فَآتَى سِرَّهُ لَدَيَّ وَفِيَّا

(٢٧)

وقلت مضمناً:
[من الكامل]
ظَنِّي رَمَانِي بِالْبِعَادِ وَمَلَّنِي أَبَدًا وَلَمْ يَرْفُقْ بِصَبِّ لَائِدِ
نَادَيْتُهُ لَمَّا تَصَدَّى لِلْقَلْبِ (هَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ الْعَائِدِ)

(٢٨)

وقلت أيضاً:
[من الكامل]
يَا مَرْتَعَ الْأَحْبَابِ بُلَّغْتَ الْمُنَى وَسَقَى مَرَابِعَكَ السَّحَابُ الْهَاطِلُ
إِنْعَمَ بِوَصْلٍ مِنْ نَزِيلِكَ إِنَّهُ لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ

(٢٩)

وقلت:
[من الكامل]
سَلَّمَ عَلَى الظَّنِّي الْغَرِيرِ وَقُلْ لَهُ مَا ذَنْبُهُ حَتَّى وَلَّغْتَ بِهِجْرِهِ
أَسْقَيْتَهُ كَأْسَ الْهَيْامِ وَحَبَّذَا لَوْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ مَالِكَ صَبْرِهِ

(٣٠)

وقلت:
[من الوافر]
وَلَمَّا أَنْ تَنَاهَى فِي صُدُودِي وَحَمَلَنِي الْهَوَى حِمْلًا ثَقِيلاً
وَلَمْ يَرْفُقْ بِحَالِ الصَّبِّ يَوْمًا وَمَالَ مَعَ الْوُشَاةِ وَلَنْ أَمِيلاً
كَتَمْتُ الْحُبَّ كَيْ أَحْظَى بِوَصْلٍ يَكُونُ عَنِ الصُّدُودِ لَنَا بَدِيلاً

(٣١)

وقلت :

[من مجزوء الكامل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى هَجَرَ الْحَبِيبِ قَدْ انْقَضَى
وَأَضْمُهُ وَأَقْبَلُ الـ خَذَيْنِ فِي حَالِ الرُّضَا

(٣٢)

وقلت :

[من مجزوء الكامل]

لَمَّا سَأَلْتُ عَنِ الْحَبِيبِ بِ فَقِيلَ لِي فِي «الْمِرَّةِ»
نَادَيْتُ وَاحْرِبَا لَقَدْ بَعُدْتَ دِيَارُ أَحَبِّي
يَا فَائِقَ الْحُسْنِ الَّذِي بِالْقُرْبِ مِنْهُ مَسَرَّتِي
انْعَم بِوَضْلِكَ سَاعَةً لَتَزُولَ عَنِّي كُرْبَتِي

(٣٣)

وقلت :

[من مجزوء الكامل]

وَشَادِنِ أَبْصَرْتُه سَحَرًا يُنَادِي (يَا نَصِيبُ)
قُلْتُ: الصُّدُودُ أَمَلَّنِي فَهَلْ بِوَضْلِكَ لِي نَصِيبُ

(٣٤)

وقلت :

[من الكامل]

إِنْ رُمْتَ تَصْطَبِحُ الْجَمَالَ فَحَيَّهَلَا لِمَسَارِحِ الْغَزْلَانِ مِنْ غَرْبِ الشَّامِ
فِي «سُوقِ سَارُوجَا» الْبَدِيعِ فَإِنَّهُ مَجَلَى جَمَالِ الثُّرُكِ لِلصَّبِّ الْمُضَامِ

(٣٥)

وقلت :

[من مخْلَع البسيط]

يا رُوحَ رُوحِي دَعِ الصُّدُودَا وَارْحَمْ فُؤَادَا غَدَا عَمِيدَا
كَيْ لَا تَرَانِي بِحَقِّ عَطْفٍ أَضَاعَ رُشْدِي بِكُمْ فَقِيدَا

(٣٦)

وقلت مطرّزاً :

[من الكامل]

خِلْ الصَّبَابَةَ لَا يَمَلُّ إِذَا اعْتَدَى فِيهِ الْعَدُولُ وَضَلَّ عَنْ سُبُلِ الْهُدَى
إِنَّ الْوِدَادَ إِذَا اسْتَحَالَ تَدَلُّلاً سَكِرَ الْمُحِبُّ بِخَمْرِهِ طُولَ الْمَدَى
لَهُ كَمَ فِي جَنَّةِ الْوَجَنَاتِ مِنْ وَرَدٍ تَفْتَحُ حَيْثُ كَلَّلَهُ النَّدَى
دَيْنُ الْغَرَامِ بِهِ أَدِينُ صَبَابَةً فَلْيَلْحَنِي مَنْ لَمْ فِيهِ وَفَنَدَا

(٣٧)

وقلت :

[من الرمل]

يا لَقُومِي مَنْ لِصَبِّ قَدْ مَضَى عُمْرُهُ مَا بَيْنَ هَجْرٍ وَصُدُودِ
صَارَمَ الْأَفْرَاحَ وَاللَّذَاتِ إِذْ فَاتَهُ مِنْ حَبِّهِ طِيبُ الْوُعودِ

(٣٨)

وقلت :

[من الطويل]

أَهْجَرُّ وَصَبْرٌ وَاشْتِيَاقٌ وَفُرْقَةٌ لَعْمُرُكَ هَذَا مَا لَدَيْهِ نَصِيرُ
وَأَيُّ صَدِيقٍ أَرْتَجِيهِ لِشِدَّتِي إِذَا الْقَلْبُ صَابٍ وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ

(٣٩)

وقلت :

[من البسيط]

حَطَّ الْمُحِبُّ مِنَ الْأَحْبَابِ هَجْرَانُ فَهَلْ لِهَذَا الشَّجِي يَا قَوْمُ أَعْوَانُ
إِنْ كُنْتُ فِي الْهَوَى وَالْحُبِّ قَدْ رَقَدْتُ عَيْنِي فَلَا جَادَهَا مِنْ وَصْلِكُمْ شَانُ
أَوَاهُ مِنْ صَدِّكُمْ أَوْدَى إِلَى تَلْفِي أَمَا يُرَى عِنْدَكُمْ لِلصَّبِّ إِحْسَانُ

(٤٠)

وقلت :

[من مجزوء الكامل]

أَهَيْفُ قَدْ قَدَّ قَلْبِي بِاللِّحَاطِ الْجُودِرِيَّةِ
وَأَنْشَى بِالْقَدْ فَتَكَا بِالرَّمَاكِ السَّمْهَرِيَّةِ

(٤١)

وقلت :

[من الكامل]

وَلَوْ أَنَّنِي فِي جَنَّةٍ مَعَ هَجْرِهِ نَادَيْتُ يَا مَوْلَايَ تِلْكَ جَهَنَّمُ
أَوْ أَنَّنِي مَعَ وَصْلِهِ أَصْلَى لَظَى نَادَيْتُ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ

(٤٢)

وقلت :

[من الكامل]

سَلْ فَاتِنَ الْوِلْدَانِ مُذْ سَلَبَ الْكَرَى هَلْ عَادَ صَبًّا فِي هَوَاهُ قَدْ انْبَرَى
يَشْكُو لَهُ حَرَّ الْجَوَى دَوْمًا وَمَا يَجِدُ النَّصِيرَ لِظُلْمِهِ أَوْ مَا جَرَى
يَا مَنْ عَلَى أَفْقِ الْمَحَاسِنِ قَدْ عَلَا وَسَمَا عَلَى هَامِ الْبُذُورِ تَبَخَّرَا
يَا بَدَرَ حُسْنٍ بِالْجَمَالِ مُبْرِقِعِ فِي أَفْقِ قَلْبِي بِالْمَحَاسِنِ قَدْ سَرَى

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِهَذَا الْبُعْدِ مِنْ سَبَبٍ وَلَيْتِي فِي الْمَنَامِ لَهُ أَرَى
فِي كُلِّ شَهْرٍ لَا أَرَاكُمْ مَرَّةً وَالْبَدْرُ يَبْدُو فِي اللَّيَالِي أَكْثَرَا
مَلَكَتُهُ قَلْبِي فَعَذَّبَهُ وَلَمْ يَرْفُقْ بِهِ وَأَطَاعَ فِي الْغَدْرَا
أَوَّاهُ مِنْ ذُلِّ الْغَرِيبِ وَحُرْقَةِ الصَّبِّ الْكَثِيبِ وَرَمِيهِ بِالْإِفْتِرَا

(٤٣)

وقلت:

[من الكامل]

يَا صَاحِبِي مَا أَنْصَفْتَ أَيَّامُنَا قَلْبِي بِحُبِّكَ وَالْبِعَادُ بِكَ اتَّصَفَ
إِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ قُلْتَ ذَاكَ تَمَلَّقُ أَوْ غِبْتُ عَنْكَ تَقُولُ عَنْ وَدِّي انْحَرَفَ
إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتَ عَنِّي عَوْضًا أَنَا فِي وَدَادِكَ مَا رَأَيْتُ لَهُ خَلَفَ

(٤٤)

وقلت:

[من البسيط]

يَا حَادِي الرَّكْبِ يَمُّنَ يَمْنَةَ الْوَادِي وَاقَرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذَا النَّادِي
وَاشْرَحْ لَهُمْ قِصَّةَ الْأَشْوَاقِ عَلَيْهِمُ يَزْنُو لِحَالِي بِهِمْ فِي الْحُبِّ يَا حَادِي
وَسَائِلِ السَّفَحِ عَنْ وَادِي الْعَذِيبِ وَهَلْ يَشْفِي الْعَذِيبُ مُحِبًّا لِلْقَا صَادِي
لِلَّهِ قَوْمٌ بِأَكْنَافِ الْحِمَى نَزَلُوا وَأَشْعَلُوا فِي فُؤَادِي نَارَ وَرَادِي
أَقُولُ إِذْ ضَلَّ عَقْلِي وَالْفُؤَادُ سَرَى وَالْجِسْمُ فِي هَجْرِهِمْ قَدْ ذَابَ يَا حَادِي

(٤٥)

وقلت:

[من المجنث]

يَا طَيْفَ حُبِّ مُعَيَّدي أَطْلَتَ عُمَرَ الضُّدُودِ
مَتَى يَعُودُ التَّصَافِي بِرَغَمِ أَنْفِ الْحَسُودِ

يَكْفِيكَ بَذْرِي سَحَاباً نَسَجْتُهُ مِنْ رُعُودِي
تَرَكْتَ قَلْبِي مُعْنَى بَدَاءِ خُلْفِ الْوُعُودِ

(٤٦)

وقلت:

[من الكامل]

يَا قَلْبُ صَبْرًا فِي الْغَرَامِ فَإِنَّهُ حَكَمَ ظُلُومَ جَارٍ فِي أَحْكَامِهِ
ذَلَّ الْوَلَاةُ مَعَ الْأَسْوَدِ لِعِزِّهِ وَغَدَا جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ خُدَامِهِ

(٤٧)

وقلت:

[من الكامل]

مَا مِلْتُ عَنْ عَهْدِ الْوِدَادِ وَلَا أَشَأْ كَذَبَ الْعَذُولُ بِقَوْلِهِ وَبِمَا وَشَى
أَنَا فِي الصَّبَابَةِ وَالْمَوَدَّةِ لَا أَرَى عَنْ شَرِّ حُسْنِكَ فِي الْمَحَبَّةِ مُذْهِشًا
أَنَا مِنْكَ رَاضٍ بِالصُّدُودِ لَعَلَّ أَنْ مَاضِي رِضَاكَ يَعُودُ لِي كَيْمَا أَشَأْ
يَا غُصْنُ بَانٍ عَنْ وَدَادِي مَاثِلًا بِنَسِيمِ وَجْدِي وَالتَّهَابِ بِالْحَشَا
رِفْقًا عَلَى مُضْنَى كَثِيبٍ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْكَرَى وَاللَّيْلِ أَمْسَى أَغْطَشَا
نَشْوَانٍ فِي أَلَمِ الصُّدُودِ مُعَذِّبُ وَحَدِيثُهُ بَيْنَ الْبَرِّيَّةِ قَدْ فَشَا
يَهْفُو إِلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ تَعَلَّةُ وَعَلَى الْجُفُونِ مِنَ الْمَحَبَّةِ قَدْ مَشَى
لِلَّهِ أَوْقَاتٌ مَضَتْ يَا طَيْبَهَا مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ أَيَا رَشَا

(٤٨)

وقلت:

[من الكامل]

كَمُلَ الْكَمَالُ لَهُ وَرَدَّ مُوَلَّهَا لِكَمَالِهِ لَوْلَا الْوِدَادُ مُوسَّسَا
أَوَاهُ لَوْ حَارَ الْمَلِمُ مُسَلَّمَا وَأَرَادَ وَضَلَ مُوَلَّهِ مَا دَلَّسَا

وَمُرَادُهُ حُكْمُ الصُّدُودِ لِوَالِهِ هَمِلِ الدُّمُوعِ وَسِرُّهُ حَمْلُ الْأَسَى
لَوْلَا الْهَوَى مَا رَاعَهُ رَوْعٌ طَمَا والوعْدُ رَدُّ مُحَالِهِ رَدُّ الْمَسَا

(٤٩)

وقلت: [من الكامل]

قَلْبِي وَرُوحِي فِي يَدَيْكَ فَمَنْ يَا مَلِكَ الْجَمَالِ بِفِكَ أَسْرِي وَارْحَمِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ يَا ذَا اللَّطَافَةِ مُنْصِفِي فَمَنْ الَّذِي يَزْنِي لِحَالَةِ مُغْرَمِ

(٥٠)

وقلت: [من الرمل]

كُلَّمَا أَزْدَادَ اللَّقَا أَزْدَادَ الْجَوَى وَذَكَتْ فِي الْقَلْبِ نِيرَانُ الْهَوَى
فَاتِنِي كُنْ رَاحِمِي بِحَقِّ عَقْدِ رَبِّ صُدْعَيْكَ الَّذِي قَدِ اتَّوَى

(٥١)

وقلت: [من الكامل]

إِنِّي وَحَقِّكَ فِي وِدَادِكَ رَاغِبٌ وَعَلَى التَّقَاطُعِ لَا أُرِيدُ تَصَبُّرًا
فَامُنْ بِحَقِّكَ بِالْوِصَالِ مُرَاسِلًا فَالْقَلْبُ مِنْ حَرِّ الْبِعَادِ تَفْطَرًا

(٥٢)

وقلت: [من الكامل]

ظَنِّي عُقُولَ الْعَاشِقِينَ لَقَدْ مَلَكَ قَدْ قَالَ مَنْ قَدْ شَامَهُ هَذَا مَلَكُ
لِي مِنْكَ تَعْذِيبُ الْفُؤَادِ بَذَا الْهَوَى وَجَمِيعُ أَوْصَافِ الْبَهَا وَالْحُسْنِ لَكَ

(٥٣)

وقلت على لسان بعض الأصحاب بطلب ذلك منه : [من الكامل]
رُوحِي الْفِدَاءَ لِعَادَةٍ تَحْجَبُ عَنِّي وَقَلْبِي فِي السَّعِيرِ يُقَلِّبُ
مُذْ حَاوَلْتُ هَجْرِي فَظَلَّتْ مُقْلَتِي مِنْ أَجْلِهِ دُرُّ الْمَدَامِيعِ تَسْكُبُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَجُودُ بِوَصْلِهَا مِنْ بَعْدِ بُعْدِي وَالتَّجَنِّي «زَيْنَبُ»
وَأُبْتُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ شَوْقِي لَهَا وَأَفُوزُ بِالْحُسْنِ الْبَدِيعِ وَأَطْرُبُ
فَلْتَنْ وَفَتْ بِالْعَهْدِ يَا نِعَمَ الْوَفَا وَلَيْتَنْ صَفَتْ بِالْوُدِّ نِعَمَ الْمَطْلَبِ

(٥٤)

وقلت مُودَّعًا : [من الكامل]
يَوْمُ الْوَدَاعِ أَطَارَ لُبِّي بِالنَّوَى وَغَدَوْتُ فِي قَيْدِ الْمَحَبَّةِ وَالْجَوَى
يَا سَاكِنَ الْأَحْشَاءِ بَعْدَ وَدَاعِهِ لَا تَنْسَ تَذْكَارِي بَيَانَاتِ اللَّوَى
لَهُ طَرْفٌ مِنْ وَدَاعِكَ سَلْسَلِ الدَّ مَعَ الْغَزِيرِ وَشُقَّةِ السَّلْوَى طَوَى
وَفَوَادُ صَبٍّ مِنْ فِرَاقِكَ خَافِقُ كَالْغُضَنِ فِي مَرِّ النَّسِيمِ إِذَا التَّوَى
يَا رَاحِلًا أَخَذَ الشُّرُورَ بِسَيْرِهِ مُذْ خَلَّفَ الْأَحْزَانَ فِينَا وَالنَّوَى
انْظُرْ إِلَى الْعُشَاقِ كَيْفَ دُمُوعُهُمْ فَاضَتْ وَحَرُّ الْبُعْدِ لِلْأَحْشَا كَوَى

(٥٥)

وقلت مُخَمَّسًا : [من الكامل]
يَا مَنْ بَدَا بِصَبَابَتِي لَهُ شَاهِدُ حَتَّامَ هَجْرِكَ يَا حَيَّي زَائِدُ
إِنْ كَانَ عُذَّالِي بِذَاكَ تُعَانِدُ (قَلْبِي وَقَلْبُكَ لَا مَحَالَةَ وَاحِدُ
شَهِدَتْ بِذَلِكَ بَيْنَنَا الْأَلْحَاطُ)

سَمَحَ الزَّمانُ بِسَاعَةٍ مِنْ وَصِلِنَا وَمَجَالِسُ اللَّهْرِ رَبَّتْ عَنْ قَوْلِنَا
وَلَأَنْتَ عَيْنُ سُروِرِنَا وَكَمالِنَا (فَتَعَالَ فَلْنُغِظِ الْحَسودَ بِوَصِلِنَا
إِنَّ الْحَسودَ بِمِثْلِ ذاكِ يُغَاظُ)

(٥٦)

وقلت مُخَمَّساً:
[من البسيط]
لَمَّا سَباني بنورِ الصُّبْحِ مَبْسَمُهُ وَحُسْنُهُ فِي الْوَرى أَضْحى يُحَكِّمُهُ
وَوَظَلَّ فَرَطُ الْجَوى شَوْقي يُقَدِّمُهُ (تَمَكَّنَ الْحُبُّ مِنِّي كَيْفَ أَكْتُمُهُ
وَكَيْفَ أَخْفِي الْهَوَى وَالذَّمْعُ يُظْهِرُهُ)
بِالْحُسْنِ وَاللُّطْفِ رَبُّ الْعَرْشِ كَمَلَهُ وَخَصَّهُ بِالْبَها وَالرَّفْقِ جَمَلَهُ
داعِي الْغرامِ لَهُ بِالْقَلْبِ أَنْزَلَهُ (ما غابَ عَنْ ناظِرِي إِلَّا وَجَدْتُ لَهُ
فِي داخِلِ الْقَلْبِ إِنساناً يُصَوِّرُهُ)

(٥٧)

وقلت:
[من البسيط]
ما بالُ قَلْبِكَ يا «بَدْرانُ» مَشْغُولُ وَالطَّرْفُ فِي أَرْقِ وَالذَّمْعُ مَسْبُولُ
أَمَلَّكَ الْحَبُّ مِنْ بَعْدِ الْوِصالِ أَمِ الـ وَفَا بِالْجِفا وَالْقَطْعِ مَوْصولُ
تَحَرُّنٌ لِلطَّيْرِ إِذْ غَنَّتْ أَوابِدُهُ وَطُولَ لَيْلِكَ تَسْيِكَ التَّفَاعِيلُ
لا تَسْتَفِيمُنْ عَلى حَالِ تَكُونُ بِها وَعَقْدُ صَبْرِكَ بِالتَّذْكارِ مَحْلولُ

(٥٨)

وكتبْتُ على ظهرِ كتابٍ يُذكرُ فيه أحوالُ العشاقِ : [من الكامل]

وَلَقَدْ بُلِيتُ بِأَعْظَمِ الْعَشَقِ الَّذِي	ذَكَرُوا وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْهَجْرَانِ
وَسَلَكْتُ كُلَّ مَحَجَّةٍ فِي فَنِّهِ	وَعَلِمْتُ فِيهِ شُؤُونَ كُلِّ زَمَانٍ
وَسَهَرْتُ مِنْ هَجْرِ الْحَبِيبِ وَطَالَمَا	أَسْبَلْتُ دَمْعاً دَائِمَ الْجَرِيَانِ
فَرَأَيْتُ أَضْعَبَهُ إِذَا كَانَ الَّذِي	تَهَوَّى يُحِبُّ مُجَاهِرَ الْعُصْيَانِ
فَيْرِيكَ تَقْوَى مَا لَهَا مِنْ آخِرٍ	وَيَفُوزُ غَيْرُكَ مِنْهُ بِالْإِحْسَانِ
وَيُنِيلُهُ أَشْهَى الْوِصَالِ عَلَى الْمَدَى	وِيرِيكَ هَجْراً مَالَهُ مِنْ ثَانِي
فَاتَرُكْ أَخِيَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ وَدَادَهُمْ	وَاجْعَلْ حَبِيبَكَ سَيِّدَ الْأَكْوَانِ

(٥٩)

وقلت : [من الكامل]

مَا بَيْنَ صَدِّهِمْ وَتَشْتِيتِ الْكَرَى	صَبْرُ جَمُوحٍ بِالْذُّمُوعِ تَعَثَّرَا
كَمْ بَتُّ أَشْكُو مِنْ تَوَاضُلِ بُغْدِهِمْ	وَأَسِخُّ دَمْعاً كَالشُّيُولِ إِذَا جَرَى
تَرَكُوا فُؤَادِي لِلْمَحَبَّةِ مَنْزِلاً	وَلَوْنَ جِسْمِي بِالْبَعَادِ مُعْضَفَرَا
لَا وَاخِذْ اللَّهُ أَحْبَابِي وَإِنْ	تَرَكُوا فُؤَادِي هَائِماً مُتَحَيِّرَا
مَنْ رَامَ عَذْلِي فِي الْمَحَبَّةِ قُلْ لَهُ	هَذَا الَّذِي فِي الْغَيْبِ كَانَ مُسْطَرَا
عِشْقٌ وَتَغْرِيبٌ وَهَجْرٌ أَحَبَّةٌ	مَنْ ذَا عَلَيَّ هَذَا يُطِيقُ تَصَبُّرَا

(٦٠)

وقلت : [من مجزوء الكامل]

قَامَ الْحَبِيبُ مُصَلِّياً	يَا مُنَيِّي مَا أَجْمَلَهُ
لَكِنَّهُ قَتَلَنِي نَوَى	فَاسْأَلُوا مَنْ حَلَّلَهُ

(٦١)

وقلت:

[من الوافر]

بِرُوحِي مَنْ تَرَكْتُ بِغَيْرِ قَصْدِي
حَيْبٌ لَيْسَ لِي عَنْهُ غَنَاءُ
جَفَانِي وَارْتَضَى غَيْرِي مُحِبًّا
يَزِيدُ عَوَازِلِي قُرْبًا وَلُطْفًا
وَيَهْجُرُنِي وَيَمْنَعُنِي لِقَاءُ
عَلَى مَرِّ النَّوَى صَبَرْتُ نَفْسِي
فَمَا أَلْفَيْتُ فِي الْحُبِّ انْتِقَاصًا
أَذُوبُ تَلَهْفًا وَيَزِيدُ بُعْدًا
أَعَاشِرُ غَيْرَهُ فَأَرَى انْقِبَاضًا
وَأَسْكُبُ فِي الدُّجَى أَمْطَارَ دَمْعِي
فَبِاللَّهِ تَذَكَّرُنِي حَبِيبِي
وَبِاللَّهِ إِذَا سَأَلُوكَ عَنِّي

(٦٢)

وقلت:

[من الكامل]

حُكْمُ الْغَرَامِ عَلَى الْقُلُوبِ مُحْتَمٌ
فَادِرٌ كُؤُوسَ الْحُبِّ يَا سَاقِي عَلَى
وَأَمْرِجْ بِهِ خَمَرَ الْغَرَامِ إِذَا شَدَا
وَاحِيِ الْفُؤَادَ بِإِسْمِهِ وَبِلَفْظِهِ
وَقُلِ السَّلَامُ عَلَى قَتِيلٍ فِي الْهَوَى

وَمِنْ الْهَيْامِ مَدَى الزَّمَانِ تَأْلُمٌ
ذَكَرِ الْحَبِيبِ إِذَا أَلَحَّ اللَّوْمُ
شَادِي الْهَوَى بِكَلَامِهِ يَتَرَنَّمُ
فَبِذِكْرِهِ تَحْيَا الْقُلُوبُ وَتَسْلَمُ
هَجَرَ الْمَنَامِ لِنَارٍ وَجَدِ تَضَرَّمُ

(٦٣)

وقلت :

[من الكامل]

بِأَبِي غَزَالٍ بِالنَّفَارِ مُعَذِّبِي مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ قَدْ أَطَالَ بِعَادُهُ
مَا جَنَّ لَيْلٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلَّا وَسَلَبُ الرُّوحِ كَانَ مُرَادُهُ

(٦٤)

وقلت :

[من المتقارب]

غَزَالٌ دَعَانِي بِهَجْرِي مُرِييَا وَصَافِي عَذُولِي وَآخِي الرَّقِييَا
فَأُمْسِي بَعِيداً بُعِيدَ التَّدَانِي يَشُبُّ حُرُوباً وَيُطْفِي حُرُوباً

(٦٥)

وقلت :

[من الكامل]

وَمُمْلَكُ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ لَقَدْ حَوَى نَصَبَ الْجَمَالِ أَرَاعَنِي بِالصَّدِّ
نَادَيْتُهُ رِفْقاً بِمَسْكِينِ غَدَا مِنْ فَرَطِ حُبِّكَ هَائِماً فِي الْوَجْدِ
فَخَصَّصَهُ بِزَكَاةِ حُسْنِكَ ضَمَّةً يُطْفِي بِهَا نَارَ الْجَوَى مِنْ وَقْدِ
فَقَالَ لِي: أَنْتَ رَقِيقُ مَحَاسِنِي وَزَكَاةُ حُسْنِي لَا تَجُوزُ لِعَبْدِي

(٦٦)

وقلت :

[من الكامل]

مَنْ لِي بِهَذَا الصَّاحِبِ الْبَرِّ الْعَطُوفِ فِي الصَّادِقِ الْوُدِّ الْوَفِيِّ لَنَا الْأَلُوفِ
فِيهِ الْغِنَى عَنْ كُلِّ خِلٍّ صَادِقٍ وَلِرُبِّ شَخْصٍ نَابَ عَنْ عَدَدِ أُلُوفِ

(٦٧)

وقلت :

[من البسيط]

تلخيصُ قولي بحالِ الحُبِّ والخَبَرُ
مفتاحُه عَجَباً قَدْ زَادَ أَطْوَلُهُ
فانعمْ بوضلي لَكِي يَحْيَا الكَثِيبُ فَقَدْ
قَدْ صِرْتُ فِي حَيْرَةِ الإِعْجَازِ يَا أَمَلِي
مُطَوَّلٌ شَرَحُهُ وَالْوَقْتُ مُخْتَصَرُ
تَبْيَانُهُ فِي النَّوَى تُغْزِي لَهُ السَّيْرُ
ظَلَّ الهَوَانُ بِهِ بِالهَجْرِ يَنْتَصِرُ
فَارَحَمَ فُوَاداً بِنَارِ الشُّوقِ يَسْتَعِرُ

(٦٨)

وقلت :

[من الوافر]

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْوَرْدَ يَشْفِي
فَلَمَّا أَنَّ أَدَمْتُ الشَّمَّ مِنْهُ
وَهَلْ يَشْفِي الْمُعْنَى غَيْرُ ضَمٍّ
بِكَثْرَةِ شَمِّهِ أَلَمَ الصُّدُودِ
مَزَجْتُ مَدَامِعِي بِدَمِ الْكُبُودِ
وَشَمِّ لِلْقُدُودِ وَلِلْخُدُودِ

(٦٩)

وقلت :

[من الكامل]

رَشَاءُ مِنَ الْأَتْرَاكِ شَادٍ شَادِنُ
لَمَّا دَنَوْتُ إِلَى الْعِنَاقِ مُسَلِّمًا
فَتَنَ الْبَرِّيَّةَ قَدُّهُ الْمَيَّاسُ
أَوْ مَا إِلَيَّ وَفِي الْيَمِينِ الْكَاسُ

(٧٠)

وقلت :

[من الطويل]

لَهُ اللَّهُ ظَبِيًّا قَدْ أَسَالَ مَدَامِعِي
وَعَذَّبَنِي بِالصَّدِّ وَالْهَجْرِ وَالسَّهْرِ

أَقُولُ إِذَا مَا ضَمَّنَا مِنْهُ مَجْلِسٌ وَأَرْخَى دَلَالًا بِالْوَصَالِ وَبِالضَّجَرِ
مَتَى يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ يَخْلُو اجْتِمَاعُنَا عَنِ الصَّدِّ وَالشَّكْوَى وَيُصْفُو عَنْ كَدَرِ

(٧١)

وقلت: [من الكامل]

كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتُّ فِيهَا أَجْتَنِي وَصَلَ الْحَبِيبِ وَالظَّلَامِ سَتَائِرُ
لَمَّا بَدَأَ نُورُ النَّهَارِ يَنْمُ لِي (قُلْتُ اشْهَدُوا أَنَّ الْمَجُوسِي كَافِرُ)

(٧٢)

وقلت: [من الكامل]

وَمُهَفِّفِ الْأَعْطَافِ خَمْرِي اللَّمَّا تُرْكِي الْمَحَاسِنِ وَاللِّحَاطُ بَوَاتِرُ
فِي خَدِّهِ جَنَاتٌ وَرَدٍ فَتَحَتْ تَحْتَ الصَّبَاحِ وَلِلشُّعُورِ دِيَاجِرُ
لَمَّا أَقَامَ الْخَالَ يَحْرُسُ خَدَّهُ (قُلْتُ اشْهَدُوا أَنَّ الْمَجُوسِي كَافِرُ)

(٧٣)

وقلت: [من الكامل]

قَالَ الْعَوَازِلُ لِمَ هَجَرْتَ مُحَجَّبًا كَالْبَدْرِ يَزْهَرُ فِي دُجَى الظُّلُمَاءِ
قُلْتُ لَهُمْ أَخْشَى يَمَلُّ مُعَذِّبِي مِنْ طَوْلِ تَرْدَادِي وَحُسْنِ وَفَائِي
فَرَعِبْتُ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ لِأَنَّهُ بَعْدَ الْمِطَالِ يَكُونُ طِيبُ لِقَائِي

(٧٤)

وقلت: [من الوافر]

ذَمَّمْتُ فِرَاقَ حَبِّي ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَذْحِ التَّجَنِّي وَالْفِرَاقِ

وَقُلْتُ لِرَنْدٍ شَوْقِي حِينَ أُورَى إِذَا طَالَ الْمَدَى عَذَبَ التَّلَاقِي

(٧٥)

وقلت: [من الكامل]

لِي فِي فُنُونِ الْحُبِّ أَحْسَنُ مَسَلِكٍ وَبِهِ اجْتِهَادِي لَا يَبْكَرُ وَعُمَرُ
فَخُذُوا بِأَقْوَالِي لِصَفْوِ مَشَارِبِي عَنْ لَغْوِ أَفَّاكٍ وَعَنْ كُلِّ الْكَدَرِ
يَزُوي اليرَاعُ عَنِ الْبَنَانِ عَجَائِباً عَنْ بِنْتِ فِكْرِي فِي الدُّجَى طِيبَ الْخَبَرِ

(٧٦)

وقلت: [من الكامل]

يَا مُفْرَداً فِي الْحُسْنِ قَدْ فَتَنَ الْوَرَى قَلْبِي بِحُبِّكَ لَا يَمِيلُ لِمُفْتَرِي
أَخَرْتَنِي لَفْظاً لَدَيْكَ وَرُبَّةً فَمَتَى الضَّمِيرُ يَعُودُ لِلْمُتَأَخَّرِ

(٧٧)

وقلت: [من الكامل]

مَعْمُولُ قَلْبِي مِنْ عَوَامِلٍ لَحِظُهُ بِالْكَسْرِ أَمَسَتْ دَائِماً حَالَاتُهُ
يَا لَيْتَهُ رَفَعَ الْإِسَاءَةَ عِنْدَمَا نَصَبَ الرَّقِيبَ وَوَاصَلَتْ لَحَظَاتُهُ
عَامَلْتَنِي بِالْجَزْمِ فَارْفُقْ يَا رِشاً فِي مُغْرَمٍ قَدْ فَارَقْتَ لَذَاتُهُ

(٧٨)

وقلت: [من الوافر]

وَلَمَّا أَنْ تَفَصَّي عَنْ وِدَادِي وَأَضْرَمَ فِي الْحَشَا نَارَ اشْتِيَاقِي
تَصَوَّرَ فِي فُؤَادِي طُولَ دَهْرِي فَسَيَّانِ التَّبَاعُدِ وَالتَّلَاقِي

(٧٩)

وقلت:

[من الكامل]

مَوْلَايَ إِنِّي صِرْتُ فِي شَرِّكَ الْهُوَى أَبْغِي الْخَلَاصَ فَلَا أَرَى لِي مَخْرَجَا
وَكُلَّمَا أَقُولُ سُلُوَانِي انْقَضَى يَصِيحُ بِي دَاعِي الْجَوَى أَيْنَ النَّجَا
قَدْ حَزْتُ فِي أَمْرِي وَزَادَتْ صَبَوَتِي وَالصَّبْرُ نَاءٍ وَالْمُسَاعِدُ أَذْلَجَا
وَبَقِيَتْ بَيْنَ الْقَطْعِ وَالْوَصْلِ وَبَيْنَ نَ مُشَارِكٍ فِي الْحُبِّ نَارًا أَجَجَا
فَاللَّهُ يُنَحِّنِي بِصَافِي الْوَصْلِ أَوْ يَقْضِي بِسُلُوَانِي فَذَاكَ هُوَ الرَّجَا

(٨٠)

وقلت:

[من الكامل]

حَتَّامَ يَا بَذَرَ التَّمَامِ تُذِيقُنِي مُرَّ الصُّدُودِ وَلَا تَرْقُ لِحَالَتِي
قَدْ ضَاعَ صَبْرِي فِي هَوَاكَ فَصِرْتُ فِي أَقْصَى بَوَادِي التِّيهِ أَنْشُدُ ضَالَتِي

(٨١)

وقلت:

[من الكامل]

هَيْفَاؤُكُمْ سَفَكْتُ دِمَا قُصَادِهَا فَمَضَوْا وَلَمْ يَذَرُوا الْمَسَاءَ مِنَ الْغَدِ
حَيْثُ فَأَخِيَتْ بِالسَّلَامِ مُحِبَّهَا وَسَرْتُ فَأَسْرْتُ فِي الْغَرَامِ تَجَلَّدِي

(٨٢)

وقلت:

[من الكامل]

عَظَّمَ الْهَيْأَمَ فَصَارَ صَعْبَ الْمُرْتَقَى وَنَأَى الْمَزَارُ مَتَى يَكُونُ الْمُلتَقَى
أَحْبَابَنَا كَمْ ذَا الصُّدُودُ تَرَفَّقُوا بِصَبِيبِ دَمْعٍ فِي الظَّلَامِ تَرَفَّقَا

هَجَرَ الْأَنَامَ فَلَا صَدِيقٌ يُزْتَجَى وَجَمِيلُ جَيْشِ الصَّبْرِ مِنْهُ تَفَرَّقَا
فَمَتَى الشِّفَاءُ يَكُونُ لِي بِوَصَالِكُمْ فَبِكُمْ جُنُونِي فِي الْأَنَامِ تَحَقَّقَا

(٨٣)

وقلت :
[من الوافر]
وَلَمَّا أَنْ تَنَاهَى فِي صُدُودِي وَحَمَلَنِي الْهَوَى حِمْلًا ثَقِيلًا
وَلَمْ يَزِفُقْ بِحَالِ الصَّبِّ يَوْمًا وَمَالَ مَعَ الْوُشَاةِ وَلَنْ أَمِيلًا
كَتَمْتُ الْحُبَّ كَيْ أَحْظَى بِوَصْلٍ يَكُونُ عَنِ الصُّدُودِ لَنَا بَدِيلًا

(٨٤)

وقلت :
[من مجزوء الكامل]
يَا بَدْرُ مَا هَذَا الْجَفَا لَمْ أَبْغِ غَيْرَكَ صَاحِبَا
أَسْقَيْتَنِي خَمْرَ الْوَدَا دِوَمِلْتُ عَنِّْي رَاغِبَا

(٨٥)

وقلت :
[من مجزوء الكامل]
بَدْرُ بِحُسْنِ جَمَالِهِ جَعَلَ الْوَرَى فِي حُكْمِهِ
فَتَرَى جَمِيعَ الْعَاشِقِينَ مِنْ مُكَبَّلِينَ بِظُلْمِهِ

(٨٦)

وقلت :
[من الكامل]
شَرَعُ الْجَمَالِ بِذَاكَ أَفْتَى مَا لِلْمَعْنَى فِي الْمَحَاسِنِ مِنْ مَقَرٍ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ سَلْبِي فِي الظُّبَا أَنَّ الْمَلَاحَةَ قَدْ تَنَاهَتْ فِي مُضَرٍ

يَا آلَ مِصْرَ إِنِّ فَقَدْتُمْ يُوسُفَ
 بَدْرُ تَبَدَّى لَوْ رَأَهُ جَدُّهُ
 فِي عَالَمِ الْكَشْفِ تَرَأَى حُسْنُهُ
 يَا مَنْ تُحَدِّثُ عَنْ أَسَاطِيرِ مَضَتْ
 مِنْ لَفْظِهِ السَّحَرُ الْحَلَالُ أَمَا تَرَى
 فَأَتُوا لِإِسْمَاعِيلَ وَاشْكُوا مَا ظَهَرَ
 خَلَعَ الْعِذَارَ وَقَالَ مَا هَذَا بَشَرًا
 فَاذْدَادَ وَجَدَا وَتَسَلَّى بِالسَّمَرِ
 هَذَا الْجَمِيلُ إِلَامٌ تَدْعُو الْمُتَنَظِّرَ
 مَنْ مَاتَ فِيهِ قَالَ ذَاكَ مُحْتَقَرٌ

(٨٧)

وقلت:

[من الرمل]

هَلْ بِحَالِي يَالَ وَدِّي عَلِمَا
 صَاحِ صَبْرِي فِي نَوَاهُ عُدِمَا
 كَامِلٌ فِي الْوُدِّ أَنْ لَوْ سَلِمَا
 فَاتِكَ الْأَلْحَاطِ عِطْرِي الشَّدَا
 فِي لَظَى الْهَجْرَانِ رُوحِي قَدْ رَمَى
 سَلَّ نَسِيمَ الْفَجْرِ عَنِّي كَرَمَا
 آهَ مَنْ لِي بِالْبَعَادِ رَسَمَا
 كُلَّمَا زَادَ اشْتِيَاقِي وَنَمَا
 سَارَ عَنِّي مُذْ فُؤَادِي حُرَمَا
 آهَ لَوْ يَشْفِي الْجَوَى يَوْمًا لَقَدْ
 فَنجومَ اللَّيْلِ أَرْعَى رُبَّمَا
 ظَنَيْتُ أَنَسِي عَنْ وَدَادِي نَفَرَا
 وَدُمُوعِي مِنْ جَفَاهُ نَهَرَا
 مِنْ صُدُودِ دُونِهِ الْمَوْتُ يُرَى
 عَنَبْرِي الْخَالِ نَهَابُ الْكَرَى
 وَلَذِيذَ النَّوْمِ عَنِّي حَجَرَا
 لُطْفُهُ يَخْكِي سَقَامِي سَحَرَا
 وَقَضَى فِي الْحُبِّ حَظِّي وَبَرَا
 وَسَقَانِي الْوَجْدَ ضَيْمًا هَجَرَا
 طِيبَ لُقْيَاهُ وَمَلَّ الْخَبَرَا
 أَرْتَجِي مِنْهُ سَلَامًا عِطَرَا
 أَخْبَرْتُهُ فِي الدُّجَى عَمَّا جَرَى

(٨٨)

وقلت:

[من المتقارب]

وَقَالُوا مَرَادٌ مُحِبٌّ صَدِيقٌ
 فَقُلْتُ لِهَيْتُكِي وَتَرْكِي قَتِيلَا

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

(٨٩)

وقلت: [من الرمل]

صاح لا تسأل لماذا أن هُمُو في الهوى أخلوا المنازل والبلاذ
كلما نادى مُنادٍ منهمو يا جميل الصبر قلنا يا فؤاذ

(٩٠)

وقلت: [من المجت]

حبيب قلبي جفاني والصبر عني تولى
ناديت رفقا بصب بالوصل يخيا وإلا

(٩١)

وقلت: [من مجزوء الرجز]

يا من رماني بالجفا الله حسبي وكفى
قد كنت أرضى باللقا واليوم لي الصّد وفى

(٩٢)

وقلت: [من الرمل]

ما انشئ إلا فؤادي التها أو رنا إلا رقادى نهبا
رئيه باللطف قد جملة ولحسن الخلق طرا سلبا
أه ما لي منصف في ذا الرشا حيث عني بالجمال احتجبا

دَامَ تَهْيَامِي بِهِ فِي مَدَدِ
شِمَتِ الْعُدَّالِ فِي مَفْرَحِهِ
طَارَ عَقْلِي أَيْنَ قَرَّ يَا تُرَى
يَا فَرِيدَ الْحُسْنِ إِنِّي فِي الْهَوَى
فَاطْلُبُوا مِنْ لَحْظِهِ لِي سَبَّأَ
وَلَهُ حُسْنُ التَّجَنِّي نَسَبَا
إِنِّي فِيهِ أَجْدُ الطَّلَبَا
كُلَّ حِينٍ حَافِظُ مَا وَجَبَا

(٩٣)

وقلت:

[من الرمل]

مَاسَ يَزُوهُو فِي رِيَاضِ السُّنْدُسِ
رَاحَتِي مُذْ رَدَّهَا نَادِيَّتُهُ
أَوْجَدَ الْوَجْدُ بِأَحْشَائِي لَهُ
دُمَ حَبِيبِي إِنَّ رُوحِي تَلَفَتْ
إِذْ حَبَا قَلْبِي لَهَيْبِ الْقَبَسِ
يَا مُنَايَ خَلَّ وَعَدَ الْيَسِ
كُلَّ حِينٍ لَوْعَةَ الْمُبْتَلَسِ
فَاحِيهَا مِنْ قَبْلِ قَبْضِ النَّفْسِ

(٩٤)

وقلت:

[من الكامل]

قَبْلَتْهُ شَغَفًا فَقَطَّبَ حَاجِبًا
قُلْتُ الْغَرَامُ لَهُ ضَرُورَاتُ إِذَا
وَقَالَ «عَيْبٌ» مَا فَعَلْتَ وَأَعْرَضَا
حَلَّتْ أَبَاحَتْ مِثْلَ هَذَا بِالْقَضَا

(٩٥)

وقلت:

[من الهزج]

أَتَى وَالْقَلْبُ فِي وَجْدِ
طَلَبْتُ الرَّشْفَ مِنْ ثَغْرِ
فَقَالَ الْعَيْبُ نَأْبَاهُ
بَسَيْفِ اللَّحْظِ مَجْرُوحُ
لَهُ فِي الْقَلْبِ تَبْرِيحُ
فَقُلْتُ الْعَيْبُ مَطْرُوحُ

(٩٦)

وقلت :

[من البسيط]

أَرْسَلْتُ لَحْظًا بِقَلْبِ الصَّبِّ فَتَاكَ
أَطَعْتُ فِيكَ الْهَوَىٰ وَالْبُعْدُ لَمَّا بَدَا
فَسَلَّ نُجُومَ السَّمَاءِ فِي اللَّيْلِ عَنْ قَلْقِي
مُرَادُ نَفْسِي عَلَىٰ مُرِّ الْقَضَا أَبَدًا
بِاللَّهِ قُلْ لِي أَهْلٌ لِلْهَجْرِ مِنْ سَبَبٍ
حَلَلْتَ قَلْبِي وَقَدْ قَالَ الْكَرِيمُ إِذَا أَلِ
مَنْ ذَا الَّذِي بِالْجَفَا يَا بَدْرُ أَفْتَاكَ
لَمْ يُبْقِ لِي فِي الْمَلَا يَا بَدْرُ إِدْرَاكَ
فَهَيَّ تَبْتُ الْجَوَىٰ وَالْوَجْدَ إِيَّاكَ
تَسُومُ صَبْرًا وَلَا صَبْرًا لِمَرَاكَ
أَمْ طَبَعُ حُسْنِ بَدَا فِي لُطْفٍ مَعْنَاكَ
مُملوكُ أَتَوْا فِي الْهَوَىٰ قَلْبًا هَوَىٰ ذَاكَ

(٩٧)

وقلت :

[من البسيط]

يَا رَبِّ هَذِهِ الْعُشَّاقُ أَنْفُسُهَا
لَا تَزْتَجِي الْوَصْلَ وَالْمَحْبُوبُ يُورِدُهَا
فَاللُّطْفُ مِنْكَ يَا مُوَلِي النَّوَالِ فَهَا
فِي مُدَّةِ الْهَجْرِ تَصْلَى النَّارَ فِي سَقَرٍ
شَوْبَ الْحَمِيمِ وَدَمْعُ الْعَيْنِ كَالْمَطَرِ
قَلْبِي الْكَلِيمُ كَمَا صَبْرِي عَلَى الْأَثَرِ

(٩٨)

وقلت :

[من المحدث]

زَفَرَاتُ الْقَلْبِ إِذَا اضْطَرَمَّتْ
وَمَوَاكِبُ عُذَالِي غَرِقَتْ
تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةِ
فِي أَبْحَرِ دَمْعِ جَارِيَةِ

(٩٩)

وقلت :

[من الرمل]

حَيْرَ الْأَلْبَابِ لَمَّا ابْتَسَمَا
ظَنِّي أَنْسِ أَخْجَلَ الْبَدْرَ التَّمَامَ

قُلْتُ لَمَّا أَنْ فُؤَادِي قُسِّمًا
سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ أَوْ فَمَا
جَارَ فِي الْأَحْكَامِ لَمَّا حَكَمَا
مَنْ مُجِيرِي مَنْ مُجِيرِي مَنْ مُجِير
يَا بَدِيعَ الْحُسْنِ يَا مَنْ قَدْ سَبَى
لَا تَعَذِّبْ مُهْجَتِي يَا مُنِيَّي
ذُو غَرَامٍ وَهِيَامٍ وَجَوَى
كُلَّمَا كَفَكَفْتُ دَمْعِي وَكَفَا
عَيْلَ صَبْرِي عِنْدَمَا زَادَ الْجَفَا
لَا أَرَاكَ اللَّهُ مَكْرُوهَ الْهَوَى

هَذِهِ عَادَاتُ أَبْنَاءِ الْكِرَامِ
يَا فُؤَادِي مِنْ جَفَاهُ مِنْ سَلَامٍ
عَاذِلٌ فِي حُبِّهِ أَبَدَى مَلَامٍ
مَنْ نَصِيرِي مَنْ نَصِيرِي فِي الْغَرَامِ
حُسْنُهُ الْوِلْدَانِ فِي دَارِ السَّلَامِ
إِنَّ طَرْفِي فِي الْجَفَا عَافَ الْمَنَامِ
وَكَسَانِي الْوَجْدُ أَثَوَابَ السَّقَامِ
وَتَلَطَّتْ زَفَرْتِي جُنْحَ الظَّلَامِ
يَا فُؤَادِي فَتَعَطَّفَ بِالْكَلامِ
لَا وَلَا أَسْقَاكَ كَاسَاتِ الْهِيَامِ

(١٠٠)

وَقُلْتُ مُخَاطَبًا وَقَدْ شَقَّ الطَّيِّبُ جَفْنَ عَيْنِي الْأَعْلَى لِدَاءٍ كَانَ بِهِ : [من الوافر]

سَقَامِي مِنْ نِفَارِكَ يَا حَبِيبِي
وَدَمْعِي بِالذَّمَا أَمْدَدْتُ حَتَّى
فَلَوْ جُعِلَتْ يَمِينُكَ فَوْقَ طَرْفِي
لَمَا احتَاجَ الطَّيِّبُ إِلَى شِقَائِي

وَجَفَنِي مِنْ صُدُودِكَ فِي الْجِرَاحِ
أَنْ احتَاجَتْ جُفُونِي لِلسَّلَاحِ
وَيُسْرَى فِي الْفُؤَادِ إِلَى الصَّبَاحِ
وَأَسْلَمَنِي إِلَى الْبَيْضِ الصَّفَاحِ

(١٠١)

وَقُلْتُ أَيْضًا:

حَبِيبِي بِالصُّدُودِ جَرَحْتَ قَلْبِي
فَهَا جُرْحُ الطَّيِّبِ عَلَى شِفَاءِ

وَجَفَنِي لِلدَّوَا جَرَحَ الطَّيِّبُ
مَتَى جُرْحُ الطَّيِّبِ بِكُمْ يَطِيبُ

(١٠٢)

وقلت مُطَرِّزاً:

[من الوافر]

وَأَلْحَاظٍ بِهَا حَنْفِي نَزِيلُ	صَبَا قَلْبِي لِأَحْدَاقِ تَصُولُ
بِرُمَحِ الْقَدِّ فِي الْأَحْشَا يَجُولُ	فُتِنْتُ بِلَوْعَةِ الْأَشْجَانِ لَمَّا
عَنَاءُ الْحُبِّ جَدَوْلُهُ طَوِيلُ	وَلَوْعٌ بِالنَّفَارِ فَيَا فُؤَادِي
بَخْمَرِ الْحُبِّ كَيْ يُشْفَى الْغَلِيلُ	تَسَلَّى عَنْ مَلَامَاتٍ بِظَنِّي
فَقَلْبِي فِي الْهَوَى صَبٌّ دَخِيلُ	أَلَا يَا طَرْفَهُ الْفَتَّانَ رَفَقاً
يُكَاتِمُهُ الْعَقِيقُ وَيَسْتَطِيلُ	فَقَدْتُ الصَّبْرَ مَا بَرَقَ الشَّيَا
وَبِالْعُشَّاقِ يَزْدَادُ النُّحُولُ	نَسِيمٌ وَصَالِهِ لِلْغَيْرِ يَشْفِي
أَمْ الدَّهْرُ بِلُفْيَاهُ بَخِيلُ	دَلَالٌ أَمْ تَجَنِّي مَا تَبَدَّى
وَيُحْيِينِي وَإِحْيَائِي قَلِيلُ	يُرِينِي الْمَوْتَ فِي حَرْبٍ وَسَلَمٍ

(١٠٣)

وقلتُ، وقد سألتُ عن سببِ الصُّدودِ، فقال: الأمرُ ظاهر:

[من مجزوء الكامل]

ظَبْيٌ يَسْلُبُ اللَّبَّ ظَافِرُ	أَبْدَى التَّجَنِّي وَالْقِلَا
يَا مُهْجَتِي فَالْأَمْرُ ظَاهِرُ	فَوَصَالَهُ لَا تَزْتَجِي

(١٠٤)

وقلت:

[من مجزوء الكامل]

نِي عَنْ وِدَادِي مَنْ أَمَالِكُ	يَا غُصْنِ بَانَ قَدْ سَبَا
وَهَوَاكَ قَلْبِي قَدْ تَمَالِكُ	أَنَا مِنْكَ فِي حُرْقِ الْجَوَى

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ مَنْ
يَا قَلْبُ عَنْ وِدَادِهِ
شَارَكْتَ فِي هَجْرِي الْمَدَى
دَمْعِي شَكَالِي فَيَضَهُ
بِاللَّهِ خَفَّفَ مَنْ أَرَدَ
كَمْ بَيْتٌ فِي جُنْحِ الدَّيَا
وَالآنَ خَلِي قَدْ قَطَعْتَ الـ
إِنِّي طَرِيحٌ مِنْ سِهَا
رُوحِي لَقَدْ مُلِّكْتَهَا

أَفْتَاكَ إِتْلَافِي حَلَالِكَ
لَا تَنْشِي مَهْمَا أَسَا لَكَ
وَتَرُكُ وَدِّي قَدْ حَلَا لَكَ
فَقُلْتُ ذَا مِمَّنْ أَسَا لَكَ
تَ بَقَاءَ رُوحِي لِي مِطَالِكَ
جِي قَبْلَهَا أَرْغَى وَصَالِكَ
وُودٌ مُذْ تُبْدِي دَلَالِكَ
مِ الْجَفْنِ فَاكْفُفْ لِي نِصَالِكَ
فَاصْنَعْ بِشَأْنِي مَا بَدَا لَكَ

(١٠٥)

وقلت:

[من الرجز]

وَشَادِنٍ قَدْ سَلَبَ النَّوْمَ الْهَنِي
مَا حِيلَتِي فِي حُبِّهِ إِنِّي بِمَا
أَضَرَّ بِالْقَلْبِ تَوَالِي صَدِّهِ
عِنْدَ التَّجَنِّي وَأَتَى بِالشَّجَنِ
يَرْضَاهُ رَاضٍ فِي جَمِيعِ الزَّمَنِ
مَنْ مُنْصِفِي وَالْحُبُّ قَدْ هَيَّيَنِي

(١٠٦)

وقلت مُحَمَّسًا:

[من الكامل]

ظَبْيِي مِنَ الْأَتْرَاكِ حَيًّا بِالْأَسْلِ
لَمَّا رَمَى قَلْبِي بِأَنْوَاعِ الْعِلْلِ
فِي لَحْظِهِ الْفَتَّانِ قَدْ رَقَّ الْغَزَلُ
(خَاطَبْتُ مَعْسُولَ الرِّضَابِ وَقُلْتُ هَلْ
مِنْ رَشْفَةٍ تَشْفِي الْحَشَا بِشِفَائِهَا)

نَادَيْتُ وَالشَّوْقُ الْمُبَرِّحُ لَازِمٌ
وَالصَّبْرُ بَانَتْ مِنْ نَوَاهِ عِلَائِمُ

رَفَقاً بِصَبِّ فِي الْمَحَبَّةِ هَائِمُ (فَأَجَابَنِي وَالثَّغْرُ مِنْهُ بِاسْمِ
مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَائِهَا)

(١٠٧)

[من الخفيف]

وقلت:

فِي التَّصَابِي أَطَالَ حَبِّي بِعَادِي وَسَلَانِي فَالْوَجْدُ أَضْنَى فُؤَادِي
يَاغْزَالاً مَا لِي سِوَاهُ حَبِيبُ إِنَّ هَجْرِي لَقَدْ أَطَالَ سُهَادِي
قَدْ كَوَانِي حَرُّ الْجَوَى وَسَبَانِي لِيَنْ قَدْ فَضَاعَ مِنِّي رَشَادِي
شَامَ حَالِي فَكَلَّمَا رَقَّ عَطْفَا تَاهَ دَلًّا وَأَطَاعَ رَأْيَ الْأَعَادِي
أَنْتَ تَذَرِي أَحْوَالَ أَهْلِ التَّصَابِي فَإِلَامَ أَشْكُو وَالْجَفَا فِي اِزْدِيَادِ
لَوْ دَرَى مَنْ تَهْوَاهُ أَنِّي كَيْبُ كُنْتُ يَوْمًا أَشْكُوهُ مِنْكَ التَّمَادِي
يَا حَبِيبَ الْحَبِيبِ كُفَّ التَّجَنِّي عَنْ مُرَادِي فَقَدْ أَضَاعَ وَدَادِي

(١٠٨)

[من الطويل]

وقلتُ مُشْطَرًّا:

(فَلَمْ يُبْقِ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرٍ) وَلَوْعَاتٍ تَذْكَارٍ بِهَا قَلَقَ الْوَرَى
تَفَانَتْ دُمُوعِي فِي الصَّبَابَةِ وَالْجَوَى (فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي بِكَيْتُ تَفَكُّرًا)

(١٠٩)

[من الطويل]

وقلتُ أَيْضاً مُشْطَرًّا:

(وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ) غَدَاةَ النَّوَى حَيْثُ الْحَبِيبُ مُودِّعُ
أُعَانِي جَوَاهُ وَالْبُكَاءُ مُسَاعِدِي (عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ)

(١١٠)

وقلت:

[من الكامل]

أَيَحِلُّ فِي شَرْعِ الْهَوَى قَتْلُ امْرِئٍ بَاعَ الْحَيَاةَ وَطَيْبَهَا بِرِضَاكَ
كُلُّ الْمِلَاحِ إِذَا ذَكَرْتُ جَمَالَهُمْ كُنْتَ الْمُرَادَ وَهْنٌ فِي مَعْنَاكَ

(١١١)

وقلت:

[من الكامل]

بِأَبِي غَزَالٍ حِرْتُ فِي أَوْصَافِهِ خَجَلْتُ قُدُودُ الْبَانِ مِنْ أَعْطَافِهِ
لَذُنُ الْقَوَامِ إِذَا تَنَنَى وَانْتَنَى يَسْقِي جُيُوشَ الصَّبْرِ مَرَّ زُعَافِهِ
يَا قَلْبُ حَسْبُكَ مِنْ نِبَالِ جُفُونِهِ فَدَعَ التَّشْكِي فِي الْهَوَى أَوْ صَافِهِ
يَا طَالَمَا غَازَلْتُهُ كَيْمَا أَرَا هُ مُنْصِفاً فَقَتَلْتُ فِي إِنْصَافِهِ

(١١٢)

وقلت:

[من الكامل]

وَالنَّجْمُ مِنْ أَفْقِ الْجَمَالِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَبَّ فِي الْغَرَامِ بِكُمْ هَوَى
مُنْتَسِكٌ وَفَى اعْتِقَادَ وَدَادِكُمْ جَزْماً وَفِي شَرْعِ الْمَحَبَّةِ مَا غَوَى
خَافَ الرَّقِيبَ فَكُفِّفَتْ عِبْرَاتُهُ فَازْدَادَ شَوْقاً وَالْهَوَى حَلَّ الْقَوَى
يَا لِلْغَرَامِ مَنْ لِمُهْجَةٍ ضَيْعَمٍ فَتَكَ الْغَزَالُ بِهَا بَوَادٍ مِنْ طَوَى
مَنْ يَعْشِقُ الْأَحْدَاقَ وَالسَّحَرَ ثَوَى بَيْنَ الْجُفُونِ صَادَهُ شَرَكُ النَّوَى
بَيْنَ الْقُدُودِ وَبَيْنَ أَحْدَاقِ الْمَهَا تَلْقَى الْمَيِّتَةَ وَالْمُنُونَ لَقَدْ ثَوَى
وَيَحِ الْعَذُولِ وَفِي الْمَلَامِ أَضْرَنِي وَيَلِ الرَّقِيبَ فَإِنَّهُ قَلْبِي كَوَى

يَشْفِي كَثِيبَ الْحَبِّ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى
عَنْ جَابِرٍ لِلصَّنْعَةِ الْغَرَّا رَوَى
وَادِي الْعَقِيقِ وَلُطْفُ بَانَاتِ اللّوَى
يَوْمَ النَّجِيعِ لَشَيْخٍ نَجْدٍ قَدْ رَوَى
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُهَا فَقَدْ عُرِفَ الْهَوَى
عَنْ غَيْرِكُمْ فِي الْحَبِّ صَوْماً قَدْ نَوَى
غُدْرَانٍ أَوْدِيَةِ الْعَقِيقِ وَمَا حَوَى

هَلْ أَنْتَ أَغْمَى عَنْ خُدُودِ وَرْدُهَا
ذَابَ التُّصَارُ بِهَا مِنَ الْمَاءِ الَّذِي
وَحِبَا الدَّرَارِي بِالْعَقِيقِ فَحَبَّذَا
يَا طِيبَ يَوْمٍ بِالْأَرَاكِ وَآهِ مِنْ
يَبْكِي مَعَاهِدَ رَسْمِ أَطْلَالِ اللّوَى
وَارْحَمَتَاهُ لِمُغْرَمٍ يَشْكُو الْجَوَى
يَشْكُو الْأَوَامَ وَلَمْ يَجِدْ رِيّاً سِوَى

(١١٣)

[من البسيط]

وقلت مُطَرِّزاً:

لَوْ أَنَّ نَجْمَ الشَّهَا يَذْنُو إِلَى أَمْلِي
دَمْعِي لَدَى هَجْرِكَ الْمَوْصُولِ بِالْمَلَلِ
يُهْدِي سَلَامَ الَّذِي بِالْبُعْدِ فِي وَجَلِ
وَقُلْ قَتِيلُ الْهَوَى قَدْ صَارَ فِي خَبَلِ
دُمُوعٍ مُقْلَتِهِ تَجْرِي عَلَى عَجَلِ

(م) مَالِي لَدَى وَعْدِكَ الْمَمْطُولِ مِنْ حَبْلِ
(ح) حَمَلْتُ فِيكَ الْأَسَى وَالْوَجْدَ حِينَ جَرَى
(م) مَنْ لِي بِخَلٍّ يَرَى الْمَعْرُوفَ مَنْقَبَةً
(و) وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّاتَنَا
(د) دَعَاهُ دَاعِي الْجَوَى لِلْوَجْدِ فَاَنْبَعَثَتْ

(١١٤)

[من الكامل]

وقلت:

دَمْعاً يَنْسُمُ وَزْفَرَةً تَكَاثَرُ
أَنْ تَحْمِلَ التَّسْلِيمَ عَنْهُ عِبَاهِرُ

مَهْمَا تَكَلَّفَ لِلسُّلُو تَرَى لَهُ
وَسَقَى الرِّيَاضَ بِدَمْعِهِ الْمَطْلُولِ كَيَ

(١١٥)

وقلت :

[من الوافر]

أَلَذُّ الْعِشْقِ مَا كَانَ الْحَبِيبُ يَرَى الْهَجْرَانَ طَبْعاً بِالذَّلَالِ
وَأَدْنَاهُ بِشَرِّ الْحُبِّ عِنْدِي إِذَا وَافَى وَأَكْثَرَ مِنْ وَصَالِي

(١١٦)

وقلت :

[من الوافر]

جَلَسْنَا فِي رِيَاضِ الْأُنْسِ صُبْحاً وَدَارَ الْكَأْسِ بِالشَّايِ عَلَيْنَا
طَرَبْنَا مِنْ صَفَاءِ الْوَقْتِ لَكِنْ مِنْ السَّاقِي رَأَيْنَا الْبُعْدَ دَيْنَا

(١١٧)

وقلت :

[من الوافر]

وَسَاقِي دَارَ بِالْكَاسَاتِ صُبْحاً يَزُولُ الْهَمُّ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ
وَمَا مِنْ لُطْفِهِ قَدْ قُلْتُ هَذَا وَلَكِنْ كَانَ مِنْ ضَحِكِ عَلَيْهِ

(١١٨)

وقلت مفرداً :

[من الوافر]

لَقَدْ زَعَمُوا بَأْنِي ذُو اجْتِهَادٍ لَقَدْ صَدَّقُوا وَلَكِنْ فِي هَوَاكََا



الفصل الرابع في بعض ما قلت في الرسالة والباقي لبست بمسودته أيدي الذريات

(١١٩)

فقلتُ وقد أرسل إليَّ بعضُ الأحابِ، وأنا بمدينة دمشق في مدرسة
الحديثِ الأشرفية، كتاب: «حديقة الأفراح لإزالة الأتراح» أخاطبه، وكان
يُسمِّي نفسه: ابن الصَّباة، ويكنى بالطَّبائي:

ألا يا بن الصَّباة يا سَميري إذا عبثَ الهيامُ بقلْبِ صَبٍّ ومَن بالعِشقِ سكراناً خليعاً وطبني بالنِّقارِ أيا طبائي يُكنِّي بالوصالِ عَنِ التَّجافي بِراني الحُبُّ مِنْ شوقي إليه أليفٌ للتَّفَرُّدِ مِنْ شُجُونِي نأزَلْتُ الحَديقَةَ كَي تُسَلِّي نأدَمْتُ الهَزَارَ فَناحِ نَوْحِي	كَلانا في الهوى نَشْكُو الغَراما ولُوعٍ في المَحَبَّةِ لَنْ يُلاما بِخَمَرِ الحُبِّ للعَلِيا تَسامى يرى وَصَلَ المُحِبِّ لَهُ حَراما لِظَمَانِ المَحَبَّةِ حَيْثُ لَما كَأَنِّي بالصَّباةِ صِرْتُ لَما فَما طَرَفِي يَرى أَبداً مَناما فُؤادي عِندَما تَرحي أَقاما حَمامُ الأيِّكِ وابْتَدَرَ السَّلاما
---	--

وَشَبَّبَ بِالْغُصُونِ نَسِيمُ مَعْنَى
وَأَظْهَرَ لِي الْبَدِيعُ بَدِيعَ لَفْظٍ
إِلَى الْأَحْبَابِ بِالْأَرْوَاحِ جُذُنَا
فَبُحَّ بِالشَّوْقِ يَا خِلِّي وَنَادِي
يُزِيحُ الْكَرْبَ مِنْ نَفْحِ الْخَزَامَى
فَخِلْتُ الْبَذَرَ يَسْقِينَا الْمُدَامَا
فَيَالَيْتَ الْفُؤَادَ لَنَا اسْتَقَامَا
كِلَانَا فِي الْهَوَى نَشْكُو الْغَرَامَا

(١٢٠)

وقلت مُرَاسِلاً، وقد أُرسلَ إِلَيَّ بعضُ الأحبابِ رسالةً ورَقَّها أَصْفَرُ:

[من الكامل]

مِنْ بَعْدِ نَفْيِ الْقُرْبِ عَنِّي وَالْكَرَا
تَاللَّهِ مَا وَدَّيَ عَلَى طُولِ الْمَدَى
وَرَسَائِلُ الْأَشْوَاقِ تَقْضِي بَيْنَنَا
عَهْدِي مَصُونٌ لَا يُشَانُ بِرَبِيبَةٍ
أَرْسَلَتْ لِي قِرْطَاسَ وَدِّي أَصْفَرَا
مِنْ بَعْدِ عَهْدِ الْحُبِّ فِيكَ تَغْيَرَا
وَتَنْمُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ تَسْتَرَا
إِنْ كَانَ مِنْهْلِكَ الشَّهِي تَغْيَرَا

(١٢١)

وقد اسْتَعَرْتُ مِنَ الشَّيْخِ عَارِفِ الْمَنِيرِ جُزْءاً مِنْ «تَارِيخِ الْمَرَادِي» فَأَبْطَأَ
عَلَيَّ بِإِرْسَالِ بَقِيَّةِ التَّارِيخِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

[من مجزوء الكامل]

يَا فَرِيداً فِي الْمَعَالِي
خَادِمُ الْأَفْضَالِ يَرْجُو
يَا حُسَيْنِي الْأَعَادِي
مِنْكَ إِتِمَامَ الْمُرَادِي

(١٢٢)

وَأَرْسَلُ إِلَيَّ الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ صَالِحُ أَفْنَدِي طَه رسالةً تَتَضَمَّنُ قَصِيدَةً
مَطْلَعُهَا:

[من الرجز]

يَا صَاحِبِي إِشْرَحْ لَنَا أَخْبَارَكُمْ
فَالصَّبُّ يَرْجُو أَنْ يَرَى أَسْرَارَكُمْ

فأجبتُهُ مراسلاً بقولي :

[من الرجز]

يا بَارِقاً مِنْ نَجْوٍ وَمَا زَارَنَا
وَأَشْرَحَ لَهُ أَخْبَارَنَا مِنْ قَبْلِ مَا
مَنِي السَّلَامُ الزَّاهِرُ الزَّاكِي الَّذِي
يَا طَيِّبَ أَوْقَاتٍ مَضَتْ عَنَّا وَإِنْ
يَا سَائِلاً عَنِ حَالَتِي مِنْ بَعْدِهَا
أَوَّاهُ مَالِي مُنْصِيفٌ خَلِّي لَدَى
يَسْقِي كُؤُوسَ الْحُبِّ سَاجِي لَحْظِهِ
وَكَمْ تَرَاهُ عَابِثاً حِينَ يَرَى
عَنْ خَضْرَاهُ نَزْوِي أَوْيَقَاتِ الصَّفَا
مُذْ مَلْنَا فِي الْحُبِّ نَادَى هَلْ لَكُمْ
كُنَّا لَهُ فِي الْحُبِّ أَوْفَى مَنْ وَفَى
قَدْ كُنْتُ فِي أَسْرِ الْغَزَالِ الْأَغْيَدِ
وَالْيَوْمَ خَلِّي قَدْ تَرَكْتُ ذِهِ وَذَا
أَلْزَمْتُ فِي جَمْعِ الْعُلُومِ هِمَّةً
نَشْوَانَ مَا بَيْنَ الْحَوَاشِي وَالشُّرُ
بَيْنَ الْأُصُولِ وَالْمَعَانِي وَقَفَةً
مَا الْبَدْرُ قَصْدِي أَوْ غَزَالٌ فَاتِنٌ
يَا وَيْحَ أَيَّامٍ مَضَتْ عَنَّا وَلَمْ
مَا الدَّهْرُ إِلَّا مَنْجُنُونَ فَانْتَبَهَ
دَعْنَا خَلِيلِي مِنْ زَمَانٍ قَدْ مَضَى
يَا سَيِّدَ السَّادَاتِ أَرْجُو نَظْرَةَ

خُذْ عَنْ قَرِيبٍ لِلشَّجِي أَخْبَارَنَا
تَزْوِي لَهُ عَنْ ذَا الرِّشَا أَشْعَارَنَا
يُهْدِي لِخَلٍّ لَفْظُهُ قَدْ زَارَنَا
كُنَّا نَسِينَا لُطْفَهَا يَا عَارَنَا
فَارْقُتْكُمْ فِي ذَا الرِّشَا يَا نَارَنَا
ظَبْيٍ سَبَى لَمَّا رَنَا أَقْمَارَنَا
مَمْزُوجَةً بِالْمَوْتِ يَا أَخْيَارَنَا
أَجْفَانَهُ قَدْ حَيَّرَتْ أَخْبَارَنَا
وَرَدَّفُهُ يَزْوِي لَنَا أَوْزَارَنَا
مِنْ شَافِعٍ مُسْتَسْهِلٍ أَخْطَارَنَا
حَتَّى سَنَا الْعَلِيَا ثَنَى أَطْوَارَنَا
أَشْكُو مَرَارَاتِ النَّوَى يَا جَارَنَا
حُبِّ الْغَوَانِي أَوْ غَزَالاً زَارَنَا
أَمْسَتْ تُنَاجِي فِي الدُّجَى أَفْكَارَنَا
حِ الْبَاهِرَاتِ أَشْغَلَتْ تَذْكَارَنَا
تَشْكُو لَنَا غَبَّ الشُّرَى أَسْرَارَنَا
أَوْ غَادَةً قَدْ أَصْلَحَتْ أَوْتَارَنَا
نَقْضِي بِهَا يَا خِلْنَا أَوْطَارَنَا
يَا صَاحِبِي فَهَوَ غَدَا سِمَسَارَنَا
فِي سُوءٍ فِعْلٍ وَلِنَقْلُ مَهْمَا رَنَا
يَمْحُو سَنَاهَا سَيِّدِي أَكْذَارَنَا

(١٢٣)

وقلت مُراسِلاً - أيضاً - :

[من الكامل]

هَلْ يَا تُرَى حَالِي لِحَالِكَ تَزَجَمَا
أَمْ تِلْكَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ مَوَدَّةٌ
أَمْ ذَاكَ إِخْلَاصُ الْوِدَادِ لَنَا انْتَمَى
نَعَمْ لَدِينَا فِي الْمَحَبَّةِ شَاهِدٌ
قَدْ جِئْتَنِي تَشْكُو الْغَرَامَ لِمُدْنَفٍ
يَا لَهْفَ قَلْبِي وَالْهُمُومُ تَكَاثَرَتْ
وَمَكَائِدُ الْحَسَادِ تَرْمِي أَسْهُمَا
لِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِي أَحْسَنُ مَسْلِكٍ
بَدْرٌ لَهُ شَيْمُ اللَّطَافَةِ مِثْلُ مَا
يَا فَائِقَ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ وَمَنْ بِهِ
لَا تَحْسَبْنِي عَنْ وِدَادِكَ رَاغِبٌ
إِنِّي وَحَقِّكَ فِي الصَّدَاقَةِ صَادِقٌ
فَاهْنَأُ بِوُدٍّ مِنْ لَيْبٍ حَازِقٍ
فِي كُلِّ فَنٍّ إِنْ تُحَاوَلُهُ تَجِدُ
وَذَاكَ مِنْ مَنِ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ

مُذْ عَزَّ صَبْرِي فِي الْغَرَامِ وَأَحْجَمَا
أَضَحَتْ بِحُسْنِ الْوُدِّ مِنْكَ تَتِيَّمَا
فَسَرَى لِصَفْحَاتِ الْقُلُوبِ مُنْسَمَا
مِنْ قَبْلِ أَنْ أَلْقَاكَ يَا بَدْرًا سَمَا
فَأَنَا لِمَنْ أَشْكُو وَأَبْكِي عِنْدَمَا
وَالْعَيْشُ مُرٌّ وَالزَّمَانُ كَمِثْلِ مَا
فَيَرُدُّ فِي أَحْشَائِهِمْ حَظِي دَمَا
فِي فَائِقٍ فِي كُلِّ مَجْدٍ قَدْ سَمَا
نَظْمُ اللَّالِي بِالْجُمَانِ تَنْظَمَا
عَقْدُ الْفَصَاحَةِ وَالنَّبَاهَةِ أُحْكَمَا
أَوْ مُعْرِضٌ لَا وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَا
لَا أُرْتَضِي نَقْضَ الْوِدَادِ تَبَرُّمَا
بَحْرِ بِأَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ قَدْ طَمَى
بَدْرَانِ قَدْ حَازَ الْفُنُونَ وَأَحْكَمَا
مَوْلِي الْعَطَاءِ لِمَنْ بِسَاحَتِهِ ارْتَمَى

(١٢٤)

وقلت - أيضاً - مُراسِلاً الأديب الشاعرَ صالح الأفندي طه الدوماني

[من البسيط]

ومُهَنَّتْ لَهُ بِالزَّفَافِ :

كَيْفَ احْتِيَالِي وَمَا وَفَى بِمَا وَعَدَا ظَنِّي أَرَانِي بِهِ غَيِّ الْهَوَى رَشَدَا

يُغْضِي دَلَالًا وَأَقْضِي مِنْ مَحَاسِنِهِ
أَقُولُ صَلْنِي يُجَاوِزْنِي مُدَاعِبَةً
لَا تَسْقِنِي عَاذِلِي خَمَرَ الْمَلَامِ بِهِ
لِلَّهِ أَوْقَاتٌ مَضَتْ فِي حُبِّهِ فَلَهَا
أَيَّامٌ وَضَلَّ بِهَا نَحْسُو مُشْغَشَعَةً
وَالْأَيْكَ تُطْرِبُنَا حَيْثُ الْغُصُونُ دَنَتْ
وَالنَّجْمُ يَزْهُو لَنَا كَيْمَا نُقْلِدُهُ
نَشْفِي غَلِيلَ الْجَوَى وَاللَّيْلُ نَقَطْعُهُ
حَتَّى تَنَاءَتْ بِنَا رُحْبُ الدَّيَارِ فَيَا
يَا لَيْتَنِي بَعْدَكُمْ أَذْرِي أَكَانَ مَضَى
قَدْ كَانَ وَضَلُّهُمْ يَشْفِي لِدَاءِ جَوَى
دَاوُدَ مَجْلِسِنَا مِنْ بَعْدِ مَا بَعْدَتْ
يَا مَنْ غَدَا خَالِيًا وَالسَّعْدُ خَادِمُهُ
أَحْوَى سَبَانِي عَلَى الْغَادَاتِ مَلَكُهُ
فَهَلْ يُعِينُ الضَّنَى فِي سُوءِ مَطْلَبِهِ
يَحْلُو مَرَارُ النَّوَى فِي ذَوْقِهِ وَلَهُ
سَامَ الْهَوَى فَهَوَى فِي بَحْرِ لُجَّتِهِ
لَا يَزْتَجِي مُنْصِفًا أَنَّى يَكُونُ لَهُ
نَعَمَ لَهُ فِي الْجَوَى خِلٌّ يُسَاعِدُهُ
لِكُلِّ مَجْدٍ رَفِيعٍ صَالِحٍ وَلَهُ
وَنَظْمُهُ قَدْ حَوَى مَعْنَى الْبَدِيعِ كَمَا
يَنْمُونُ طَالِعُهُ بِالسَّعْدِ مُقْتَرِنٌ

لَوْعَاتٍ وَجَدَ بِهَا صَبْرِي لَقَدْ نَفِدَا
مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلَا تَرْثِي لِمَا وَجَدَا
فَإِنَّنِي فِي الْهَوَى لَا صَحْوٌ لِي أَبَدَا
فَوْقَ السَّمَاءِ سَنَا لَا يَنْتَهِي مَدَدَا
تُزِيلُ رَسَمَ الضَّنَا وَالكَأْسُ مَا نَفِدَا
شَوْقًا لِمَجْلِسِنَا وَالْمَاءُ قَدْ جَمَدَا
عُقُودَ نَجْمٍ لَهَا بَدْرُ الدُّجَى حَسَدَا
بِالْأُنْسِ وَالْوُدِّ فِيمَا بَيْنَنَا وَرَدَا
شَوْقًا لِمَا قَدْ مَضَى مِنْ أُنْسِنَا حَفَدَا
وَدَادُنَا أَمْ هُمُو لَامُونَنَا حَرَدَا
حَتَّى اسْتَبَانَ الْجَفَا فَمَا عَدَا وَبَدَا
أَيَّامُ قَهْوَتِنَا دِرْعَ الْجَفَا سَرَدَا
أَذْرِكُ أَخَاكَ الَّذِي لِلْعَيْشِ قَدْ زَهَدَا
سُلْطَانُ حُسْنٍ لَدَى مَنْ حَلَّ أَوْ عَقَدَا
عَلَى الْكَيْبِ الَّذِي مَا طَرَفُهُ رَقَدَا
جُنَحَ الدِّيَاجِي زَفِيرٌ لِلدَّمَا رَعَدَا
صَارَتْ لِمُرِّ النَّوَى أَفْكَارُهُ قَدَدَا
وَالْعَاذِلُونَ عَلَى تَشْتِيهِهِ لِبَدَا
إِذَا مُرَادُ الْجَفَا إِتْلَافُهُ قَصَدَا
سَحْبَانُ أَهْلِ الذِّكَا فِي فَضْلِهِ شَهَدَا
لِنَثْرِ جَوْهَرِهِ أَوْجُ الْعُلَا سَجَدَا
يَزْهُو لِنَاظِرِهِ فِي نَوْرِهِ صَعَدَا

يا صَالِحاً لِلْعُلَا بِاللُّطْفِ دُمْتَ فَلَا زَالَتْ لَكَ النُّعْمَى لَا تَنْتَهِي عَدَدَا
بُشْرَاكَ عُرْساً لَهُ بِالْعِزِّ مَنْزِلَةٌ فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَتْ تَزْهُو لِمَنْ نَشَدَا
نُورُ الصَّافَا عَنْ سَنَا تَأْرِيجِهِ بَدَلَا (حَيْثُ الْهَنَا لِلْمُنَى وَالْعِزُّ قَدْ وَرَدَا)

(١٢٥)

وَقُلْتُ فِي صَدْرِ كِتَابٍ أَرْسَلْتُهُ إِلَى الْعَلَامَةِ الْفَاضِلِ الْأَدِيبِ الشَّيْخِ عَبْدِ
الْفَتْحِ الْمَحْمُودِيِّ اللَّادِقِيِّ صَاحِبِ دِيْوَانِ «سَمِيرِ الْفَوَادِ» وَغَيْرِهِ مِنْ
الْمُؤَلَّفَاتِ نَظْماً وَنَثْراً: [من الكامل]

يُهْدِي السَّلَامَ أَخُو الصَّبَابَةِ مَنْ غَدَا مَأْسُورَ وَجْدٍ لِلخَيَالِ الطَّارِقِ
إِنِّي وَحَقِّكُمْ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا شَوْقِي إِلَيْكُمْ كَالْمُحِبِّ الْعَاشِقِ
إِنْ لَمْ أَكُنْ أَحْظَى بِنُورِ سَنَائِكُمْ فَكَلَامُكُمْ أَهْدَى الْجَوَى لِلْوَامِقِ
يَا أَوْحَدَ الْعُلَمَاءِ وَالْبَدْرُ الَّذِي أَخْفَى بِنُورِ الْفَضْلِ ضَوْءَ الشَّارِقِ
وَمَنْ الَّذِي مَلَأَ الْمَسَامِعَ صَيْتُهُ وَسَمَا عَلَى الْجَوَازِ دُونَ مُرَافِقِ
لَا زِلْتُ غَيْثَ الطَّالِبِينَ تُفِيدُهُمْ دُرَرَ الْعُلُومِ بِنُورِ عَوْنِ الْخَالِقِ

(١٢٦)

وَقُلْتُ مُرَاسِلاً لِبَعْضِ الْأَصْحَابِ، وَاسْمُهُ نُورِي بَكْ، وَكَانَ فِي حَلَبِ:

[من الوافر]

سَأَلْتُ الْمَجْدَ هَلْ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ تَقُولُ لَهُ الْمَرَاتِبُ أَنْتَ نُورِي
يُفُوقُ الْبَدْرَ فِي شَرَفٍ وَفَضْلِ وَطِيبِ الْمَكْرُمَاتِ فَقَالَ نُورِي

(١٢٧)

وقلت مراسلاً - أيضاً - :

[من الكامل]

بِالْحَمْدِ مَا بَزَغَ الْهَلَالُ أَصْرَحُ
وَأَرَى الْمَدِيحَ عَلَيَّ ضَرْبَةً لَازِبِ
نُورِي الْفَضَائِلِ شَمْسُ أَهْلِ زَمَانِهِ
لَا حَصَرَ لِي لِمَدِيحِهِ فِي حَالِهِ
فَاللَّهُ يُتَحِفُهُ الْمَقَاصِدَ وَالْمُنَى
وَيُجِلُّهُ هَامَ الْمَعَالِي مَا بَدَتْ
وَأَدْوَمُ فِي شُكْرِي الْجَمِيلِ الْوَحْ
لِكَمَالِ مَنْ بِمَدِيحِهِ أَتَرَجَّحُ
مَنْ نُورُهُ فَوْقَ الْغَزَالَةِ أَوْضَحُ
إِنْ رُمْتُ أَبْدَعُ بِالْكُنَى وَأَصْرَحُ
وَيُدِيمُهُ وَهُوَ الْأَعَزُّ الْأَصْلَحُ
أَهْلُ الْمَفَاخِرِ بِالْمَآثِرِ تُمَدِّحُ

(١٢٨)

وقلت في صدرِ رسالة :

[من الوافر]

عَلَى بَيْرُوتَ مِنِّي كُلَّ وَقْتِ
وَسَاعِدَهَا نَسِيمُ الْأَنْسِ دَوماً
سَلامٌ عَرَفُهُ كَالْمِسْكِ عَابِقُ
إِذَا أَمْسَى بِذَلِكَ الرَّبْعِ فَائِقُ



الفصل الخامس والسنة والانس

الحادي عشر على وزير

بعض الغزل، وزجج التاريخ، وجرىال الضجة، وحبسوا الزهور
بحسب ما وجد، وإن كان جله قد فقد
وبه ختام النظم الرشيقي، والمورد الشقي

(١٢٩)

قلت :

[من الكامل]

ما بعد جلق للغرام مرام
لكنما الأقدار تفعل ما تشا
وغيرها وطن علي حرام
صبرا جميلا والكلام كلام

(١٣٠)

وقلت^(١) :

[من الوافر]

إلهي بالشفيع وصاحبي
وبالبيت العتيق وقاصديه
وبالآل الكرام الطاهرينا
تريح القلب مما قد يقاسي
وبالعلماء الكرام العاملينا
فهذا العمر بالأكدار يمضي
فأي الهمة إلا قد بلينا
وكم يصفو شراب الشاريننا

(١) انظر تعليقنا (ص : ١٣٣).

أَلَفْتُ حَوَاسِدِي فَازْدَدْتُ غِيظًا وَزَادَ الْبُعْدُ كَيْدَ الْأَقْرَبِينََا
 غَرِيبٌ لَسْتُ أَلْقَى لِي صَدِيقًا فَرِيدٌ لَسْتُ أَلْقَى لِي مُعِينًا
 فَإِنِّي بَيْنَ أَتْرَابِي ذَلِيلٌ يَرَوْنَ عَدَاوَتِي فَتَحًا مُبِينًا
 بُلِيتُ بِكُلِّ مَا أَلْقَاهُ مُرًّا وَضِيقُ الْعَيْشِ يَكْفِي الْأَجْمَعِينََا

(١٣١)

وقلت مؤرخاً: [من الكامل]
 زُرْ تُرْبَةَ الْقَاعِ الَّتِي مِنْ طِيبِهَا يَتَأَرَّجُ الرِّضْوَانُ مِنْ دَارِ النَّعِيمِ
 حَيَّا الرَّحِيمَ دُرَّةً حَلَّتْ بِهَا خِذْنُ تَحَلَّتْ بِالرِّضَا عِنْدَ الْكَرِيمِ
 لَمَّا أَتَتْ دَارَ الْبَقَا أَرْخَ (دعت) شَطِي الْمُنَا ابْنَ السَّنَا عَبْدَ الْحَلِيمِ

سنة ١٣٠٥ هـ

(١٣٢)

وقلت مؤرخاً وفاة علي بك بن مردم بك: [من الرمل]
 ذَا عَلِيٍّ فِي رِيَاضِ الْمُتَّقِينَ نَازِلٌ فِي ظِلِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 يُنْشِدُ الْوِلْدَانُ وَاشْوَكَأ إِلَى نَجْلِ مَرْدَمَ ذِي الْمَسَرَّاتِ الْأَمِينِ
 قَدْ أَتَى يَوْمَ الثَّلَاثَا نَعِيَهُ إِذْ مَضَى ذُو الْقَعْدَةِ عَنَّا الْأَمِينِ
 وَتَجَلَّتْ جَنَّةُ الْعَالِيَا لَهُ بِمَقَامِ الصَّدَقِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ
 وَإِلَى الرِّضْوَانِ أَرْخَهُ صَدَرَ (فادخلوها بسلام آمين)

سنة ١٣٠٥ هـ

(١٣٣)

وقلت :

[من الوافر]

وَأَكْذَبَ مَنْ نَوَى دَعْوَى النُّبُوَّةِ	وَشَيْخٍ أَخْبَثِ الثَّقَلَيْنِ طَبْعاً
بِأَنِّي خَيْرُ مَنْ نَالَ الْفُتُوَّةِ	يَقُولُ لِأَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ قُولُوا
نَكِيرَ الصَّخْبِ جَمْعاً وَالْأُخُوَّةِ	إِذَا صَافَيْتَهُ يَوْماً تَرَاهُ
لَعَلَّ لِدُبْرِهِ يَأْتُوا سَوِيَّةِ	يَتِيهِ بِذَاتِهِ وَالنَّاسَ يَدْعُو

(١٣٤)

وقلت :

[من مجزوء الرمل]

حَافِظُ أَمْرِ اللَّوَاطِ	شَيْخُنَا الْمِضْرِيُّ شَهْمٌ
فَضْلُ مَحْلُولِ الرِّبَاطِ	بَحْرُ جُودٍ قَدْ تَغَذَّى
وَدَنَّا نَحْوَ الْبَسَاطِ	إِنْ أَتَاهُ ذُو جَمَالِ
وَتَسَلَّى بِالضُّرَاطِ	أَغْلَقَ الْبَابَ سَرِيعاً

(١٣٥)

وقلت :

[من الكامل]

مِثْلُ الْقُرُودِ مُنْقَشَأً وَمُنْقَبَأً	فَتَنَ الْفَوَادَ جَمَالُ حِبِّ وَجْهُهُ
نَحْوَ الْكِلَابِ مُغْنِياً وَمُشَبِّباً	لَوْ زَارَهُ الْعَفْرِيتُ يَوْماً لَانْتَشَى

(١٣٦)

[من البسيط]

وقلت مُقَرَّظاً لِرِسَالَةٍ :

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّرَّ مَسْكَنُهُ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ
لَمَّا نَظَرْتُ لِهَذَا الْعِقْدِ مُنْشَرِحاً أَتَقَنْتُ حَقّاً بِأَنَّ الدَّرَّ فِي الشَّطِّ

(١٣٧)

وقلت مؤرِّخاً قدومَ أختينا الشَّيخِ مصطفى الشَّطِّي مِنْ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ

[من الرمل]

لَمَّا أَتَمَّ فَرِيضَةَ الْحِجِّ :

مَا تَبَدَّى النُّورُ أَمْ بَدَرُ التَّمَامِ أَمْ رِيَاضُ الْأُنْسِ حَيَّاهَا الْغَمَامِ
صَادَفْتُ لَيْلَ اكْتِسَابِي فَانْجَلَى وَبَدَا فِي اللَّطْفِ فِي أَنْهَى ابْتِسَامِ
طَيْرٌ مَغْنَاهَا يُغْنِي فَرَحَةً فِي قُدُومِ مُصْطَفَى نَسْلِ الْكِرَامِ
فَاخِرُ الْأَجْدَادِ شَطِّي سَمَا يَرْتَقِي إِفْضَالُهُ أَسْنَى مَقَامِ
يَا تَبَاشِيرَ الْهَنَاءِ أَرِّخْ (فِيَا) حَجَّةَ مَقْبُولَةٍ وَالسَّعْدُ دَامِ

(١٣٨)

وقلت على لسانِ وَلَدِ عَمِّهِ ، وَكَانَ مَرِيضاً فَعُوفِي عِنْدَ قُدُومِهِ :

[من مجزوء الرمل]

مَنْهَلِ الْأَشْجَانِ قَلْبِي مُذْ نَأَيْتُمْ قَدْ وَرَدَ
صِخْتُ أَيَّامِ التَّلَاقِي بُرْءُ دَائِي فِي مَدَدَ
طَيِّبِ الْأَنْفَاسِ سَارِ طِيبَ لُقْيَانَا قَصْدَ
فَتَلْتُ عَلَيْهِ صُبْحاً كُلُّ مَنْ جَدَّ وَجَدَ
يَنْجَلِي تَأْرِخُنَا (فُزْ بِالصَّفَا نِلْتَ الرَّشْدَ)

(١٣٩)

وقلت :

[من البسيط]

فَصُلِّ الشَّتَاءَ لِنِعَمِ الْفَضْلِ لَوْ وُجِدَتْ سَبْعُ بِهَا لِلْمَعَالِي نَبْلُغُ الْأَمَلَا
دَارٌ وَدَرْسٌ وَدِينَارٌ وَدُهْنٌ ضِيَا دَسْتُ دَوَاةً وَدَيْنٌ يَعْصِمُ الرَّجُلَا

(١٤٠)

وقلت :

[من الوافر]

لِنُورِ الْعِلْمِ يُهْدِي كُلُّ رَاغِبٍ وَمَنْ لَزِمَ الدُّرُوسَ رَأَى الْعَجَائِبِ
فَلَا زِمَ خِدْمَةَ الْأُسْتَاذِ دَوْمًا تَنَالُ الْعِزَّ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
وَفِي تَقْبِيلِ أَيْدِي الشَّيْخِ عِزٌّ وَذُلُّ النَّفْسِ يُعْطِيكَ الْمَطَالِبِ
وَقُمْ بِاللَّيْلِ سَهْرَانًا مُجَدًّا تَرَى فَيْضَ الْإِلَهِ مِنَ الْمَوَاهِبِ
حَوَى الْعِلْمَ الشَّرِيفَ أَخُو اجْتِهَادٍ وَحَازَ الْفَضْلَ أَوْلَادُ الْمَكَاتِبِ
فَإِنَّ الْعِلْمَ فَضْلٌ لَا يُبَاهَى وَإِنَّ الْجَهْلَ خَرَّاقُ الْمَرَائِبِ
وَإِنَّ الصَّدْقَ مِنْ خَيْرِ الْمَزَايَا وَإِنَّ الْكَذِبَ مِنْ سُوءِ الْمَصَائِبِ
فَفِي صِدْقِ الْمَقَالِ تَنَالُ مُجَدًّا وَنُورُ الْفَضْلِ لَا يَخُونُهُ كَاذِبِ
وَفِي الْخَطِّ الْجَمِيلِ تَنَالُ حَظًّا فَكُنْ بِالْجِدِّ خَطَّاطًا وَحَاسِبِ
يَنَالُ الْحَاسِبُونَ عَظِيمَ مُجْدٍ وَحُسْنُ الْخَطِّ مِفْتَاحُ الْمَكَاسِبِ
وَمَنْ لَزِمَ التَّعْلَّمَ فِي صِبَاهُ يَنَالُ مِنَ الْعُلَا كُلَّ الْمَارِبِ
نَدِيمِي هَلْ رَأَيْتَ الْجَهْلَ يَهْدِي سِوَى شَوْمِ الْمَسَاعِي وَالنَّوَائِبِ
فَدَعُهُ وَاتْرُكِ الْجُهْلَاءَ طُرًّا وَسِرِّ لِلْفَضْلِ فِي جُنْحِ الْغِيَاهِبِ
وَصَلِّ رُبَّنَا مَا لَاحَ بَدْرٌ عَلَى مَنْ سَارَ لِلْمِعْرَاجِ رَاكِبِ
كَذَاكَ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ جَمْعًا وَمَا شُدَّتْ إِلَى الْبَيْتِ النَّجَائِبِ

(١٤١)

وقلت مؤرخاً:

[من مجزوء الوافر]

إِلَى دَارِ الْبَقَا كَرَمًا سَرَى بِالْأُنْسِ وَاللُّطْفِ
وَأَلْبَسَهُ الرِّضَا حُلَا تَزِيدُ عَنْ مَدَى الْوَصْفِ
بِلَيْلِ الْأَرْبَعَا أَمْسَى يَعْفُو اللَّهُ يَسْتَشْفِي
وَفِي رَمَضَانَ أَرَّخَ (كُنْ) رَشِيداً لَيْلَةَ النَّصْفِ

(١٤٢)

وقلت مؤرخاً فسقيّة ماءً بناها أحمدُ باشا بنُ عمر باشا وعبدُ القادر
أفندي الميداني، وكان سببُ إجراءِ مائها الميداني:

[من الوافر]

لِعَبْدِ الْقَادِرِ الْمِيدَانِي فَضْلٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى أَبْدَأُ مُكَرَّرٌ
فَأَجْرِي بَعْدَ قَطْعِ الْخَيْرِ مَاءً بِهِ تَخَيَا النُّفُوسُ وَذَاكَ أَكْبَرُ
وَأَحْمَدُ بَاشَا أَنْشَأَهُ احْتِسَاباً فَأَحْيَا فِي دِمَشْقِ الشَّامِ كَوْنُ
وَقَدْ أَرَّخْتُهُ (دَاعِ سَبِيلُ) بِأَحْمَدَ نَجَلٍ فَارُوقٍ تَعَمَّرُ

(١٤٣)

وقلت:

[من الكامل]

عَرَّجَ عَلَى قَاضِي النُّحُوسِ بِبَلَدَةٍ مِنْ فَضْلِهَا الْحَقُّ يُرَى عِنْدَ الْفُلُوسِ
فِي مَجْلِسٍ بِالزُّورِ يَسْمُو عِنْدَهُ هَزُّ اللَّحَى لِشُهُودِهَا مِثْلَ الثِّيُوسِ
عَنْهُمْ رَوَى قَاضٍ لَجَبَلٍ حُكْمَهُ عَنْ بَاقِلٍ عَنْ شَيْخِهَا أَبِي النُّحُوسِ
قَاضٍ تَصَدَّى لِلْقَضَاءِ وَإِنَّمَا مِنْ عَذْلِهِ أَعْلَى مَحَاسِنِهِ الْغُمُوسِ
لِنَحَاسَةٍ تَأْتِي يُطَاطَأُ رَأْسُهُ فَافْعَلْ مُرَادَكَ لَوْ تَطَاوَعَكَ النُّفُوسُ

وقلت وقد رأيت الشيخ نجم الدين الغزي في المنام في ابتداء طلبي
للعلم، ودعا لي بالفتوح، ووضع يده على ظهري متبسماً: [من مجزوء الرمل]

هَـذِهِ أَظْعَنُهُمْ	قَدْ سَرَتْ يَا مُنَيِّي
لَيْتَهُمْ لَمَّا غَدُوا	وَدَّعُونِي سَادَتِي
إِنَّ صَبْرِي قَدْ وَهَى	بَعْدَهُمْ يَا خُلَّتِي
صَدُّهُمْ أَوْزَى الْجَوَى	وَكَسَانِي أَهْبَتِي
هَـذِهِ أَوْطَانُهُمْ	لَيْسَ فِيهَا رُفْقَتِي
دَمَعُ عَيْنِي بَعْدَهُمْ	مُعْرِبٌ عَنْ بُلُوتِي
أَفْتَقِي آثَارَهُمْ	بِاللُّتَيَا وَالَّتِي
عَلَّهُمْ أَنْ يَصْفَحُوا	سَادَتِي عَنْ زَلَّتِي
عِنْدَمَا شَاهَدْتُهُمْ	فِي خِلَالِ الصُّحْبَةِ
صِخْتُ رُوحِي عِنْدَكُمْ	لِلْفِدَا يَا خُلَّتِي
فَاقْبُلُوهَا مِنْ فَتَى	مُغْرَمٍ يَا سَادَتِي
يَا نُجُوماً قَدْ زَهَتْ	فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ
حُبُّكُمْ لِي شَاغِلٌ	قَبْلَ وَقْتِ الْقَبْضَةِ
مِنْ (الَسْتُ) شَوْفُكُمْ	فِيهِ كَانَتْ سَكْرَتِي
فَانْجِدُوا الصَّبَّ الَّذِي	قَدْ سَرَى فِي الْحَيْرَةِ
هَامَ فِي تَذَارِكُمْ	قَبْلَ نَفْخِ النَّسَمَةِ
تَائِهاً عَنْ غَيْرِكُمْ	فِي رِيَاضِ الْأَلْفَةِ
جُنَّ فِي لَيْلِ النَّوَى	وَالْوَرَى فِي الرَّقْدَةِ

جِسْمُهُ يَشْكُو الضَّنَى وَالْأَسَى فِي الْجُمْلَةِ
يَرْتَجِي مِنْ فَيْضِكُمْ بُرْءَ تِلْكَ الْعِلَّةِ

(١٤٥)

وقلت مؤرخاً: [من الكامل]
رُزِ رَوْضَةُ الْأَنْسِ الَّتِي أَوْحَى لَهَا سُحْبُ الرِّضَا مُذْ وَشَّحَتْ أَطْلَالَهَا
حَلَّتْ بِهَا مِنْ آلِ حِكْمَةِ دُرَّةٍ فَسَقَى الرَّحِيمُ غُدُوَهَا وَظِلَالَهَا
بُنْتُ الْقَنَاوَاتِي فَطِيَا إِنَّهَا قَدْ أُعْطِيَتْ مِنْ رَبِّهَا آمَالَهَا
أَوْحَى لَنَا ذَاكَ السَّنَا أَرَّخْ (منى) طِيبَ اللَّقَا بِسِيمَةٍ بُشِّرَى لَهَا

(١٤٦)

وقلت مؤرخاً: [من الكامل]
إِنِّي نَزِيلٌ بِالكَرِيمِ وَمَنْ غَدَا جَارَ الْكَرِيمِ هَنَاؤُهُ مُتَوَاتِرُ
أَمْسَيْتُ مَحْمُودَ الْفَعَالِ عَلَى الرِّضَا وَأَتَتْ مِنَ الْمَوْلَى لَدَيَّ بَشَائِرُ
فَارِ النَّزِيلَ بِحَيِّهِ حَيْثُ الْهَنَا وَالْفَضْلُ أَرَّخْ (واجدٌ يا غافرُ)

(١٤٧)

وقلت أيضاً: [من الرمل]
حَبَّذَا الْمِعْطَارُ لَمَّا نَسَمَا مِنْ شَذَا الْغُفْرَانِ فِي دَارِ السَّلَامِ
عَنْ سَنَا بِنْتِ الْمُفَدَّى قَدْ رَوَى ذَا تَقِيٍّ الدِّينِ بَلْ تَاجُ الْكِرَامِ
قَدْ دَعَاها جَدُّها بُشِّرَى لَهَا فِي جِوَارِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْأَنَامِ
فَشَذَا التَّارِيخُ (دلاً زَاهِيَةً فِي جِنَانِ الْخُلْدِ يَا نِعَمَ الْمُقَامِ)

(١٤٨)

وقلت في الهَجْوِ :

[من مجزوء الرمل]

رُبَّ لُطْفٍ مِنْ مَلِيحٍ صَارَ فِي الْعَكْسَيْنِ طَرْدًا
قُلْتُ إِذْ أَرَخَيْ دَلَالًا كُنْتُ وَرْدًا صِرْتُ قِرْدًا

(١٤٩)

وقلتُ مُقَرِّظًا رِسَالَةَ اسْمِهَا : «الرَّسَالَةُ الْبَهِيَّةُ فِي مَنَاقِبِ الصُّوفِيَّةِ» :

[من المحدث]

أَبْدَى بَيِّدِيعِ الْفِكْرِ لَنَا عَقْدًا لِنِظَامِ الدَّهْرِ سَنَا
وَسَمَا التَّحْقِيقِ بِهِ طَلَعَتْ شَمْسُ الْأَفْهَامِ فَزَادَ ثَنَا
وَبَلُطْفٍ مَحَاسِنِ رَوْضَتِهَا أَحْيَتْ لُبِّي وَبِهِ سَكَنَّا
الْفَاضِلُ مَنْ لِلْقُطْبِ سَمَا الْعَارِفُ مَنْ لِلْفَضْلِ جَنَى
الْكَامِلُ مُخِيي الدِّينِ لَقَدْ أَبْدَى بِرِسَالَتِهِ سُنَّا
لَوْ أَبْصَرَهَا الْحَسَنُ لَشَدَا وَلَدَى الْأَذْكَارِ بِهَا لَحْنَا
فَإِذَا ظَهَرَتْ بِمَعَارِجِهَا سَلَبَتْ مِنْ أَعْيُنِنَا الْوَسْنَا
تُحْيِي النَّفْسَ بِطِيبِ شَذَى مِنْ دَوْحِ رِيَاضِ الْقُدْسِ دَنَا
فَلْتَشُدْ بِهَا الْأَفْكَارُ إِذَا وَجَدَتْ أَلَمًا تَجِدُ الْمِنَّا

(١٥٠)

وقلت ، وقد أمرني سيدي وأستاذي علامة العلماء الشيخ سليم العطَّارُ

[من البسيط]

بتشطيرٍ وتخمينٍ بيتين ، فقلتُ مُشْطَرًّا لهما :

(النَّاسُ لِلْخَيْرِ مَا أَحْلَى ظَوَاهِرُهُمْ) إِنْ أَمَّ سَاحَتَهُمْ لِلْبِرِّ مُحْتَاجُ

يَلْقَى الْبَشَاشَةَ وَالتَّرْحِيبَ فِي سَعَةِ (لَكِنَّ بَاطِنَهُمْ لِلشَّرِّ أَخْرَاجُ)
 (شِبْهُ الْمَنَارَةِ فِي تَعْدِيلِ ظَاهِرِهَا) لَدَى خَوَارِجِهَا لِلْحُسْنِ إِيْلَاجُ
 يَرُوقُ مَنَظَرُهَا حُسْنًا لِنَاطِرِهَا (لَكِنَّ بَاطِنَهَا دُورٌ وَأَدْرَاجُ)

(١٥١)

وَقَلْتُ مُخَمَّسًا: [من البسيط]
 دَارِ الْأَنَامِ وَلَا تَأْمَنْ بِوَادِرِهِمْ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ أَنْ تُعَاشِرَهُمْ
 وَثِقْ بِقَوْلِ الَّذِي أَحْيَا مَآثِرَهُمْ (النَّاسُ لِلْخَيْرِ مَا أَحْلَى ظَوَاهِرَهُمْ
 لَكِنَّ بَاطِنَهُمْ لِلشَّرِّ أَخْرَاجُ)
 يَا حُسْنَ مَنْقَبَةٍ تَزْهُو لِنَاطِرِهَا وَفِي الضَّمِيرِ خَبَايَا مِنْ مَظَاهِرِهَا
 إِنَّ الْبَرَايَا لَفِي تَمَثِيلِ سَائِرِهَا (شِبْهُ الْمَنَارَةِ فِي تَعْدِيلِ ظَاهِرِهَا
 لَكِنَّ بَاطِنَهَا دُورٌ وَأَدْرَاجُ)

(١٥٢)

وَقَلْتُ مُشْطَرًّا، وَالْأَصْلُ لِلشَّهَابِ الْخَفَاجِيِّ: [من الخفيف]
 (وَزَمَانٍ فِيهِ الصَّغِيرُ تَقَدَّمَ) وَعَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ فِيهِ تَحَكَّمَ
 ظَنَّ عَامِلَ الرَّفْعِ يَأْتِي لِخَفْضِ (أَتَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ يَنْدَمُ)
 (لَعَنَ اللَّهُ قَوْمَ لَوِطٍ فَهُمْ قَدْ) أَجْهَدُوهُ حَتَّى قَفَاهُ تَلَّامُ
 لَمْ يَزَالُوا لِلْفُرْشِ يُذْنُونَهُ إِذْ (عَلِمُوهُ التَّقَدُّمَ حَتَّى تَقَدَّمَ)

(١٥٣)

وقلت مُشْطَرّاً أيضاً، والأصل للشَّهاب :

(أَقُولُ لِهَذَا الدَّهْرِ عَتَباً عَلَامَ لَا) تراعي شروطَ العقلِ فِيمَنْ سَمَا صِدْقاً
وَلَمْ لَا كَأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْفَهْمِ وَالذَّكَاءِ (تُقَدِّمُ مَنْ قَدْ قَدَّمْتَهُ الْوَرَى حَقّاً)
(فَهُمْ بِتَقْدِيمِ الْمُقَدِّمِ تَوْبَةً) وَإِصْلَاحِ مَا قَدْ زَادَهُ جَهْلُهُ خَرْقاً
فَفَكَّرَ فِيمَنْ يَسْتَحِقُّ بِزَعْمِهِ (فَكَانَ الَّذِي قَدْ رَامَ تَقْدِيمَهُ عِلْقاً)

(١٥٤)

وقلتُ أيضاً، والأصل لعبدِ الرحمنِ بنِ كثيرِ المكيِّ المترجمِ في
«ريحانة الألباء» للخفاجي :

(كِبَارُ زَمَانِنَا أَضْحَوْا صِغَاراً) بِهِمْ بَذَرُ الْعُلَا وَالْحَمْدُ سَارِي
تَوَلَّوْا الْحُكْمَ فِينَا حَيْثُ شَاؤُوا (وَقَدْ غَضِبَ الزَّمَانُ عَلَى الْكِبَارِ)
(كَأَنَّ زَمَانَنَا مِنْ قَوْمٍ لُوطٍ) يَرَى التَّخْنِثَ مِنْ أَسْنَى الْفَخَارِ
تَوَلَّعَ بِالْعُلُوقِ لَذَا تَرَاهُ (لَهُ وَلَعٌ بِتَقْدِيمِ الصَّغَارِ)

(١٥٥)

وقلت :

عَاتَبْتُ دَهْرِي فِي تَقَدُّمِ مَنْ غَدَا طُولَ الْمَدَى عَنْ حُوقِهِ لَمْ يُؤْبِ
فَنَوَى مَتَاباً ثُمَّ قَدَّمَ جَاهِلاً يَا لَيْتَهُ مِنْ ذَنْبِهِ لَمْ يُتْبِ

(١٥٦)

وقلت :

[من الكامل]

قَدْ عَاشَرْتَ أَهْلَ اللُّوَاطِ زَمَانًا فَلِذَاكَ عَيْشُ ذَوِي السِّيَادَةِ نُغْصَا
لَا تَرْتَجُوا إِقْلَاعَهُ عَنْ ذَنْبِهِ الْعِلْقُ إِنَّ تَابَ يَصِيرُ مُعْرِصَا

(١٥٧)

وقلت مُشْطَرًّا باقتراح بعض الأصحاب، والأصل لبعضهم : [من الكامل]

(مَآذَا تُؤْمَلُ مِنْ زَمَانٍ جَائِرٍ) مُتَفَاخِرٍ بِالْغَدْرِ وَالْإِضْرَارِ
إِنْ رَامَ يَوْمًا تَوْبَةً مِنْ جَهْلِهِ (جَعَلَ الْخِيَارَ بِقَبْضَةِ الْأَشْرَارِ)
(وَلَقَدْ يَعِزُّ عَلَى النَّوَظِرِ أَنْ تَرَى) أَهْلَ السِّيَادَةِ لِلتَّيْمِ تُدَارِي
حَتَّامَ يَا طَبَعَ الْمَخْنَثِ جَاعِلًا (كُبَارَ قَوْمٍ فِي أَكْفٍ صِغَارِ)
(وَإِذَا الزَّمَانُ تَرَاجَعَتْ أَخْلَاقُهُ) وَأَرَادَ إِنْصَافَ الْبَلِيغِ الدَّارِي
وَنَوَى بِهِ إِصْلَاحَ مَا هُوَ مُفْسِدٌ (سَلَبَ الرِّيَاسَةَ مِنْ يَدِ الْأَخْرَارِ)

(١٥٨)

وقلت مُشْطَرًّا :

[من الهزج]

(إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الدُّنْيَا) وَدَاعِي الْهَمِّ قَدْ صَرَّخَ
وَلَمْ تَعْلَمْ لَهُ صَرْفًا (فَفَكَّرْ فِي أَلَمِ نَشْرَحِ)
(فَعُسْرُ يَتْنِ يُسْرَيْنِ) بِذَا التَّعْرِيفِ قَدْ أَوْضَحِ
تَرَى سِرًّا سَمًا لُطْفًا (إِذَا كَرَّرْتَهُ تَفَرَّحِ)
(تَجِدُ يُسْرَيْنِ قَدْ دَارَا) بِحُكْمِ الْبَسْطِ لِلْأَصْلَحِ
وَحَلًّا فِي الْهَنَاءِ دَوْمًا (عَلَى عُسْرِ فَلَمْ يَنْرَحِ)

(١٥٩)

وقلت:

[من الوافر]

عَذُولِي عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ رَاغِبٌ وَحِبِّي فِي التَّجَنِّيِ الْيَوْمَ رَاغِبٌ
فَمَاذَا حِيلَتِي قُلْ لِي خَلِيلِي وَقَدْ أَضْنَى مُرَادِي حُبُّ رَاغِبٌ

(١٦٠)

وقلت:

[من الكامل]

لَا تَرَكْنَنْ مَدَى الزَّمَانِ لِصُحْبَةٍ فَتَعْتَرِيكَ مِنَ الْإِسَاءَةِ كُرْبَةٍ
وَإِذَا الْخَلِيلُ وَفَى بِبَعْضِ وَعُودِهِ فَهُوَ الْمُحِبُّ وَمَا سِوَاهُ فَكَبَّةٌ
إِخْوَانُ هَذَا الدَّهْرِ مِثْلُ وَعُودِهِمْ لَا يَصْدُقُونَ وَلَا هُنَالِكَ رَغْبَةٌ
لَمَّا رَأَيْتُ صَنِيعَهُمْ وَجَفَاءَهُمْ مَلَّ الْفُؤَادُ لِقَاءَهُمْ وَتَبَّهٌ
فَقُلْتُ صَبْرًا يَا فُؤَادِي عَنْهُمْ إِنَّ الْوَفَاءَ عَلامَةُ الْمَحَبَّةِ

(١٦١)

وقلت مؤرخاً:

[من الكامل]

حَيَّا الْمُهَيِّمُنُ تَرْبَةً أَمْسَى بِهَا مَحْمُودٌ فِي نَيْلِ الْأَمَانِي وَالْمُنَى
نَجَلُ الْعِمَادِي مَنْ لَهُ الْفَضْلُ انْتَمَى وَثِمَارَ أَفْنَانِ الْمَعَالِي قَدْ جَنَى
مُذْ حَلَّ فِي رَوْضِ الْهَنَا نَادَى أَلَا يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا أَنَا
وَصَيَّبُ الْغُفْرَانِ نَادَى أَقْبِلُوا أَرُخْ (وَبِي سَحْبُ الرِّضَا يَدْعُو الْهَنَا)

سنة ١٢٠٩

(١٦٢)

وقلت:

[من الكامل]

بَخْرٌ إِذَا رُمْتَ النَّوَالَ بِوَعْدِهِ أَلْفَيْتَ جُلَّ أُمُورِهِ (مَنْ هُوَكَه)
وَإِذَا تَفَرَّدَ عَنْ أَصْحَابِ لَهُ حَكَمْتَ فِي نَفَقَاتِهِ (مَنْ يُوكَه)

تقرأ «منهُوكَه» مَوْصُولَةً، مفعولاً ثانياً لـ«ألفيتَ»، ومجرورة بمن،
وكذلك «من يوكه»، واليوك اسم اصطلاحى لعدد، فتدبر.

(١٦٣)

وقلت في هذه الطريقة أيضاً:

[من الرمل]

مَنْ يَكُنْ يُرْضِي الْغَوَاةَ الْحُسَدَا بِالْعَشِيِّ سَوْفَ يَلْقَاهُ الرَّدَى
وَيَزِيدُ الْفَيْضُ مِنْهُ وَإِذَا مَا تَشَى (أَيَّ رَنَا) ظَنَّ الْهُدَى
إِنْ يُولِّي أَهْلَ بُغْضِي دُبْرَهُ صَدَّ عَنِّي وَانْتَحَى نَحْوَ الْعِدَا
يَرْتَضِي عَذْلِي وَلَا يَخْشَى السَّوَى لَوْ تَبَدَّاهُ الْعَدُولُ أَوْ بَدَا
نَافِرٌ مِنْ خَلْفِهِ يَشْتَاقُ مَنْ يَرْتَضِيهِ أَفْلاً أَوْ مُنْجِداً

(١٦٤)

وقلت:

[من الرمل]

قد

يا غزالي كيف عني أبعدوك

قَدْ رَمَانِي بِالْهَوَىٰ بِأَهْيَ السَّنَا وَانْتَنَى عَنِّي بِطَغْنَاتِ الْقَنَا

دور

إِنَّ أَمْرِي فِي الْهَوَى أَمْرٌ عَجِيبٌ لَسْتُ أَخْلُو مِنْ عَذُولٍ أَوْ رَقِيبٍ
كُلَّمَا زَادَ الْجَوَى صَدَّ الْحَبِيبُ وَاغْتَرَانِي الْوَجْدُ يَسْطُو بِالْعَنَا

دور

لَيْسَ مَنْ ذَاقَ الْهَوَى يَذْري الْهَوَى غَيْرُ صَبٍّ ذَاقَ مِنْ طَعْمِ النَّوَى
وَبَرَاهُ الشَّوْقُ مِنْ عُظْمِ الْجَوَى يَرْتَجِي طَيْفَ الْمُنَى لَمَّا دَنَا

دور

لِلْمُعْنَى يَالَ وَدَّيْ وَالْكَئِيبُ نَارُ وَجْدٍ تَذْرِفُ الدَّمْعَ الصَّبِيبُ
فَهَوَ يَصْحُو تَارَةً ثُمَّ يَغِيبُ مُذْ كَسَاهُ الْبُعْدُ أَثْوَابَ الضَّنَى

دور

دَغْ صُدُودَ الصَّبِّ يَا بَاهِي الْجَمَانِ وَاكْفَفْنِ عَنْ قَلْبِهِ رَشَقَ النَّبَالِ
صَارَ جِسْمِي نَاحِلًا مِثْلَ الْخَيَالِ صِلْ وَرَاقِبْ يَوْمَ حَشْرِي رَبَّنَا

دور

لَوْعَةُ الْأَشْوَاقِ تَقْضِي بِالْهُيَامِ وَنِفَارُ الْحُبِّ قَدْ زَادَ الْغَرَامَ
كُلَّمَا مَرَّ حَلَا عِنْدَ السَّلَامِ فَاقْبَلُوا عُذْرِي وَدُمُتُمْ بِالْهَنَا

دور

ذَابَ قَلْبِي فِي الْهَوَى يَكْفِي الصُّدُودُ حِينَمَا أَجْرَى الدِّمَا طَعْنُ الْقُدُودِ
زَفَرْتِي زَادَتْ عَلَى نَارِ الْوَقُودِ كُلَّمَا زَادَ الضَّنَا عَنِّي انْتَشَى

(١٦٥)

وقلت :

[من الكامل]

يا مُدَّعِي نَظَمَ الْقَرِيضِ وَلَسْتَ مِنْ فُرْسَانِهِ أَقْصِرْ وَعُدْ يَا نَاهِقُ
فَلَقَدْ سَرَقْتَ كَلَامَ غَيْرِكَ فَانْتَبَهْ يكفي افْتِضَا حُكَّ بَيْنَنَا يَا سَارِقُ

(١٦٦)

وقلت :

[من الوافر]

خَيَالٌ مَا أَرَى أَمَ ذَاتُ جَنِّي تَدُورُ لَدَى الْعَشِيِّ عَلَى التَّجَنِّي
أَمَ الْعَفْرِيتُ حَلَّ بِذِي الْبَوَادِي لِيُفْسِدَ رَأْيِي أَرْبَابَ التَّمَنِّي
أَمَ الْعَفْرِيتُ فِي صُورِ تَبَدُّي فَطَوْرًا نَابِغٌ كَالْكَلْبِ يَجْنِي
نَعَمْ هَذَا أَخُو إِبْلِيسَ خُبْنًا وَخِلُّ الْمَكْرِ قَدْ يَبْدُو كَجَنِّي
بِسِرْبَالِ الْجُنُونِ إِذَا تَبَدُّي رَأَيْتَ لِدَاتِهِ قَبْحًا تَغْنِي
بِحُمُقِي فَاقْ مَجْنُونًا بِفَعْلٍ يَقُولُ لَعَلَّهُ يَرْوِيهِ عَنِّي
إِذَا إِبْلِيسُ وَلَاهُ مُنَاهُ يَقُولُ بِذَاتِهِ الْحَسَنَاتُ فَتَنِّي
وَإِنْ حَلَّتْ شَقَاؤُهُ بِأَرْضِي تَحُلُّ بِهَا الْقَبَاحَةُ بِالتَّأَنِّي
فَلَا بَرَحَتْ شَقَاؤُهُ بِفَيْضِي وَلَا بَرَحَ الْجُنُونُ لَهُ يُثْنِي

(١٦٧)

وقلت وأنا في مدرسة «دار الحديث الأشرفية» ولقد أتاني لحجرتي زائراً
حسن أفندي بيهم البيروتي :

[من الكامل]

لِللَّهِ شَهْمٌ بِالْفَضَائِلِ أَوْحَدُ أَضْحَى السَّرِيِّ بِكُلِّ مَقْصُودٍ حَسَنُ
سَعْدُ السُّعُودِ بِهِ يَهِيمُ لَذَا بَدَا يَرْوِي الْفَضَائِلَ وَالْمَفَاخِرَ عَنْ حَسَنُ

(١٦٨)

وقلت:

[من الرمل]

كُلُّ مَنْ يَصْحَبُ غَيْرَ إِيَّاهِ حَلٌّ فِي مَخْفِلٍ شَرٌّ وَضَرَرُ
عَاشِرِ الْأَخْيَارِ تَحْطِئُ مِنْهُمْ بِسْمُوٍّ هَكَذَا جَاءَ الْخَبَرُ
وَإِذَا صَاحَبْتَ غَيْرَ ذِي الْعُلَا نِلْتَ مَكْرُوهًا وَدُمْتَ فِي كَدَرُ

(١٦٩)

وقلت:

[من البسيط]

قَالُوا تَرَكْتَ الْبَغْضَ عَنْ مَلِيٍّ مِنْ عِلْمٍ فَلَسَفَةٍ وَلَسْتَ تُنْكِرُهُ
فَقُلْتُ يَا قَوْمُ لَسْتُ بِالْمَلِيلِ وَلَا أَرَى لِي مَنْزِلًا حَتَّى أُدْبِرُهُ

(١٧٠)

وقلت مقررظاً رسالةً للشيخ عبد الرحمن القصار سمّاها: «براهين الحكم

[من الوافر]

في تبرئة المحبوب من الظلم»:

صَرِيحُ الْحَقِّ بِالْبُرْهَانِ حَلَّى أَدِيبٌ فَوْقَ أَوْجِ الْفَضْلِ حَلَاً
نَفَى بِالْعَدْلِ جَوْرًا عَنْ ظِبَاءِ لَهُمْ بِالْحُسْنِ نُورٌ قَدْ تَجَلَّى
بُدُورٌ فَوْقَ غُضَنِ الْبَانِ تَزْهُو لَهُمْ سَفْكُ دَمِ الْعُشَاقِ حَلَاً
فَلَا تَنْسُبُهُمُ لِلظُّلْمِ يَا مَنْ بِكَأْسِ الْحُبِّ يَوْمًا مَا تَمَلَّى
فَإِنْ رُمْتَ الْغَرَامَ فَكُنْ رَقِيقاً لِمُلْكِ جَمَالِهِمْ رَغْماً وَإِلَاً
فَكَلَّا أَنْ تَرَى وَجْهًا جَمِيلاً لَهُ لِلظُّلْمِ مَيْلٌ ثُمَّ كَلَاً

(١٧١)

وقلت مُلغِزاً في اسم «بدران» :
وَمَا اسْمٌ حُمَاسِيٌّ تَرَاهُ
حُرُوفٌ فِي بِدَائِيهِ ثَلَاثُ
تَرَى الشُّعْرَاءَ يَرْتَجِزُونَ فِيهِ
وَكُلُّ جَمِيلٍ وَجْهِ لَا يُبَاهِي
بِدُرِّ النَّظْمِ مَسْلُكُهُ لَطِيفُ
تَرَاهُ إِنْ بَدَا فَتَنَ الْبَرَايَا
فَكَمْ مِنْ عَالِمٍ قَدْ حَارَ فِيهِ
لَأَصْحَابِ النُّجُومِ يَلُوحُ طَوْرًا
وَإِنْ أَسْقَطْتُمُو حَرْفَيْنِ مِنْهُ
تَحَيَّرُ فِي حَقِيقَتِهِ الْبَرَايَا
أَجْنَبِي يَا خَلِيلِي لَا تَكُنِّي

[من الوافر]

عَجِيبَ الشَّكْلِ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
يُضِيءُ الْكَوْنُ مِنْهَا الْإِنْجِلَاءُ
وَفِي بَحْرِ الْبَسِيطِ لَهُ ثَنَاءُ
سَنَا إِقْبَالِهِ وَلَهُ مُنَاءُ
وَنُورُ عُلاهِ لِلدُّنْيَا لِهَوَاءُ
وَإِنْ كَرَّرْتَهُ حَصَلَ الْعَطَاءُ
وَقَدْ كَشَفَ الظُّلَامَ لَهُ الضِّيَاءُ
إِذَا نَقَّصْتَهُ يَأْتِي الْهِنَاءُ
يَكُونُ عَلَى الْقُلُوبِ لَهُ غِطَاءُ
وَفَهَّمُ الْعَالَمِينَ لَهُ سَوَاءُ
إِلَى التَّسْوِيفِ يُعْقِبُكَ اهْتِدَاءُ

(١٧٢)

وقلت مُلغِزاً في «وداع» :

وَمَا اسْمٌ رُبَاعِيٌّ تَرَاهُ
وَنُصِفُ حُرُوفِهِ وُدٌّ وَلَكِنْ

[من الوافر]

يَضِجُ النَّاسُ مِنْهُ بِالْبُكَاءِ
لَهُ دَاعٍ إِلَى فَقْدِ الْهِنَاءِ

(١٧٣)

وقلت ملغِزاً في اسم «صالح» :

خَلِيلٌ صَحَّ فِي بَدْئِي وَخَتَمِي

[من الوافر]

بِأَنَّ وِدَادَهُ فِي الْقَلْبِ حَاصِلٌ

لَهُ عَلِمٌ رُبَاعِيٌّ إِذَا مَا
وَأِنْ أَسْقَطْتَ آخِرَهُ تَرَاهُ
لَهُ جَوْفٌ بِهِ التَّعْرِيفُ أَمْسَى
وَكَمْ هَامَتْ بِهِ أَهْلُ الْمَعَانِي
وَلَا مَ عِذَارِهِ قَدْ صَادَ قَلْبِي
وَبَاقِي الْإِسْمِ أَغْرَبَ عَنْ سَقَامِي
بَدَا تَضَحِيْفُهُ اشْتَاقَ الرِّدَائِلُ
عَلَى أَهْلِ الْهَوَى صَالٍ وَصَائِلُ
لَأَهْلِ النَّخْوِ مِصْبَاحَ الْفَضَائِلُ
وَفِي مَبْنَاهُ تَخْتَلِفُ الْأَوَائِلُ
فَنِصْفُ الْإِسْمِ صَل لَا يُطَاوِلُ
فَعَجَلُ فِي الْجَوَابِ وَلَا تُمَاطِلُ

(١٧٤)

وَقُلْتُ فِي صَدْرِ رِسَالَةٍ أَرْسَلْتُهَا إِلَى حَلَبِ الشَّهْبَاءِ :
[من الطويل]
سَلَامٌ عَلَى الشَّهْبَاءِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَلَا سِيَّما فِي وَقْتِ كُلِّ غَبُوقِ
سَلَامٌ بِطِبِّ الْمِسْكِ يَزْكُو عَبِيرُهُ يَحُلُّ مَكَاناً حَلَّ فِيهِ شَقِيقِي

(١٧٥)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخاً سَنَةَ وِلَادَتِي عَلَى مَا أَخْبَرَنِي بِهِ وَالِدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
فِي حَالِ حَيَاتِهِ :
إِلَيْكَ رَبِّي أَرْفَعُ الـ أَلُوذُ مِنْ سُوءِ الْقَدَرِ
وَبِالْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى
إِنِّي ذَلِيلٌ سَيِّدِي عَظِيمُ ذَنْبٍ مُخْتَفِرُ
ضَعِيفُ جِسْمٍ لَا أَرَى سِوَاكَ رَبِّي قَدْ نَصَرُ
وَحُسْنُ ظَنِّي سَيِّدِي نَاجِي فُؤَادِي فِي السَّحَرِ
جَمِيعُ مَا جَنَيْتُهُ فَاللَّهُ أَرْخَاهُ (غَفَرُ)

(١٧٦)

وقلت :

[من الكامل]

حَلَّ الْمَشِيبُ بِعَارِضِي قُبِيلَ أَنْ أَتَمَمْتُ إِثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَهُ
وَأَتَتْ أَوْيَقَاتُ الْهُمُومِ وَلَمْ أَجِدْ عَمَلًا أَقْدَمُهُ إِذَا زَالَ السَّنَهُ
وَحَلَلْتُ فِي تِيهِ الْمَعَاصِي أَرْتَجِي عَفْوَ الْكَرِيمِ فَحَبَّذا مَا أَحْسَنَهُ

(١٧٧)

وكتبتُ على ظهر جزءٍ من مؤلفاتِ أستاذنا العلامةِ الشيخِ محمدِ الأنباري
المصري شيخِ الأزهر ما صورته :

وَكَمْ بِهَذَا الْعَصْرِ مِنْ شَخْصٍ سَمَا هَامَ السَّمَاءِ وَلَيْسَ كَالْأَنْبَابِي
فَهُوَ الْجَدِيرُ بِأَنْ يَقُولَ لِسَائِلٍ مَهْلًا فَإِنَّ الدَّهْرَ قَدْ أَنْبَأَ بِي

(١٧٨)

وكتبتُ على ظهرِ «شرح الكافية» للرضي :

[من مجزوء الكامل]

هَذَا كِتَابٌ لَمْ نَجِدْ فِي النَّحْوِ أَصَحَّ مِنْهُ
فَالزَّمْ قِرَاءَتَهُ فَإِنْ تُتِقْنَهُ تَعْرِفَ فَضْلَهُ

(١٧٩)

وقلتُ أيضاً :

[من مجزوء الكامل]

إِنْ رُمْتَ فِي التَّحْقِيقِ أَنْ تَسْمُو عَلَى هَامِ الْفُحُولِ
دَاوِمٌ عَلَى دَرَسِ الرِّضِيِّ وَكُنِ الرِّضِيِّ بِمَا يَقُولُ

(١٨٠)

وكتبْتُ على ظَهْرِ كِتَابِ «فَتْحِ الْبَاقِي» شَرْحَ أَلْفِيَةِ الْعِرَاقِيِّ : [من الكامل]
 قَدْ كَانَ مُضْطَلَّحُ الْحَدِيثِ يَكَادُ أَنْ نُرْمَى بُدُورُ عِلَائِهِ بِمَحَاقِ
 حَتَّى تَأْيَدَ بِالْإِمَامَيْنِ اللَّذَيْنِ نِ بِيَهُمْ غَدَا كَالشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ
 فَتَحَ الْعِرَاقِي بَعْضَ مُشْكِلِهِ لَنَا وَأَتَى لَنَا الْقَاضِي بِفَتْحِ الْبَاقِي

(١٨١)

وقلت : [من الوافر]
 أَيَا عُلَمَاءَ جَلَّقَ لَا بَرِحْتُمْ بُدُورَ الْعِلْمِ فِي طُولِ الزَّمَانِ
 غَرِيبٌ يَرْتَجِي مِنْكُمْ جَوَاباً وَمِنْ إِفْضَالِكُمْ يَرْجُو التَّدَانِي
 مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كِتَابَ رَبِّي لَفِي أَعْلَى الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ
 وَلَكِنِّي أَرَى فِي الْكَهْفِ سِرّاً دَقِيقاً رَائِقاً حَسَنَ الْمَعَانِي
 وَذَا فِي «اسْتَطَعْمَا» فَاسْتَطَعْمَاهُمُ يَرَاهُ مُظْهِراً أَهْلُ الْمَعَانِي
 فَمَا وَجْهُ الْعُدُولِ عَنِ الضَّمِيرِ لِمُظْهِرِ «أَهْلِيهَا» فَالْقَلْبُ عَانِي
 فَهَذَا السَّرُّ لِي فِيهِ غَرَامٌ وَلَكِنْ قَدْ تَوَارَى عَنْ عَيَانِي

(١٨٢)

وقلتُ مُهَنِّئاً بَعْضَ الْأَصْحَابِ بِشَهْرِ الصِّيَامِ : [من الوافر]
 أَتَى شَهْرُ الصِّيَامِ بِكُلِّ عِزٍّ يُبَشِّرُ بِالْهَنَاءِ فِي كُلِّ نَادٍ
 وَهَلْ هِلَالُهُ وَمُنَاهُ يَحْظَى بِنَظَرَةٍ حُسْنٍ وَجْهَكَ يَا مُرَادِي
 فَدُمَ بِالْعِزِّ وَالْإِجْلَالِ وَاهْنَا بِطِيبِ الْعَيْشِ فِي رَغَمِ الْأَعَادِي
 وَمَا هَامُ الثَّرِيّاً فِي سُرُورِ وَإِقْبَالِ يَدُومُ فِي ازْدِيَادِ

(١٨٣)

وقلت:

[من البسيط]

فَضْلُ الشِّتَاءِ لِنَعْمِ الْفَضْلِ إِذْ وَجِدْتُ سَبْعُهَا لِلْمَعَالِي نَبْلُغُ الْأَمَلَا
دَارُ وَدَرْسُ وَدِينَارُ وَدُهْنُ ضِيَا دَسْتُ دَوَاةً وَدَيْنُ يَعِصُمُ الرَّجُلَا

(١٨٤)

وقلت مُؤَرِّخًا:

[من مجزوء الوافر]

إِلَى دَارِ الْبَقَا كَرَمَا سَرَى بِالْأُنْسِ وَاللُّطْفِ
وَأَلْبَسَهُ الرِّضَا حُلَا تَزِيدُ عَنْ مَدَى الْوَصْفِ
بَلِيلِ الْأَرْبَعَا أَمْسَى بِعَفْوِ اللَّهِ يَسْتَشْفِي
وَفِي رَمَضَانَ أَرَّخَ (كُنْ رَشِيدًا لَيْلَةَ النُّصْفِ)

(١٨٥)

وقلت:

[من الوافر]

عَلَيَّ الْعَلَقُ يَنْمُو بِافْتِخَارٍ وَيَغْدُو لِلْمُعَلِّمِ كَالْحِمَارِ
لَقَدْ ظَفَرَتْ يَدُ الْمَضْرِيٍّ مِنْهُ بِمَا ظَفَرَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ نَوَارِ

(١٨٦)

وقلت:

[من الوافر]

إِذَا طَابَتْ أَصُولُ الْمَرْءِ طَابَتْ مَجَانِي فَرْعِهِ وَرَقِي الْمَعَالِي
فَلَا عَجَبٌ إِذَا مَا الْبَحْرُ يَرْمِي بِعُقْبَى الْمَدِّ أَصْنَافَ اللَّالِي

وقلت مُخَاطِباً بَعْضَ الْأَضْدَادِ:

حُسْنِ الْمَآثِرِ مِنْ دَعْوَاكَ مَسْتُورُ
يَا مَنْ أَتَى لِضِيَاءِ الشَّمْسِ يَسْتُرُهَا
لَوْ تَرْتَضِي هِمَّتِي مَسْرَى السَّمَاءِ لَمَا
يُمْسِي عَلَى حِسْدَتِي دَهْرِي عَلَى وَلَهٍ
عَمَّتْ عِدَاوَتُهُ أَهْلَ الْكَمَالِ فَمَا
لَا يَخْطُرُ الْأَمَلُ الْمَغْرُورُ سَاحَتَنَا
هَذَا الْمَعْرِي فَكَمْ أَبْدَى الزَّمَانُ لَهُ
وَاتْرُكْ مَذَمَّتَنَا فَإِنَّا مَلَأُ

[من البسيط]

وَالْكِبَرُ طَبَعٌ بِهِ الْإِنْسَانُ مَقْهُورُ
أَنَا الْهُمَامُ الَّذِي فِي النَّاسِ مَشْهُورُ
نَاحَتْ عَلَى فُرْقَتِي فِي بِلْدَتِي دُورُ
وَمَهْمَةُ الصَّبْرِ عَنْ جَدْوَاهُ مَحْظُورُ
مِنْ كَامِلٍ وَلَهُ فِي الْأَمْرِ تَذْيِيرُ
لِعِلْمِنَا فِي الْمَلَا أَنَّ الْمُنَى زُورُ
كَذَا الزَّمْخَشَرِيُّ الَّذِي فِي لَيْلِنَا نَوْرُ
مِثْلُ الدَّرَارِيِّ لَا يَنْقُصُنَ تَغْيِيرُ



الباب الثاني

فَمَا قُلْتُ رُشَاءَ سَفَرِي إِلَى الْغَرْبِ
وَالْأُرُودِ إِلَى فُلْكِ الْمُنْهَلِ الْعَذْبِ
وَأُشْرَحُ بِهِ إِلَى تَقْلُبَاتِ الزَّمَانِ ، وَجَانِبِ الْمَلُوكِ
وَهُوَ نَزْرٌ لِسِيرِ
رُوحَتِهِ «الرَّحْلَةَ الْغَرْبِيَّةَ» ، وَلِلْمُنَاسَكَةِ مِثْلُ سَمِيرِ

الباب الثاني

(١٨٨)

وَقَلْتُ وَأَنَا فِي مَدِينَةِ بِيروت، ونحن في انتظار الوائبر، وقد تزايد الأرقُّ من الانتظار، واشتعلت في القلوب لبعد الأحبة النَّار، ننظر تارةً إلى البحرِ نرقب السفينه، وتارةً نحو الشَّام فنذرفُ الدُّموعَ مِنَ البُعدِ وَعَلَيْنَا السَّكِينَةُ، نُحْمِلُ نَسِيمَ الصَّبَا السَّلَامِ إِلَى الأحباب، وَنُخَاطِبُ الْبَرِيدَ فَلَمْ يُفْصَحْ لَنَا بِجَوَابٍ:

ما كَانَ أَسْرَعَ نَقْضَ الْوَدِّ يَا أَمَلِي
أَسْأَلُ الرِّيحَ عَنْهُمْ كُلَّمَا لَعِبَتْ
هُمْ وَدَّعُونِي فَأَوْدَعْتُ الْحَشَا لَهَبًا
رَعِيًّا لِأَيَّامِنَا اللَّاتِي سُرِرْنَ بِهَا
وَالْحُبُّ يُتَحَفَّنِي بِالْوَصْلِ آوِنَةً
أَشْكُو لَهُ مَا بِقَلْبِي مِنْ هَوَاهُ فَلَمْ
حَتَّى أَلَمْ بِنَا دَاعِي الْفِرَاقِ دُجَى
إِذْ أَبْطَأَتْ فِي الْجَوَابِ عَنْهُمْ رُسُلِي
مِنْهَا الْغُصُونُ وَمَوْجُ الْبَحْرِ كَالْجَبَلِ
تَزْدَادُ نِيرَانُهُ مِنْ مَذْمَعِي الْهَطَلِ
فِي مَرْبَعِ الشَّامِ لَا نَخْشَى مِنَ الْوَجَلِ
بَعْدَ النَّفَارِ فَيَشْفِينِي مِنَ الْعِلَلِ
يَزِدُّ عَلَى قَوْلِهِ بِالْأَعْيُنِ النُّجَلِ
قَبْلَ الصَّبَاحِ فَلَيَبَيِّنَاهُ بِالْعَجَلِ

(١٨٩)

وقلت:

[من البسيط]

يا غربةً كُلَّما طال المَدَى بَعُدَتْ وساعَدَتْ بالضنى والهَمَّ والأَرْقى
هَلْ أَنْظُرُنْ وَطَنِي قَبْلَ المَماتِ فَمِنْ قَبْلِ البُلُوغِ حِبالِ البُعْدِ في عُنُقِي
والدَّهْرُ يَمْنَعُنِي ما قَدْ أَحاولُهُ مِنْ الشُّرُورِ وَيُسَلِّمُنِي إلى القَلَقِ
لا أَسْتَقِرُّ بأَرْضٍ كُنْتُ أَلْفُها حَتَّى أَشَتَّتَ عَنْ صَحْبِي ومُرْتَفَقِي

(١٩٠)

وقلت - أيضاً -:

[من البسيط]

مَرُّ النسيمِ على الأغصانِ في السَّحَرِ أَضْحَى يُذَكِّرُنِي الأَحْبابَ في البَكْرِ
وَمَوْجُ بَحْرِ لَهُ رَقْصُ الهَواءِ دُجَى أَمْسَى يُمَثِّلُ لي الأَطْلالَ في فِكْرِي
وَقَدْ تَعَوَّضْتُ صَوْتَ المَوْجِ مَعَ قَلْقِي عِنْدَ المَساءِ عَنِ النَّايَاتِ والوَتْرِ
يا حُسْنَ «جِلَقَ» قَدْ ذابَ المُحِبُّ أَسَى فامْنُنْ بِوَصْلِكَ مِنْ قَبْلِ انْقِضا عُمْرِي
لَيْتَن بَعُدْتُ فَقَلْبِي عِنْدَكُمْ أَبْداً والجِسْمُ في البَحْرِ مَوْقُوفٌ على الخَطَرِ
يا حادِي الرِّكَبِ قِفْ في «دُمُرٍ» سَحْراً وانشُدْ فؤاداً ثَوَى في رَوْضِها العَطرِ
نَمَّ انْتَنِي يا رَعَاكَ اللهُ مُلْتَفِتاً نحو الشَّامِ وَسائِلِها عَنِ الخَبَرِ

(١٩١)

وقلت وأنا في «مرسيليا» مُودَّعاً رفيقنا أحمدَ بك بن حيدر باشا المِصْرِيَّ
من أولادِ إبراهيم باشا المتغلب المشهور:

[من الوافر]

أيا بَذَرَ العُلا لا زالَ دَوْماً كمالُ السَّعْدِ في مَسْراكِ أَحْمَدُ
وفوقَ النِّجَمِ مَطْلَعُكَ السَّنيُّ وثوبُ العِزِّ في عَلياكِ يَسْعَدُ

تَنَالُ فَوْقَ مَا تَرْجُوهُ حَقًّا عَلَى رَغَمِ الْعِدَا مَا لَاحَ فَرْقَدُ
يُودِّعُكُمْ فُؤَادٌ لَيْسَ يَسْلُو سَنَا أَفْضَالَكُمْ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَإِنِّي أَرْتَجِي الْعَوْدَ قَرِيبًا لِرُؤْيَا وَجْهِكُمْ وَالْعَوْدَ أَحْمَدُ

(١٩٢)

وقلت :

[من البسيط]

يَا ثَغَرَ «إِيطَالِيَا» قَدْ زِدْتَ فِي شَجَنِي أَشَعَلْتَ نَارَ الْغَضَا فِي دَاخِلِ الْبَدَنِ
بُرْكَانُ طُودِكَ أَنْبَأَ أَنَّنِي دَنِفٌ مُمَثَّلًا حَالَتِي فِي الشُّوقِ وَالشَّجَنِ

(١٩٣)

وقلت وقد هاجَ البحرُ، ونحنُ من الوابور بين السَّحَرِ والنَّخْرِ، والأمواج
تَسْتَقْبِلُنَا بِوَجْهِ مَكْفَهَرٍ بَاسِرٍ، وطالت إلينا من شراعه عقبانُ كواسِرٍ، وقد
أبدى البحرُ زفيراً، ونسمع للرياح دويّاً وصفيراً، وأظهرت شدائدُ أَوْرُبَا، من
اللُّجَّةِ كُلِّ مُخَبَّأٍ، فتيقننا أننا لا نجدُ سوى فَضْلِ اللَّهِ مجيراً، وأنَّ ليس إلا
الالتجاء إليه خَفِيرًا^(١) :

[من الكامل]

يَا رَبِّ إِنِّي بِالنَّبِيِّ مُتَوَسِّلًا وَبِآلِهِ آلِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
وَبِصَحْبِهِ قُطْبِ الْمَفَاخِرِ وَالثَّقَى الْحَائِزِينَ بِهِ الْمَقَامَ الْأَكْمَلَا
وَبِكُلِّ حَبْرٍ لِلشَّرِيعَةِ حَافِظٍ يَتْلُو كَلَامَ اللَّهِ إِذْ هَجَعَ الْمَلَا

(١) يتعجب القارئ لهذه القصيدة أو لبعض ما ورد في القصائد التالية من شعر
للإمام ابن بدران حيث ذكر هنا جملة من التوسلات بالأموات، والتي كان قد كَرَّسَ
حياته فيما بعد لتصحيح عقائد الناس بها وبأمثالها من البدع والخرافات، ولا
عجب فتلك مرحلة من مراحل حياته مرت وانقضت، وإنه لدرس لكل من يتشبث
بواقع موروثاته عن آبائه وأجداده، أن رجوعه عن الخطأ حتى لو قضى شطراً من =

وَيَمَنْ سَرَوْا نَحْوَ الْحَقِيقَةِ فَارْتَقُوا
وَبِأَهْلِ «إِغْرِيسَ» الَّذِينَ لَهُمْ عَلَى
وَبِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي غَرْبٍ وَفِي
وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ قَطِبِ زَمَانِهِ
وَبِسَيِّدِي الْجِيلِيِّ عَبْدِ الْقَادِرِ
أَرْجُوكَ تَسْهِيلَ الْأُمُورِ بِحَقِّهِمْ
إِنِّي قَصَدْتُكَ بَانِكِسَارِ سَيِّدِي
وَبِأَنْبِيَائِكَ كُلِّهِمْ وَبِصَحْبِهِمْ
فَأَنَا الذَّلِيلُ وَبَابُ عِزِّكَ مَقْصِدِي
وَعَلَى عُلَاكَ وَعِزِّ مَجْدِكَ سَيِّدِي
وَعَلَى الْعِدَا بِكَ أَسْتَعِينُ فَاسْقِهِمْ
شَاهَتِ وُجُوهُهُمْ فَلَا يَجِدُوا لِمَا
إِنِّي إِذَا مَا نَابَنِي الدَّهْرُ أَكُنْ
وَعَلَى الْكَرِيمِ أَرَى اعْتِمَادِي مَوْرِدِي
يَا أَوْلِيَاءَ الْغَرْبِ أَرْجُو نَظْرَةَ

مِنْ حَوْضِهَا الْمَوْرُودِ كَأَسَا قَدْ حَلَا
أَوْجِ الْكَمَالِ وَالْعُلَا كَغَبِّ عِلَا
شَرْقٍ وَفِي كُلِّ الْبِقَاعِ عَلَى الْوَلَا
مَنْ لِلثَّعَالِبِ نِسْبَةً قَدْ حَصَّلَا
مَنْ قَدْ غَدَا لِلْسَّائِلِينَ مَنَهَلَا
وَالرَّفَقَ فِينَا مِنَّةً وَتَفَضَّلَا
وَبِعِزِّ مَجْدِكَ خَاضِعَا مُتَذَلَّلَا
أَرْجُوكَ أَمْرِي أَنْ يَكُونَ مُسَهَّلَا
فَارْحَمْ ذَلِيلًا جَاءَ مِنْكَ مُؤَمَّلَا
أَمْسَى لَدَى كُلِّ الْمُنَى مُتَوَكَّلَا
يَا قَاهِرُ مِنْ قَافٍ قَهْرِكَ حَظَّلَا
رَامُوهُ مِنْ شُؤْمِ الْمَسَاعِي مَذْخَلَا
طُولَ الزَّمَانِ مُحَسِبَلَا وَمُحَوَّلَا
أَعْلَى كَمَالِ الْعِزِّ لَنْ يَتَحَوَّلَا
أَمْسَى بِنُورِ سَنَائِهَا مُسْتَقْبَلَا

= حياته فيه خير له من تماديه في الباطل ، ولا يضره أنه رأى في مرحلة ما من حياته رأياً ما ، فالرجوع إلى الحق محض فضيلة ، والتمادي في الخرافة جدٌ رذيلة .
وإنما رأينا إثبات هذه القصائد هنا ، مع ما تتضمنه من مخالفات ، حفاظاً منا على أمانة النقل ، وإخراجاً للتراث بحاله من غير تحريف له ، وإبرازاً لصورة الإمام ابن بدران قبل تحوله وبعده ، فإن إبقاء الإنسان على مراحل حياته الحقيقية خير من إظهاره بصورة غير واقعية ، فسرعان ما تزول تلك الصورة وتتكشف ، والله الموفق والهادي .

إِنِّي أَتَيْتُ إِلَى بِلَادِكُمْ لِكَي
أَرْجُوَكُمْ حُسْنَ الْقَبُولِ تَفَضُّلاً
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
والتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ مَا تَلَا
أَحْطَى بِنُورِ مَوَاهِبِ لَنْ تَحْظَلَ
لَأَرَى مَكَانَ الْقُرْبِ مِنْكُمْ مَنْزِلاً
مَا هَبَّ رِيحٌ مَغْرِباً أَوْ شَمَلاً
يَا رَبِّ جِثَّتْكَ بِالنَّبِيِّ مُتَوَسِّلاً

(١٩٤)

وقلتُ في صدرِ رسالةٍ أرسلتها إلى والدتي وأنا في مدينة «الجزائر» :

[من البسيط]

بَلِّغْ سَلَامِي لَهَا يَا أَيُّهَا الْقَارِي
وَاشْكِي لَهَا لَوْعَتِي وَالبُعْدَ عَنْ دَارِي
وَاشْرَحْ لَهَا حَالَتِي مِنْ بَعْدِ بُعْدِهِمْ
وَقُلْ نَسِيمُ الصَّبَا تَنْبِيكَ أَخْبَارِي

(١٩٥)

وقلتُ مُحَمَّساً، والأَصْلُ لشمسِ الدِّينِ أَبِي المَعَالِي مُحَمَّدِ بْنِ القَمَّاحِ،
نَقَلَ عَنْهُ ابْنُ السُّبُكِيِّ فِي «الطَّبَقَاتِ» أَنَّهُ قَالَ : نَظَّمْتُهَا فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي فِي
مَحَنَةٍ حَصَلَتْ لِي، فَلَمْ يَنْفَلِقْ فَجَرُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَّا وَقَدْ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ : [من الكامل]
يَا مَنْ تَلَاعَبَتِ الهمومُ بِسِرِّهِ
أَمْسَى يُفَكِّرُ فِي المَضِيِّقِ وَعُسْرِهِ
وَعَدَا غَرِيباً نَائِياً عَنْ بَشَرِهِ
(اضْبِرْ عَلَى حُلُوِّ القَضَاءِ وَمُرِّهِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ)

كُنْ مَنْ يَفُلُّ النَّائِبَاتِ بِصَبْرِهِ
وَاسْتَعْمِلِ الإِقْدَامَ تَحْظَ بِأَجْرِهِ
وَاتْرُكْ عَدُوَّكَ خَاسِئاً فِي مَكْرِهِ
(فَالصَّدْرُ مَنْ يَلْقَى الخُطُوبَ بِصَدْرِهِ
وَبِصْبَرِهِ وَبِحَمْدِهِ وَبشُكْرِهِ)

لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الزَّمَانِ وَلَهْوِهِ
وَاقْبِضْ عِنَانَ الغَيِّ دَوْماً وَالْوَهْ

وَاطْلُبْ مِنَ الرَّحْمَنِ صَيِّبَ عَفْوِهِ (فَالْحُرُّ سَيْفٌ وَالزَّمَانُ لَصَفْوِهِ
صَدَأٌ وَيَصْقُلُهُ نَوَائِبُ دَهْرِهِ)

لُذْ بِالْمَتَابِ إِذَا أُصِيبْتَ بِسَيِّئِي وَارْجِعْ لِنَفْسِكَ فَهِيَ أَعْظَمُ مُلْجِي
وَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ الْمُعِيدِ الْمُبْدِي (لَيْسَ الْحَوَادِثُ غَيْرَ أَعْمَالِ امْرِئٍ
يَخْوِي بِهَا مِنْ خَيْرِهِ أَوْ شَرِّهِ)

إِنَّ الْجَرَائِمَ فِي الصَّبَاحِ فِي الْأَصْلِ كَانَتْ بَلَاءً عَنْ قِصَاصِكَ لَمْ يَحُلْ
أَنْتَ الَّذِي هَيَّأتَ لِلْبَلَوَى التَّزُلْ (فَإِذَا أُصِيبْتَ بِمَا أُصِيبَتْ فَلَا تَقُلْ
أُودِيتُ مِنْ زَيْدِ الزَّمَانِ وَعَمْرِهِ)

كُنْ مَا جَدًّا وَسِعَ النَّوَائِبُ صَدْرُهُ يُمَسِي وَقَدْ فَلَّ الْحَوَادِثُ صَبْرُهُ
وَكِلِ الْأُمُورَ لِمَنْ تَعَالَى أَمْرُهُ (وَاثْبُتْ فَكَمْ أَمْرٍ مُطْلٌ عُسْرُهُ
لَيْلًا فَبَشْرَكَ الصَّبَاحُ يُنْسِرُهُ)

لَا تَخْتَفِلْ بِالْعُسْرِ نَحْوَكَ إِنْ أَتَى فَتَقُولُ هَلْ يُسِرُّ لَنَا حَتَّى مَتَى
فَلَكَم تَرَى حُزْنًا لِيَصْفُو أَثْبَتَا (وَلَكُمْ عَلَى يَأْسٍ إِلَى فَرَجِ الْفَتَى
مِنْ سِرٍّ غَيْبٍ لَا يَمُرُّ بِفِكْرِهِ)

كُنْ مَنْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ أَتَكَلَّ وَلَهُ يُسَلِّمُ إِنْ عَلَا أَوْ إِنْ سَفَلَ
وَإِذَا الْمِلَمَاتُ بِصَبْرِكَ لَمْ تَحُلْ (فَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ وَلَا تَسَلْ
بَشَرًا فَلَيْسَ سِوَاهُ كَاشِفَ ضَرِّهِ)

لِي مِنْ نَزْوِجِ الدَّارِ دَمْعٌ سَائِلٌ وَإِلَى النَّوَائِبِ لِلْفُؤَادِ وَسَائِلٌ
وَالدَّهْرُ أَمْسَى بِالْمُرَادِ يُمَاطِلُ (فَاعْجَبْ لِنَظْمِي وَالْهُمُومُ شَوَاغِلُ
يُلْهِينَ عَنْ نَظْمِ الْكَلَامِ وَنَثَرِهِ)

(١٩٦)

وقلتُ وقد طَلَبَ مِنِّي الأميرُ الهاشِمِيُّ بيتينَ ليكتبُهُما على تِمثالِ والدهِ
الأميرِ عبدِ القادرِ لِيُهديَهُ إلى الشَّريفِ عليّ الجَزائِرِيِّ : [من الكامل]
أَهْدَيْتُكُمْ رَسْماً بَدِيعاً شَكْلُهُ عَنْ وَالِدِي كَيْمَا يُرَى تَذْكَاراً
هَذَا الْخَيَالُ وَرَبَّما قَدْ نَابَ عَنْ شَخْصٍ ثَوَى وَيَشْخَصُ الْأَفْكَاراً

(١٩٧)

وقلتُ ارتِجالاً وقد مَرَّ بي يَهُودِيٌّ ذو ثروةٍ اسْمُهُ «يَعِيشُ» : [من الوافر]
لَقَدْ مَرَّ بِنَا مِنْ قَوْمِ مُوسَى يَهُودِيٌّ يَتِيهِ مَعَ الْفَخَّارِ
فَقُلْتُ مَا يُسَمَّى الْغَمْرُ قَالُوا «يَعِيشُ» فَقُلْتُ : فِي إِسْتِ الْحِمَارِ

(١٩٨)

من رسالةٍ أرسلتها إلى «دُومة» وأنا في مَدِينَةِ «الجزائر» : [من الكامل]
حَيَّا الْحَيَا «دُوما» الْبَدِيعَةَ إِنَّهَا أَضَحَتْ جَمَالَ الْغُوطَةِ الْفَيْحَاءِ
وَسَمَتْ عَلَى الْمَرْجِينِ فِي عِزٍّ وَفِي طِيبِ الْهَوَاءِ وَبِالْيَدِ الْبَيْضَاءِ
وَرِيَاضُهَا طَابَ النَّسِيمُ بِهَا فَكَمْ سُفْيَى الْمَرِيضُ بِهَا مِنَ الْبَلَوَاءِ
أَطْيَارُهَا غَنَّتْ عَلَى الْعِيدَانِ إِذْ رَقَصَ النَّسِيمُ لِرِقَّةِ النُّدْمَاءِ
وَالْمَاءُ يَمْشِي فِي الرِّيَاضِ مُقَسِّمًا يَسْعَى لِخِدْمَةِ أَهْلِ ذَاكَ الْمَاءِ
لِلَّهِ «رَأْسُ الْعَيْنِ» فِيهَا إِنَّهُ مَجْلَى الْهُمُومِ وَمَكْمَدُ الْأَعْدَاءِ
جَمَعَ الْحَرَارَةَ وَالْبُرُودَةَ مَاؤُهَا فَاعَجَبَ لَتِلْكَ الرُّوضَةِ الْحَسَنَاءِ
كَرَّمَتْ بِكَرَمَةِ أَرْضِهَا وَتَفَاخَرَتْ وَالْكَرْمُ مَنَشُؤُهُ مِنَ الْكُرْمَاءِ

زَيْتُونُهَا قَدْ أَقْسَمَ الْبَارِي بِهِ
 أَعْنَابُهَا مَا إِنَّ لَهَا مِنْ مُشْبِهِ
 مَنْ قَالَ إِنَّ الْغَرْبَ أَحْسَنُ مَوْطِنًا
 قُطِرَ بِهِ أَهْلُ الْفِظَازَةِ وَالْجَفَا
 لَا تَسْتَقِرُّ أَهْلُهُ فِي قَوْلِهِمْ
 إِنْ أَوْعَدُوا أَوْفُوا بِضُرِّ صَدِيقِهِمْ
 وَتَرَاهُمْ نَحْوَ الْفَسَادِ يُسَارِعُو
 شِبْهَ الْكِلَابِ يُحَرِّكُونَ رُؤُوسَهُمْ
 فَكَأَنَّهُمْ فِي مَكْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ
 قُلْ مَا تَشَاءُ بِذَمِّهِمْ فَهُمْ الَّذِي
 وَهُمْ الْبَرَابِرَةُ اللَّئَامُ وَجَدُّهُمْ
 وَلَكِنْ دَعَاهُمْ عَبْدٌ قَادِرٌ لِلْهُدَى
 إِنْ كَانَ قَبْلِي قَدْ جَلَاهُمْ سَيِّفُهُ
 مِنْ فِكْرَةٍ مِنْ تَبَرَّ «دُومًا» أَضْلَاهَا
 بَلَدٌ لَدَى الْإِنْصَافِ أَطْيَبُ مَوْضِعٍ
 أَكْرَمُ بِهَا مِنْ عَادَةٍ كَمْ أَسْكَرَتْ
 مِنْ أَيْنَ لِلْمُدُنِ الْعَظِيمَةِ مَا لَهَا
 «بَرَدَى» يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ وَ«بَانِيَا
 وَ«الْمَرْجَةُ» الْفِيحَاءُ أَفْذِيهَا بِمَا
 مَا «جَلَّقَ» إِلَّا رِيَاضُ مُحَاسِنٍ
 هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا وَدُرَّةُ تَاجِهَا
 تَسْمُو بِغُوطَتِهَا وَتَرْفُلُ بِالْبَهَا

فَالْتَيْنُ وَالزَّيْتُونُ جُلٌّ مُنَائِي
 مَايَيْنَ أُنْدَلَسٍ إِلَى صَنْعَاءِ
 فَلَقَدْ رَأَاهُ بِمُقْلَسَةٍ عَمِيَاءِ
 وَالْغَادِرُونَ وَقَلَّةُ الْأُمْنَاءِ
 بَلْ وَعَدُهُمْ يَسْرِي كَمِثْلِ هَبَاءِ
 أَوْ عَاهَدُوا خَانُوا عَهْدَ إِخَاءِ
 نَ وَاللَّيْمَةِ فِي أَذَى الْفُضْلَاءِ
 سَعِيًّا لِنَيْلِ الْجِيفَةِ الشَّنْعَاءِ
 مِثْلُ الثَّعَالِبِ فِي دُجَى الظُّلُمَاءِ
 مَنْ بَجَهْلِهِمْ مَاتُوا مَعَ الْأَحْيَاءِ
 جَالُوتُ الْمَذْكُورِ فِي الْأَنْبَاءِ
 فَأَبَوْا وَضَلُّوا وَارْتَضَوْا بِشَقَاءِ
 فَأَنَا الْمُجَاهِدُ فِيهِمْ بِهَجَاءِ
 وَسِبَاكُهَا بِمَدَارِسِ الْعَدَوَاءِ
 رَغْمًا عَلَى أَنْفِ الْعَدُوِّ النَّائِي
 بِسُلَافَةِ النُّدَمَاءِ وَالْخُلَطَاءِ
 بِالنَّيْرَبِينَ مِنْ كَمَالِ بَهَاءِ
 سُ لَهُ النَّدِيمُ مُعْتَبَرُ الْأَرْجَاءِ
 فِي الْغَرْبِ مِنْ جَبَلٍ وَمِنْ صَخْرَاءِ
 وَمِفَاخِرٍ وَمَكَارِمٍ وَهَنَاءِ
 وَمَعَادِنِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ
 لَطَرَائِفِ الْأَنْوَاءِ وَالْأَنْدَاءِ

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْخُنُوفِ فَحُكِّمْتُ
يَا حَبَّذَا ذَا الْحُكْمِ لَوْلَا أَنَّهُ
قَوْمٌ لَهُمْ سُمْ النَّفَاقِ مَوَارِدُ
يَتَفَاخِرُونَ بِالْجَهَالَةِ وَالْخَنَا
مَهْلًا سَيَنْقَلِبُ الزَّمَانُ وَيُصْبِحُوا
هِيَ دُرَّةٌ مَا مَسَّهَا مِنْ فَاسِقٍ
مَا مَاتَ مِنْهَا فَاضِلٌ إِلَّا أَتَتْ
أَوْ عَاثَ فِيهَا جَاهِلٌ إِلَّا وَقَا
فَهِيَ الصَّبُورُ عَلَى الزَّمَانِ إِذَا آسَا
تَزَنُّوْا إِلَى آسَادِهَا فَتَرَاهُمُ
قُلُوبَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِيهَا لَقَدْ
إِذْ قَامَ أَحْمَدُ فِي صَلَاحِ أُمُورِهِمْ
فَطِنٌ لَبِيبٌ ذُو السِّيَاسَةِ مُذْرِكُ
ذُو فِكْرَةٍ وَقَّادَةٌ قَدْ صَيَّرَتْ
مُدَّ أُعْطِيَ الْقَوْسُ لِبَارِيهَا سَرَى الشُّدُ
دُمْ يَا بَنَ طَهَ رَاقِيًا وَمُوشِحًا
وَانْصُرْ أَهْيَلَ الْغَارَةِ الْعِذْرَاءِ إِذْ
وَانْقَذَهُمْ مِنْ غَادِرٍ مُتْلَاعِبٍ
يَا فَاضِلًا قَلْبِي لَهُ مُتَشَوِّقُ
مُدَّ جَاءَنِي النَّبَأُ الْفَخِيمُ مُبَشِّرًا
لَا غَزَوَ إِنْ كُنْتُ الْمُحِبُّ فَإِنَّكُمْ
تَيَّمَّمُوا قَلْبِي بِحُسْنِ حَدِيثِكُمْ

«دُومًا» بِهَا فَسَمَتْ عَلَى الْجَوَازِ
قَدْ صَالَ فِيهِ أَرَاذِلُ الْجَهْلَاءِ
وَمَرَارُهُ أَحْلَى مِنْ الْحُلُوءِ
وَالْفِسْقِ وَالْبَغْيِ عَلَى الضُّعْفَاءِ
نَهْبًا لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَبَلَاءِ
إِلَّا أَتَتْهُ تَوَاتُرُ السَّلَاطِ
مِنْ بَعْدِهِ بَيْتِيْمَةٍ عِذْرَاءِ
مَ مَقَامَهُ أَسَدُ الْحِمَى بِلُوءِ
لَكِنَّهَا بَتَّقُوسِ الضُّعْدَاءِ
يَتَرَقَّبُونَ الْفَتَكَ بِالسُّفَهَاءِ
ذَهَبَ التَّكْدُرُ مُبَدَلًا بِصَفَاءِ
مُتَسَرِّبِ التَّقْوَى بِطِيبِ ثَنَاءِ
فِي رَأْيِهِ مَا دَقَّ مِنْ أَشْيَاءِ
قَلْبَ الْعَدُوِّ مُمَزَّقًا بِشِوَاءِ
سُمُّ الزَّعَافِ لِفَاسِدِ الْآرَاءِ
بِالْحِلْمِ وَالْإِنْصَافِ لِلْعَلْيَاءِ
أَنْتَ لَهَا مِنْ خَيْرَةِ الْأَكْفَاءِ
كَتَلَاعِبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ
وَبِشَبْلِهِ أَرْبَيْتُ فِي الْغُلُوءِ
سَبَقَ الْقَرِيضُ الْجِسْمَ لِلدَّأْمَاءِ
مِنْ قَبْلِ مَنْشَأِ فِطْرَتِي سُحْرَائِي
فَسَكِرْتُ مِنْ رِيَاءِهِ لَا بِطِلَاءِ

فَعَلَيْكُمْ مِنْ بِي السَّلَامِ مُكَرَّرًا مَا صَاحَ طَيْرُ الرَّوَضَةِ الْغَنَاءِ
يَتْلُوهُ بِالْغَيْبِ الدُّعَاءُ لَكُمْ بِتَوْ فَيَقِ الْإِلَهَ وَقُرْبِ كُلِّ رَجَاءِ

(١٩٩)

وقلتُ وقد أتى لزيارتنا بعضُ الأصحابِ من «مستغانم» إلى «الجزائر» :

[من الكامل ثم من الرمل]

شَرَفْتَ أَرْضاً طَالَمَا اشْتَاقْتُ لَكَ وَوَصَلْتَ قَلْباً طَالَمَا حَنَّ إِلَيْكَ
أَهْلًا وَسَهْلًا ثُمَّ أَلْفَيْ مَرْحَبًا كُلُّ الَّذِي تَرْجُوهُ قَدْ صَارَ لَدَيْكَ
لَيْسَ مُنَائِي غَيْرَ قُرْبِكَ مُهْجَتِي لَيْسَ فُؤَادِي طَائِرًا إِلَّا عَلَيْكَ

مَا كُلُّ مَنْ كَانَ أَبُوهُ سَيِّداً وَرِثَ السِّيَادَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرِ
لَيْسَ الْوِرَاثَةُ لِلْعُلُومِ وَالنَّدَى كَالْمَالِ فَاغْلَمْ يَا أُخَيَّ وَكَائِرِ

يَا كَرِيماً فِي الْعَطَايَا وَالنَّدَى يَا سَرِيعَ اللَّطْفِ يَا غَوْثَ الْوَرَى

دور

عَبْدُكَ الْمَظْلُومُ يَشْكُو حُرْقًا فِي فُؤَادٍ مِنْ جَوَاهُ اخْتَرَقَا
طَرَفُهُ جُنْحَ الدِّيَاجِي أَرْقَا يَسْكُبُ الدَّمْعَ عَلَى مَا قَدْ جَرَى

دور

لَيْسَ فِي الْكَوْنِ سِوَاكَ رَاحِماً يَا عَزِيزُ يَا لَطِيفُ دَائِماً
كُنْ إِلَهِي لَهُمُومِي جَازِماً وَانْقِذِ الْمَلْهُوفَ مِنْ هَمِّ طَرَا

دور

كَمْ أُنَادِي لَمْ أَجِدْ لِي مُسْعِفاً كَمْ أَرْجِي غَيْرَ أَرْيَابِ الْوَفَا

١٤٠

بَعْدَ عِزِّي وَسُرُورِي وَالصِّفَا جَاءَنِي الْوَقْتُ بِذُلِّي مُخْبِرَا

دور

يَا إِلَهَ الْعَرْشِ يَا مُخَيِّ الْعِظَامِ يَا مُجِيبَا دَعْوَةَ الْعَبْدِ الْمُضَامِ
يَا سَمِيعَا لِلنَّدَا جُنَحَ الظَّلَامِ عَبْدُكَ الْمُسْكِينُ يَشْكُو خَطَرَا

دور

مَسَّهُ الضُّرُّ وَحَيَّاهُ النَّكَدُ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمْ وَفَاءً مِنْ أَحَدُ
فَرَّجَنَّ الْكَرْبَ عَنْهُ يَا صَمَدُ وَاكْشِفِ الْبَلْوَى وَكُفَّ الضَّرَرَا

دور

ظَلَّ مُضْنَى الْقَلْبِ مَحْزُونَا كَثِيبُ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ قَدْ أَمْسَى غَرِيبُ
يَأْلَفُ الْعُزْلَةَ فِيهَا وَالنَّحِيبُ حَيْثُ طَالَ الْأَمْرُ وَازْدَادَ الْمِرَا

دور

إِنْ يَكُنْ أَحَاطَ بِخَرْ زَاخِرُ مِنْ هُمُومٍ فَلَهُنَّ آخِرُ
حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَعْمَ النَّاصِرُ قَدْ أَتَى الْفَتْحُ وَهَمِّي قَدْ سَرَى

دور

بِرَسُولِ اللَّهِ هَادِينَا الْبَشِيرُ وَالصَّحَابِ الْغُرَّ إِنِّي مُسْتَجِيرُ
فَرِّجِ الْهُمُومَ عَنِّي يَا قَدِيرُ وَامْحُ مِنْ ضَيْقِي الْمَلِمَ الْأَثَرَا

دور

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا حَدَا حَادِي الْعِيسِ لِنَحْوِ أَحْمَدَا
وَسَرَى الْمُشْتَاقُ يَقْصِدُ الْهُدَى مِنْ سَنَاهُ فَعَدَا سَامِي الذَّرَا

وعلى الأَصْحَابِ والآلِ السَّلامُ سَرْمَدِيًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ
ما شَدَا الشَّادِي بِقَوْلِ الْمُسْتَهَامِ يا سَرِيعَ اللَّطْفِ يا غَوْثَ الْوَرَى

(٢٠٠)

وقلت :

[من الوافر]

أَقَمْتُ فِي فَرَنْسَا عِنْدَ قَوْمٍ يَمِيلُونَ إِلَى الْفِعْلِ الْخَسِيسِ
لَهُمْ بِالشُّحِّ سَبْقٌ وَاجْتِهَادٌ فَسَيَّانِ الْخَدِيدِمْ مَعَ الرَّئِيسِ
فَقِي أَشْغَالِهِمْ أَتَعَبْتُ نَفْسِي وَمِنْ فَقْرِي لَقَدْ مَزَقْتُ كَيْسِي
سَهَرْتُ اللَّيْلَ فِي قِيلٍ وَقَالَ وَكُنْتُ فِي النَّهَارِ مَعَ الثُّيُوسِ
أَصَافِيهِمْ فَأَلْفِيهِمْ أَفَاعِي وَقَدْ جُبِلُوا عَلَى غَدْرِ وَخَيْسِ
إِذَا مَا سُمْتُ سَيِّدَهُمْ نَوَالًا أَجَابُوا السُّؤْلَ بِالْقَسَمِ الْغَمُوسِ
لَقَدْ فَاقُوا عَلَى عُرْقُوبٍ حَتَّى مِنَ الْأَنْعَامِ قَدْ مَزَقْتُ كَيْسِي

(٢٠١)

وقلت وقد دَعَانَا السَّيِّدُ عَلِيُّ الشَّرِيفُ الْحَسَنِيُّ الْجَزَائِرِيُّ لِلضِّيَافَةِ : [من الوافر]

لَقَدْ مَلَكَ الْمَكَارِمَ وَالسَّجَايَا عَلِيُّ بْنُ الشَّرِيفِ بْنِ الشَّرِيفِ
فَيَنْفِقُ مَا حَوَتْهُ يَدَاهُ طُرًّا بَتَرْحِيْبٍ لِإِكْرَامِ الضُّيُوفِ
بِهِ قَطَرُ الْجَزَائِرِ فِي افْتِخَارٍ وَلَا سِيْمَا ذُوو الدِّينِ الْحَنِيفِ
فَمَا مَعْنٌ وَحَاتِمٌ الْمُرَجَّيْ سِوَى مَعْنَاهُ ذَا الْمَعْنَى اللَّطِيفِ
إِذَا مَا شَمْسُ عَلَيْهِ اسْتَنَارَتْ أَتَى بِدَرِ السُّوَى ظُلْمُ الْكُصُوفِ
وَقَدْ وَرَثَ الْمَكَارِمَ عَنْ هُمَامٍ كَرِيمٍ طَاهِرٍ الْأَصْلِ عَفِيفِ
فَلَا عَجَبٌ إِذَا مَا ابْنُ الرَّسُولِ يَجُودُ بِالتَّلِيدِ وَبِالطَّرِيفِ

فَأَبْقَاهُ الْكَرِيمُ مَدَى اللَّيَالِي وَوَفَّقَ نَجَلَهُ بِاسْمِ الرَّؤُوفِ
وَأَعْطَاهُ مُنَاهُ فِي سُرُورٍ وَأَمَنَهُ لَدَى الْيَوْمِ الْمَخُوفِ

(٢٠٢)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخاً وَفَاةَ الْفَاضِلِ الْأَدِيبِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي طَالِبِ الْحَسَنِ
قَاضِي «تِيَارْت» ثُمَّ «مَعْسُكِر» :
[من الرجز]

هَذَا ضَرِيحُ ضَمٍّ مِنْ أَهْلِ السَّمَاحِ لَصَفْوَةِ الْأَشْرَافِ مِنْ خَيْرِ الْجُدُودِ
وَلِرِضَاءِ اللَّهِ وَالْبُشْرَى اسْتَبَاحَ لَمَّا غَدَا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ يَسُودُ
قَدْ شَبَّ فِي تَقْوَى الْإِلَهِ وَالصَّلَاحِ كَيْمَا لَهُ الرَّحْمَنُ بِالْقُرْبِ يَجُودُ
وَعِنْدَمَا سَارَ إِلَى دَارِ الْفَلَاحِ وَقَدْ تَهَنَّا بِرِضَا الرَّبِّ الْوَدُودِ
قَالَتْ أَهْيَلُ الْفَضْلِ وَالتَّارِيخِ (نَاخِ) بَدْرٌ بِأَفْقِ الْعِلْمِ وَارْتُهُ اللَّحُودُ

(٢٠٣)

وَقُلْتُ أَرْتِيهِ أَيْضاً حَيْثُ أَتَى مِنْ «مَعْسُكِر» إِلَى «الْجَزَائِر» فَمَاتَ بِهَا :

[من الكامل]

خَطْبُ بِهِ عَقْلُ اللَّيْبِ تَحِيَّراً وَغَدَا بِهِ يَقُقُ الدُّمُوعِ أَحْمَرَا
مِنْ دَهْشَةِ الْبَيْنِ الْمُرُوعِ قَالَتْ الـ عُقْلَاءُ فِي الْإِنْكَارِ ذَلِكَ مَا جَرَى
لِلَّهِ أَيُّ مُصِيبَةٍ بَابِنِ الرَّسُو لِي بِهَا ضِيَاءُ الشَّمْسِ صَارَ مُكَدَّرَا
بَعَثَ الْمَنُونُ مِنَ الْجَزَائِرِ رُسُلَهُ لِي «مَعْسُكِرٍ» فَأَجَابَهُ مُسْتَبْشِرَا
فَقَضَى بِهَا النَّحْبَ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي لَوْحِ الْقَضَاءِ فِي الْقَدِيمِ مُسْطَرَا
عَظُمَ الْمُصَابُ بِهِ فَلَا حَوْلَ وَلَا وَلِفَقْدِهِ قَلْبُ اللَّيْبِ تَفْطَرَا
قَدْ كَانَ شَهْماً مَاجِداً طِيبُ الثَّنَا مِنْ عَرَفِ مَخْتِدِهِ السَّنِيِّ تَعْطَرَا
وُلِّيَ الْقَضَا فَقَضَى بِحُكْمِ اللَّهِ لَمْ يُسْمَعْ لَهُ دَمٌّ يَكُونُ سِوَى افْتِرَا

فَالصَّبْرُ أَجْدَرُ يَا بَنِي أَعْمَامِهِ
يَا نَجْلَهُ الشَّهْمُ الْأَمِينُ وَصَادِقُ
تِلْكَ الْمَنِيَّةُ قَدْ قَضَاهَا رَبُّنَا
وَلَقَدْ حَبَاهُ اللَّهُ بِالرِّضْوَانِ وَالِ
وَتَبَاشَرْتُ حُورَ الْجَنَانِ بِقُرْبِهِ
وَحِينَمَا قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا إِلَى
قَدْ فَتَحَتْ لَهُ نُورُخُ (بَابَهَا)

وَالْحَزْمُ أَلْيَقُ فِي الْخُطُوبِ تَذَكُّرَا
مِنْ ذَا الْمُصَابِ الصَّعْبِ لَا تَنْصَجِرَا
فِي سَابِقِ الْعِلْمِ عَلَى كُلِّ الْوَرَى
غُفْرَانٍ وَالْإِحْسَانِ فَضْلاً أَكْبَرَا
وَبِهِ غَدَاً بَذَرُ الْمَكَارِمِ مُسْفِرَا
دَارِ الْبَقَاءِ وَزَالَ بِالْعَفْوِ الْكَرَى
وَالِىَ جَنَّانِ الْخُلْدِ حَقّاً قَدْ سَرَى

(٢٠٤)

[من الكامل]

وقلت :

قَدْ أَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ عَنْ ابْنِ السَّبِيحِ
مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ رَدَاءَةٍ طَبَعِهِمْ

عَ أَحْمَدَ الشَّهْمِ اللَّبِيبِ وَأَكْثَرُوا
كَذَبُوا عَلَيْهِ بِمَا يَقُولُوا وَافْتَرُوا

(٢٠٥)

[من الوافر]

وقلت :

لَقَدْ أَوْقَعْتَنِي يَا بَذَرُ فِيمَا
وَعُمُرُ الْوَصْلِ قَدْ كَانَ قَصِيراً
فَوَاصِلَ قَبْلَ تَوْدِيعِي فُؤَاداً
وَإِنِّي قَانِعٌ قَبْلَ ارْتِحَالِي

يَضِيقُ الصَّدْرُ عَنْهُ مِنْ غَرَامٍ
كَرَدَّ الطَّرْفِ أَوْ طَيْفِ الْمَنَامِ
يُقَاسِي الْوَجْدَ مِنْ أَلَمِ الْهَيْبَامِ
إِلَى الْأَوْطَانِ فِي رَدِّ السَّلَامِ

(٢٠٦)

وقلتُ مُهَيَّئاً «جول كانبون» حَاكِمَ «الجزائر» بِدُخُولِ الْعَامِ الْجَدِيدِ : [من الكامل]

حَيَّا الْحَيَا أَرْضَ الْجَزَائِرِ إِنَّهَا
بِالْخَيْرِ مِنْ وَالِي الْمَفَاخِرِ أَغْدَقَتْ

وَتَوَالَتِ الْأَفْرَاحُ فِيهَا فَانْتَشَتْ تُثْنِي عَلَيْهِ مَا الْبُرُوقُ أَتْرَقَتْ
وَأَتَتْ عُرُوسُ الْعِزِّ تَجْلُوهَا التَّهَّاءُ نِي وَالْبَشَائِرُ نَحْوَهَا قَدْ أَحْدَقَتْ
وَالْعَامُ أَقْبَلَ كَيْ يَنَالَ بِقُرْبِهِ أَسْنَى التَّهَانِي وَالْأَمَانِي حُقِّقَتْ
وَقُدُومُهُ أَرَّخَتْ (سُحْبُ سُرُورِهِ بِجُولِ كُنُوبِ الْمَعَالِي أَشْرَقَتْ)

(٢٠٧)

وقلت :

[من الكامل]

قُلْ لِلْغَزَالِ وَقَدْ تَجَنَّى وَانْشَى مُتَدَلِّلاً وَأَطَالَ مُدَّةَ هَجْرِهِ
لِمَ لَا تُوَاصِلْ مُذْنَفًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْنِي جَمَالَ الْوَجْهِ صَوْلَةُ شَعْرِهِ

(٢٠٨)

وقلت :

[من الكامل]

يَا نَسْمَةَ الْأَسْحَارِ عَنِّي بَلِّغِي أَرْضَ الْجَزَائِرِ أَلْفَ أَلْفِ سَلَامٍ
وَاهْدِي تَحِيَّاتِي لِأَهْلِ مَوَدَّتِي مَنْ حُبُّهُمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ نَامِي

(٢٠٩)

وقلت قصيدة ولم أتمها وأنا تجاه «تونس» :

[من الكامل]

بَادِرْ لِنَيْلِ الْمَجْدِ فِي إِبَانِهِ وَاخْذَرْ ضِيَاعَ الْوَقْتِ فِي خِلَانِهِ
وَدَعْ التَّغَزُّلَ فِي أَغَانِ كَالْدُمَى يَسْلُبْنَ لَبَّ الْمَرْءِ مَعَ رُجْحَانِهِ
وَاتْرُكْ مُنَادِمَةَ الْعَقِيقِ فَإِنَّمَا دَاءُ الْهَوَى قَدْ كَانَ مِنْ غِزْلَانِهِ
كَمْ أَتَحَفُّوا قَلْبَ الْمُتَيَّمِ نَظْرَةً سَلَبَتْ لَذِيذَ النَّوْمِ مِنْ أَجْفَانِهِ

(٢١٠)

وقلتُ من قصيدةٍ فُقدتُ ، وهذا البعض كان محفوظاً : [من الوافر]

وإنَّ حَسَنَ الْمُتَيَّمِ لِلتَّدَانِي	فإنَّي للعلاءِ أرى الحَنِينَا
وما عِشْقُ الغَوَانِي لِي مُرَادٌ	ولكنْ عِشْقُ سِرِّ الخَلْقِ فِينَا
ونَحْنُ قَدْ شَرِبْنَا الكَأْسَ صِرْفَاً	ويشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرَاً وَطِينَا
دَخَلْتُ مَنَازِلَ الْأَحْبَابِ صُبْحَاً	فَكَانَ مَحَلُّ مَثْوَايَ الِیْمِينَا
وقلتُ لِحَاسِدِي مُتٌ فِي اكْتِتَابٍ	فَقَدْ أوردْتُكَ الدَّاءَ الدَّفِينَا
ولِي سِرٌّ مِنَ القَهَّارِ سَارٍ	على جَيْشِ العِدَاةِ سَرَى كَمِينَا

(٢١١)

وقلت - أيضاً - من قصيدةٍ فُقد أكثرُها : [من الكامل]

ناشَدْتُهُ بِاللَّهِ أَنْشَدَ قَائِلَاً	إنَّا بَنِي بَارِيسَ أَهْلُ طَبِيعَةٍ
إِنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ نِسْبَةٌ	فَعَلَاقَةُ الحُبِّ الْأَكِيدَةُ نِسْبَتِي
لِي شَاهِدَانِ عَلَى غَرَامِكَ يَا رِشَا	خَفَقَانُ قَلْبِي إِذْ رَأَى وَصُفْرَتِي

(٢١٢)

وقلت : [من الوافر]

وَمِنْ أَرْضِ الْجَزَائِرِ قَدْ رَحَلْنَا	نَحْنُ السَّيْرُ فِي الْوَابُورِ صُبْحَا
تَرَكْنَا الحُبَّ فِيهَا وَانْتَبَيْنَا	نَسُحُ مِنْ دُمُوعِ الْعَيْنِ سَحَا
وَعَنْ كَافُورٍ قَدْ مَلْنَا وَقُلْنَا	أَلَا يَا دَهْرُ زِدْهُ مِنْكَ قُبْحَا
وإنَّي تَارِكٌ فِيهِمْ مَقَالَاً	على مَرِّ اللَّيَالِي لَيْسَ يُمَحَى

(٢١٣)

وَقُلْتُ مُؤرِّخاً وَفَاةَ بِنْتٍ لِأَحَدِ أَصْحَابِنَا فِي الْجَزَائِرِ: [من الكامل]

هَذَا ضَرِيحُ الطِّفْلَةِ الَّتِي سَرَتْ إِلَى جَنَّانِ الْخُلْدِ فِي طِيبِ الْمَنَى
طُوبَى لَهَا عِنْدَ الْخَلِيلِ قَدْ ثَوَّتْ مَسْرُورَةً حَازَتْ عَلَى أَسْمَى الثَّنَا
لَمَّا أُصِيبَ عَابِدُ الرَّحْمَنِ فِي وَفَاتِهَا نَادَى الْعَزَاءُ مُغْلِنَا
بِهَا سَنَاءُ الْقُرْبِ أَرَّخَ (سَعِدَا) صُوفِيَّةٌ تَسْمُو بِعِزٍّ وَهَنَا



الباب الثالث

فيما قلته حال إقامتي في «دومة»
وفي أرض زولجي التي فيها عصب السفل

الباب الثالث

(٢١٤)

فقلتُ وقد أرسل إليَّ بعضُ الأحابِ صورةَ تمثالي، فكتبتُ إليه مخاطباً
للصورة:

أَعَنْ نَعْتِ الْحَبِيبِ كَشَفْتَ حَالَا	فَأَظْهَرْتَ التَّجَنِّيَ وَالذَّلَالَ
أَمْ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ إِذْ رَأَتْهُ	بُصُورَتِهِ تَصَوَّرَتْ امْتِثَالَ
نَعَمْ رَسْمُ الْحَبِيبِ بَدَا لَدَيْنَا	فَكَانَ ظُهُورُهُ لِلْوَضَلِ فَالَا
تُخَبِّرُنَا شَمَائِلُهُ بِأَنَا	تَخِذْنَا فِي الْقُلُوبِ لَهُ مِثَالَا
وَلَمَّا أَنْ رَأَى الْبُعْدَ جَفَاءً	وَيُضْرِمُ فِي الْحَشَا النَّارَ اشْتِعَالَا
أَرَادَ الْوَضَلَ بِالطَّنِيفِ جَهَاراً	فَأَرْسَلَ مِنْ تَلَطُّفِهِ مِثَالَا
بِرُوحِي مَنْ يَفِي بِالْوَعْدِ طَبْعاً	وَيَنْفِي عَنِ مَوَدَّتِهِ اخْتِلَالَا
وَبَدْرٌ لَا يُحَاوِلُهُ كُسُوفٌ	وَمِنْهُ لِلشُّمُوسِ تَرَى الْكَمَالَ
شَقِيقُ الْخَدِّ يَزْهَوُ بِأَحْمَرَارِ	وَقَوْسُ الْحَاجِبَيْنِ رَمَى النَّبَالَ
كَأَنَّ الْخَالَ زَنْجِيٌّ أَقَامَا	بِذَاكَ الرُّوضِ لَمْ يُرِدْ انفِصَالَا
فَحَيًّا حِينَمَا رَامَ الْمُحَيَّا	فَأَوْجَسَ خِيفَةً مِنْهُ وَمَالَا

وَكَيْفَ الضُّدُّ يُجْمَعُ مَعَ نَقِیضٍ
 إِذَا مَا الْقَدُّ رَامَ الْفَتْكَ فِينَا
 تَرَانَا فِي الْحُرُوبِ لُيُوثَ غَابٍ
 وَنَخْشَى الطَّعْنََ بِالنُّجْلِ بِسَلَمٍ
 وَيَا وَنَحَ الْعَدُولِ أَمَا يُبَالِي
 لَحَاهُ اللَّهُ كَمْ يَأْتِي بِزُورٍ
 خَلِيلِي خَلَّ عَنْكَ كَلَامَ وَاشٍ
 وَوَاصِلُ مُغْرَمًا قَدْ ذَابَ وَجَدًا
 وَزُرُهُ بِالْحَقِيقَةِ بَعْدَ رَسْمٍ
 فَلَا أَثَرَ يُرَى مِنْ بَعْدِ عَيْنٍ
 فَحَاشَا لَطْفِكَ الْمَأْنُوسَ يُبْقِي
 خَلِيلِي بِالَّذِي سَوَّاكَ بِذُرَا
 تَلَطَّفَ بِالْمُعْنَى يَا فُؤَادِي
 فَشَرَحَ الْحَالِ تَعْلَمُهُ حَبِيبِي

وَفِي الْخَدَّيْنِ قَدْ جُمِعَا كَمَالًا
 تَرَى الْأَخْشَاءَ تَنْتَقِلُ انْتِقَالًا
 نُسَارِعُ فِي إِجَابَتِهَا عُجَالِي
 فَيَا اللَّهَ مَا أَشْهَى الْقِتَالَا
 وَيَتْرُكُ فِي الْهَوَى قِيْلًا وَقَلَا
 كَأَنَّ النُّصْحَ أَوْرَثَهُ الْخَبَالَا
 مِلَاكُ أُمُورِهِ يَنْبَغِي الضَّلَالَا
 مِنَ الْهَجْرَانِ يَنْتَحِلُ انْتِحَالَا
 فَرَسَمُ الشَّيْءِ مَتَّخِذٌ مِثَالَا
 وَبِالتَّحْقِيقِ نَلْقَاهُ مُحَالَا
 قَتِيلَ الْحُبِّ يَلْتَهَبُ ابْتِهَالَا
 وَأَعْطَاكَ الْمَحَاسِنَ وَالْجَمَالَا
 وَزَدَهُ بِالْوِصَالِ بِكَ اتِّصَالَا
 وَدَمَعُ الْعَيْنِ يَنْهَمِلُ انْهِمَالَا

(٢١٥)

وَقُلْتُ مُشْطَرًّا:

[من الوافر]

(وَقَائِلَةٌ لِمَا ضَيَّعَتْ مَالًا)
 وَأَبْدَلَتْ الْغَوَانِي فِي هِيَامٍ
 (لَعَلِّي أَنْ أَجِدَ فِي بَعْضِ كُتُبِ)
 وَأَنْظُرَ فِي لَائِي الثَّغْرِ يَوْمًا

عَظِيمَ الْقَدْرِ فِي الْبَذْرِ الْمَصُونِ
 (بِجَمْعِ الْكُتُبِ قُلْتُ لَهَا دَعِينِي)
 سَيِّلًا لِرِضَا نُورِ الْعُيُونِ
 (إِفَادَاتٍ لِدُنْيَايَ وَدِينِي)

(٢١٦)

وقلتُ:

[من الكامل]

زُرْتُ الْحَبِيبَ بِلَيْلَةٍ لَا أُخْتَشِي ظَلَمَ الْعَدُولِ بِهَا وَلَا وَاشٍ رَدِي
وَعَدَا يُنَادِمُنِي بِلُطْفٍ حَدِيثِهِ وَبَاحَ عَنْ حَرِّ الْفُؤَادِ تَنْهَدِي
أَوَاهُ إِنْ يَسْمَحَ بِطِيبٍ وَصَالِهِ أَعْطَيْتُهُ رُوحِي وَمَا مَلَكَتْ يَدِي

(٢١٧)

وقلتُ:

[من الكامل]

مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَلِينُ لِعَاشِقٍ وَإِلَامَ عَنِّي يَا خَلِيلُ تَمِيلُ
أَتَلَفْتَنِي فِي الْحُبِّ يَا بَذَرَ الدُّجَى وَقَطَعْتَ وَصْلِي وَالْوِصَالَ جَمِيلُ

(٢١٨)

وقلتُ مُشْطَرًّا:

[من الكامل]

هَذَا الَّذِي شَهِدْتُ لَهُ أَقْلَامُهُ مِنْ غَيْرِ زُورٍ بِالْكَمَالِ وَلَا افْتِرَا
وَبِهِ الْفُنُونُ لَقَدْ تَكَامَلَ بَدْرُهَا (وَتَرْتَحَتْ بِمَدْيَحِهِ كُلُّ الْوَرَى)
(قَدْ فَاقَ بِالنَّثْرِ الْمُسَجَّعِ مَنْ مَضَى) وَالنَّظْمُ فَرَعٌ فِي الْوُصُولِ تَحْيَرَا
قَدْ زَا حَمَ الْعَرَبَاءِ فِي عِرْفَانِهِ (وَعَدَا يُحَاكِي بِالسَّمَاحَةِ جَعْفَرَا)

(٢١٩)

وقلتُ وقد اطلعتُ على الجزء الأول من «مختصر تاريخ الحافظ ابن
عساكر» للشيخ أبي الفتح بن الشيخ عبد القادر الخطيب الدمشقي: [من الوافر]
أَبَا الْفَتْحِ فَتَحْتَ لِكُلِّ فَدَمٍ يَرُومُ الْكِذْبَ بِالتَّأْلِيفِ بَابَا

وكادَ الدَّهْرُ يَقْضِي مِنْ عَجَابٍ فَمُنْذُ شَامَ ذَا التَّأْلِيفِ شَابَا

(٢٢٠)

وقلت:

[من الكامل]

لو يَعْلَمُ ابْنُ عَسَاكِرٍ أَنَّ أَبَا الـ فَتَحِ يَرْوُمُ مَسْخَ مَا قَدْ صَنَّفَهُ
كَسَرَ الدَّوَاةَ وَنَامَ مِلْءَ جُفُونِهِ وَقَلَى الْعَذُولَ لِمَا يَقُولُ وَعَنَّفَهُ

(٢٢١)

وقلت:

مِنْ مَظْهَرِ السُّرِّ مِنْ يَدِ سَاقِينَا
جَلَّ عَنِ الْحَضَرِ فَتَحُ الْمُحِينَا

فَاجْلُوا دُجَى عَيْنِي وَامْخُورَ رَجَا أُنْيِي
بِوَحْدَةِ الْعَيْنِ زِدْنَا تَلَاوِينَا

نَحْنُ بَنِي الْحُبِّ حُزْنًا عَلَى الْقُرْبِ
فِي الْمَشْهَدِ الْعَذْبِ نَزْهُو بِنَادِينَا

أَصْلٌ مِنَ الشَّرْعِ مِنْهُ نَمَى فَرْعِي
وَنُورُهُ الْوَضْعِي قَدْ صَارَ لِي دِينَا

مَنْ لَمْ يَكُنْ عَاشِقُ لِسِرِّنَا نَاشِقُ
فَذَلِكَ السَّارِقُ فِي حُكْمِ مُفْتِنَا

بَخْرُ مِنَ الْعِلْمِ حَقُّ بِلَا وَهْمٍ
مِنْ مَضَدِّ الْفَهْمِ بِالطُّورِ مِنْ سِينَا

يَا شَاذِلِي حَقُّ بِالْفَهْمِ بَلْ دَقُّ
وَوَقْتُكَ أَنْفَقُ فِي ذِكْرِ بَارِينَا

وَاطْرَحْ عَنِ السُّرُورِ وَمَا مِنَ الْغَيْرِ
لَا زِمَ عَلَى السَّيْرِ نَحْوِ الْمُحِيطِ نَا

حَارَتْ أُولُو اللَّبِّ فِي الْمَشْهَدِ الْوَهْبِي
وَالْمَشْرَبِ الْعَذْبِ لَمَّا سَرَرْتُ فِينَا

يَا رَبِّ يَا ظَاهِرَ صَلِّ عَلَى الطَّاهِرِ
بِحَرِّ الْهُدَى الزَّاحِرِ غَوِثِ الْمُرِيدِينَ نَا

(٢٢٢)

وقلت مشطراً: [من الوافر]

(وَقَائِلَةٌ لِمَا ضَيَّعَتْ مَالاً) مَعَ الْعُمَرِ بِتَخْصِيلِ الْفُنُونِ
(وَأَنْفَقَتْ الَّذِي تَحْوِي يَدَاكَ) (بِجَمْعِ الْكُتُبِ قُلْتُ لَهَا دَعِينِي)
(لَعَلِّي أَنْ أَجِدَ فِي بَعْضِ كُتُبِ) طَرِيقَ السَّيْرِ فِي عَيْنِ الْيَقِينِ
(وَأَنْظَرَ كَوَكْباً مِنْهَا يُرِينِي) (إِفَادَاتِ لِدُنْيَايَ وَدِينِي)

(٢٢٣)

وقلت :

[من الكامل]

لَمَّا اجْتَمَعْنَا وَالْحَبِيبُ مُنَادِمِي وَأَبَاحَ وَصَلِي تَارَةً وَتَمَنَّنَا
لَمْ يَرْضَ بِالْقُرْبِ الْمُبَرَّدِ لِلْحَشَا بَلْ زَادَ فِي الْهَجْرَانِ ثُمَّ تَرَفَّعَا

(٢٢٤)

وقلت :

[من الوافر]

فَوَادُ لَيْسَ يَصْحُو مِنْ غَرَامٍ إِلَى رُتَبِ الْمَعَالِي وَالْعَلِيَّ
وَسُكْرِي وَالَّذِي بِالْفَضْلِ عَمَّتْ مَوَاهِبُهُ دَوَاماً فِي عَلِيٍّ

(٢٢٥)

وقلت :

[من المحدث]

قَدْ

يَا صَاحِ الصَّبْرِ وَهَيَّ مِنِّي

قَدْ طَابَ الشُّرْبُ مَعَ السُّكْرِ فِي حَانَةِ أَرْبَابِ الذُّكْرِ
فَاشْطَحْ يَا صَاحِ بِهَا وَاطْرَبْ وَلِخَمْرِ الْقُدْسِ بِهَا فَاشْرَبْ
وَإِذَا الْمَحْجُوبُ لَهَا اسْتَغْرَبَ دَغَ كُلِّ عَذُولٍ فِي نُكْرِ

دور

بَطْرِيْقِ الْحُبِّ لِي الْمَسْعَى مُذْ طَابَ لِكَعْبَتِهِ أَسْعَى
وَإِذَا مَا الْغَيْرُ نَوَى الْجَمْعَا لَازِمْتُ الْوَحْدَةَ فِي السَّرِّ

دور

شَمْسُ الْعِزْفَانِ بِنَا تُشْرِقُ فِي أَفْقِ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ
فَلَمَسْرَاهَا خَلِّي حَقَّقُ تُصْبِحُ فِي ذَاتِكَ كَالْبَدْرِ

دور

نُورٌ لَا نَارٌ إِنْ تَظْهَرُ مِنْ أَيْمَنِ وَإِيهَا الْأَطْهَرُ
لَا حَتَّ كَالصُّبْحِ فَلَمْ تُسْتَرْ لِلنَّظْمِ تَجَلَّاتِ وَالتَّشْرِ

دور

بِكُرِّ لِمَحَاسِنِهَا ذَلَّتْ أَرْبَابُ الْحُسْنِ وَقَدْ ذَلَّتْ
وَبُيُوجِ السَّعْدِ إِذَا حَلَّتْ يَهْوَاهَا الْعَقْلُ مَعَ الْفِكْرِ

دور

أَخْجَلْتَ الشَّمْسَ مَعَ الْبَدْرِ وَمَنَحْتَ الْمُغْرَمَ بِالسُّكْرِ
مِنْ بَعْدِ الْوَصْلِ إِلَى الْهَجْرِ تَدْعُونِي رَغْمًا بِالْقَهْرِ

(٢٢٦)

وقلت :

[من الكامل]

صَبْتُ يُكَابِدُ لَوْعَةً وَغَرَامَا وَزَفِيرَ شَوْقٍ فِي الضُّلُوعِ أَقَامَا
وَعَلَى الْعَقِيقِ عَقِيقُ دَمْعٍ قَدْ هَمَى إِذْ عَقَّه الصَّبْرُ الْجُمُوحُ وَدَامَا
وَتَرَاهُ مِنْ زَفَرَاتِهِ أَحْشَاؤُهُ عِنْدَ التَّذَكُّرِ قَسَمَتْ أَقْسَامَا
مُتَعَلِّلًا بِحَدِيثٍ مَنْ يَهْوَى إِذَا عَزَّ اللَّقَا وَرَأَى بِهِ تَهَامَا

وقلت أمدح العلامة الأوحـد محمـد أفندي المـنـيني مـفتـي دـمـشق حـالاً :

[من الكامل]

يا سَعْدُ قَفِّ لِي بِالْعَقِيقِ قَلِيلاً
وانشُدْ بِذَاكَ الرَّبْعَ قَلْباً قَدْ ثَوَى
وَإِذَا بِمُنْعَرَجِ اللُّوَى عَرَّجْتَ كُنْ
فَهُنَاكَ كَمْ ظَلَّ الْمُتَيَّمُ تَائِهاً
وَإِذَا بَدَا بَرْقُ الْغَوَيْرِ مُخْبِراً
هُوَ مَوْطِنُ عَزِّ النَّزِيلِ بِهِ وَقَدْ
لَا تَأْلَفُ الْأَفْيَالُ فِيهِ سِوَى الْقَنَا
لَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ نَزِيلَهُمْ
بَسَطُوا الْمَكَارِمَ لِلْعَفَاةِ كَمَا غَدَا
مُفْتِي الْأَنَامِ وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ وَشَمِ
عَلَامَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَبِيرِ الَّذِي
حَبَّرَ لَهُ الْأَخْيَارُ تَسْعَى خِدْمَةً
ظَلَّتْ لِهَيْبَتِهِ الْقُلُوبُ تَحِيَّاً
وَعَدَتْ دِمَشْقُ بِهِ تَفَاخِرُ مَنْ سِوَا
مَنْ يُعْنَى بِالْحَمْدِ الْمُؤَثَّلِ دُونَهُ
يَرُوي الصَّحَاحَ وَهُوَ أَتَقَنَ مَنْ دَرَى
وَبِهِ الْأُصُولُ غَدَا بِأَصْلِ ثَابِتِ

مُتَخَيِّراً ظِلَّ الْأَرَاكِ مَقِيلاً
أَبْدأ بِحُبِّ طِبَائِهِ مَتَّبِعاً
بِالسَّفْحِ مِنْهُ مُهَلَّلاً تَهْلِيلاً
صَباً يُكَابِدُ فِي الْغَرَامِ نُحُولاً
عَنْ رُبْعٍ لَيْلَى فَاتَّخَذَهُ دَلِيلاً
أَمْسَى الْكَمِّي إِلَى النَّجَاةِ كَفِيلاً
وَتَرَى حِمَى الثَّوَيْنِ فِيهِ جَمِيلاً
يَلْقَى الْفَخَارَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلاً
بِمُحَمَّدٍ مَجْدُ الْأَنَامِ جَزِيلاً
سِ الدِّينِ مَنْ أَعْطَى الْمُنَى تَأْمِيلاً
أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولاً
لِسَنَا الْفَوَاضِلِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً
تَتْلُو الثَّنَاءَ مُرْتَبلاً تَرْتِيلاً
هَذَا حَيْثُ مَوْرِدُهُ يَفُوقُ النَّيْلَ
فَإِنَّهُ مُتَطَفِّلٌ تَطْفِيلاً
فِي عَصْرِنَا أَوْ حَقَّقَ الثَّأْوِيلاً
مَنْ بَعْدَ مَا أَضْحَى رَجَاهُ نَحِيلاً

مَرَاةً فَضْلٍ أَغْنَتْ التَّلْوِيحَ عَنْ
 مَا الْبَحْرُ إِلَّا مِنْ أَنْامِلِهِ جَرَى
 مَا أَمَّهُ الْقُصَادُ إِلَّا وَانْتَنَوْا
 بِدَرْبِهِ اتَّضَحَ الْهُدَى بَلْ شَمْسُ فَضْ
 سَيْفٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَسْلُولٌ فَمَا
 بَسَطَ النَّدَى لِحُسُودِهِ حَتَّى غَدَا
 مَوْلَايَ خَوْدٌ بِالْحَيَاءِ تَبَرَّقَعَتْ
 فَالْفَضْلُ مِنْكَ إِذَا وَصَلْتَ رَجَاءَهَا
 كَشَفَ فَكَانَ حِجَابُهُ الْمَبْدُولَا
 فَبَدَتْ حُزُونُ الْمُشْكِلَاتِ سُهُولَا
 بِمَفَاخِرٍ لَمْ تَبْتَغِ التَّحْوِيلَا
 لِي لَمْ تَرْمِ طُولَ الزَّمَانِ أَفُولَا
 يُلْفَى عَلَى بُعْدِ الْمَدَى مَقْلُولَا
 فَذِمَّا بِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولَا
 زُقْتُ إِلَيْكَ لِتَرْتَجِيكَ قَبُولَا
 فِيهِ غَدَا أَوْجُ الْعَلَا مَشْمُولَا

(٢٢٨)

وقلت أمدح صاحب الدولة أحمد باشا الشمعة : [من الكامل]

مَا الْمَجْدُ إِلَّا مَا أَفَادَ شُكُورَا
 بِهِدَايَةِ الرَّحْمَنِ فِي هَذَا الْمَلَا
 وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ أَثْمَارٌ لَهُ
 أَهْلُ الْكَمَالِ كَمَالِ كُلِّ فَضِيلَةٍ
 وَإِمَامُهُمْ مَنْ كَانَ أَحْمَدَ فِي الْوَرَى
 يَتَلَوُ الْأَنَامَ مَدِيحَهُ فَيَزِيدُهُمْ
 كَمْ أَثْقَلَ الْقُصَادَ بِالْأَيْدِي الَّتِي
 هِيَ أَبْحَرُ بِالْفَضْلِ تُغْدِقُ لَا بِمَا
 شَهْمٌ إِذَا رُمْتَ النَّظِيرَ فَمَا
 هُوَ شَمْعَةُ الْأَفْضَالِ بَلْ بِدَرْ غَدَا
 وَأَبَانَ فِي وَجْهِ الْعُفَاةِ حُبُورَا
 زَادَتْ قُلُوبُ أُولِي النُّهَى تَنْوِيرَا
 تُجْنَى فَتَشْمُرُ بِالشَّاءِ أَجُورَا
 قَدْ أَطْلَعْتَ لِلْمُجْتَدِينَ بُدُورَا
 طَبْعاً وَأَرْحَبَهُمْ ثَنَا مَوْفُورَا
 شَوْقاً إِلَى تَكَرَّارِهِ وَسُرُورَا
 هَتَّانُهُنَّ لَمْ يَكُنْ مَحْظُورَا
 يَغْدُو لِوَافِدِهَا الْهَنَاءُ سَفِيرَا
 تَلْقَى لَهُ فِي ذَا الزَّمَانِ نَظِيرَا
 بِسَمَا الْمَفَاخِرِ وَالْعَلَاءِ مُنِيرَا

وَالْحَقُّ يَشْهَدُ أَنَّهُ كَهَفْتُ لَهُ
 إِنَّ رُمْتَ تَحْصِي حَصْرَ مَوْهُوبَاتِهِ
 أَرَبْتُ مَنَاقِبُهُ عَلَى الْبَدْرِ عَلَا
 مَنْ أَمَّهُ مُتَسْتَرّاً بِجَنَاحِهِ
 مَا لَازَ عَافٍ فِي حَصِينِ جَنَابِهِ
 وَلَقَدْ بَنَى لِلْمَكْرُمَاتِ وَأَهْلِيهَا
 فِي هِمَّةٍ سَمَتِ السَّمَاءَ وَعِفَّةٍ
 يَا بَنَ الْأُلَى سُبُلَ الْمَكَارِمِ أَوْضَحُوا
 إِنِّي أَرُومُ بَأَنَّ أَكُونَ عَلَى الْمَدَى
 فَهُمُو بِصَيِّبِ فَضْلِكَ الْوَافِي ارْتَوَوْا
 فَاسْلَمَ وَدُمَ مَا قَالَ بَذْرَانُ ضَحَى

أَضْحَى مَعِينَ ظُهُورِهِ وَظَهِيرَا
 لَمْ تَسْتَطِعْ نَظْماً وَلَا مَنُشُورَا
 وَعَلَى الشَّمُوسِ مَنَازِلَا وَظُهُورَا
 مِنْ دَهْرِهِ يَلْقَى الزَّمَانَ مُجِيرَا
 إِلَّا وَأَضْحَى فِي الْأَنَامِ خَطِيرَا
 طُولَ الزَّمَانِ مُرَبَّعَا مَعْمُورَا
 أَمْسَى شَذَاهَا فِي الدُّنَا مَسْطُورَا
 فَعَدَا بِهِمْ كَسْرُ الرَّجَا مَجْبُورَا
 مِمَّنْ نَظَّمْتَ شَتِيَّتَهُمْ مَذْكُورَا
 وَرَأَوْا لِوَاءَ ثَنَائِهِ مَنُشُورَا
 مَا الْمَجْدُ إِلَّا مَا أَفَادَ شُكُورَا

(٢٢٩)

وَقُلْتُ أَمْدَحُ أَمِينَ أَفندي ترزي، كَاتِبَ مَجْلِسِ الْوَلَايَةِ حَالاً: [من الكامل]

مَنْ كَانَ يَأْمَلُ لِلنَّجَاحِ ضَمِينَا
 حَيْثُ الْمَسْرَّةُ وَالسِّيَادَةُ وَالْعُلَا
 مَا أَمَّهُ الْقُصَادُ إِلَّا وَانْشَى
 دَنِفْتُ إِلَى حُسْنِ التَّوَجُّهِ جَاعِلَا
 أَنَّى تَوَجَّهَ فَالْوَجَاهَةُ وَالثَّقَى
 مَلَكَ الْقُلُوبَ فَمَا تَرَى مِنْ فَاضِلِ
 يَتَلَوُ الْمَحَامِدَ حِينَمَا هَزَّ الصَّبَا

فَلَيَاتِ رَبِّ الْمَكْرُمَاتِ أَمِينَا
 وَالْفَوْزُ أَضْحَى بِالْهَنَا مَقْرُونَا
 كُلُّ بِحْرِ نَوَالِهِ مَفْتُونَا
 مَثْوَاهُ دَوْمًا بِالثَّنَا مَرْهُونَا
 تَزْدَادُ فِي حُسْنِ الثَّنَا تَلْوِينَا
 إِلَّا وَأَظْهَرَ فِي الْمَدِيحِ كَمِينَا
 عِنْدَ الصَّبَاحِ خَمَائِلًا وَغُصُونَا

نَالَتْ بِهِ أَهْلُ النَّهْيِ إِذْ يَمَّمُوا
أَفْدِيهِ مِنْ شَهْمٍ مُحَقَّقٍ مَدَحِهِ
فَلْتَهْنَجَلْقُ فِي أَمِينٍ لَمْ يَزَلْ
نُورُ السِّيَادَةِ مِنْ مُحْيَاةٍ بَدَا
دِيمٌ مِنَ الْإِحْسَانِ أَمْطَرَهَا فَأَمَدُ
يَا بَنَ الْأُولَى فَرَضُوا الْجَمِيلَ وَأَظْهَرُوا
تَحِيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِ مَا أَبْدَوْهُ مِنْ
رَامَ الْمُتَيَّمُ مِنْكَ حُسْنِ تَوَجُّهِ
زَادَتْهُ نِسْبَتُكَ الْعَلِيَّةُ بِهِجَةً
يَرْوِي ثَنَّاكَ مُسْلَسَلًا وَمُعْنَعَنَا

بِرَحَابِهِ عِنْدَ اللَّقَا تَأْمِينَا
يَسْمُو عَلَى أَوْجِ الْعَلَاءِ يَقِينَا
أَبْدَا أَمِينًا لِلنَّجَاحِ ضَمِينَا
مَجْدًا وَعِزَّ الْمَكْرُمَاتِ يُرِينَا
سَيِّئُ نَبْتُهَا عِنْدَ الْوَرَى تَحْسِينَا
نَهَجَ الرَّشَادِ مُوَضَّحًا مَأْمُونَا
فَضْلٍ بَدِيعٍ قَدْ غَدَا مَسْنُونَا
وَشَفِيعُهُ دُرٌّ أَتَاكَ ثَمِينَا
وَالِي ثَنَّاكَ فِي الْمَزِيدِ شُجُونَا
لَمْ يُلَفِّ فِي تِلْكَ الرَّوَايَةِ لِينَا

(٢٣٠)

وَقُلْتُ حِينَ قَدُومِ الشَّهْمِ الْهُمَامِ الْحَاجَّ حَسَنَ بَاشَا وَالِي وَلايَةِ سُورِيَا
حَالًا، وَأَنْشَدْتُهَا تِلَامِذَةً الْمَكَاتِبِ بَيْنَ يَدَيْهِ : [من مجزوء الرمل]

دَوْلَةُ الْإِقْبَالِ وَافَتْ
بِهَنْاءٍ وَسُرُورٍ
وَبِهَا الْأَكْوَانُ لَادَتْ
وَالْمُنَى بُرْدُ قَشِيبٍ

دور

مِنْ عُلَا عِزِّ الْمُلُوكِ
خَيْرَةَ الرَّبِّ الْمَلِيكَ
نَاصِرِ الدِّينِ الْقَوِيمِ
بِهَجَةِ الدَّهْرِ النَّجِيبِ

دور

عَزُّنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ عَمَّ بِالْعَدْلِ الْأَنَامُ
مِنْهُ بِالْفِعْلِ الْحَمِيدِ يُمَطِّرُ الْعِزَّ الصَّبِيبُ

دور

مِنْ سَنَا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ نَصْرُهُ نَصْرٌ قَرِيبُ
مِنْ رِضَاهُ قَدْ مُنَحْنَا شَمْسَ عِزٍّ لَا تَغِيبُ

دور

أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَلَائِكُ نَحْوُ تَأْيِيدِ الْجُيُوشِ
فَانْتَنَى الْمُخْذُولُ هَالِكُ مِنْ لَظَى نَارِ الْحُرُوبِ

دور

إِنْ يُصَمِّمُ نَحْوَ قَصْدِ دُكَّتِ الْأَجْيَالُ دَكَا
أَوْ حَبَا الْعَافِي بِرَفْدِ أَصْبَحَ الْكَوْنُ خَصِيبُ

دور

يَا هَنَا كُلُّ الْأَنَامِ بِرِيَاضِ الْعَدْلِ طَيُّوَا
وَادْعُوا لِلْمَوْلَى السَّلَامِ بِالْبَقَا فَهُوَ الْمُجِيبُ

دور

وَاجْذِبُوا الْأَزْوَاحَ طُرًّا نَحْوُ وَالَيْنَا الْهُمَامِ
بِالدُّعَا جَهْرًا وَسِرًّا وَاصْدُقُوا الصَّدْرَ الرَّحِيبَ

دور

حَسَنُ الْأَفْعَالِ وَافِيُ
يَنْشُرُ الْعَذْلَ بِشَامٍ
بِشْرُهَا وَافِيُ وَصَافِيُ
فَلَهَا الْعِزُّ نَصِيبُ

دور

مَلَجَأُ الرَّاجِينَ غَوْثُ
ذَلِكَ الشَّهْمُ الْوَزِيرُ
مَنْهَلُ الْأَفْضَالِ لَيْثُ
وَالذِّكَا فَتْحُ الْغُيُوبِ

دور

فَلَنَّا الْبُشْرَى تَوَالَتْ
وَالْعُلُومُ فِي أَزْدِيَادُ
لُعْلَا النَّجْمِ اسْتَطَالَتْ
تَغَبَّقُ الدُّنْيَا بِطَيْبِ

دور

فَادِمٌ مَوْلَى الْبَرَايَا
ذَوْلَةُ الْغَازِي الْحَمِيدُ
مَا حَادَا الْحَادِي الْمَطَايَا
نَحْوُ أَوْطَانِ الْحَبِيبِ

(٢٣١)

[من الكامل]

وقلت مُرَاسِلًا بَعْضَ الْأَصْحَابِ :

سَلَّمَ عَلَى الشَّهْمِ الْأَدِيبِ وَقُلْ لَهُ
يَشْكُو الْأَوَامَ مِنَ الصُّدُودِ وَلَمْ يَجِدْ
فَيَظْلُ يَغْلُقُ بِالْأَمَانِي قَلْبُهُ
وَإِذَا رَنَا سَقَطَ الْمَعَرِّي أَسْفَرَتْ
وَلَكُمْ أَتَى نَحْوُ الشَّفَاعَةِ مُقْبِلًا
مَا ذَنْبُ صَبٍّ قَدْ وَلِعْتُ بِبُعْدِهِ
صَبْرًا لِسُلُوَانِ الْجَوَى مِنْ وَجْدِهِ
مُسْتَمْطِرًا غَيْثَ الْوَفَا مِنْ رَعْدِهِ
بِ«الزُّومِ» مَرَاةً مِنْهَجٍ قَصْدِهِ
لَكِنَّهَا لَيْسَتْ لَهُ فِي قَصْدِهِ

بَلِّ لِلْمُسَامَرَةِ الْبَدِيعَةَ قَاصِدًا فَعَسَىٰ بِهَا يَزْهُو الْمُنَىٰ بِفِرْنَدِهِ
حَمْدًا لَهَا وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ مِنْهَجٍ فِي كُلِّ بُرْهَانٍ سَمَا فِي حَدِّهِ

(٢٣٢)

وقلت:

[من الكامل]

إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي الشَّفَاعَةِ سَادَةٌ مِنْ نَسْلِ جَدِّهِمُ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ
هَذَا تُحَقِّقُهُ الْأَنَامُ بِأَسْرِهِمْ فِي الْأَزْمَنِ الْمَاضِينَ حَسَبَ مَظَاهِرِ
لَكِنَّ ذَا الدَّهْرِ الْعَجِيبِ رَمَىٰ بِهِمْ فَتَسْتَرُّوا فِي نُورِهِمْ فِي الظَّاهِرِ
هَيْهَاتَ بَدْرُ التَّمِّ يَخْفَىٰ أَوْ يُرَىٰ إِلَّا عَلِيًّا فِي جَمِيعِ مَظَاهِرِ
وَلَرُبَّمَا غَلَبَ الشُّهَاءُ أَنْوَارُهُ فَبَدَا فَأَذْهَشَ بِالضِّيَاءِ السَّافِرِ

(٢٣٣)

وقلت:

[من الكامل]

لِلَّهِ مَخْرُوسُ الْخُدُودِ بِلَحْظِهِ لَمْ يَرْحَمْ الصَّبَّ الْمَشُوقَ الْمُغْرَمَا
يَزْدَادُ هَجْرًا كُلَّمَا زَادَ الْجَوَىٰ وَيَظِلُّ دَمْعِي مُرْسَلًا يَحْكِي الدَّمَآ

(٢٣٤)

وقلت:

[من الكامل]

بَلِّغِ الزُّبَىٰ سَيْلُ الْغَرَامِ فَهَلْ إِلَىٰ سُبُلِ التَّصَبُّرِ مِنْ طَرِيقٍ يُعْرِفُ
وَنَهَى النَّهْيَ فَأَطَعْتُهُ ثُمَّ انْتَهَىٰ فِي الْغَيِّ قَلْبِي فَاَنْشَىٰ يَتَلَهَّفُ
قَدْ كُنْتُ خِلْوًا مِنْ جَوَىٰ وَكَابَةِ فَدَهَى الْفُؤَادِ صَبَابَةً لَا تُصَرَفُ

(٢٣٥)

وقلت مُهَنَّا الشَّهْمَ الصَّدِيقِي محيي الدِّين بك ، قائمقام «دوما» حالاً
بالعيد:

إِنَّمَا الْعِيدُ أَتَاكَ سَفِيرًا بِالتَّهَانِي أَرَّخَ الْاِفْتِخَارَا
شَاكِراً عَلَيْكَ دَوْماً بِمَدْحٍ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَطَارَا
مِنْ أَبِي بَكْرٍ لَكَ الْمَجْدُ يَبْدُو ذَاكَ عِزُّ فَضْلُهُ لَنْ يُبَارَى
كُلَّ يَوْمٍ فِي ارْتِقَاءٍ جَدِيدٍ مِنْ حَمِيدٍ لِلْمَعَالِي أَنْارَا
وَتَنَاءٍ طَيِّبُهُ قَدْ فَاحَ مِنْكَأً قَدْ بَنَى لِلْمَكْرُمَاتِ الْمَنَارَا
سَيِّدِي دُمُ فِي هَنَاءٍ وَسُرُورٍ مَا جَلَا دَاجِي الظَّلَامِ السَّرَارَا
وَالْعُلَا قَدْ أَعْلَنَ الْمَدْحَ جِهَارَا فَسَرَى فِي الْكَوْنِ طُراً حَيْثُ سَارَا

(٢٣٦)

وقلتُ مُحَمَّساً بِيَتِي ابنِ سهلِ الأَنْدَلُسِيِّ ارتجالاً:

أَضْحَى الْهَوَى وَالْجَفَا وَالْبُعْدُ لِي نَسَبَا فِي حُبِّ مَنْ لَوْ بَدَا لِلْبَدْرِ لاحتَجَبَا
نَادَيْتُ يَا لِلْهَوَى حِينَ الْحَشَا التَّهْبَا (رُدُّوا عَلَى طَرْفِي النُّومَ الَّذِي سَلَبَا

وخبَّرُونِي بعقلي أَيْةً ذَهَبَا)

كَفَى نُحُولِي مَعَ الْأَسْقَامِ مَعْدِرَةً حَيْثُ اللَّحَاطُ غَدَتِ فِينَا مُحَكَّمَةً
يَا لَائِمِي فِي الْهَوَى أَرْجُوكَ مَرْحَمَةً (عَلِمْتُ لَمَّا رَضِيتُ الْحُبَّ مَنَزَلَةً

أَنَّ الْمَنَامَ عَلَى جَفَنِي قَدْ غَضِبَا)

(٢٣٧)

وقلتُ وقد رأيتُ بناءً قديماً عندَ ثَنِيَّةِ الْعُقَابِ : [من الوافر]

بِنَاءٍ عَنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ أَنْبَاً وَبَسَائِيهِ رَمِيمٌ فِي بِنَاءٍ
يُخَبِّرُنَا بِصِدْقِ الْقَوْلِ أَنَّا جَمِيعاً قَدْ نَصِيرُ إِلَى الْفَنَاءِ
فَعُقْبَى الْمُؤْمِنِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَعُقْبَى النَّاكِثِينَ عَلَى شَقَاءِ

(٢٣٨)

وقلتُ وقد قاسيتُ من سوءِ فعلِ الْمُكَارِي نَصَباً : [من الوافر]

إِذَا الْمَرْءُ عَدَاهُ الْحَظُّ يَوْماً تَرَأَى السَّهْلُ فِي عَيْنَيْهِ حُزْناً
وَإِنْ رَكِبَ الْجِيَادَ غَدَتْ حَرُوناً وَإِنْ فَرَحاً يُرِيدُ يَعُودُ حُزْناً

(٢٣٩)

وقلتُ أشكو من الذُّبَابِ وأنا في قَرْيَةٍ «الْقُطَيْفَةِ» : [من المجتث]

لِلَّهِ أَشْكُو ذُبَاباً بِالْوَجْهِ زَادَ التَّهَابَا
وَالْحَرُّ أَضْحَى مُعِيناً يَسْرُومُ مِنَّا انْتِهَابَا

(٢٤٠)

وقلتُ : [من الوافر]

وَمِنْ غُبْنِ الْمُكَارِي وَالطَّرِيقِ وَقَاسَيْنَا مِنَ التَّعَبِ الشَّدِيدِ
تَقْضَى صَفْوُهَا مَعَ ذَا الرِّفَاقِ وَفَوْقَ الْكُلِّ لَا تَنْسَى فِعَالاً

(٢٤١)

وقلت :

[من الكامل]

سَقِيًّا لِأَيَّامٍ بِـ«يَبْرُودَ» لَهَا أَرْجُ يَفُوقُ وَطِيبُ نَشْرِ يَغْبُوقُ
بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ كَوْثَرِ مَائِهَا ظَلَّ النَّسِيمُ بِظِلِّهَا يَتَأَنَّقُ
مَا غَابَ «رَأْسُ الْعَيْنِ» عَنِّي لَحْظَةً إِلَّا انْثَنَيْتُ وَلِي فُؤَادُ شَيْقُ

(٢٤٢)

وقلت في قرية «رأس العين» :

[من الكامل]

لِلَّهِ «رَأْسُ الْعَيْنِ» إِنَّ هَوَاءَهَا يَهْوِي إِلَيْهِ فُؤَادُ كُلِّ مُتَيِّمٍ
رَقَّ النَّسِيمُ بِهَا وَرَاقَ زُلَّالُهَا وَالْغُصْنُ يَحْكِي قَلْبَ صَبٍّ مُغْرَمٍ

(٢٤٣)

وقلت :

[من البسيط]

يَا رَامِيًا بِسِهَامِ اللَّحْظِ مُتَّيِّدًا يَضْطَّادُ قَلْبِي لَقَدْ عَجَّلْتَ إِتْلَافِي
رَفَقًا بِصَبٍّ جَنَتْ عَيْنَاهُ مَوْتَهُ فَهُوَ الْقَتِيلُ وَمَا لِلْحُبِّ مِنْ شَافِي

(٢٤٤)

وقلت :

[من الكامل]

مَنْ لَمْ يَجِدْ وَضَلَ الْحَبِيبِ كَصَدِّهِ أَفْتَى الْغَرَامُ بِطَرْدِهِ وَبِبُعْدِهِ
فَلْيَفْعَلِ الْمَحْبُوبُ مَا يَخْتَارُهُ مِنْ وَضَلَ صَبٍّ فِي الْهَوَى أَوْ صَدِّهِ

وقلت أمدحُ الهُمَامَ الأَوَحَدَ الشَّيْخَ محمود أفندي أبا الشَّامَاتِ مهتئاً له
بعيد النَّحْرِ سنة (١٣١٤ هـ): [من الكامل]

يَأْبَى الحَبِيبُ رِضًا سِوَى التَّوْحِيدِ فَاُمْرِجْ زُلَالَ الحُبِّ بِالتَّقْرِيدِ
وَإِذَا بَدَتْ أَعْلَامُ لَيْلَى فابْتَهَجْ فَرَحًا وَقُلْ يَا سَعْدُ طَابَ شُهُودِي
وَاطْرَبْ عَلَى الرَّاحِ القَدِيمِ مُنَادِمًا شَخْصَ العَرَامِ الحَاضِرِ المَفْقُودِ
فَبِهِ نِظَامُ الكَوْنِ مُنْتَظِمًا وَفِي سَرَيَانِهِ قَدْ سَارَ فِي الجُلُودِ
وَأُولُو الشُّهُودِ مُهَيِّمُونَ عَنِ السَّوَى وَالغَيْرُ يَلْهُو بِاللَّمَى وَالجِيدِ
فَمَضَى العَذُولُ وَلَيْسَ يَعْرِفُ وَجْهَةً لِمَكَانِ بَابِ دُونِهِ مَسْدُودِ
نَحْنُ الحِجَابُ عَنِ الحَبِيبِ إِذَا بَدَا وَنُفُوسُنَا تَحْتَاجُ لِلتَّسْدِيدِ
يَا حَبْدًا عَذْبُ العَذَابِ بِحُبِّهِ فَهُوَ السَّفِيرُ لِطَالِعِ مَسْعُودِ
وَلِسِرْبِ غِزْلَانِ النِّقَا يَهْفُو الفُؤَا دُ فَظَنَّ صَحْبِي لَفَتَتِي لِلْغَيْدِ
عَنْهُ أُرِّي بِالْعَقِيقِ وَلَعَلَّعَ طَوْرًا وَطَوْرًا بِالْعُيُونِ الشُّودِ
وَبِحَاجِرِ حَجَرِ الفُؤَادِ مُتَيَّمًا مَا بَيْنَ سَلْعِ أَوْ دِيَارِ زُرُودِ
فَالْبَدْرُ ذَاتِي إِنْ سُرْتُ بِمَوْضِعِ ظَهَرَ السَّنَا عَلْنَا بِكُلِّ وُجُودِ
وَإِذَا تَلَاظَمَ بَحْرُ عَشْقِي فِي الْوَرَى غَرِقَ الجَحُودُ بِلُجَّةِ التَّفْنِيدِ
مِنْ عَهْدِ نُعْمَانِ الأَرَاكِ أَرَاكَ يَا نِعْمَايَ تَزْهُو فِي رِيَاضِ وُرُودِ
فَالْحُبُّ كَأْسِي والشُّهُودُ مُدَامَتِي وَالسَّرُّ رَوْضِي والصِّفَاءُ بُرُودِ
وَوِصَالُ رُوحِي رُوحَ أَمْدَادِ سَرَتْ مِنْ رَوْضَةِ الأَمْدَادِ مِنْ مَحْمُودِ
تِلْكَ التِّي مِثْتُ الفُؤَادِ بِمَسَّهَا يَخِيَا وَيَنْقَى بَعْدَ ضَمِّ لُحُودِ
كَالْبَرْقِ تَلْمَعُ مِنْ سَمَاءِ حَقِيقَةٍ كَشْفًا وَذَوْقًا لَيْسَ بِالتَّقْلِيدِ

والْحُسْنُ أَحْسَنُ مَا يَرُوقُكَ مَنْظَرًا
فَلِذَا أَبُو الشَّامَاتِ عَنْ نُورِ الْهُدَى
حَبْرٌ بِأَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ عَارِفٌ
وَرَدَ الْحَقِيقَةَ فَارْتَوَى مِنْ وَرْدِهَا
وَالشَّمْسُ إِنْ تَشْرِقَ بِطَالِحِ سَعْدِهَا
«حِكْمُ الْعَطَاءِ» عَلَى الْأَنَامِ أَفَاضَهَا
وَعَلَى «الْوَفَا» أَوْفَى وَأَظْهَرَ نَيْرًا
لَكِنَّ ذَلِكَ لَمَحَةٌ مِنْ مَشْهَدِ
وَالسَّرِّ فِي أَهْلِ الْوَصَالِ مُكْتَمٌ
إِنْ عَمَّ طُوفَانُ الْعِنَادِ فَلِلنَّجَا
مَنْ أَمَّهُ يَبْغِي الْهُدَى مِنْهُ اكْتَسَى
فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ سَنَاهُ عِيدُنَا
مَوْلَايَ إِنْ ذِكْرَتْ مَزَايَاكُمْ لَدَى
وَبِكُمْ أَهْنِي الْعِيدَ إِذْ عَادَ الْهَنَا
فَاللَّهُ يُبْقِيكُمْ لِأَهْلِ وَدَادِكُمْ

فِي مَظْهَرِ الْخَدَّيْنِ بِالتَّوْرِيدِ
كُنُوا بِهِ فِي مَشْهَدِ التَّمْجِيدِ
بَحْرُ النَّهْيِ مِنْ حَوْضِهِ الْمَوْرُودِ
حَتَّى بَدَأَ الْمَكْنُونُ كَالْمَشْهُودِ
كَشَفَتْ لَنَا مَا كَانَ بِالْمَرْصُودِ
مِنْ سُحْبِ فَضْلِ لَيْسَ بِالْمَحْدُودِ
بِ«شِهَابِهِ» يَجْتَاحُ كُلَّ حَسُودِ
ظَهَرَتْ لَنَا تَحْتَاجُ لِلتَّقْيِيدِ
عَنْ كُلِّ فَدَمٍ جَاهِلٍ مَطْرُودِ
سَفِينَةُ الْحَقِّ رَسَتْ فِي الْجُودِ
حُلَلَ الثَّقَى مِنْ فِعْلِهِ الْمَحْمُودِ
فَلَنَا الْهَنَا أَبَدًا بِذَلِكَ الْعِيدِ
ذَاكَ الْمُحِبِّ يَقُولُ طَابَ نَشِيدِ
لَهُ وَدَامَ بِرَوْضَةِ التَّحْمِيدِ
كَهْفًا وَهَذَا غَايَةُ الْمَقْصُودِ

(٢٤٦)

وَقُلْتُ مُهْتَتًا حَضْرَةَ الْوَزِيرِ الْخَطِيرِ أَحْمَدَ بَاشَا الشَّمْعَةِ الدَّمَشْقِيِّ: [من الرمل]
لَا حَ لِلْمُشْتَقِ مِنْ نَحْوِ الْحِمَى
كَوَكَبِ السَّعْدِ بِجُنْحِ الْغَلَسِ
فَنَمَا مِنْهُ الشُّرُورُ وَسَمَا
يَزْدَهِي مُبْتَسِمًا وَهُوَ عَسِي

دور

مَنْ مُجِيرِي مَنْ غَزَالِ رَبِّرَبٍ
فَاتِنِ رَبِّي فِي حَجَرِ الدَّلَالِ

يَسْلُبُ الْأَرْوَاحَ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ
مِثْلُهُ مُزْتَدِيًّا ثَوْبَ الْجَمَالِ
وَلِعَهْدِ الْوَصْلِ مِنْهُ مَا نَسِي
أَيْنَمَا سِرْتُ أَرَاهُ مُؤْنِسِي

إِنْ رَنَا مُلْتَفِتًا وَاعْجَبِي
لَيْسَ فِي الثُّرُكِ وَلَا فِي الْعَرَبِ
فِي هَوَاهُ الْوَجْدُ لِي قَدْ عَلِمَا
حُبُّهُ لَوْ جَارَ فِي مَنَعِ اللَّمَى

دور

وَجْهُهُ الْبَاهِي بِجُنْحِ الْغَيْهِبِ
كَمْ فُؤَادٍ فِي الْهَوَى مِنْهُ سُبِي
مُرْسِلًا مِنْ جَفْنِهِ كُلِّ نَبِي
دَمْعِي الْقَانِي وَصَدِّي الْمُتَبَسِّ
صَدَّ عَنِّي يَا لَهُ مِنْ مُفْلِسٍ

يَخْتَفِي الْبَدْرُ إِذَا مَا سَفَرَا
وَيَغَارُ الْبَانُ إِذَا مَا خَطَرَا
جَيْشُ آسَادِ الْغَرَامِ أَسَرَا
نَارَ أَشْوَاقِي إِلَيْهِ أَضْرَمَا
وَعَزِيمُ الصَّبْرِ مِنِّي حِينَمَا

دور

فِي غَزَالٍ قَدْ سَبَى نَجْدًا وَشَامَ
مَا رُعِيَ يَوْمًا بِوَادِيهِ الْبَشَامِ
يُسْكِرُ الذَّائِقَ مِنْ غَيْرِ مُدَامَ
وَيَصِيدُ الْأُسْدَ مِنْ غَيْرِ قِسي
حَيْثُمَا تَزْكُو بِطَيْبِ النَّفْسِ

يَا أَحْلَايَ أَهْلَ لِي مُنْصِفُ
مِنْ بَنِي الْفِرْدَوْسِ شَادِ أَهْيَفُ
رَيْقُهُ مِنْ غَيْرِ رَيْبٍ قَرْقَفُ
كَيْفَ لَا تَعْشَقُهُ بِيضُ الدُّمَى
وَلَهُ فِي الشَّامِ أَزْكَى مُنْتَمَى

دور

مَرْبَعُ الْأُنْسِ وَمَعْهَدُ الصَّفَا
وَرُذْهًا لِمُجْتَدِي الْعِزِّ صَفَا
وَهِيَ مِنْ أَحْمَدَ تَزْهُو بِالْوَفَا
لَا يُقَاسُ بِالْجَوَارِي الْكُنَّسِ

جَنَّةُ الدُّنْيَا وَغَايَاتُ الْأَمَلِ
فَهِيَ رُبْعُ الْفَضْلِ إِنْ عَنْهَا تَسَلُ
كَيْفَ لَا تَسْمُو عَلَى أَوْجِ الْحَمَلِ
فَاقَ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ كَرَمًا

قَدْ حَبَاهُ اللَّهُ مِنْهُ حِكْمًا نُورُهَا مِنْ فَرْطِ سِرِّ أَقْدَسِ

دور

شَمْعَةُ الْمَجْدِ وَكَهْفُ الْمُسْتَجِيرِ بِهِجَةُ الدَّهْرِ حُسَيْنِي النَّسَبِ
مَا لَهُ فِي عَصْرِنَا هَذَا نَظِيرُ مَذْحُهُ يَمْلَأُ أَسْفَارَ الْأَدَبِ
فَضْلُهُ الْوَافِرُ كَالشَّمْسِ يَسِيرُ فَيُعِثُّ الْفُرْسَ طَرّاً وَالْعَرَبَ
أَحْمَدُ الْفِعْلِ كَرِيمُ الْمُتَمَيِّ طَاهِرُ الْأَصْلِ زَكِيُّ الْمَغْرِبِ
قُلْ لِمَنْ قَدْ رَامَ أَنْ يُخْصِيَ مَا نَالَ هَذَا مِنْ فِعَالِ الْهَوَسِ

دور

طَالِعُ السَّعْدِ بِهِ قَدْ طَلَعَا كُلَّ يَوْمٍ فَهُوَ فِي عِيدٍ جَدِيدٍ
وَبِهِ الْمَجْدُ غَدَا مُرْتَفَعَا يُبْدِي الْمَدْحَ لَدَيْهِ وَيُعِيدُ
كَمْ لِسَانٍ فِي ثَنَاهُ بَرَعَا بِمَعَانٍ حَيَّرَتْ إِنْ الْعَمِيدُ
فَلَنُحْنَنَّ الْعِيدَ فِيهِ دَائِمَا يَخْتَسِي مِنْ فَضْلِهِ مَا يَخْتَسِي
وَلَنُقْلُ أَبْقَاهُ رَبِّي سَالِمَا فِي سُرُورٍ وَحُبُورٍ أَنْفَسِ

(٢٤٧)

وقلت أمدحه أيضاً حين قُدومه من دَارِ السَّعَادَةِ: [من الكامل]

يَا سَعْدُ خُذْ لِي لِلْعَذِيبِ سَبِيلَا فَهُنَاكَ تَلْقَى الْعِزَّ فِيهِ نَزِيلَا
وَاحْذُ الْمَطَايَا نَحْوَ بَانَاتِ اللَّوَى وَاعْنَمْ بِذَاتِ الرَّنْدِ مِنْهُ مَقِيلَا
وَاقْرَ السَّلَامَ أَهْيَلَهُ مِنْ مُغْرَمٍ جَعَلَ النَّسِيمَ إِلَى الْحَبِيبِ رَسُولَا
أَمَاقُهُ غَبَّ النَّوَى قَدْ عَاهَدَتْ أَنْ تَخْكِي النَّيْلَ الْخِضَمَّ مَسِيلَا
وَإِذَا تَأَلَّقَ بِالْحِمَى بَرْقُ مَحَا مِنْ رَسْمِهِ شَوْقٌ لَدَيْهِ نُجُولَا

لَوْ لَا التَّأَوُّهُ لَمْ تَكْذُ عَوَادُهُ
صَبُّ يَكَابِدُ مَا يُكَابِدُ إِذْ رَأَى
وَإِذَا الصَّبَابَةُ جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ
يَا جَبِرَةَ الشَّعْبِ الْيَمَانِي لَمْ يَزَلْ
وَبِمُهْجَتِي لَيْثُ الْوَعْيِ فِي حَيِّكُمْ
مَا زَالَ أَحْمَدُ صُنْعُهُ يَرْوِي لَنَا
قَدْ فَازَ مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ بِالْمُنَى
يَا شَمْعَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهْدَى السَّنَا
مِنْهَا اسْتَنَارَ الْكَوْنُ إِفْضَالًا كَمَا
آيَاتُ مَجْدِكَ مُعْجَزَاتٌ أَنْزِلْتَ
بُشْرَى مِدَالِيَةِ امْتِيَازٍ قَدْ تَلَّتْ
بَذْرَانُ هَلَاءٌ فِي رِضَا مَلِكِ الْوَرَى
يَأْبَى تَفَرُّدُ مَجْدِكَ السَّامِي بِأَنْ
مَنْ شَاءَ شَأْوَكَ ضَلَّ فِي بَهْتَاتِهِ
فَالشَّامُ مُشْرِقَةٌ سُرُورًا إِذْ بَدَتْ
بِالْمَجْدِ أَرْخُ (فَائِزٌ بِالْعِزِّ مِنْ

أَنْ يَعْلَمُوا لِلْبَحْثِ عَنْهُ دَلِيلًا
لِغَرَامِهِ كُلِّ الْأَنَامِ عَذُولًا
سَلَبَتْهُ عَنْ غَيْرِ الْهَوَى الْمَعْقُولًا
قَلْبِي بِحُبِّ مَدِيحِكُمْ مَشْغُولًا
مِنْ غَيْرِ مِدْحَتِهِ يُعَدُّ فُضُولًا
سَنَدًا عَلَى طُولِ الْمَدَى مَقْبُولًا
وَأَتَى بِأَصْنَافِ الرِّضَا مَشْمُولًا
كَانَتْ لِنُورِ النَّيِّرَيْنِ أَصُولًا
أَضْحَتْ لِهَامَاتِ الْعُلَا إِكْلِيلًا
لِمَنْ ارْتَدَى فِي رَيْبِهِ تَنْزِيلًا
نِشَانُ عُثْمَانِي الْعُلَا تَنْوِيلًا
فَعْدَا الْحَسُودُ بِكَيْدِهِ مَغْلُولًا
يُلْفِي لَهُ طُولَ الزَّمَانِ مَثِيلًا
وَرَأَى التَّطَاوُلَ لِلْمَقَامِ مَهُولًا
بِكَ بِالتَّهَانِي مَرْبَعًا مَأْهُولًا
عَبْدُ الْحَمِيدِ مُنِخْتَ أَكْرَمَ سُولًا

(٢٤٨)

وَقُلْتُ مَادِحًا وَلَدَهُ رُشْدِي بِكَ وَمُهَنْتًا لَهُ بَعِيدَ النَّحْرِ :
[من الرمل]
يَا نَدِيمِي قَدْ دَنَا وَقْتُ الصَّبَاحِ فَاسْقِنِي السَّلْسَالَ رَاحًا بَعْدَ رَاحِ
قَدْ أَتَى وَقْتُ الصَّفَا وَالطَّرَبِ
وَتَجَلَّى الْأَنْسُ لِي مِنْ كَثَبِ

عَاطِنِي قَهْوَةَ أَهْلِ الْأَدَبِ
 فَلَهَا الْعِزُّ يَقُولُ لَا بَرَاخَ وَهَزَارُ السَّعْدِ فَوْقَ الدَّوْحِ صَاحُ
 سَلْسَبِيلٍ دَأْبُهَا تُحْيِي الثُّفُوسَ
 لَمْ تَدْعُ فِي حَانِهَا يَوْمًا عَبُوسَ
 إِنْ تَجَلَّتْ أَخَجَلَتْ ضَوْءَ الشُّمُوسِ
 قَدَمُ الْهَمِّ لَهَا قَدْ يُسْتَبَاحُ وَبِذَا الرَّأُوقُ فِي الْمَجْلِسِ بَاحُ
 كَمْ نَفَتْ عَنْ مُحْتَسِبِهَا وَصَبَا
 وَلَهَا حَثَّ الْمَطَايَا وَصَبَا
 وَإِذَا مَا هَبَّ فِي الرُّوضِ صَبَا
 مَالَ غُصْنُ الْبَانِ فِي تِلْكَ الْبَطَاحِ وَبِذَا مُبْتَسِمًا ثَغْرُ الْأَقَاحِ
 مِنْ بُكَاءِ الشُّحْبِ يَضْحَكُ الرُّبَا
 وَذَكَ نَفْحُ الزُّهُورِ وَرَبَا
 فَلِهَذَا الْعَيْشِ قَدْ حَلَّ الرُّبَا
 إِذْ تَجَلَّتْ عَلْنَا خَوْدُ رِدَاخِ قَدْهَا يَهْزَأُ فِي سُمْرِ الرِّمَاحِ
 تَجَذِبُ النَّاسِكَ لِلْوَجْدِ لَهَا
 مَا رَأَاهَا عَابِدٌ إِلَّا لَهَا
 وَانْثَنَى نَحْوَ التَّصَابِي وَلَهَا
 إِنْ رَنَتْ يَوْمًا فَمَا بِيضُ الصَّفَاحِ تُخْرِسُ الْأَلْسُنَ أَنْ تَحْكِي الْفِصَاحِ
 أَلِفَ الصَّبِّ بِعَيْنَيْهَا الْغَزَلَ
 بِمَعَانِ أَلْبَسَتْ قَيْسَ الْحَجَلِ
 وَبِهَا ظَلَّ ابْنُ هَانِي فِي وَجَلِ

حَيْثُمَا قَدْ أَخْرَجَتْ دُرّاً صِحَاحُ لِلتَّهَانِي فِي سَنَا الْعِيدِ افْتِتاحُ
 لِفَتَى الْمَجْدِ الْهُمَامِ الْأَلْمَعِي
 الطَّيِّبِ الْأَضْلِ الذِّكِّيِّ اللُّوذَعِي
 لَفْظُهُ نُزَّهُ عَنْ حَضَرٍ وَعِي
 مَنْ إِلَيْهِ الْمَجْدُ يُبْدِي الْإِزْتِياعُ وَلَهُ قَدْ طَابَ حُسْنُ الْإِمْتِداعُ
 مِنْ سَنَا رُشْدِي بَدَا نَهْجُ الرَّشادُ
 وَبِنَاءَ الْحَمْدِ لِلْمُدَّاحِ شَادُ
 شَمْعَةٌ مِنْ نُورِهَا الْبَدْرُ اسْتَفَادُ
 وَلَنَا عِيدُ التَّهَانِي قَدْ أَباحُ شُكْرَ أَنْسٍ فِي اغْتِياقٍ واضْطِباعُ
 أَوْضَحَ الرُّشْدَ لِمَنْ رَامَ الرَّشْدُ
 حِينَما أُيِّدَ بِالْقَوْلِ الْأَسَدُ
 إِنَّ هَذَا الشُّبْلَ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدُ
 عَنْ أَبِيهِ قَدْ رَوَى نَهْجَ السَّماعُ وَسَمَا فِي أَوْجِ أَفلاكِ الصَّلاحُ
 فَلْنَهْنِ الْعِيدَ فِي وُجُودِهِ
 حَيْثُ أَضْحَى رَافِلاً فِي جُودِهِ
 وَلِنَقْلُ لَا زَالَ فِي سُعُودِهِ
 كُلَّ يَوْمٍ فِي سُرُورٍ وَانْشِراحُ ما انْتَنَى غُصْنٌ وَعَرَفُ النَّدِّ فَاحُ

(٢٤٩)

وَقُلْتُ مَهْنًا لَهُ بِالرُّتْبَةِ الْأُولَى مِنْ الصَّنْفِ الْمُتَمَازِ: [من الكامل]
 مَانَحَوْكُمْ لَجَّ الْعَلَا فِي الطَّلَبِ إِلَّا دَعَا دَاعِي الْهَنَا مِنْ كَثَبِ

وَالْمَجْدُ لَاذٍ بِكُمْ يَرُومُ بِأَنْ يَكُنْ
 مَا حُزْتُمو مِنْ رُتْبَةٍ إِلَّا غَدَاً
 فَاهْنَأُ إِمَامَ الْمَجْدِ رُشْدِي الْعُلَا
 وَارْقَى فَقَدْ أَضْحَى سَنَاكُمْ رَاقِباً
 ثَنَاكُمْ فِي الْكَوْنِ فَاحَ عَيْرُهُ
 يَا شَمْعَةً إِنْ تُذَكِّرِ الشَّمْسُ لَهَا
 مَنْ رَامَنِي يَرْجُو النَّجَا أَوْ لَاذِي بِي
 ذُو هِمَّةٍ لَوْ قَابَلْتُ صُمَّ الصَّلَا
 لَمَّا بَدَا مُتَمَايزاً فِي مَجْدِهِ
 أَرَحْتُهُ إِنْ حَاذَ رُشْدِي الْإِرْتَقَا

مِمَّنْ يُشَارِكُ عِزَّكُمْ فِي النَّسَبِ
 مَنْ فَوْقَهَا يَدْعُوكُمْ فِي طَرْبِ
 بَلْ شَمْسَ فَضْلٍ فِي الْمَلَا لَمْ تَغِبِ
 أَوْجَ الْمَعَالِي رَافِعاً لِلْحُجُبِ
 مُتَأَرِّجاً فَعْدَا جَمَالَ الْكُتُبِ
 قَالَتْ رُوَيْدَا إِنَّهَا تُشْرِقُ بِي
 يَلْقَى الْأَمَانِي حَائِزاً لِلْأَرْبِ
 بٍ لَا تَنْتُ مِنْ هَوْلِهَا فِي عَطَبِ
 وَالْعِزُّ أَمْسَى طَائِعاً فِي آدَبِ
 أَرَّخْ (هُنَا بُشْرَى بِأَعْلَى الرُّتَبِ)

(٢٥٠)

وَقُلْتُ مَعَاتِباً صَاحِبَ الْأَعْزَازِ مُحْيِي الدِّينِ عَلِيَّ بَكَ قَائِمَقَام «دوما» :

[من الكامل]

مَا بَالُ أَحْبَابِ الْفُؤَادِ تَجَنَّبُوا
 قَسَمًا بِهِمْ مَا مِلْتُ يَوْمًا عَنْهُمْ
 إِنْ كَانَ هَجْرِي عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ مَضَتْ
 أَوْ كَانَ مِنْ كَذِبِ الْحَسُودِ فَيَا لَهُ
 يَا جِيرَةَ الشَّعْبِ الْمَجِيرِ بِحَقِّكُمْ
 لَوْلَا الْمُنَى بِالصَّفْوِ كَانَ لَهُ عَلَى
 لَكِنَّمَا الْأَمَالُ تُدْنِي قُصْدَهُ
 شَهْمٌ مِنَ الصَّدِيقِ نَالَ مَهَابَةً

أَوْ مَا دَرَوْا أَنِّي إِلَيْهِمْ أَنْسَبُ
 أَوْ كُنْتُ فِي عَهْدِ الْمَوَدَّةِ أَكْذِبُ
 فَمَنْ الَّذِي فِي عُمْرِهِ لَا يُذْنِبُ
 مِنْ مُفْسِدٍ فِي كُلِّ قُبْحٍ يَذْهَبُ
 كُفُّوا الْأَسَى عَنْ مُغْرَمٍ يَتَعَذَّبُ
 أَسْفَارِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ مَذْهَبُ
 بَسَنَاءِ (مُحْيِي الدِّينِ) ذَاكَ الْأَنْجَبُ
 مِنْ صُبْحِهَا فِي الْخَيْرِ يُجْلَى الْغَيْهَبُ

أَفْضَالُهُ كَالْغَيْثِ مُنْهَالًا فَعَن
لَكِنِّي عَنْهُ حُجِبْتُ لِحَاسِدٍ
فَبَقِيْتُ بَعْدَ الْبُعْدِ لَا ذُقْتُ الضَّنَى
وَشَفَى الْعِدَا مِنْ بَعْدِ أَنْ شَمِتُوا وَقَدْ
رَفَقًا بِمُخْلِصٍ وَدُكُم مَوْلَايَ إِنْ
كَذَبَ الَّذِي قَدْ قَالَ إِنَّ فُؤَادَكُمْ
قَسَمًا بِسَابِقِ فَضْلِكُمْ وَجَمِيلِكُمْ
وَلَكُمْ عَقَافُ النَّفْسِ مَنْسُوبٌ وَإِنْ
فَاسَلَمَ وَدُم بِالْعِزِّ فِي شَرَفٍ وَفِي

مَنْ رَامَ صَيِّبَ بَرِّهِ لَا يُحْجَبُ
سَتَرَ الْمَحَاسِنِ وَالْقَبَائِحِ يَطْلُبُ
كَأْسَ التَّأْسُفِ وَالتَّلَهُّفِ أَشْرَبُ
نَالَ الْحُسُودُ بِكَيْدِهِ مَا يَرْغَبُ
ذِكْرَ الْبِعَادِ فَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
لَصَفَاؤُهُ بَعْدَ التَّكْذُّرِ يَضْعَبُ
إِنَّ الْمَدِيحَ بِذِكْرِكُمْ لِيَطْيَبُ
فِي الْإِفْتِرَاءِ أُولُو الْجَهَالَةِ أَطْنَبُوا
فَضْلِي عَلَى طَوْلِ الْمَدَى لَا يَغْرُبُ

(٢٥١)

وقلت:

[من الوافر]

كَفَى أَعْدَاءَنَا أَنَا بُدُورٌ
إِذَا مَا ذِكْرُنَا فِي الْكَوْنِ طَارَا
وَهُمْ حُمُرٌ بِلا رَسَنِ وَجُلْ
كَسَاهُمْ بِالْقَطِيعَةِ ثَوْبٌ ذُلٌّ

(٢٥٢)

وقلت مادحاً الشَّهْمَ الْوَزِيرَ الْحَاجَّ حَسَنَ بَاشَا وَالِي سُورِيَا حَالًا: [من الوافر]

هِلَالُ الْعَدْلِ أَضْحَى مُسْتَنِيرَا
وِظَلُّ الْكَوْنِ مُبْتَهَجَا يُرِينَا
فَمَا نَخْشَى مُخَادَعَةَ اللَّيَالِي
مَلَأَتِ الشَّامَ مِنْ كَرَمٍ وَفَضْلِ
فَمَا قُطِرَ حَلَلَتْ رُبَاهُ إِلَّا
فَسُورِيَا بِهِ مُلِئَتْ سُرُورَا
سَنَاءَ الْأَمْنِ فِينَا دَارَ سُورَا
وَأَنْتَ أَتَيْتَ لِلضُّعْفَا نَصِيرَا
فَكَانَ الْعِزُّ لِلْعَلِيَا سَمِيرَا
يُفَجِّرُ فِيهِ نَائِلُكَ الْبُحُورَا

بَحَزِمَ لَوْ بِجُزْءٍ مِنْهُ تَسْطُو
سَلُّوا «بَيْرُوتَ» عَنْهُ كَمْ حَبَاها
وَضَلَّتْ بِالسُّرُورِ تَتِيهَ عِزًّا
أَيَادِيكَ الْحَسَنُ الْبَيْضُ سَرَّتْ
وَجَامِعُ جِلْقٍ قَدْ قَامَ يَدْعُو
فَقَدْ أَحْيَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ
لَكَ الدَّعَوَاتُ بِالْخَيْرَاتِ مِنَّا
أَيَا حَسَنَ الْفِعَالِ وَبَحَرَ حِلْمٍ
لَقَدْ أَبْدَعْتَ فِي صُنْعِ جَمِيلٍ
إِذَا مَا كُنْتَ مُلْتَمِسًا نَظِيرًا
فَأُقْسِمُ إِنَّ أَكْنَافَ الْبَوَادِي
هُمَامٌ أَشْهَرُ الْأَجْفَانِ لَيْلًا
فَنَجْمُ الْأَرْضِ مِنْهُ فِي سُرُورٍ
فَشُكْرًا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ

(٢٥٣)

وَقُلْتُ مُخَمَّسًا، وَالْأَصْلُ لِبَعْضِهِمْ:
[من مجزوء الكامل]
ظَبْيٍ بِهِ الْبَدْرُ افْتَتَنَ
وَبَلَحْظِهِ السَّخَرُ اكْتَمَنَ
إِنْ فِيهِ دَمْعِي قَدْ هَتَنَ
(قَالَ الْعَوَازِلُ مَا اسْمُ مَنْ
أَضْنَى فُؤَادَكَ قُلْتُ أَحْمَدُ)
جَمْرُ الْغَضَاءِ لَقَدْ وَقَدْ
فِي مُهَجَّتِي لَمَّا ابْتَعَدَ

وَجِبَالَ صَبْرِي الْهَجْرُ قَدْ (قَالُوا أَتَحْمَدُهُ وَقَدْ
أَضْنَى فُؤَادَكَ قُلْتُ أَحْمَدُ)

(٢٥٤)

وقلتُ في بعضِ مُصَنَّفَاتِنَا في أثناءِ بحثٍ في التَّوْحِيدِ: [من البسيط]

يا حَاضِرًا في فُؤَادِي لَيْسَ يَخْجُبُهُ لَوْمُ الْعُدُولِ وَلَا مَا زَخَرَفَ الْوَاشِي
كَشَفَتْ لِي عَنْ جَمَالِ صِرْتٍ فِيهِ إِلَى غَيْبِ الشُّهُودِ وَسِرِّي لَيْسَ بِالْفَاشِي
أَشْهَدْتَنِي أَثَرًا كُلِّ الْجَمَالِ بِهِ وَالْغَيْرُ قَدْ نَظَرُوا مِنْ عَيْنِ خَفَاشِ
لَمْ يَعْلَمْ الْغَمْرُ مِمَّا قَدْ أَفِضَ لَنَا غَيْرَ الرُّعُونَةِ فِي تَمْزِيقِهِمْ شَاشِي
ضَلَّتْ عَنِ الْحَقِّ حُسَادِي فَقُلْتُ لَهُمْ قَوْمِي اقْطَعُوا بَيْنَكُمْ أَطْرَافَ نَبَاشِي

(٢٥٥)

وقلت مُفْرَدًا:

مَا فِي الْهَيُولَى سِوَى بَحْثِ الشَّقَاءِ طَوَى لَيْلِ الضَّلَالَةِ فِي تَرْوِيقِ أَلْفَاطِ

(٢٥٦)

وقلت مَا دِحَا أَبَا الْخَيْرِ عَابِدِينَ مُفْتِي دِمَشْقَ: [من البسيط]

إِنْ جُزْتَ بَانَ الْحِمَى يَا سَعْدُ بِالْأُصْلِ فَاقْرَ السَّلَامَ بِقَلْبٍ مِنْكَ مُبْتَهِلِ
وَلِذْ بِسَفْحِ اللَّوَى وَالْوِ الْعِنَانِ وَقُلْ يَا قَلْبُ مِنْ غَيْرِهِ الْعَلِيَاءَ لَا تَسْلِ
فَمِنْ مَطَالِيعِهِ الْآرَامُ قَدْ سَفَرَتْ فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحْلِ
يَسْلُبُنَ لُبَّ الْفَتَى مِنْ لَمَحَةٍ شَفَعَتْ بِالْفَتَكِ مَا جَرَحَتْ بِالْأَعْيُنِ النُّجْلِ
مِنْ كُلِّ غَانِيَةٍ تُغْنِي بِطَلْعَتِهَا عَنِ الْغَزَالَةِ حَلَّتْ دَارَةَ الْحَمْلِ

تَسْبِي عُقُولِ الْأُلَى لِلْعَشْقِ قَدْ جَحَدُوا
 مَا الْغُصْنُ إِنْ خَطَرَتْ مَا الظُّبْيُ إِنْ نَفَرَتْ
 وَإِنْ تَصَوَّرَهَا وَهُمْ الْخِيَالِ فَمَا
 وَجَدِي الْقَدِيمُ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ عَلِقَتْ
 وَالْحُبُّ ظِلُّ جَمَالِ الْحَبِّ شَاخِصُهُ
 تَنَعَّمُ الرُّوحُ فِيهِ فِي مَجَانِحِهَا
 يُؤَلَّفُ الدَّمْعُ مِنْهَا وَمُنْسَجِمًا
 لِلَّهِ أَيَّامٌ وَصَلِي كَانَ طَالِعُهَا
 وَالْحُبُّ سَارَ مِنَ الْعُلُوبِيِّ نَشَاتُهُ
 كَمَا سَرَى مِنْ أَبِي الْخَيْرِ [ضِيَاءُ] هُدَى
 شَهْمٌ مَنَاقِبُهُ عَمَّتْ فَوَاضِلُهَا
 إِنْ تَطْلُبِ الْمِثْلَ فَهُوَ الْمُسْتَحِيلُ لَهُ
 مِرْآةُ فَضْلِ حَوَتْ مَا فِي الْأَنَامِ مِنَ الْـ
 بَحْرِ الْعُلُومِ وَبَدَرُ الْمَجْدِ مِنْهُ زَهَتْ
 إِنْ أَمَّهُ خَائِفٌ مِنْ دَهْرِهِ ضَرَرًا
 أَوْ يُسَعِفِ الْبَارِعُ الْمُضْنَى بِنَظَرَتِهِ
 قُلْ لِلْسَّحَائِبِ إِنْ تَحْكِي مَكَارِمَهُ
 تَرَنِّحَ الدَّهْرُ مِنْ إِسْدَائِهِ مِنْأً
 يُجَدِّدُ الْمَلَوَانَ الشُّكْرَ مِنْ جَذَلِ
 وَأَصْبَحَتْ بِالْهَنَا الْعَلِيَا تَهْنئُهُ
 مَوْلَايَ يَا بَنَ الَّذِي مِنْ طِيبِ عُصْرِهِ

تُخْبِي وَتَقْتُلُ بِالْأَلْفَاظِ وَالْمُقَلِ
 وَالشَّمْسُ إِنْ سَفَرَتْ تَرْتَدُّ فِي خَجَلِ
 وَفَى مَحَاسِنِهَا بِالْفِكْرِ وَالْغَزَلِ
 بِالْجِسْمِ رُوحِي وَلِلْآبَادِ لَمْ يَزَلِ
 فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُتَقِلِ
 لَكِنَّ عَذْلَ الْعَذُولِ عِلَّةُ الْعِلَلِ
 وَيَتْرُكُ الْقَلْبَ فِي يَأْسٍ وَفِي أَمَلِ
 سَعْدَ السُّعُودِ وَعَنْهَا الصَّدُّ فِي شُغْلِ
 لِعَالَمِ الثَّرْبِ لِلتَّكْمِيلِ فِي الْخَلَلِ
 أَنْوَارُهُ أَشْرَقَتْ فِينَا وَلَمْ تَزَلِ
 كُلُّ الْمَلَا أَبَدًا كَالصَّيْبِ الْهَطَلِ
 فَمِثْلُهُ لَمْ تَجِدْ فِي الْأَعْصِرِ الْأَوَّلِ
 كَمَالٍ لَكِنَّ مَا تَحْوِيهِ لَمْ يَحُلِ
 أَيَّامُنَا فَرَحًا فِي أَبْهَجِ الْحُلَلِ
 وَلَّتْ ضَرُورَتُهُ تَسْعَى عَلَى عَجَلِ
 قَالَتْ بَرَاعَتُهُ دَهْرِي تَنْبَهَ لِي
 لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ
 قَدْ قَلَّدَتْ جِيدَهُ كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ
 وَيُنَشِّئُ الْحَمْدَ فِي حَلٍّ وَمُرْتَحَلِ
 فَأَرْسَلَتْ عَيْدَهَا مِنْ جُمْلَةِ الرُّسُلِ
 طَابَتْ مَآثِرُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

بُشْرِى الْأَنَامِ تَوَالِي عَيْدِهَا وَبِكُمْ
تَدْعُو لَكُمْ بِالْبَقَا وَرُزْقَ الْحَمَائِمِ مَا
لَبَّاهُ سَحَّ الْحَيَا وَالْوَقْتُ فِي جَذَلِ
عَادَ الْهَنَا وَالسَّنا لِلْسَّهْلِ وَالْجَبَلِ

(٢٥٧)

[من البسيط]

وقلت في مدح سعيد بك اليوسفي :

يَا حَادِي الرُّكْبِ مِلْ نَحْوِ الْجَمَى سَحْرًا
وَعُجْ بِمَطْلَعِ أَقْمَارِ السَّعَادَةِ فِي
وَاسْتَنْجِدِ الْعِزَّ مِنْ تِلْكَ الرُّبُوعِ فَمَا
تِلْكَ الَّتِي زَيَّنْتَ كُلَّ الْبِلَادِ وَفِي
سَمَاءِ أَرْجَائِهَا بِالْغَيْثِ إِنْ هَطَلَتْ
دَعِ ذِكْرَ بَانَ اللَّوَى وَالْوَجْدَ فِيهِ فَقَدْ
مَعَاهِدُ الْأَنْسِ بَلْ دَارُ النَّعِيمِ وَكَمْ
مَا السَّفْحُ مَا الْمُنْحَنَى إِلَّا حُنُوءُ طُبَا
مِنْ كُلِّ فَاتِكَةٍ بِالْقَدِّ أَنْسَةِ
مُطَاعَةِ اللَّحْظِ فِي الْعُشَاقِ مَا نَظَرْتُ
لَمْ تَحْنُ يَوْمًا عَلَى صَبِّ قَضَى أَسْفَا
مَعَاهِدُ لِلْهَوَى الْعُذْرِيَّ مَا طَمَحَتْ
مُهَيِّمٌ فِي رِيَاضِ الْحُسْنِ لَيْسَ لَهُ
قَدْ ضَلَّ لَوْلَا الْهُدَى مِنْ طُورٍ مَنْ سَطَعَتْ
غَوُثُ الْمَلَا بَلْ جَمَالُ الدِّينِ بَهْجَتُهُ

وَارَوْ الْبَشَائِرَ مَا نَفَحَ الْخُزَامِ سَرَى
رُبُوعِ جَلَّقَ نِلْتَ الْفَوْزَ وَالظَّفَرَا
مِنْ غَيْرِهَا أَبَدًا عِزُّ الْأَنَامِ يُرَى
إِسْفَارِ طَلَعَتِهَا كَمْ أَطْلَعَتْ قَمَرَا
كَمْ مُسْتَعِثٍ بِهَا يَسْتَمْطِرُ الدَّرَارَا
أَخْفَتْ بِسِرِّ اسْمِهَا تَذْكَارَ مَنْ غَبَرَا
عَنْ وَرْدِ كَوْنِهَا الْإِسْعَادُ مَا صَدَرَا
عَيْنٍ بِهَا سَفَحَتْ وَبَلَّ الدِّمَا سَحْرَا
أَلْبَابَنَا طَرَفُهَا الْفَتَّانُ قَدْ سَحْرَا
إِلَّا وَسَاقَتْ إِلَى حَرِّ الْهَوَى زُمَرَا
بِالرُّوحِ وَالنَّفْسِ سَاعَاتِ الْوَصَالِ شَرَى
إِلَى الْهَوَى نَفْسُهُ وَاللَّحْظُ إِنْ نَظَرَا
لُبُّ بِهِ يَهْتَدِي أَوْ يُحْسِنُ النَّظَرَا
أَنْوَارُ أَفْضَالِهِ فَاسْتَعْبَدَ الْبَشَرَا
مِنْ وَصْفِ آلَائِهِ قَدْ حَيَّرَ الشُّعْرَا

لو أَنَّ مِعْشَارَ مَا عَمَّ الْأَنَامَ بِهِ
يَكَادُ ثَاقِبُ أَفْكَارِ الْفِرَاسَةِ أَنَّ
فِي هِمَّةٍ خَضَعَتْ صُمِّ الْجِبَالِ لَهَا
وَمَنْ غَدَا نَاصِراً لِلشَّرِّ مُعْتَصِماً
فِي صَفْحَةِ الدَّهْرِ لَا زَالَتْ مَحَامِدُهُ
مَا شِئْتَ مِنْ حَمْدِهِ قُلْ فَالْحَمِيدُ لَقَدْ
وَالْفَضْلُ مَوْهَبَةُ الْمَنَانِ مِنْ قَدَمِ
يَا بَنَ الْأُلَى مِنْ سَنَا إِشْرَاقِ طَلْعَتِهِمْ
إِلَيْهِمْ الْمَجْدُ لَا يَنْفُكُ ذَا شَغَفِ
أَوْصَافِكَ الْعُرَى فِي جِيدِ الْمَلَا مِنْ
إِنْ رَامَ جَاحِدُهَا سَتَرَ الشُّمُوسِ نَقْلُ
لِلَّهِ مَنَقِبَةٌ فِيكُمْ لَقَدْ شَرُفْتَ
وَأَصْبَحَ الدِّينُ فِي أَفْلَاكِ بَهْجَتِهِ
وَالْعِيدُ عَاوَدَهُ أَنْسُ الْمَسْرَةِ إِذْ
فَلَيْهِنَّ شَرَفٌ طَالَ السَّمَاءُ بِهِ
مَوْلَايَ تُهْدَى لَكُمْ خَوْدُ لَهَا أَمَلُ
فَتِلْكَ أَنْعُمُهُ اللَّاتِي بِهَا لِهَجْ
مَا فَاحَ نَفْحُ كَبَا دُمُثْمَ لَنَا شَرْفًا

لِلشُّخْبِ أَغْنَتْ بِهِ الْبَادِينَ وَالْحَضَرَ
يَزُوي عَنِ الزَّمَنِ الْآتِي لَنَا خَبْرًا
لَوْ سَاوَرَتْ أُسْدًا مَا دُفِنَ طَعْمَ كَرَى
بِاللَّهِ كَانَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُنْتَصِرًا
تُمْلِي وَتُنْشِئُ مِنْ أَوْصَافِهِ سُورًا
أَعْطَاهُ مَا قَدْ تَرَى فِي النَّاسِ مُنْتَشِرًا
فِي جَوْهَرِ الْعَالَمِ الْكَوْنِيِّ قَدْ ظَهَرَ
وَلَّى الظَّلَامُ وَصُبْحُ الْمَجْدِ قَدْ سَفَرَ
وَعِزُّ مَنْ رَامَهُمْ لَا يَطْلُبُ السُّفَرَ
جَمَالُهَا جَمَّلَ الْأَسْفَارَ وَالسَّيْرَا
عِنْدَ انْكِشَافِ الْغَطَا عَنْ عَيْنِهِ سَيْرَى
عَنْ نَيْلِ إِدْرَاكِهَا أَوْجُ الْعُلَا قَصْرًا
دَوْمًا بِمَشِيخَةِ الْإِسْلَامِ مُفْتَخِرًا
فِي رُكْنِ أَفْضَالِكُمْ قَدْ طَافَ وَاعْتَمَرَ
مُوشِحًا مِنْ سَنَا عَلَيَائِكُمْ حَبْرًا
بِأَنَّ تَرَى عَبْدَكُمْ فِي بَالِكُمْ خَطْرًا
فَحَبَّذَا بِالْمُنَى إِنْ لِحْظَةً ظَفِرَا
وَذَا دُعَاءٍ بِهِ نَفْعُ الْمَلَا ظَهْرًا

(٢٥٨)

وقلتُ في صدرِ رسالةٍ أرسلتها له :
يُقَبَّلُ الْأَرْضَ مَمْلُوكٌ وَظِيفَتُهُ
مُرْتَلٌّ آيَةُ الشُّكْرَانِ مَا صَدَحَتْ
بَذَلُ الْمَحَامِدِ فِي حَلٍّ وَمُرْتَحَلٍ
حَمَائِمُ الْبَشْرِ فِي الْإِبْكَارِ وَالْأُصْلِ

(٢٥٩)

وقلتُ في واقعةٍ حال :
يُلَاقِيهِ الْحَبِيبُ بِكُلِّ يَوْمٍ
وَيَنْظُرُ فِي رِيَاضِ الْوَجْهِ وَزَدَا
يُنَادِيهِ تَمَتَّعْ يَا سَمِيرِي
مِرَاراً وَالْعَوَاذِلُ فِي اغْتِمَاضٍ
غَدَا فِي حِفْظِ الْحَاظِ مِرَاضٍ
بِمَا تَخْتَارُ إِنِّي عَنْكَ رَاضِي

(٢٦٠)

وَأُنْشَدَنِي بَعْضُ الْأُدْبَاءِ مِنْ قَوْلِهِ :
عَهِدْتُ لَهُ أَلَّا أَهِيَمَ بغيرِهِ
أَصْلِي فَأَبْكِي فِي الصَّلَاةِ لِذِكْرِهِ
وَهَمْتُ بِهِ وَجَدَاً بغيرِ ضَمَانٍ
لِي الْوَيْلُ مِمَّا يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ

(٢٦١)

فَقُلْتُ :
يَعَاهِدُنِي أَلَّا أَهِيَمَ بغيرِهِ
إِلَى الْحُسْنِ أَصْبُو حَيْثُ لَاحَ وَإِنِّي
فَلَا الْأَهْيَفُ الْفَتَانُ يَمْلِكُ مُهْجَتِي
أَنَا الْمُفْرَدُ الْعَلَامُ ضَيَعُمْ وَقْتِهِ
وَفَوْقَ النُّجُومِ الزُّهْرُ كَانَ مَكَانِي
سِهَامٌ بِنَخْرِ الصَّدِّ حَرْبُ زَمَانِي
وَلَا الشَّادِنُ الشَّادِي يَحُلُّ جَنَانِي
أَنَا الْفَاتِكُ الصَّدَامُ يَوْمَ طِعَانِ

وَقُلْتُ مُهَنْتًا قَاضِي دَمَشَقِ الشَّامِ مَكِي بِكَ بِالْوَسَامِ الْمَجِيدِيَّ الْأَوَّلُ :

[من الكامل]

أَحْلَى وَأَعَذَبُ مِنْ رَحِيقِ السَّلْسَلِ
وَأَعَزُّ مِنْ زَمَنِ الصَّبَا حَيْثُ الصَّبَا
وَالرَّوْضُ بِأَكْرَهُ الْحَيَا فَتَرَنَّتْ
وَجَرَى عَلَى دُرِّ الْحِيَاضِ لُجَيْنُهُ
مَذْحِي إِمَامَ الْمَجْدِ مَكِّيَّ الْعُلَا
شَهْمٌ بِهِ هَذَا الزَّمَانُ لَقَدْ غَدَا
لَوْ رَامَ أَوْجَ الْبَدْرِ يَحْكُمُ مَنْزِلًا
فِي هِمَّةٍ لَوْ سَاوَرَتْ أَسَدَ الشَّرَى
تُنْبِي عَلَيْهِ الْمَكْرُمَاتُ مَعَ الْعُلَا
وَإِذَا الْعُقَاةُ بِهِ لَثَمْنَ يَدَ النَّدَى
وَبِهِ الشَّرِيعَةُ لَا يَزَالُ صَبَّاحُهَا
وَالْحَقُّ مَرْفُوعُ الْعِمَادِ وَنُورُهُ
طُوبَى لِمَنْ لَجَلَكَ كَمْ بِهِ قَدْ أَصْبَحَتْ
وَرُبُّوعُهَا حَيَّا الْحَيَا أَرْجَاءُهَا
رَوْضُ التَّهَانِي قَالَ مُذْ أَرَخْتُهُ

وَأَلَذُّ مِنْ ذِكْرَى الْحَبِيبِ وَمَنْزِلِ
تُهْدِي إِلَى الْمَشْغُوفِ عَرَفَ الْمَنْدِلِ
أَغْصَانُهُ سَحَرًا بِهِزِ الشَّمَالِ
يَنْسَابُ بَيْنَ مُقَيَّدٍ وَمُسْلَسَلِ
جَمَّ الْفَضَائِلِ ذَا الْمَقَامِ الْأَكْمَلِ
مُتَفَاخِرًا وَالْبُؤْسُ عَنْهُ بِمَعْزِلِ
لَا شَتَاقَهُ أَعْلَى السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ
لَهْوَى صَرِيحًا لِلشَّرَى لِمُقَبَّلِ
مَا يَبْنِي مُجْمَلٍ مَذْحِي وَمُقْصَلِ
بِالْجُودِ مِنْهُ وَرَدَّنْ أَعَذَبَ مَنْهَلِ
مُتَبَلِّجًا يَسْمُو بِمِنْهَاجِ جَلِي
مَا لَاحَ نَجْمٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ عَلِي
بِالْعِزِّ فِي حُلَلِ الْمَفَاخِرِ تَنْجَلِي
فَالْعِزُّ عَنْ أَرْبَابِهَا لَمْ يَغْدِلِ
(وَحْيِ افْتِخَارِي) لَمْ يَزَلْ بِمُرْتَلِ

سنة ١٣١٦ هـ

يَا بَهْجَةَ الْعَصْرِ الْحَمِيدِ وَطَالِعِ السَّ
عَدِ الْمَجِيدِ وَمَأْمَلِ الْمُتَوَسِّلِ

تَهْنَأُ بِكَ الرُّتْبُ الْعَلِيَّةُ مَا انْتَنَى
 أَنْعَمُ بِإِنْعَامِ الْحَمِيدِ مَلِكِنَا
 مَا قَالَ إِذْ أَرَّخْتُهُ (نَفْحُ الْهَنَاءِ)
 غُضُنُ الْبَشَائِرِ بِالصَّفَا لِمُؤْمِلِ
 يَتَعَطَّفُ بِسَنَا التَّوَجُّهِ يَتَعَلَّى
 بُشْرَى بِنِيشَانِ الْمَجِيدِي الْأَوَّلِ

سنة ١٣١٦ هـ

(٢٦٣)

[من الطويل]

وَذَابَتْ بِنَارِ الْوَجْدِ مِنَّا الْأَصَالُ
 (وَجَدَّ بِنَا سَيْرٌ وَفَاضَتْ مَدَامُ)
 مَهَاءُ حَيَاةِ النَّفْسِ مِنْهَا مَطَامِعُ
 (وَنَاطَرُهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ دَامِعُ)
 مُحِبًّا لِنِيرَانِ الْهُمُومِ مُضَاجِعُ
 (وَأَوْمَتْ بِعَيْنَيْهَا مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ)
 قَدْ اشْتَاقَهُ غَبَّ الرَّحِيلِ مَوَاضِعُ
 (يَسِيرُ وَيَذَرِي مَا بِهِ اللَّهِ صَانِعُ)
 فَأَشْرَقَ نُورٌ بِالْمَحَاسِنِ سَاطِعُ
 (وَسَالَتْ مِنَ الطَّرْفِ الْكَحِيلِ مَدَامُ)
 فَأَنْتَ لِمَا أَدْعُوهُ يَا حَيُّ سَامِعُ
 (فِيَا رَبِّ مَا خَابَتْ لَدَيْكَ الْوَدَائِعُ)

وَقُلْتُ مُشْطَرًّا، وَالْأَصْلُ لِبَعْضِهِمْ:
 (وَلَمَّا تَبَدَّدَتْ لِلرَّحِيلِ جِمَالُنَا)
 وَأَنْ أَوَانُ الْبُعْدِ عَنْ حَيٍّ حَبْنَا
 (تَبَدَّدَتْ لَنَا مَذْعُورَةٌ مِنْ خِبَائِهَا)
 تَلُومُ عَلَى الْبُعْدِ الْمُبْرَحِ بِالْحَشَا
 (أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ وَوَدَّعَتْ)
 تَنَفَّسَتْ الصُّعْدَاءُ خَوْفَ فِرَاقِنَا
 (فَقُلْتُ لَهَا وَاللَّهِ مَا مِنْ مُسَافِرِ)
 يُقَلِّبُ أَطْرَافَ الْبَوَادِي حِينَمَا
 (فَشَالَتْ نِقَابَ الْحُسْنِ مِنْ فَوْقِ وَجْهِهَا)
 وَنَادَتْ قَضَاءَ اللَّهِ كَانَ مُحْتَمًّا
 (وَقَالَتْ إِلَهِي كُنْ عَلَيْهِ خَلِيفَةً)
 وَأَنْتَ لِنِعْمِ الْعَوْنُ فِي كُلِّ حَالَةٍ

وقُلتُ في مَدْحِ الشَّهْمِ الْخَطِيرِ وَالْوَزِيرِ الْكَبِيرِ أَحْمَدُ بَاشَا الشَّمْعَةِ :

[من الكامل]

بِالصَّبْرِ يَضْفُو مَوْرِدُ الْمُتَأَمِّلِ
وَإِذَا تَأَلَّقَ بَرْقُ عَلِيَا مِنْ غَوِيٍّ
قَدْ يُنْشِئُ الْيَاقُوتُ تَأْثِيرَ الذِّكَا
وَالْقَطْرُ فِي الْأَصْدَافِ يَعْقِدُ جَوْهَرًا
وَالنَّفْسُ إِنْ عَرَفَتْ حَقِيقَةَ ذَاتِهَا
فَأَنْزَرُ زُجَاجَتَهَا بِنُورِ الْعِلْمِ كَيِّ
وَإِذَا تَذَكَّرْتَ الْحِمَى حَنْتَ إِلَى
وَصَبْتِ إِلَى شَرْعِ الْغَرَامِ نَهِيمُ فِي
رَيْمٍ إِذَا حُورُ الْجِنَانِ رَأَيْنَهُ
يَسْرِي مِنَ الْمَلَأِ الْعَلِيِّ جَمَالُهُ
لَوْ أَنَّ بَدَرَ التَّمِّ أُعْطِيَ مِنْحَةً
حُلَلَ الْبَهَاءِ بِهِ لَقَدْ لَبَسَ الْبَهَا
وَقَوَى التَّخِيلِ أَصْبَحَتْ فِي أَسْرِهِ
وَالْحُبُّ لِلسَّرِّ الْكَثِيفِ مُلْطَفٌ
وَمَذَاقُهُ لِذَوِي الصِّيَانَةِ وَالْوَفَا
لَوْ أَنَّ رَضْوَى حُمِلَتْ أَثْقَالُهُ
بِالْحَزْمِ يَظْفَرُ بِالْمَقَاصِدِ مَنْ جَلَا
وَلِكْتُمْ أَسْرَارِ الْفُؤَادِ لَهُ عَلَى

وَيَرَى الْمُنَى بِسَنَاهُ عَذَبَ الْمَنْهَلِ
سِرِّ الْعِزِّ بَادَرَ نَحْوَ ذَاكَ الْمَنْزِلِ
وَالْبَدْرُ وَالْجُلْمُودُ عَنْهُ بِمَعْزِلِ
يَسْمُو عَلَى هَامِ الْمَلِكِ الْأَمْثَلِ
كَانَتْ إِلَى سَبْقِ الْعُلَا فِي الْأَوَّلِ
تَعْلُو عَلَى هَامِ السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ
إِيْلَافِهَا فَحَكَتْ غِنَاءَ الْبُلْبُلِ
بَيَّدَا التَّسْلِي بِالْغَزَالِ الْأَكْحَلِ
قَطَّعْنَ أَيْدِي نَفْسِهَا بِالْمُنْصَلِ
فَيَذُوبُ شَوْقًا فِيهِ هَامَةٌ يَذْبُلِ
مِنْ حُسْنِهِ وَضِيَائِهِ لَمْ يَأْفَلِ
مُتَلَوْنًا فِي كُلِّ شَكْلِ مُشْكِلِ
فَلِذَاكَ غَيْرَ مِثَالِهِ لَمْ تَنْقُلِ
وَأَرْقُ مِنْ مَرِّ الصَّبَا وَالشَّمَالِ
أَحْلَى وَأَعَذِبُ مِنْ رَحِيْقِ الشَّمَالِ
أَجْيَادُهُ لَعَرَّتْهُ هِزَّةُ أَفْكَلِ
بِالرَّأْيِ غَيْنَ مَشَاكِلِ لَمْ تُحْلَلِ
رُتَبِ الْمَعَالِي رُتْبَةُ الْمُتَفَضَّلِ

وَالْغَائِبُ الْمَطْلُوبُ فِي طَيِّ الْمَسَا هِدِ حَاضِرٌ فِي كُلِّ مَعْنَى مُقْفَلٍ
 سَارَ الْوَرَى مِنْ جَاهِهِ وَنَوَالِهِ عَنْ نَفْعِ أَرْبَابِ الْحِجَا لَا يَأْتِلِي
 وَلَمَنْ أَنْارَ الْعَقْلَ بِالْعِلْمِ اللَّدُنِّي الَّذِي عَنْ نَهْجِهِ لَمْ يَغْدِلِ
 يَزُوي عَنِ الْأَفْضَالِ أَخْبَارَ الْعُلَا عَنْ أَحْمَدِ الْأَفْعَالِ بِالنَّصِّ الْجَلِي
 فَخَرُ الْأُولَى بِالْمَكْرُمَاتِ لَقَدْ غَدَا بِنَوَالِهِمْ كَالْغَادِيَاتِ الْهَظَلِ
 مَنْ رَامَ حَضَرَ مَنَاقِبٍ قَدْ حَاذَهَا يَزْنُو إِلَى فَلَكَ الثَّوَابِ مِنْ عَلِي
 هُوَ شَمْعَةُ الْمَجْدِ الَّتِي شَمْسُ الضُّحَى مِنْهَا اسْتَمَدَّتْ نُورَهَا فِي الْأَوَّلِ
 كَمْ يُنْتِجُ الْبُرْهَانُ مَذْحًا قَدْ غَدَا قُطْبًا لِدَائِرَةِ الْأَدِيبِ الْأَكْمَلِ
 هُوَ عِصْمَةُ اللَّاجِي إِذَا خَطُبَ دَجَا وَسَنَا الْوَفَاءِ وَمَأْمَلُ الْمُتَوَسِّلِ
 نَصَرَ الْعُقَاةَ عَلَى الزَّمَانِ فَأَصْبَحُوا فِي بَهْجَةِ الْعَيْشِ الْهَنِيِّ الْمُقْبَلِ
 وَيَكَادُ مِنْ فَرْطِ الذِّكَا يُجِيبُ عَنْ مَا قَدْ خَفَا فِي الْحَالِ وَالْمُسْتَقْبَلِ
 فِي هِمَّةٍ تَرَكَتْ عِدَاهُ بِشُؤْمِهِمْ لِلظَى التَّحَسُّرِ وَالتَّفَهُّرِ تَضْطَلِي
 مَوْلَايَ يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ وَمَنْ لَهُمْ أَوْجَ الْمَفَاخِرِ وَالْمَعَالِي نَعْتَلِي
 وَنَرَى الْعِدَاةَ بِنَظَرَةٍ مِنْ مَجْدِهِمْ مُتَمَزِّقِينَ عَلَى الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
 جَارَتْ عَلَيَّ بَنُو اللَّثَامِ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِأَنَّ جَاهَكَ مَأْمَلِي
 فَجَعَلْتُ أَسْفَارَ الْعُلُومِ مُنَادِمِي أَجْنِي السَّنَا فِي هَيْئَةِ الْمُتَبَلِّ
 وَأَرَى الْمُنَى قَدْ ظَلَّ وَقْتَ مَجِيئِهِ وَنَجَاحِهِ وَالضُّدَّ عَنْهُ بِمَعْزِلِ
 فَأَنْزِ دُجَا لَيْلِي بِصُبْحٍ مِنْكَ يَا شَمْسَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا وَتَفْضَلِ
 لَا زِلْتَ كَهْفَ الْمُسْتَجِيرِ مُهْتَبًا بِالْعِزِّ مَا الْقُرْآنُ فِي الدُّنْيَا تَلِي

(٢٦٥)

وَقُلْتُ ارْتَجَلَا عِنْدَمَا تَكَلَّمْتُ عَلَى «لَوْ» فِي حَاشِيَتِي عَلَى «شَرْحِ الْأَلْفِيَّةِ»
لَابِنِ النَّاطِمِ بِدْرِ الدِّينِ :

وَكَمْ مِنْ قَائِلٍ «لَوْ» بَعْدَ عَضٍّ كُفُوفًا قَارِعًا سِنًّا زَمَانًا
يُعَاتِبُ دَهْرَهُ حِينًا وَيَشْكُو فَلَا يُعْطِيهِ مِنْ جَوْرِ أَمَانًا
تَحَيَّرَ فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ حَتَّى بِحَبْلِ اللَّهِ قَدْ أَمْسَى مُصَانَا

(٢٦٦)

وَقُلْتُ فِي الْأَمِيرِ طَاهِرِ بْنِ الْأَمِيرِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ عَبْدِ
الْقَادِرِ الْجَزَائِرِيِّ :

إِذَا مَا قِيلَ مِنْ رُوحِ الْمَعَالِي بِأَصْلِ لَمْ يَزَلْ فِي الْكَوْنِ طَاهِرُ
فَقُلْ مَنْ حَازَ مَجْدًا لَا يُبَارَى أَمِيرُ الْفَضْلِ وَالْعَلْيَاءِ (طَاهِرُ)

(٢٦٧)

وَقُلْتُ حِينَ صَارَ إِكْلِيلُ بَيْتِ الْمُؤَيَّدِ وَكِيلَ قَائِمِ مَقَامِ قَضَاءِ «دُومَا» إِثْرَ
حَادِثَةِ طَوِيلَةٍ :

وَرَدُ الْمَسْرَةِ قَدْ غَدَا مَشْمُولًا يُنْهِي الْمَحَامِدَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
وَحَمَائِمُ الْأَفْرَاحِ فِي رَوْضِ الْهَنَاءِ تَشْدُو فَتَسْبِي بِالثَّنَاءِ عُقُولًا
وَزَهَتْ بُدُورُ الْعِزِّ لَمَّا أَنْ بَدَا نَجَلُ الْمُؤَيَّدِ لِلْعُلَا إِكْلِيلًا
وَرِيَاضُ «دُومَا» تَزْدَهِي بِالْعِزِّ إِنْ أَضْحَى لَهَا بِجَنَى الصَّلَاحِ كَفِيلًا
وَقَضَاؤُهَا لَمَّا تَوَكَّلَ أَمْرُهُ يَدْعُو الْإِلَهَ بِأَنْ يَكُونَ أَصِيلًا

ما نَسَمَتْ رِيحُ الصَّبَا إِلَّا شَدَا
شَهْمٌ إِلَى الْمِسْكِينِ أَكْرَمُ مَلَجَأٍ
وَبَنُو الْمُؤَيَّدِ قَدْ عَلَوْا قَدْرًا عَلَى
فَهْمُ الْكَمَالِ فَلَنْ تَرَى مِنْ فَاضِلٍ
وَبِمُهَجَّتِي إِكْلِيلُ مَجْدٍ مِنْهُمْ
لَا زَالَ مَعْشُوقُ الْعُلَا مَا أَطْرَبَتْ
يَا ذَا الْجَلَالِ اخْفِظْ لَنَا إِكْلِيلًا
يُولِي الظُّلُومَ الْمُعْتَدِي تَنْكِيلًا
أَوْجِ السَّمَاءِ وَكَانَ ذَاكَ قَلِيلًا
إِلَّا وَرَتَّلَ مَدَحَهُمْ تَرْتِيلًا
جَعَلَ الْمَكَارِمَ لِلثَّنَاءِ دَلِيلًا
وَرُزِقَ الْحَمَامِ مُتَيْمًا مَثْبُولًا

(٢٦٨)

وَقُلْتُ مَادِحًا [الْأُسْتَاذَ الْمُرْشِدَ الْكَامِلَ صَاحِبَ السِّيَادَةِ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا أَبَا
الْهُدَى أَفندي الرَّفَاعِيِّ الصِّيَادِيِّ، وَأَرْسَلْتُهُ إِلَى الْأَسْتَانَةِ الْعَلِيَّةِ] ^(١): [من الطويل]
تَجَلَّى جَمَالُ الْحَقِّ فِي عَالَمِ السَّرِّ
تَسَابَقَ أَهْلُ الذَّوْقِ لِلْحَانَ بُكْرَةً
يَحُثُّ مَطَايَا الشَّوْقِ نَحْوَ أَرْجِحِهِ
إِذَا بُلْبُلُ الْإِسْعَادِ غَرَّدَ فِي عُلا
دَعَاهُ نَدِيمُ الْوَصْلِ فَاهْتَزَّ هَائِمًا
فَطَوْرًا يَقُولُ الْحَدُّ وَالرَّسْمُ ذَا وَذَا
أَدَارَتْ عَلَى النَّدْمَانِ كَأْسَ مُدَامَةٍ
وَطَوْرًا لَأَنْوَارِ تَجَلِّيهِ مُنْشِدًا
إِذَا السَّالِكُ السَّارِي تَنَسَّمَ طِيْبَهَا
وَنُورُ الْهُدَى عَمَّ الْوُجُودَ مَدَى الدَّهْرِ
فَمَا فَازَ إِلَّا مَنْ لَهُ جُنَحُ الدُّجَا يَسْرِي
بِلُبِّ خَفُوقٍ مِنْ غِنَا صَادِحِ الْفِكْرِ
غُصُونٍ بِأَدْوَا حِ تَرَنُّجٍ مِنْ سُكْرِ
يُكْنِي عَنِ الْأَسْرَارِ بِالْجِدِّ وَالْخَصْرِ
وَيَسْتُرُ بِالتَّشْبِيبِ مَا جَالَ فِي الصَّدْرِ
مَهَاةٌ مُحْيَاها يَفُوقُ سَنَا الْبَدْرِ
جَلْبَنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
يَعُدُّ لِيَالِي الْوَصْلِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ

(١) ما بين معكوفين ورد في الأصل بخط مؤلفه مشطوباً عليه، ولعلَّ ذلك لما يُعلم مما صار إليه حالُ أبي الهُدَى الصياديِّ بعد خلعِ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْحَمِيدِ - رحمه الله تعالى - وتغيَّرَ موقفِ المؤلفِ ومنهجِهِ.

وَفِي صِبْغَةِ الْأَكْوَانِ ظِلٌّ مُفَكَّرًا
 طَوَى صُحُفَ الْأَغْيَارِ وَانْتَبَذَ السُّوَى
 فَمِنْ أَيْمَنِ الْوَادِي تَيَمَّنَ نَظْرَةً
 تَجَلَّتْ لَهُ مِنْ عَالَمِ الْقُدْسِ نَشَاءٌ
 فَتُوحٌ مِنَ الْقُطْبِ الْإِمَامِ (أَبِي الْهُدَى
 وَنُخْبَةِ أَشْرَافٍ لِأَحْمَدَ تَنْتَمِي
 لَدَى حَضْرَةِ الْقُدِّيسِ وَالْمَدَدِ الَّذِي
 هُوَ الْمُفْرَدُ الْعَلَامُ سَيِّدُ وَقْتِهِ
 بِسِرٍّ سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ فَلَوْ سَرَى
 هَمَامٌ وَنَظَّارٌ بَعَيْنِ إِلَهِهِ
 أَدَارَ مِنْ الْأَذْكَارِ كَأْسَ سُلَافَةٍ
 وَفِي مَشْهَدِ الْإِحْسَانِ أَطْلَعَ نَيْرًا
 رُمُوزُ كُنُوزِ الذَّوْقِ أَبْرَزَ دُرَّهَا
 فَكُلُّ بَلِيغٍ رَامَ حَضَرَ مَدِيحِهِ
 فَلَا زَالَ مَشْكُورًا يُرَدَّدُ مَدْحُهُ

يُنَادِمُ سِرًّا لَاحَ فِي الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
 يُقَلِّبُ وَجْهًا فِي الْمَجَرَّةِ إِذْ تَجْرِي
 بِهَا ذَلِكَ طُورَ الْقَلْبِ وَارْتَاخَ لِلْسِرِّ
 يَفُوحُ بِهَا الْإِمْدَادُ فِي أَطْيَبِ النَّشْرِ
 مُحَمَّدٍ آلَ اللَّهِ فِي حَانَةِ الذِّكْرِ
 فَمِنْ نُورِهِ يَهْدِي الَّذِي ضَلَّ بِالْغَيْرِ
 يَجِلُّ عَنِ الْإِحْصَاءِ حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ
 إِمَامٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ بَلْ وَاحِدُ الْعَصْرِ
 لِمَيِّتٍ لِقَامَ الْمَيِّتِ حَيًّا مِنَ الْقَبْرِ
 ضَمَائِرَ غَيْبٍ نِيرَاتٍ لِذِي الْخُبْرِ
 يَظَلُّ مُرِيدُ الصَّدَقِ مِنْهَا عَلَى طَهْرِ
 يَسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي عَالَمِ الْأَمْرِ
 لَدَى حَضْرَةِ الْإِنْسَانِ بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ
 تَرَدَّى ثِيَابَ الْعَجْزِ فِي مَخْفِلِ الْفَسْرِ
 عَلَى أَلْسِنِ النَّدْمَانِ مَا غَرَّدَ الْقُمْرِي

(٢٦٩)

وَقُلْتُ مَادِحًا صَاحِبَ السَّعَادَةِ صَادِقَ بَاشَا الْمُؤَيَّدِ لَمَّا أَرْسَلَهُ فَخِرُ آلِ
 عُثْمَانَ السُّلْطَانَ عَبْدَ الْحَمِيدِ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى الشَّامِ لِأَجْلِ مِلَاحَظَةِ الْخَطِّ
 الْحَدِيدِيِّ (الشَّمْنَدِفِيِّ) الَّذِي تَجَدَّدَ بَيْنَ دِمَشْقَ وَأَرْضِ الْحِجَازِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ
 ثَمَانِي عَشْرَةٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةٍ :

حَلَّ السُّرُورُ بِأَرْضِ الشَّامِ فَابْتَهَجَتْ أَرْجَاؤُهَا بِالْهَنَاءِ وَالْعِزِّ قَدْ وَفَدَا

وَبُلْبُلُ السَّعْدِ بِالْأَفْرَاحِ يَهْتِفُ مَا
رِيَاضُهَا تَزْدَهِي بِالْبِشْرِ إِنْ سَفَرَتْ
وَالسَّعْدُ مَا شَمْلُهَا فِي مَجْدِهِ اتَّصَلَا
لَمَّا شَكَتْ بُعْدَهَا عَنْ سَفْحِ كَاطِمَةٍ
وَأَذْرَفَتْ مَدْمَعًا مِنْ بَعْدِ ذِي سَلَمٍ
أَفَاضَ رُوحُ الْمَلَا فَخَرُّ الْمُلُوكِ عَلَى
فَقَرَّبَ الْبُعْدَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ إِلَى
وَاخْتَارَ حَاجِبُهُ فَخَرَّ الْأَمَاجِدِ لِلدَّ
تِلْكَ الْمَزَايَا لَهَا ارْتَاحَ الْوُجُودُ وَكَمْ
فِي عَالَمِ الْكَوْنِ لَمْ يُعْهَدْ لَهَا مَثَلٌ
لَمْ تَرْضَ كُفُوءًا لَهَا إِلَّا الْمُؤَيَّدَ مَنْ
مَوْلَى لَهُ عَشِيقَتْ رُوحُ الثَّنَاءِ لَذَا
لَا يَخْصُرُ الْمَادِحُ الْمُطْرِي مَنَاقِبَهُ
لَا زَالَ مُرْتَقِيًا بِالْعِزِّ مَا بَزَغَتْ

نَجْلُ الْمُؤَيَّدِ يُؤْلِيهَا الْعُلَا أَبَدًا
عَنْ صَادِقِ الْقَوْلِ إِفْضَالٌ لَهَا وَرَدًا
أَضْحَى لِبَهْجَتِهَا طُولَ الزَّمَانِ رِدَا
وَعَنْ مُنَى مَرْبِعِ الْكَعْبَةِ اتَّحَدَا
قَدْ سَالَ مِنْ وَجْدِهَا وَالشُّوقُ فِي بَرَدَى
أَعْطَافِهَا مِثْلَ مَوْصُولَةٍ بِبَدَى
أَرْضِ الْحِجَازِ بِإِنْعَامٍ لَهُ اسْتَنْدَا
حَظُّ الْحَدِيدِي فَتَغَرَّ الْعِزُّ مِنْهُ بَدَا
مِنْ شَاكِرٍ فَضْلَهَا فِي شُكْرِهِ اجْتَهَدَا
وَلَا نَحَا نَحْوَهَا مِنْ قَبْلُ مِنْ وَجْدَا
فِي قَوْلِهِ صَادِقٌ وَالْكُلُّ قَدْ شَهَدَا
فِي طَالِعِ الْمَدْحِ بَدْرُ النَّظْمِ قَدْ سُعِدَا
لَوْ أَفْرَغَ الْجُهْدُ وَاخْتَارَ السَّوَى مَدَدَا
شَمْسُ التَّهْنِائِي لَهُ وَالْكُلُّ قَدْ حَمِدَا

(٢٧٠)

وَقُلْتُ:

[من البسيط]

مَا لِلْمَعَالِي سِوَى آلِ النَّهْيِ أَهْلُ
فَاسْتَعْمِلِ الرَّأْيَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تَفَرُّ
فِي صَفْحَةِ الْكَوْنِ أَسْطَارٌ بِهَا حِكْمٌ
تِلْكَ الْمَعَاهِدُ كَمْ أَحْيَا النَّسِيمُ بِهَا

وَمَنْهَلُ الْعِزِّ بِالتَّهْدِيبِ قَدْ يَخْلُو
فَالصَّادِقُ الْحَزْمُ لَا يَتَنَابُهُ جَهْلُ
مِنْ نُورِهَا يَسْتَضِيءُ الْفِكْرُ وَالْعَقْلُ
مَيْتَ الْغَوَايَةِ لَمَّا اشْتَاقَهُ الْفَضْلُ

وَمَنْ أَتَى سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ مُفْتَخِرًا
وإنَّ طُلِيَّ عَسَجْدٍ بِالْآنُكَ انْكَشَفَتْ
بِالْحِكْمَةِ ارْتَفَعَتْ أَرْبَابُهَا وَعَلَوْا
خَمَرُ الْمَعَارِفِ لَا خَمَرُ الدَّنَانِ لَنَا
مَنْ يُنْكِرُ الْعِشْقَ فِي سِيرِ الْكَمَالِ يَجِدُ
وَالنَّفْسُ فِي الْجِنْسِ مَعَ أَشْبَاهِهَا انْفَقَتْ
وَفِي أَفَاعِيلِهَا الْأَسْرَارُ ظَاهِرَةٌ
دَابُّ الْمُهَذَّبِ أَنْ يَسْمُو بِهِمَّتِهِ
وَذُو الْفَسَادِ إِذَا رَاقَتْ رَوِيَّتُهُ
وَشَهْوَةُ النَّفْسِ تَأْتِي الْعَقْلَ خَادِمَةً
وإنَّ تَوَلَّتْ رَأَيْتَ الْعَقْلَ يَخْدُمُهَا
أَهْلُ الْفَضَائِلِ هُمْ سَادَاتُ مَنْ نَطَقَتْ
وَأَحْسَنُ الذُّخْرِ مِمَّا لَا زَوَالَ لَهُ
وَكُلُّ حَيٍّ فَلَا تَخْفِرُ عَدَاوَتُهُ
إِنَّ الزَّمَانَ يُبَيِّنُ الْحَقَّ مُلْتَمِسًا
قَلْبُ اللَّيْبِ مِنَ النَّاسِ بِهِ دَرَنٌ
رَأْيُ الْجَبَانِ جَبَانٌ فَاطْرَحُهُ وَلَا
لَا تَرْتَضِ الذَّلَّ فِي أَرْضٍ تَهَانُ بِهَا
نَفْسُنَا قَدْ أَبَتْ إِلَّا الْعُلَا أَبَدًا
وَعِلْمُنَا ظَاهِرًا عَنْ سَادَةِ نُجَبَا
لَا نَرْتَضِي غَيْرَ هَذَا الْأَوْجِ مَنْزِلَةً

بِالْإِفْكِ فِي سَيْرِهِ قُلْ ذَلِكَ النَّذْلُ
عِنْدَ الْحَقِيقَةِ حَالَاتٌ هِيَ الْأَصْلُ
فِي مَنْزِلِ أَفْدَسٍ عَنْ غَيْرِهِمْ يَخْلُو
وَالسِّرُّ مَعْشُوقُنَا لَا الْأَعْيُنُ النَّجْلُ
عَنْ مَنَهِجِ اللَّطْفِ أَحْيَانًا لَهُ شُغْلُ
وَبِالْخَصَائِصِ عَنْ أَنْوَاعِهَا تَعْلُو
لِفِكْرَةٍ بِالْصَّفَا دَوْمًا لَهَا صَفْلُ
وَلَا يُخَالِفُهُ فِي قَوْلِهِ الْفِعْلُ
يَذَرِي بِأَنَّ الَّذِي يَسْرِي لَهُ الْقَتْلُ
إِنْ أَقْبَلَتْ حِكْمَةٌ لَلَاهْتِدَا تَتَلُو
وَجَاءَ صَاحِبُهَا دُونَ الْوَرَى الْوَيْلُ
بِالْحَرْفِ أَلْسُنُهُمْ قِدَمًا وَإِنْ قَلُّوا
طُولَ الْمَدَى أَدَبٌ عَيْنُ الشَّقَا يَجْلُو
فَرَائِشُ النَّبْلِ قَدْ يَشْتَاقُهُ النَّبْلُ
أَنْوَارَ طَلْعَتِهِ لَكِنْ لَهُ سُبُلُ
نَوَائِبِ الدَّهْرِ فِي تَطْهِيرِهِ غُسْلُ
تَهْوِ الذَّلِيلِ بِهِ قَدْ مَسَّهُ الْخَبْلُ
إِنْ أَكْرَمْتَ بِالْوَفَا أَوْ أَجْمَلْتَ جُمْلُ
وَبِالْحِجَازِ لَنَا أَصْلٌ بِهِ الطُّولُ
وَبَاطِنًا مِنْ سَنَا الْوَهَابِ لِي الْوَيْلُ
وَذَاكَ مَا يَصْطَفِيهِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ

وقلتُ مادحاً حضرةَ الشَّهمِ الهُمَامِ الأميرِ عليّ باشا بنِ الأميرِ الكبيرِ
العارفِ باللهِ تعالى عبدِ القادرِ الجزائريِّ الحسنيِّ : [من البسيط]

مَوَاهِبُ الْفَضْلِ مِنْ عَهْدِ السَّنَا الْأَزَلِيِّ لَمْ تَهَوَّ إِلَّا شَرِيفاً صِينَ عَنْ خَطَلٍ
وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ وَالْحِلْمِ الْمَدِيدِ غَدَتْ عِنْدَ الْكِرَامِ لَهُمْ مِنْ أَبْهَجِ الْحُلِّ
مَا يَمَّمُ الْجَهْبَذُ النَّقَادُ غَيْرَ فَتَى مَاضِي الْعَزِيمَةِ عِنْدَ الْحَادِثِ الْجَلِّ
فَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ فِي إثْبَاتِهِ اخْتُلِفَا وَالْفَحْمُ يُوجَدُ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ
وَالصَّادِقُ الْحُرُّ فِي الْوَجْدَانِ أُنْدَرُ مِنْ كِبَرَيْنَا الْأَحْمَرِ الْفَتَّانِ لِلْأَمَلِ
وَلَنْ تَرَى نِعْمَةً إِلَّا وَقَدْ شَفَعَتْ بِمَوْهِنٍ عَزَّهَا بِالْغَيِّ وَالْحِيلِ
وَدَائِمُ الْمَجْدِ قَبْلَ الرُّشْدِ ذُو حَمَقٍ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ فِي نَقْصٍ وَفِي خَلَلٍ
هِيَ الْمَعَالِي فَلَمْ تَخْزَرْ لَأَنْفُسِهَا إِلَّا النَّظِيرَ لَهَا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَبَاسِطُ الْكَفِّ لِلْعَنْقَاءِ يَقْبِضُهَا يَرْتَدُّ فِي خَجَلٍ نَاهِيكَ مِنْ خَجَلٍ
لِلَّهِ قَوْمٌ لَقَدْ أَغْنَتْ فِرَاسَتُهُمْ عَنْ رَاصِدِ النُّجْمِ فِي الظُّلُمَاءِ أَوْ رُحَلِ
ضَاءَتْ سَرَائِرُهُمْ فَارْتَدَّتْ مُمْتَهَنُ يَبْغِي الْخِدَاعَ لَهُمْ يَسْعَى عَلَى عَجَلٍ
عَشِقَ الْحَقَائِقِ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ سَرَى فَلِلنَّجَاحِ بِأَوْجِ الْمَكْرُمَاتِ يَلِي
لَكِنْ وَجُودُهُمْ فِي الْخَلْقِ نَادِرَةٌ لَمْ نَلْقَ فِي وَفَيْنَا غَيْرَ الْأَمِيرِ عَلِي
مَوْلَى الْفَضَائِلِ أَسْتَاذُ الْمَكَارِمِ بَلْ مِنْ عِثْرَةٍ فَضْلُهَا فِي الْخَافِقِينَ عَلِي
نَجَلُ الْأَمِيرِ إِمَامِ الْفَضْلِ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ الْفَوَارِسُ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ
يَعْنُو السَّمَاءُ لِذِكْرَاهُ إِذَا تَلَيْتْ آيَاتُ أَفْضَالِهِ فِي الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ
وَفِي الْمَوَاقِفِ آيَاتٌ لِذِي فِطْنٍ تَقْضِي بِأَنَّ عَلَاهُ الْيَوْمَ لَمْ يُنَلِّ

مَا شِئْتَ مِنْ مَدْحِهِ فَالْقَوْلُ ذُو سَعَةٍ
فَبِضْعَةِ الْمُضْطَفَى لَا شَيْءَ يَغْدِلُهُمْ
فِي صَادِقِ الْقَوْلِ يَمْتَازُونَ إِنْ نَشَدُوا
لَا يَنْزِلُ الْمَجْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا
يَا بَنَ الْأُلَى غَيْرَ نَصْرِ الْحَقِّ مَا عَرَفُوا
وَالصَّادِقُ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ شَاءَ مَنَزَلَهُ
بِهِ الْمَعَالِي سَرَتْ فِي نُورِ بَهْجَتِهَا
إِنِّي بِمَدْحِكُمْ أَرْضِي الرَّسُولَ كَمَا
وَحُبُّكُمْ لَازِمٌ فَرَضُ عَلَيَّ بَدَا
رُحْمَاكَ مَوْلَايَ فِي عَبْدٍ عَلَيْهِ قَضَى
وَحَاوَلُوا سَنَرَ أَقْمَارٍ بِنَظَرَتِكُمْ
رَامُوا بِأَنْ يَجْعَلُوا الْبُهْتَانَ مُرْتَفِعًا
وَالْ «دُومَا» بِهِمْ ظُلْمٌ يَجُورُ عَلَى
يَسْتَنْجِدُونَ بِأَبْنَاءِ الرَّسُولِ وَكَمْ
وَرَبْعُكُمْ حَرَمٌ مَنْ أَمَّ سَاحَتَهُ
لَا زَالَ مَدْحُكَ فِي جِيدِ الزَّمَانِ لَهُ

فَكُنْ بِهِ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكِلٍ
هُمُ النُّجُومُ وَمَجْدُ الْغَيْرِ كَالطُّفْلِ
بَيْنَا هُوَ الشَّمْسُ فِي مَاضِي الزَّمَانِ تَلِي
كَالنَّوْمِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى سِوَى الْمُقَلِّ
وغيرَ دَفْعِ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُبْتَهِلٍ
مَا كَانَ إِلَّا يُرَى فِي ذُرْوَةِ الْحَمَلِ
فِي وَاضِحِ أَبْلَجٍ مِنْ أَوْضَحِ السُّبُلِ
نَصَّ الْكِتَابِ بِذَا فِي الْبَسْطِ وَالْجُمْلِ
يَا سَادَةَ عِزُّهُمْ مِنْ أَشْرَفِ الرُّسُلِ
أَهْلُ الْغَوَايَةِ بِالتَّزْوِيرِ وَالْحِيلِ
تَسْمُو وَتُشْرِقُ فِي الْإِبْكَارِ وَالْأُصْلِ
وَالْحَقَّ فِي صِفَةِ الْمَطْرُوحِ وَالسَّفْلِ
حَوْبَائِهِمْ قَدْ قَضَى بِالْمَدْمَعِ الْهَطْلِ
مُسْتَنْجِدٍ بِهِمْ يَنْجُو مِنَ الْوَجَلِ
يَقُولُ دَهْرِي سُرُورًا قَدْ تَنَبَّهَ لِي
نُورٌ يُضِيءُ وَعِزٌّ فِي الْعِلَاءِ جَلِي

(٢٧٢)

وَقُلْتُ مَادِحًا صَاحِبَ الْمَجْدِ وَالسَّعَادَةِ الْوَزِيرَ الْكَبِيرَ مُحَمَّدَ بَاشَا بْنَ
الْوَزِيرِ الْخَطِيرِ عَلِيٍّ بَاشَا الْعَظَمِ الدَّمَشْقِيِّ :

سَرَى كَوَكَبُ الْإِعْزَازِ شَوْقًا يُسَلِّمُ عَلَى مَصْدَرٍ فِيهِ الْفَخَارُ مُتَيِّمُ
وَأَضْحَى تَجَلَّى الْحَقُّ عِزُّ مُحَمَّدٍ عَلَى كُلِّ مَنْ حَازَ الْعِلَاءَ يُحَكِّمُ

فَتَى مِنْ بَنِي الْعَظَمِ الْكَرَامِ أَصُولُهُمْ
^(١) مَعَ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا
 تَسَابَقَ طُلَّابُ الْمَعَالِي تَتِيماً
 فَفَارَّوْا بِعِزٍّ لَا يُرَامُ وَمَنْعَةٍ
 لَهُ فِي قُلُوبِ الْأَكْرَمِينَ أُولِي النَّهْيِ
 تَبَاهَتْ بِهِ أَقْطَارُ جِلْقٍ مِثْلَمَا
 هُوَ النَّاصِرُ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ وَأَهْلُهُ
 بِهِمَّةٍ حَزَمَ مَا تَبَدَّى سَنَاؤُهَا
 لِأَفْضَالِهِ نُورٌ بِقَلْبِ ذَوِي الْعُلَا
 بَنُو الْعَظَمِ أَفْلَاكُ الْمَفَاخِرِ وَالنَّدَى
 فَكَمْ مَادِحٍ حَيًّا لَطِيبٍ حَدِيثُهُمْ
 فَأَضْحَى مُصَانَاً وَالزَّمَانُ خَدِيمُهُ
 وَإِنِّي لِمَحْسُوبٍ لِقَطْبِ كَمَالِهِمْ
 فَلَا زَالَتِ الْأَقْلَامُ تَنْشُرُ مَدْحَهُ

عَلَى مَنْزِلِ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ مُقَدَّمُ
 فَفِي مَدْحِهِ كُلُّ الْأَفْضَلِ تَنْظُمُ
 إِلَيَّ لَثَمَ أَيْدٍ بِالْمَفَاخِرِ تُنْعِمُ
 لَهَا الدَّهْرُ فِي أَوْجِ السَّمَائِينَ يَخْدُمُ
 مِنَ الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ مَا اللَّهُ يَعْلَمُ
 تَبَاهَى بِجَدْوَاهِ الْعَمِيمِ الْأَنْجُمُ
 مِنَ الْحَاسِدِ الْبَاغِي وَذَاكَ مُسَلَّمُ
 عَلَى مُشْكِلٍ إِلَّا اسْتَنَارَ الْحَلَكُمُ
 وَلِلْحَاسِدِ الْمَذْمُومِ فِي الْآيِ أَهْلُهُمْ
 وَأَثَارُهُمْ مِنْهَا الْمَلَا يَتَرْتَّمُ
 قَوَافِي فَانْقَادَتْ إِلَيْهِ تُسَلِّمُ
 وَأَمْسَى بِعِزٍّ وَالْأَعَادِي تُرْغَمُ
 سَمِيَّ أَبِي الزَّهْرَاءِ لِلْفَضْلِ أَلْثَمُ
 وَلَا زَالَتِ الْفُضْلَاءُ عَنْهُ تُتَرْجَمُ

(٢٧٣)

وقلت مادحاً الوزير الكبير صاحب الدولة ناظم باشا والي ولاية سورية
 الجليلة:

[من الكامل]

إِلَّا ائْتَنَى يُثْنِي بِكُلِّ مَفَاخِرِ
 إِلَّا أَلَمَ بِطِيبِ مَدْحِ عَاطِرِ
 مِنْ نُورِ أَنْسٍ بِالتَّهَانِي زَاهِرِ

مَا لَاحَ بَرَقَ بِالْعُذِيِّ وَحَاجِرِ
 أَوْ فَاحَ رَنَدٌ فِي مَعَاهِدِ طَيِّبَةِ
 اللَّهُ نَعْمَانُ الْأَرَاكِ بِنَفْحِهِ

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

فَرِحَا بِمَا أَبَدَاهُ نَاطِمُ شَمْلِهِ
وَالِي وَلايَةِ شَامِنَا بَلْ جَوْهَرُ
طُبِعَتْ مَحَامِدُهُ بِقَلْبِ ذَوِي النَّهْيِ
فَالْبَرَقُ فِي وَادِي النَّقَا لِسُلُوكِهِ
قَدْ أَصْبَحَ الْقَطْرُ الْحِجَازِي مَرْبَعًا
وَسَرَتْ إِلَى الْخَطِّ الْحِجَازِي هِمَّةٌ
وَتَرْتُمَا قَالَتْ لَنَا أُمُّ الْقُرَى
فَعِلْ بِهِ أَرْضَى النَّبِيِّ مُحَمَّدًا
لِلَّهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْأَعْوَامِ قَدْ
وَلَنَا بِخَاسِمِهَا وَتَالِيهِ وَمَا
وَلَهُ الصَّنَائِعُ فَاخْرَتْ بِسَنَائِهَا
كَمْ مِنْ مُعَافَى أَبْدَعَتْ دَارُ الشِّفَا
وَعَدَا بِهَا أَهْلُ الْبَوَادِي فِي حُلَى
وَبِهَا الْمَكَاتِبُ أَخْرَزَتْ قَصَبَ الْعُلَا
كَمْ مِنْ مَآثِرٍ فِي دِمَشْقَ صَبَاحُهَا
أَثَارُ عَامِرَةٍ وَمَغْنَى صَلَاحِهَا
أَيَّامُهُ كَيْدُ الْحُسُودِ وَعَدْلُهُ
فِي ظِلِّ رُوحِ الدَّهْرِ سُلْطَانِ الْمَلَا

بِرِّيَاضِ جَلَّقَ ذِي الْجَمَالِ الْبَاهِرِ
فَرَدُّ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَمَآثِرِ
فَمَدِيحُهُمْ مِنْ تَرْجُمَانِ الْخَاطِرِ
نَظَمْتُ ثَنَاءً كَالصَّبَاحِ السَّافِرِ
يَخْلُو سُورَاهُ لِقَادِمٍ وَمُسَافِرِ
مِنْ عَزَمِهِ فَعَدَا بِهَا كَالطَّائِرِ
وَضَلِيلِي بِأَرْضِ الشَّامِ سِرُّ ضَمَائِرِي
وَالْبَيْتُ لَا يَخْلُو إِذَنْ مِنْ زَائِرِ
أَرَبْتُ عَلَى الْبَذْرِ الْمُنِيرِ الزَّاهِرِ
مِنْ بَعْدِهِ عِزُّ بِجُودِ غَامِرِ
زُهِرَ النُّجُومِ بِكُلِّ شَهْمٍ مَاهِرِ
مِنْ كُلِّ مَنْ نَالَ الشِّفَا لِلشَّاكِرِ
تَهْدِيبِ خَلَاقٍ يَرُوقُ لِنَاطِرِ
فَتَنَوَّعَتْ طَرَبًا بِحُسْنِ مَظَاهِرِ
قَدْ قَالَ سَوْفَ تَرَوْنَ حُسْنَ نَظَائِرِي
تَارِيخُهَا حُلُوُ الْجَنَى لِمُسَامِرِ
أَحْيَا الزَّمَانَ بِأَوَّلٍ وَبِآخِرِ
لَا زِلْتُ (نَاطِمَنَا) بِعَدْلِ ظَاهِرِ

(٢٧٤)

وَقُلْتُ فِي مَدْحِ صَاحِبِ الْفَضِيلَةِ أَيُّوبِي زَادَهُ سَعِيدُ أَفْنَدِي رَئِيسِ كُتَّابِ
الْمَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ بِدِمَشْقَ :

يَا سَعْدُ عِنْدُ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ حَيِّ الْعُذَيْبِ وَرَامَةِ الْأَسْرَارِ

وَأَنْشَقُ أَرْبِجَ الْمِسْكِ مِنْ وَادِي النَّقَا
 وَإِذَا تَأَلَّقَ بِالْعُذَيْبِ وَحَاجِرٍ
 وَرَدَّتْ مَنَاهِلَ طَيِّبَةٍ ثُمَّ انْتَنَتْ
 بَلَدٌ تَوَدُّ الزَّاهِرَاتُ لَوْ أَنَّهَا
 بَلَدٌ بَدَا مِنْ نُورِهَا مَا أَشْرَقَتْ
 بَلَدٌ بِهَا افْتَحَرَ الثَّرَى وَسَمَا عَلَى السَّبْعِ الْعُلَا سُفِيًّا لَهَا مِنْ دَارٍ
 وَتَرَابُهَا أَقْصَى الْمَطَالِبِ وَالْمُنَى
 بَلَدٌ بِهَا حَلَّ الْأَمِينُ فَبَادَرَتْ
 بَذَلُوا النُّفُوسَ بِحُبِّهِ وَكَذَا النَّفِيسَ فَأَحْرَزُوا سَبْقًا لَدَى الْمَضْمَارِ
 وَتَدَرَّعُوا بِبِدَارِهِمْ فِي دَارِهِمْ
 مَلَّوْا الْبَسِيطَةَ مَعَ بَقِيَّةِ قَوْمِهِمْ
 حَتَّى غَدَتْ كَالرَّوْضِ بَاكِرُهُ الْحَيَا
 وَهُمْ الْجِبَالُ الشُّمُّ فِي يَوْمِ الْوَعَى
 آوَا نَبِيَّ اللَّهِ وَانْتَصَرُوا لَهُ
 وَلَهُمْ مَنَاقِبُ فِي الْكِتَابِ وَفِي أَحَا
 هُمْ زِينَةُ الدُّنْيَا فَمَنْ بِهِمْ اقْتَدَى
 لَا سِيَّمَا الْبَذْرُ أَبُو أَيُّوبَ مَنْ
 سَبَّاقُ غَايَاتٍ إِلَى أَوْجِ الْعُلَا
 نَزَلَ النَّبِيُّ بَيْتِهِ فَسَمَا بِهِ
 وَغَدَا بِأَنْوَاعِ الْمَفَاخِرِ رَافِلًا
 وَرَثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ

وَهُمُومُو بَنُو أَيُّوبَ أَقْمَارُ الْمَلَا
 غَيْثُ النَّدَى فَخَرُ الْكِرَامِ فَمَذَحُهُ
 جَذَبَ الْقُلُوبَ بِحِكْمَةٍ كَانَتْ إِلَى
 فَاقِ الْأَلَى سَنُوا الْمَفَاخِرَ لِلْمَلَا
 وَبِهِ الْبَلَاغَةُ زَيَّنَتْ أَجْيَادَهَا
 أَحْيَا مَآثِرَ ذِي الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى
 لَا غَرَوْ أَنْ كَانَ الْجَمِيلُ صَدُورُهُ
 كَالْبَحْرِ بِالْذَّرِّ النَّضِيدِ فَخَارُهُ
 يَا سَيِّدَا يُزْرِي عُطَارِدَ قَدْرُهُ
 حَسَّانُ مَذْحِكٌ لَمْ يَزَلْ يَتْلُو الثَّنَا
 فَاسْلَمَ وَدُمَ فِي طِيبِ عَيْشٍ مَا انْتَشَى
 وَسَعِيدُهُمْ فِي الْفَضْلِ شَمْسُ نَهَارٍ
 رَبْعُ النَّدِيمِ وَمُطَرِبُ الشُّمَارِ
 سُبُلِ الْهُدَى وَالْعِزِّ خَيْرَ مَنَارٍ
 بِمَكَارِمِ كَالصَّيْبِ الْمِذْرَارِ
 بِعُقُودِ دُرٍّ نَظْمُهُ وَنُضَارِ
 تَارِيخُهُ الْمُغْنِي عَنِ الْأَسْفَارِ
 مِنْ أَهْلِهِ الْأَخْيَارِ وَالْأَبْرَارِ
 وَالرَّوَضِ يَفْخَرُ فِي حُلَى الْأَزْهَارِ
 وَالنَّجْمِ مِنْهُ يَوْدُ طِيبِ مَزَارِ
 عِنْدَ الْعَشِيِّ وَفِي سَنَا الْإِبْكَارِ
 فِي الرَّوَضِ غُصْنٌ مِنْ غِنَاءِ هَزَارِ

(٢٧٥)

وقلت:

[من مجزوء الرمل]

إِنَّ أَضْيَافَ اللَّئِيمِ
 مُذْ أَتَوْهُ جُنَحَ لَيْلٍ
 أَطْعَمُوا خُبْزاً شَعِيراً
 لَمْ يَرَوْا مِنْهُ نَعِيمَا
 نَحْسُهُمْ أَمْسَى مُقِيمَا
 وَسَقَوْا مَاءً حَمِيمَا

(٢٧٦)

وقلت:

[من البسيط]

حَيِّ النَّدِيمِ بِكَأْسِ الشَّايِ إِذْ وَفَدَا
 ذُوبُ الْعَقِيقِ يُصَبُّ فِي بَلَّوْرَةٍ
 جَيْشُ الشُّرُورِ عَلَى أَصْنَافِ جُلَاسِي
 أَوْ عَسَجَدُ قَدْ ذَابَ فِي أَلْمَاسِ

(٢٧٧)

وقلت:

[من الكامل]

بِاللهِ صَلِّ مُضْنَاكَ يَا بَدْرَ الدُّجَى وَاْمُنْ عَلَيْهِ بِرَشَفِ مَاءِ الْكَوْثَرِ
وَأَعِدْ لَهُ رُوحَ الْحَيَاةِ بِضَمَّةٍ لِقَوَامِكَ الْمُزْرِي بِلِينِ السَّمْهَرِي

(٢٧٨)

وقلتُ مَرَّاسِلَا الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ سَلِيمِ سَمَارَةَ أَدْعُوهُ إِلَى السَّيْرِ لَزِيَارَةِ ضَرِيحِ
ابْنِ الْعَرَبِيِّ وَجَبَلِ قَاسِيُونَ بِصُحْبَةِ الشَّيْخِ سَعِيدِ الْفَرَا الدَّمَشْقِيِّينَ : [من البسيط]
يَا أَوْحَدًا فَوْقَ أَوْجِ الشَّمْسِ مَنَزَلُهُ وَمَنْ سَمَا بِالْتَّقَى وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
مَنْ فَازَ فِي نَظَرَةٍ مِنْهُ يَقْلُ طَرَبًا فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ
أَرِيحُ أَفْضَالِهِ فِي الْكَوْنِ حِينَ سَرَى أَحْيَا الْقُلُوبَ وَأَحْيَا غَايَةَ الْأَمَلِ
إِنَّ السَّعِيدَ وَمَنْ يَرْضَاهُ قَصْدُهُمْ زِيَارَةُ الْقُطْبِ مُحِييِ الدِّينِ وَالْجَبَلِ
وَلَيْسَ إِلَّا بِوَضْلِكُمْ يَصْفُو الشَّرُّورُ فُجْدُ تَفْضُلًا بِاللِّقَا وَاسْمَحْ عَنِ الزَّلَلِ

(٢٧٩)

وَقَدْ ذَهَبْتُ يَوْمًا لَزِيَارَةِ الْعَلَامَةِ الْفَاضِلِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ أَفْنَدِي بْنِ
الشَّيْخِ حَسَنِ الْبَيْطَارِ، فَلَمْ أَجِدْهُ فِي بَيْتِهِ فِي مِيدَانِ الْحَصَا، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

[من الوافر]

أَيَا بَحَرَ الْعُلُومِ وَشَمْسَ فَضْلِ بِهَا الْأَكْوَانُ قَدْ أَضَحَتْ مُضِيَّةُ
وَمَنْ مِنْ عِلْمِهِ هَذَا الزَّمَانُ بَدَا يَخْتَالُ فِي حُلَلِ بِهِيَّةُ
أَتَى الْعِيدُ السَّعِيدُ بِكُلِّ شَوْقٍ لِتَقْبِيلِ الْيَدَيْنِ الْحَاتِمِيَّةِ
وَمَا سَارَتْ مَنَاقِبُكُمْ وَإِلَّا عَلَى الْفَلَكَ الْأَثِيرِ لَهَا مَزِيَّةُ

فَدُمَ يَا أَيُّهَا الْعَظْرُ بِعِزِّ
فَنُورِ خُلَاصَةِ الْعُلَمَاءِ سَارِ
يُكَرَّرُ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعَشِيِّ
بِرُوحِ سُعُودِكَ الْغَرَرِ الرِّضِيِّ
وَلَا زَالَ الْوُجُودُ بِهِ مُنِيرًا
وَلَا زَالَ الْوُجُودُ بِهِ مُنِيرًا

(٢٨٠)

وَقُلْتُ مُهَنَّتًا صَاحِبَ الْفَضِيلَةِ وَالْإِرْشَادِ الشَّيْخَ أَسْعَدَ أَفْنَدِي الصَّاحِبَ
النَّقْشِبَنْدِيَّ الْخَالِدِيَّ بِوِلَادَةِ وَلَدِهِ عَبْدِ الْخَالِقِ أَفْنَدِي : [من الكامل]

لَمَّا غَدَا أَرْجُ الْهَنَاءِ سَمِيرُهُ
وَبَدَا بَعْدَ الْخَالِقِ الشَّهْمِ النَّدَى
مُتَهَلِّلاً قَدْ زَانَهُ تَعْطِيرُهُ
بَذَرُ مَطَالِعِهِ الصِّفَا وَالْعِزُّ قَدْ
أَبْدَى الْعَوَارِفَ وَاللَّطَائِفَ نُورُهُ
قَالَتْ بِشَائِرِهِ بِطِيبِ قُدُومِهِ
أَبْدَأُ إِلَى كَسْبِ الثَّنَاءِ مَسِيرُهُ
لَمْ يُلَفَ مَا بَيْنَ النُّجُومِ نَظِيرُهُ
وَتَرَادُفُ الْأَفْرَاحِ أَبَدَتْ طَالِعَهُ
أَخْفَى الضَّلَالِ عَلَى الدَّوَامِ ظُهُورُهُ
فَخَرُ الزَّمَانِ وَسَعْدُهُ وَسُرُورُهُ
يَا كَوْكَبًا مِنْ مَطْلَعِ الْفَخْرِ الَّذِي
قُدْسُ التَّجَلِّي الْأَقْدَسِيِّ وَطُورُهُ
لِلنَّقْشِبَنْدِي أَسْعَدِ الْعُلِيَا انْتَمَى
إِضَاحُ كَشَافٍ هُدَى تَنْوِيرُهُ
هُوَ صَاحِبُ الْهِمَمِ الْعَلِيِّ مَقَامُهَا
نُورُ الزَّمَانِ وَمَجْدُهُ وَعَبِيرُهُ
شَمْسُ الْمَعَارِفِ دُرٌّ بِخَرِ الْمُلْتَقَى
وَرِثَ الْمَكَارِمَ عَنْ إِمَامِ أُولِي الصِّفَا
أَحْيَا الْعُلُومَ بِهَدْيِهِ وَكَمَالِهِ
نَجْمُ السَّنَاءِ وَنُورُهُ وَبُذُورُهُ
قُطْبُ الْكَمَالِ وَفَخْرُهُ وَعِلَاؤُهُ
إِذْ دَامَ بِالنَّجْلِ السَّعِيدِ حُبُورُهُ
وَقَدِ الْهَنَاءُ عَلَيْهِ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ
(بَذَرُ لَدَى أَوْجِ الْأَثِيرِ مَسِيرُهُ)
وَالسَّعْدُ فِي طَرَبِ أَتَاهُ مُؤَرِّخًا

سنة ١٣١٧ هـ

(٢٨١)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخاً وَلَادَةً نَجَلِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ أَحْمَدُ سَعَادُ أَفندي : [من الرمل]

هَلْ فِي أَفْقٍ عَظِيمِ الْحَسَبِ بَذَرُ فَضْلٍ فِي الْعُلَا لَمْ يَغِبِ
أَحْمَدُ الْأَوْصَافِ زَاكِيِ الْمُخْتِدِ فَرَعُ سَادَاتِ كِرَامٍ نُجِبِ
لِسَعَادٍ يَتِمِّي طَالِعُهُ وَاعْتِزَازٍ فِي رَفِيعِ الرُّتَبِ
فَلْنَهْنُ أَسْعَدًا مَنْ فَضْلُهُ أَخْجَلَ الْبَحْرَ وَقَطَرَ السُّحْبِ
صَاحِبُ الْفَتْحِ اللَّدْنِيِّ الَّذِي نُورُهُ يَجْلُو ظِلَامَ الْغَيْهَبِ
بِهِلَالٍ سَوَفَ يُلْفَى كَوَكَبًا فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ زَاهِيِ الْمُؤَكَّبِ
نَقْشِبَنْدِي الْعُلُومِ سَيِّدُ مَظْهَرِ الْإِرْشَادِ سَامِيِ النَّسَبِ
إِنْ يُوَاصِلْ مَجْدُهُ أَوْجَ الْعُلَا لَيْسَ فِي ذَاكَ السَّرَى مِنْ عَجَبِ
إِنَّهُ لِيَذِي الْجَنَاحَيْنِ انْتَمَى سَيِّدُ الْأَقْطَابِ صَافِيِ الْمَشْرَبِ
ذُو كِرَامَاتٍ لَهَا أَهْلُ النَّهْيِ أَذْعَنُوا مِنْ عَجَمٍ أَوْ عَرَبِ
ذِكْرُهُ الْخَالِدُ زَيْنُ الْأَدْبَا بَهْجَةُ الْكَوْنِ جَمَالُ الْكُتُبِ
يَا جَمَالَ الْمَكْرُمَاتِ وَالْعُلَا أَسْعَدَ الْإِفْضَالِ لِلْمُقْتَرَبِ
بُلْبُلُ الْأَفْرَاحِ يُثْنِي إِذْ أَتَى أَحْمَدُ الْجُودِ سَعَادُ الْأَدَبِ
مَوْلِدُ تَارِيخِهِ (جَاءَ بِهِ مَطْلَعُ الْعِزِّ وَرَوْضُ الْأَدَبِ)

١٣١٩هـ

(٢٨٢)

وَقُلْتُ أَيْضاً مُرْتَجِلاً وَمَدَاعِباً : [من الكامل]
بَذَرُ بِأَفْقِ الْحُسْنِ مَطْلَعُهُ بَدَا كَالسَّيْفِ لَحْظًا وَالْغُصُونِ تَأْوَدَا

غَنَى فَأَسْكَرَ كُلَّ صَبٍّ مُغْرِمٍ وَبِهِ الْجَمَالُ مُهَيِّمٌ لَمَّا شَدَا
 إِنَّ شَيْئَ وَصَفَ جَمَالِهِ فَهُوَ الَّذِي بِالْحُسْنِ أَضْحَى وَاللَّطَافَةَ مُفْرَدَا
 أَوْ رُمْتُ وَصَفَ الْهَائِمِينَ بِحُبِّهِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا نَفْسٍ بَدَا
 فَهُوَ الْجَمِيلُ مُحَرِّقُ الْأَكْبَادِ مِنْ عَاشِقِيهِ بِالتَّجَنِّي وَالْعِدَا

(٢٨٣)

وقلت :

[من الوافر]

بِمَيْدَانِ الْحَصَا بَزَعْتَ لَدَيْنَا شُمُوسُ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ الْعَمِيمِ
 فَيَا لَكَ لَيْلَةً بَاهَتْ سَنَاهَا بَيَاضَ الصُّبْحِ مَعَ زُهْرِ النُّجُومِ
 لِسَانُ صَفَائِهَا بِالْأُنْسِ نَادَى هَلُمُّوا لِلشُّرُورِ الْمُسْتَدِيمِ
 فَفِي الْمَيْدَانِ أَجْوَادُ كِرَامٍ بِتَعْظِيمٍ لِأَرْبَابِ الْعُلُومِ
 فَلَا زَالَ الزَّمَانُ بِهِمْ مُحَلَّى بِجَدْوَاهُمْ يُعَزَّزُ بِالنَّعِيمِ

(٢٨٤)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخاً وَفَاةَ الْمَرْحُومِ مُحَمَّدٍ أَفندي شيخ الأرض : [من الكامل]

زُرْ مَرْقَدًا قَدْ جَادَهُ غَيْثُ الرِّضَا فَتَعَطَّرَ الرِّوْضُ بِطَيْبِ شَمِيمِهِ
 قَدْ ضَمَّ مُحَمَّدٌ الْمَآثِرَ مَنْ سَرَى بَعْدَ الْفَضَائِلِ وَالتَّقَى لِنَعِيمِهِ
 شَهْمًا هُمَامًا قَدْ عَلَا فَلَكَ الْعُلَا فَعَدَتْ مَكَانَتُهُ بِأَوْجِ نُجُومِهِ
 بِجَوَارِ خَيْرِ الْخَلْقِ أَضْحَى مُنْعَمًا نِعَمَ الْجَوَارِ وَنِعَمَ حُسْنِ نَدِيمِهِ
 مُدْ حَلَّ فِي أَسْنَى الرِّضَا أَرَّخْتُ (فِي) جَنَاتِ عَدْنٍ زُيِّنَتْ لِقُدُومِهِ

(١٣٢٠)

(٢٨٥)

وَقُلْتُ أَيْضاً:

[من الكامل]

لِلَّهِ رَوْضٌ ضَمَّ طَيْبُ نَعِيمِهِ عِلْماً وَفَضْلاً وَالتَّقَى وَالْجُودَا
قَدْ حَلَّهُ مَحْمُودُ شَيْخِ الْأَرْضِ مَنْ أَرْبَى عَلَى الْبَذْرِ الْمُنِيرِ سُعُودَا
لَمَّا أَجَابَ نِذَا الْكَرِيمِ مُسَارِعاً أَعْطَاهُ فَضْلاً حَوْضَهُ الْمَوْزُودَا
بِقُدُومِهِ حُورُ الْجِنَانِ تَبَاشَرَتْ تَنْشِي الثَّنَاءَ مُفَصَّلاً وَعُقُودَا
وَحَبَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِي فِرْدَوْسِهِ أَرَّخَ (مَكَاناً قَدْ غَدَا مَحْمُودَا)

(٢٨٦)

وَقُلْتُ مُحَمَّساً بَيْتِي الشَّيْخِ عِمَادِ الدِّينِ الدَّمَشْقِيِّ الْبَقَاعِيِّ فِي مَلِيحٍ بِمَحَلَّةِ
«التَّعْدِيلِ»: [من الكامل]

يَا مَنْ تَوَلَّعَ بِالْجَمَالِ وَحِزْبِهِ يَشْكُو مِنَ اللَّحْظِ الْجِرَاحِ بَقْلِهِ
إِنْ كَانَ يُضْعِفُكَ الْهَوَى فِي حَرْبِهِ (إِيَّاكَ وَالتَّعْدِيلَ لَا تَمْرُزْ بِهِ

وَحَذَارٍ مِنْ ظَنِّي هُنَاكَ كَحِيلِ)

كَمْ مُسْتَهَامٍ رَامَ مَيْلَةَ عِطْفِهِ فَحَبَاهُ مِنْ رُوحِ الْقَوَامِ بِحَتْفِهِ
لَمَّا رَأَى الْأَرْوَاحَ مُلَكَةً ظَرْفِهِ (مَا زَالَ يَجْرَحُ مَنْ رَأَاهُ بِطَرْفِهِ

فَتَوَقَّ شَرَّ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ)

(٢٨٧)

وَقُلْتُ أَيْضاً:

[من الكامل]

قَلْبِي لِغَيْرٍ وَدَادِكُمْ لَنْ يَأْلَفَا فَلِمَ الصُّدُودُ وَرَسْمُ جِسْمِي قَدْ عَفَا

يا سَادَةً تَرَكَوا الشَّجِيَّ عَلَى شَفَا (عُودُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَا
كَرَمًا فَإِنِّي ذَلِكَ الْخِلُّ الْوَفِي)

(٢٨٨)

وَقُلْتُ بَطْلِبُ مِنْ بَعْضِ الْإِخْوَانِ: [من الرمل]

لازمة

يا أديباً رامَ أسبابَ العُلا
لازِمَ العِلْمَ مُجِدّاً واجْتَهَدَ
وَلِحُبِّ الْفَضْلِ يَوْماً ما سَلا
وَعَنِ الْجَهْلِ وَأَهْلِيهِ ابْتَعَدَ
وَمَنْ يُعَانِي الْعِلْمَ فِي الْخَلْقِ حُمِدُ
وظِلَامُ الْجَهْلِ يُلْقِي فِي الْبَلَا

دور

نَزَهَةُ الرُّوحِ رِيَاضُ الْأَدَبِ
قُلْ لِمَنْ رَامَ ابْتِعَادَ الْأَدَبِ
مَوْرِدُ التَّعْلِيمِ صَافِي الْمَشْرَبِ
حِلْيَةُ الْفَضْلِ غَدَتْ أَبْهَى الْحُلَى

دور

وَعَنِ التَّذْرِيسِ إِيَّاكَ الْمَلَلُ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلُ
يا هُمَاماً هَاجِراً سُبُلَ الزَّلَلِ
هَكَذَا قَدْ قَالَ أَرْبَابُ الْعُلَا

دور

مَنْ يُضَيِّعُ وَقْتَهُ فِي الصَّغَرِ
إِنَّ مَنْ جَدَّ لِنَيْلِ الظَّفَرِ
لَمْ يَزَلْ فِي نَدَمٍ فِي الْكِبَرِ
فِي صِبَاهُ حَازَ مِنْهُ الْأَمَلَا

دور

فَلَنَا الْعِزُّ لَقَدْ نَلْنَا الْمُنَى
فِي حِمَى سُلْطَانِنَا فَخِرِ الشَّنَا
وبِهَذَا الْعَصْرِ كَمْ مَجْدٍ لَنَا
رُوحُ هَذَا الْعَصْرِ بَلْ كُلُّ الْمَلَا

وَصَلَاةُ اللَّهِ فِي طُولِ الْمَدَى لِحَيِّبِ اللَّهِ مِصْبَاحِ الْهُدَى
مَا هَزَارُ الدَّوْحُ فِي الرَّوْضِ شَدَا وَظِلَامُ الشَّكِّ بِالرُّشْدِ انْجَلَى

(٢٨٩)

وَقُلْتُ مُخَمَّسًا بَيْتِي مُصْطَفَى أَفْنَدِي الدَّكْدَكَ مُفْتَشٍ مَعَارِفِ الْأَسْتَانَةِ
الْعَلِيَّةِ وَأَحَدِ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ الْمَعَارِفِ الْكَبِيرِ بِهَا، وَقَدْ قَالَهُمَا نَجَاهُ الْحُجْرَةِ
الطَّاهِرَةِ النَّبَوِّةِ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى تَحِيَّةٍ^(١) : [من الوافر]
بَنَانُ النَّائِبَاتِ إِذَا تَشِيرُ وَقَلَّ الصَّبْرُ وَاعْتَزَّ النَّصِيرُ
أَقُولُ وَدَمْعُ عَيْنِي غَزِيرُ (رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مُسْتَجِيرُ
بِجَاهِكَ وَالرَّجَا أَنِّي أَجَارُ)

إِذَا كُنْتَ الْغِيَاثَ فَلَمْ يَضُرَّنِي هُبُوبُ النَّائِبَاتِ وَلَمْ يَزُرَّنِي
أَنَا الْفَانِي بِحُبِّكَ فَاخْتَبَرْنِي رَجَوْتُكَ يَا أَبَا الزَّهْرَا أَجْرَنِي

(٢٩٠)

وَقُلْتُ فِي وَاقِعَةٍ حَالٍ : [من الطويل]
أَقُولُ لِطَبِي بِالصُّدُودِ مُوَلِّعٍ وَإِنْ سِيمَ وَصْلًا كَانَ فِيهِ مُمَاطِلًا
يُحَرِّقُ قَلْبَ الصَّبِّ فِي نَارِ خَدِّهِ فَيَجْعَلُهُ خَالًا يُمِيتُ الْعَوَاطِلَ
تَرْفَقُ فَرَوْضُ الْحُسْنِ إِنْ رَاقَ مَنْظَرًا فَسَوْفَ مِنَ الْجُورِيِّ تَلْقَاهُ عَاطِلًا
إِذَا جُرَّدَ الْمُوسَى عَلَى خَدِّ شَادِنٍ تَاهَبَ دَاعِي الْحُبِّ لِلْسَّيْرِ رَاحِلًا

(١) انظر تعليقنا (ص : ١٣٣).

(٢٩١)

[من الطويل]

إِلَى أَنْ أَرَى بِالْوَصْلِ حَظِّي يَعْظُمُ
فَيَالَيْتَ مَنْ أَهْوَى تَرَقُّ وَتَرْحَمُ
فَكَمْ أَنْجَدُوا بِاللَّوْمِ طَوْرًا وَاتَّهَمُوا
قِيَاسُ اعْتِدَارِي فِي الْغَرَامِ مُسَلَّمُ
وَفِي حُسْنِهَا نُورُ الْغَزَالَةِ مُغْرَمُ
فَفِي ضَوْءِ غُرَّتِهَا الصَّبَاحُ مُتَيَّمُ
فَسَلُّوَانِهَا أَمْسَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ
وَمَا الْبَدْرُ إِلَّا فِي هَوَاهَا مُهَيَّمُ

وَقُلْتُ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْأَحْبَابِ:

عَلَى مُقْلَتِي هَجَرُ الرُّقَادِ مُحَرَّمُ
دَعَانِي الْهَوَى قَهْرًا فَلَبَّيْتُ أَمْرَهُ
لَحَى اللَّهُ عُدَّالِي وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنِّي بِبَاهِرِ حُسْنِهَا
خَلِيلِي مَالِي لَا أَذُوبُ صَبَابَةً
إِذَا أَسْفَرَتْ جُنْحَ الظَّلَامِ نِقَابَهَا
نَمَا حُبُّهَا فِي الْقَلْبِ فَازْدَدَنَ صَبُوءَةً
مَلِيكَةً حُسْنِ تَحْسُدِ الشَّمْسِ وَجْهَهَا

(٢٩٢)

[من الوافر]

وَأَصْغَى لِلْعَوَادِلِ حِينَ لَا مُوَا
حَالَاتٍ بِهَا افْتَحَرَ اللَّثَامُ
وَحَقِّكَ سَوْفَ يَنْقَطِعُ الْخِصَامُ
يَزُولُ مُعَوَّضًا عَنْهُ الْقَتَامُ
تَوَلَّى الْحُبُّ وَانْهَزَمَ الْغَرَامُ

وَقُلْتُ:

أَيَا مَنْ بَالَتَجَنِّي قَدْ رَمَانِي
وَأَظْمَأَنِي وَأَرْوَى مَنْ لَمَاهُ
دَعِ التَّغْذِيبَ لَا تَرْكَنْ إِلَيْهِ
وَلَا تَفْخَرْ بِشَيْءٍ عَنْ قَرِيبِ
سَوَادُ الشَّعْرِ إِنْ يَظْهَرُ بِخَدِّ

(٢٩٣)

[من الوافر]

سَمَا بِرِضَاءِ مَوْلَاهُ الْحَمِيدِ

وَقُلْتُ مُؤَرِّخًا وَفَاةَ بَعْضِ الْأَصْحَابِ:

وَرَوْضُ حَلَّاهُ شَهْمٌ تَقِيٌّ

سَقَاهُ صَيِّبَ الْغُفْرَانِ رَبِّي فَحَازَ الْفَضْلَ مِنْ كَرَمِ الْمَجِيدِ
وَلَمَّا أَنْ أَتَى دَارَ السَّلَامِ وَلِذَلِكَ رُوحَهُ طَيْبُ الْوُرُودِ
تَجَلَّى وَهُوَ فِي التَّأْرِخِ (بَدْرٌ) عَلَيَّ حَلٌّ فِي دَارِ الْخُلُودِ

(٢٩٤)

وَقُلْتُ أَيْضاً: [من مجزوء الرمل]
إِنَّ مَنْ أَضْنَى فُؤَادِي مَلَكٌ فِي زِيٍّ إِنْسِي
إِنْ تَرُمُ كَشَفَ الْمُعَمَّى وَتَرَى الْمَحْجُوبَ أَنْسِي
زِدْهُ بَعْدَ الزَّايِ كَافاً تَذِرُ سِراً فِيهِ أَنْسِي

(٢٩٥)

وَقُلْتُ أَيْضاً: [من مجزوء الرمل]
زَانَ خَدَّ الْبَدْرِ خَالٌ هُوَ مِنْكَ فَوْقَ وَرْدٍ
كَيْفَ لَا يُحْرِقَ وَهُوَ مِثْلُ قَلْبِي فِي التَّصَدِّي
يَا حَبِيبِي كُنْ مُهَنَّا إِنْنِي ذُبْتُ بِوَجْدِي
تَهُ دَلَالاً أَنْتَ فَرْدٌ فِي جَمِيعِ الْحُسْنِ عِنْدِي
لَوْ دَرَى الْعَاذِلُ هَتَكِي مَا كَوَانِي بِالتَّعَدِّي
قَدْ مَلَكَتِ الرُّوحَ مِنْنِي فَلِمَ يَا بَدْرُ صَدِّي

(٢٩٦)

وَقُلْتُ أَيْضاً: [من الكامل]
قَالُوا فَلَانٌ قَدْ بَدَا فِي لِحْيَةٍ مِنْ طُولِهَا تُغْنِي عَنِ السَّرْوَالِ

قُلْتُ لَهُمْ يَا قَوْمِ تِلْكَ حِبَالُهُ لِلصَّيْدِ بَاهَتْ حِيلَةُ الْمُحْتَالِ
لَمَّا خَلَا عَنْ كُلِّ فَضْلٍ صَدْرُهُ غَرَّ الْغَبِيِّ بِلُخْيَةِ الْإِضْلَالِ

(٢٩٧)

وقُلتُ أيضاً:
[من البسيط]
أَعْلَى الْفَضَائِلِ تَهْدِيبُ النَّفُوسِ لِمَنْ أَخْلَاقُهُ حَسُنَتْ فَازْدَادَ تَأْدِيبًا
هَلْ يَسْتَوِي عَالِمٌ يَسْمُو بِمَعْرِفَةٍ وَجَاهِلٌ قَدْ غَدَا بِالْجَهْلِ مَحْجُوبًا

(٢٩٨)

وقُلتُ:
[من البسيط]
جَوَاهِرُ الْعِلْمِ مَا انْضَمَّتْ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا رَقَى لِلْعُلَا وَاعْتَزَّ بِالْأَدَبِ
فَهُوَ الْجَمَالُ لِمَنْ فِي حُسْنِهِ اتَّصَفَا وَهُوَ الْكَمَالُ وَأَقْصَى الْمَجْدِ وَالْأَدَبِ

(٢٩٩)

وقُلتُ مَرَّاسِلًا صَاحِبَ السَّعَادَةِ عَبْدَ الْعَزِيزِ أَفْنَدِي بَنَ مُصْطَفَى أَفْنَدِي
الدَّكْدَكَجِيَّ، وَهُوَ فِي دَارِ السَّعَادَةِ الْأَسْتَانَةِ الْعَلِيَّةِ:
[من البسيط]
أَهْدِي مَقَامًا عَلَى الْجَوَازِ قَدْ رُفِعَا أَزْكَى سَلَامٍ لَهُ رِيحُ الصَّبَا اتَّضَعَا
يَتْلُوهُ أَبْهَى تَحِيَّاتٍ إِذَا سَفَرَتْ رَأَيْتَ بَدَرَ الشَّنَا مِنْ أَفْقِهَا طَلَعَا
رَبْعُ تَوَدُّ الدَّرَارِي أَنَّهَا جُعِلَتْ لَطَالِعِ السَّعْدِ فِي آفَاقِهِ تَبَعَا
كَمْ فَاضِلٍ نَحْوُ ذِيكَ الْجَمَى وَخَدَتْ بِهِ الْمَهَارِي فَلَبَّى نَحْوَهَا وَسَعَى
تِلْكَ الْجَوَارِي عَلَى مَتْنِ الْبَحَارِ جَرَتْ لَمَّا حَدَاها بُخَارٌ بِالذِّكَا ابْتَدَعَا
تَعْنُو الثَّرِيَّا بِإِدْعَانٍ لِرِفْعَتِهِ وَتَنْظُرُ الْمَيْلَ عَنْهُ لِلْسَّوَى بَدَعَا

فَبَدْرُ مَطْلَعِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِهِ أَسْنَى الْمَكَارِمِ وَالْأَفْضَالِ قَدْ جَمَعَا
 مَوْلَى الصَّنَائِعِ وَالْمَعْرُوفِ مِنْ قَدَمِ عَلَى الْكَمَالَاتِ فِي أَنْوَاعِهَا طُبِعَا
 مَنْ رَامَ صَيِّهَ يَبْغِي نَدَاهُ غَدَا عَنْ وَجْهِ مَطْلَبِهِ التَّسْوِيفُ مُرْتَفَعَا
 شَهْمُ هُمَامٍ سَلِيلُ الْمَجْدِ مَفْخَرُهُ فِي كُلِّ مَنْقَبَةٍ مَحْمُودَةٌ بَرَعَا
 شَمَاءُ هِمَّتِهِ فِي صِدْقِ لَهْجَتِهِ نُورُ السَّعَادَةِ مِنْ أَرْجَائِهَا طَلَعَا
 الْأَلْمَعِيُّ كَرِيمُ الْأَصْلِ تَحْسِبُهُ حِينَ التَّنَاجِي عَلَى الْأَسْرَارِ مُطْلَعَا
 يَا سَيِّدًا قَدْ حَوَى مَا فِي الْأَنَامِ مِنَ الـ فَضْلِ الْمُبِينِ وَلِلْإِحْسَانِ مَا مَنَعَا
 عَطْفًا عَلَى مُذْنَبٍ فِي مَذْحِكُمْ سَعِدَتْ مِنْهُ الْحُظُوظُ وَعَنْهُ الْمَانِعُ انْقَشَعَا
 فَاْمُنْ عَلَيْهِ بِتَنْوِيرِ الْمُئِي كَرَمًا فَمَنْ دَعَا بِاسْمِكُمْ نَحْوُ الشُّهَا ارْتَفَعَا

(٣٠٠)

وَقُلْتُ فِي أَثْنَاءِ مَقَالَةٍ لَنَا فِي «ثَمَرَاتِ الْفُنُونِ»: [من الرجز]

هَيَّجَ دَاعٍ بِالصَّفَا قَلْبِي إِلَى طَيِّبَةِ مَأْوَى أَهْلِنَا مِنْ قَدَمِ
 إِنْ لَمْ أَجِبْهُ لَمْ أَكُنْ ذَا شَغَفٍ وَلَا تَبَدَّدْتُ نِسْبَتِي لِلْحَرَمِ

(٣٠١)

وَقُلْتُ أَيْضًا: [من الرمل]

نِسْبَةُ التَّحْقِيقِ أَعْلَى نِسْبَةٍ تَجْعَلُ النَّائِي مَكَانَ الْأَقْرَبِ

(٣٠٢)

وَقُلْتُ مُخَمَّسًا، وَالْأَصْلُ لِلصَّلْتِي: [من البسيط]

يَا لَا إِمَامًا مُغْرَمًا قَدْ رَامَ يَنْصَحُهُ وَبِالْمَلَامِ وَسِيفِ الْعَدْلِ يَجْرَحُهُ

مَهْلًا فَحَالِي بِهَذَا الْبَيْتِ أَشْرَحُهُ (كَمْ أَكْتُمُ الْحُبَّ فِي قَلْبِي وَيَفْضَحُهُ
 دَمْعٌ مِنَ الْبَيْنِ نَارُ الشَّوْقِ تَسْفَحُهُ)
 وَالْوَعْتِي مِنْ غَرَامٍ بِالْفُؤَادِ لَهُ نَارُ اشْتِيَاقٍ ذَكَتَ فِيهِ تَفْصَلُهُ
 مَا حِيلَتِي وَالْهَوَى قَدْ مَرَّ مِنْهُلَهُ (حَدِيثُ حَبِّي دُمُوعِي كَمْ تُسْلِسِلُهُ
 وَالْوَجْدُ يُعْرِبُ عَنْ حَالِي وَيَشْرَحُهُ)

(٣٠٣)

وَقُلْتُ أَيْضًا فِي وَاقِعَةٍ حَالٍ :
 وَلَيْنُ الْأَعْطَافِ قَاسٍ قَلْبُهُ حُلُوُ الْحَدِيثِ مُهْفَهَفٌ مُرُّ الْجَفَا
 بَيْنَا بِطِيبِ الْوَصْلِ يُخَيِّي صَبَّهُ إِذْ بِالتَّجَافِي مَاتَ مِنْهُ بِلا خَفَا
 أَوَاهُ مِنْ وَجْدِي بِهِ وَنَفَارِهِ وَيَلَايَ مِنْ صَدٍّ أَتَى بَعْدَ الْوَفَا
 بِاللهِ رَفَقًا بِالْمُتَيَّمِ إِنَّهُ فِي الْحُبِّ قَدْ هَجَرَ الْعَذُولَ وَعَنْفَا
 لَا تُشِمِتِ الْعَذَالَ وَارْحَمْ حُرْقَتِي وَامْنُنْ عَلَيَّ أَيَا طَبِيبِي بِالشِّفَا

(٢٠٤)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخًا وَفَاةَ الْحَيِّ زَاوِدَ أَفْنَدِي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - [مِنْ الْهَزَجِ]:
 وَرَوْضٍ حَلَّاهُ شَهْنَمٌ شَرِيفُ الْأَصْلِ ذُو حَسَبِ
 تَقِيٍّ زَاهِدٌ فَطِنٌ إِمَامُ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
 عَلَيْهِ صَيَّبُ الرِّضْوَا نِ مِنْهُلٍ مَدَى حَقَبِ
 إِلَى دَارِ السَّلَامِ سَرَى فَنَالَ الْعِزَّ فِي طَرَبِ
 وَحَازَ مِنَ الْكَرِيمِ رِضَا بِفَضْلٍ غَيْرِ مُحْتَجِبِ
 وَمَجْدًا إِذْ نُورُخُهُ (بَدَا فِي أَشْرَفِ الرُّتَبِ)

(٣٠٥)

وَقُلْتُ وَقَدْ حَلَّ الْوَبَاءُ فِي دِمَشْقَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ

[من الكامل]

١٣٢٠هـ:

هَٰذَا دِمَشْقُ لَقَدْ تَكَامَلَ حُسْنُهَا فَالضَّيْمُ عَنْهَا بِالْفَنَاءِ مَقَامُهُ
لَا سُوءَ يَدْنُو مِنْ حِمَاها بَعْدَمَا دِينَ الرَّسُولِ بِهَا عَلَتْ أَعْلَامُهُ
قُلْ لِلَّذِي ظَنَّ الْوَبَاءَ بِأَرْضِهَا مِنْ نُورِهَا بِاللَّهِ زَالَ ظِلَامُهُ
إِنْ كَانَ مَرَّ مُودَّعًا دَاعِي الْوَبَا أَرَّخَ بِهَا (فَالْعَيْدُ كَانَ خِتَامُهُ)

(٣٠٦)

وَقُلْتُ:

[من الطويل]

وَمَنْ يَجْعَلِ الْإِفْكَ الْعَظِيمَ شِعَارَهُ تَجَرَّعَ كَأْسَ الْعَارِ طُولَ حَيَاتِهِ
وَنَادَى خَطِيبُ الْحَقِّ ذَاكَ مُكَذَّبٌ جَزَاهُ عَلَى دَعْوَاهُ قَطْعُ لَهَايَةِ

(٢٠٧)

وَقُلْتُ مَادِحًا حَضْرَةَ الشَّهْمِ الْهُمَامِ عَظَمَ زَادَهُ مُحَمَّدٌ فُوزِي بِأَشَا الْأَفْخَمِ:

[من البسيط]

لَا يَأْلَفُ الْمَجْدَ إِلَّا السَّادَةُ النُّجَبَا وَلَا الْمَعَالِي إِلَّا مَنْ لَهَا انْتِخَبَا
وَلَا الْفَضَائِلَ إِلَّا سَيِّدٌ رَفَعَتْ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ آثَارُ لَهُ الرُّتَبَا
سَيَّانِ أَوَّلُ مَسْرَاهُ وَآخِرُهُ كَالشَّمْسِ فِي أَوْجِهَا أَوْ نُورُهَا غَرَبَا
وَتِلْكَ لَمَّا سَمَتْ نُورًا وَمَرْتَبَةً كُلُّ الْكَوَاكِبِ مِنْ لَأْلَائِهَا اِكْتَسَبَا
وَكَهْرَبَائِيَّةُ الْأَكْوَانِ مُذْ كُشِفَتْ أَبْدَى أَهْيَلُ الْحِجَا مِنْ سِرِّهَا عَجَبَا

ما في المتاهل من تصفو موارده
 ولم يكن فاضل تغلو مراتبه
 لا أجنح اليوم للغزلان أنشدتهم
 ولا أهيم بمن لو شام طلعتة
 أضحى الجمال به مغرى حليف جوى
 ما الشوق إلا لمجد ليس يحجبه
 وإن سما الفكر للعلاء ليس يرى
 يفكر الليل في نظم القريرض فلم
 بحر النوال أبو الفضال غيث ندى
 به السعادة لاذت وهي قائلة
 ما شامه حاسد إلا وأتبعه
 وإن تجلّت لأهل الحقد هيئته
 وإن نجوم السما دانت لناظمها
 فخر الأماجد آل العظم كم لهم
 هم الأكارم لا يحصي مناقبهم
 معادن الناس شتى في تنوعها
 لفضل فوزي كمال صين عن ريب
 في صائب الرأي والفكر السديد وبالطبع السليم لأرباب العقول سبى
 فهو الهمام إمام المكرمات بدا
 تبارك الواهب المنان كم هطلت
 مولاي يا من سما فضلاً ومرتبة

إلا الذي بالعلل والفخر قد عذبا
 إلا الذي من كؤوس الإرتقا شربا
 ردوا على طرفي النوم الذي سلبا
 نور الغزالة من بعد الضيا ذهباً
 فؤاده لغرام بالحشا التهباً
 كر الغداة ولو نور الضحى حجباً
 حب الأغاني إلى تهيامه سبياً
 يجده إلا لمذح الألمعي وجباً
 محمد الفضل خير الأكرمين أباً
 بشراي فرعي لهذا الأصل قد نسباً
 عميم أفضاله من مجده شهباً
 قلوبهم قطعت قبل اللقاء إرباً
 في مدحه غرراً لم يقض ما وجباً
 من المفاخر ما قد زين الكتبنا
 أهل البلاغة من أملى ومن كتبنا
 خيارهم من صنوف المدح قد وهبنا
 به الزمان تهناً واثنى طرباً
 وهو السمي على أوج العلا حسباً
 سحائب الجود منه منة وجباً
 لم يخص مدحهما الشعراء والخطباء

أَنَا الْمُقْصَرُ وَالْمَعْلُومُ مِنْ قِدَمٍ شُمُولُ حِلْمِكَ مَنْ يَنَأَى وَمَنْ قُرْبَا
وَقَدْ نَزَحْتُ قُبَيْلَ الْعِيدِ مُلْتَمِسًا رِيَاضَةَ الْفِكْرِ مِمَّا قَدْ جَنَى تَعْبَا
وَأَنْتُمْ خَيْرُ مَنْ بِالصَّفْحِ عَامِلَنِي وَالْعَبْدُ يُصْبِحُ لِلْإِغْضَاءِ مُطْلَبَا
فَاهِنًا بِعِيدِ بِكُمْ عَادَ الشُّرُورُ لَهُ فَظَلَّ بِالْعَوْدِ لِلتَّبْشِيرِ مُرْتَقِبَا
وَاسْتَجَلَ بِدَرِ الْهَنَا مِنْ كَوَكِبِ ظَهَرَتْ مِنْهُ النَّجَابَةُ أَزَكَى مَنْ سَمَا حَسَبَا
فِي مَطْلَعِ السَّعْدِ أَضْحَى خَالِدًا وَلَهُ أَسْنَى الْفَضَائِلِ بَيْنَ السَّادَةِ النُّجَبَا
فَاسْلَمَ وَدُمَ لِلْعُلَا كَهْفًا تُعْزُّ بِهِ مَا رَنَحَتْ عَذْبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَا
وَاسْتَخْدِمَ الْمَجْدَ فِيمَا شِئْتَ مُحْتِكِمًا لَا يَأْلَفُ الْمَجْدَ إِلَّا السَّادَةُ النُّجَبَا

(٣٠٨)

وَقَدْ افْتَرَحَ عَلَيَّ بَعْضُ الْأَحْبَابِ تَشْطِيرَ هُذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وَهُمَا مِنْ قَصِيدَةٍ
طَوِيلَةٍ لِفَرَنْسِيْسِ فَتَحَ اللَّهُ مِرَاشَ الْحَلْبِيِّ، فَقُلْتُ مُصَدَّرًا وَمَعْجَزًا: [من الكامل]
(رُحْ يَا رَسُولُ إِلَى الْحَبِيبِ وَقُلْ لَهُ) قَدْ لَذَّ مِنْكَ عَلَى النَّوَى التَّعْذِيبُ
وَاتْرُكْ عَذُولًا قَالَ عَنِّي كَاذِبًا (مَاتَ الْغَرَامُ لَكَ الْبَقَا فَتَطِيبُ)
(إِنَّ الْمُحِبَّ سَلَكَ فَابِشْرَ بِالْمُنَى) عِنْدَ الْوُشَاةِ وَمَنْ عَلَيْكَ رَقِيبُ
مَا قُلْتُ يَوْمًا كُنْ حَبِيبِي هَاجِرًا (فَاذْهَبْ فَأَنْتَ لِمَنْ تَشَاءُ حَبِيبُ)

(٣٠٩)

وَقُلْتُ أَيْضًا:
[من الكامل]
(رُحْ يَا رَسُولُ إِلَى الْحَبِيبِ وَقُلْ لَهُ) لَا أَنْتَ أَنْتَ وَلَا الرَّقِيبُ رَقِيبُ
لَمَّا صَحِبْتَ ذَوِي الْجَهَالَةِ وَالْحَنَا (مَاتَ الْغَرَامُ لَكَ الْبَقَا فَتَطِيبُ)
(إِنَّ الْمُحِبَّ سَلَكَ فَابِشْرَ بِالْمُنَى) يَا مَنْ لَهُ فِي الْفَاسِقِينَ نَصِيبُ

فَاشْرَبْ كُؤُوسَ الْمَقْتِ فِي دِمَنِ الشَّقَا (وَإِذْهَبْ فَأَنْتَ لِمَنْ تَشَاءُ حَبِيبُ)

(٣١٠)

وقلت أيضاً:

[من الكامل]

(رُحْ يَا رَسُولُ إِلَى الْحَبِيبِ وَقُلْ لَهُ) أَشْرَكْتَ فِي وُدِّي وَذَاكَ عَجِيبُ
وَمَتَى التَّقْلُبُ قَدْ أَلَمَّ بِشَادِنِ (مَاتَ الْغَرَامُ لَكَ الْبَقَا فَتَطِيبُ)
(إِنَّ الْمُحِبَّ سَلَكَ فَابِشِرِ بِالْمُنَى) وَأَرَاكَ قَلْبًا حَلَّهُ التَّغْذِيبُ
دَعْنِي فَأَيَّامُ الْوِصَالِ لَقَدْ مَضَتْ (وَإِذْهَبْ فَأَنْتَ لِمَنْ تَشَاءُ حَبِيبُ)

(٣١١)

وقلت أيضاً:

[من الكامل]

(رُحْ يَا رَسُولُ إِلَى الْحَبِيبِ وَقُلْ لَهُ) إِنَّ الْجَمَالَ زَوَالُهُ لَقَرِيبُ
مُدَّ حَلَّ جَيْشِ الشَّعْرِ فِي رَوْضِ الْبَهَا (مَاتَ الْغَرَامُ لَكَ الْبَقَا فَتَطِيبُ)
(إِنَّ الْمُحِبَّ سَلَكَ فَابِشِرِ بِالْمُنَى) إِذْ بَدُرُ حُسْنِكَ قَدْ أَتَاهُ غُرُوبُ
كُفَّ الدَّلَالَ فَلَيْسَ ذَلِكَ وَقْتُهُ (وَإِذْهَبْ فَأَنْتَ لِمَنْ تَشَاءُ حَبِيبُ)

(٣١٢)

وقلت:

[من الكامل]

(رُحْ يَا رَسُولُ إِلَى الْحَبِيبِ وَقُلْ لَهُ) كُنْتَ الْحَبِيبَ لَنَا وَأَنْتَ لَبِيبُ
وَالْآنَ لَمَّا قَدْ تَبَعْتَ غَوَايَةَ (مَاتَ الْغَرَامُ لَكَ الْبَقَا فَتَطِيبُ)
(إِنَّ الْمُحِبَّ سَلَكَ فَابِشِرِ بِالْمُنَى) مِنْ نَيْلِ مَا لَا يَزْنِضِي التَّهْذِيبُ
وَارْتَعِ بَرُوضِ اللَّهِوَ مَعَ أَحْبَابِهِ (وَإِذْهَبْ فَأَنْتَ لِمَنْ تَشَاءُ حَبِيبُ)

وقلت على لسان رجلٍ كان عاشقاً لأحدِ أربابِ الجمال، ثم اتَّخَذَ
المَحْبُوبُ لِمُحِبِّهِ شَرِيكاً مَالٌ إِلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِ، فَتَرَكَ لِقَاءَ مَحْبُوبِهِ عَلَى الدَّوَامِ، مَعَ
ازْدِيَادِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَهُمَا، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ: [من الطويل]

عَجَبْتُ مِنَ الْأَحْبَابِ كَيْفَ تَجَنَّتِ
وَكُنَّا وَلَا نَخْشَى التَّفَرُّقَ بَيْنَنَا
تَرَانَا وَكُلُّ لِلْوِدَادِ مُحَافِظُ
تَرَانَا وَكُلُّ خَافِقُ الْقَلْبِ آسِفُ
تَرَانَا وَكُلُّ هَائِمٌ بِخَلِيلِهِ
إِذَا غَابَ عَنِّي كَانَ وَجْدِي مُؤَانِسِي
فَيَا عَجَباً هَلْ تِلْكَ فِتْنَةٌ حَاسِدِ
أَمْ الْوُدُّ فِي مَاضِيهِ كَانَ تَمَلُّقاً
سَقَانِي مِنَ الْهَجْرَانِ كَاساً رَوِيَّةً
أَظَلُّ نَهَارِي بِافْتِكَارٍ وَلَوْعَةٍ
يُمَثِّلُ لِي يَوْمَ الرَّحِيلِ مَدَامِعِي
فَأَبْهَتْ لَا أَصْغِي لِقَوْلِ مُنَادِمِي
وَأَشْكُو النَّوَى مِنْ حَاتِمٍ وَمُجَاهِدِ
وَمَا كَانَ مِنْهُ غَيْرُ صِدْقٍ تَقْلُبِ
عَلَى عَهْدِهِ بِالْوُدِّ أَلْفُ تَحِيَّةٍ
لِتَهْنِ الْعِدَا فَالذَّهْرُ فَرَّقَ بَيْنَنَا
أَرَى الصَّبْرَ يَجْفُونِي فَأَصْبِحُ هَائِماً

وَقَدْ كَانَ فِي التَّقْرِيبِ أَعْظَمَ رَغْبَتِي
فَصِرْنَا نَلْذُ طُولَ عَهْدِ التَّشْتِ
وَلَكِنَّا نَأْبَى اللِّقَاءَ بِنَظَرَةٍ
وَلَكِنَّا نَرْجُوهُ صِرْفَ الْمَوَدَّةِ
إِذَا مَا بَدَأَ فِي الْحُبِّ عَكْسُ الْأَشْعَةِ
وَإِنْ سَامَنِي قُرْباً أَبْوُءُ بَرَجْعَتِي
أَمْ السَّاحِرُ الْمَفْتُونُ زَادَ بِلَعْلَةٍ
أَمْ الْعَاذِلُ الْمَغْبُونُ لَمْ يَأْتِ بِالنَّيِّ
أَذَابَتْ حَشَايَ وَالْفُؤَادَ بِشُعْلَةٍ
وَطُولَ اللَّيَالِي مِنْ نَوَاهِ بَحِيرَةٍ
وَبُعْدِي قَرِيباً مِنْ دِيَارِ أَحِبَّتِي
وَأَذْهَلُ حَتَّى أَنْ أَغِيبَ بِغَيْبَتِي
وَمَا الْقَصْدُ إِلَّا مَنْ إِلَيْهِ وَجْهَتِي
وَلَمْ يَكْ مِنِّْي غَيْرُ نَفْسٍ أَبِيَّةٍ
وَإِنْ كَانَ جَمْعُ الشَّمْلِ أَبْعَدَ مُنِيَّةٍ
عَلَى رَغْمٍ مَا انْضَمَّتْ عَلَيْهِ طَوَيَّتِي
فِيَا صَبْرُ رِفْقاً لَا تِلْمَ بِغُرْبَتِي

بَقْلِبِ ثَوَى بَيْنِ الصُّلُوعِ مُفْتَتِ
 فَيُطْفِي لَهَيْبِ الْقَلْبِ مِنْ نَارِ زَفَرَتِي
 عَلَيْكَ سَلَامِي مَا النَّسَائِمُ هَبَّتِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَمَحَةٍ
 وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَطْمَعُ بَرْدَ تَحِيَّةٍ
 وَإِنْ كَانَ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيَّ بِعَوْدَةٍ
 إِذَا رُدَّ مَاضِيهَا إِلَيْنَا بِرَدَّةٍ
 وَشَكْوَى أَلِيمِ الْوَجْدِ فِي حَانِ خُلُوةٍ
 كَسَاهُ لَنَا الْوَاشُونَ أَفْبَحَ حُلَّةٍ
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أُبْدِلْتُ مِنْهُ بِغُصَّةٍ
 وَإِنْ كُنْتُ بِالتَّفْرِيقِ أُبْتُ بِلَوْعَتِي
 وَمِضْمَارُ دَاعِي الشَّوْقِ طَلُقَ الْأَعِنَّةِ
 دَوَاماً فَأُصْحَى لَا يَجُودُ بِزُورَةٍ
 فَقَدْ صَارَ لَا يَخْنُو عَلَيَّ بِنَظَرَةٍ
 وَقَدْ بَاعَكَ الْمَحْبُوبُ أَخْسَرَ بَيْعَةٍ
 فَصَبْرًا وَإِلَّا فَاسْتَعِدَّ لِمُخَنَةِ

وَيَا سَلَوْتِي كُونِي لَدَيَّ فَإِنِّي
 سَأَشْكُو لِدَمْعِي كَيْ يُزِيلَ شِكَايَتِي
 فَيَا عَهْدَهُ الْمَاضِي وَلَمْ يَكْ رَاجِعاً
 وَيَا رَبْعَهُ الْمَحْرُوسَ بِالْيَمْنِ وَالْهَنَا
 فَحَيَّا الْحَيَا أَيْامَنَا بِلِقَائِهِ
 سَلَامٌ عَلَى عَهْدِ التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا
 سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِ أَنْسِ قَضَيْتُهَا
 سَلَامٌ عَلَى لَيْلِ الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَا
 سَلَامٌ عَلَى ذَاكَ الْوِدَادِ الَّذِي مَضَى
 سَلَامٌ عَلَى عَهْدِ الْأُخُوَّةِ وَالْوَفَا
 سَلَامٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جَمْعِ شَمْلِنَا
 سَلَامٌ عَلَى اللَّذَاتِ مِنْ بَعْدِ بُعْدِهِ
 سَلَامٌ عَلَى يَوْمِ تَكَرَّرَ عَوْدُهُ
 سَلَامٌ عَلَى الْوَصْلِ الْعَفِيفِ تَكَرُّماً
 سَلَاماً سَلَاماً يَا فُؤَادُ فَذَا مَضَى
 وَهَذَا مُحَالٌ أَنْ تَرُدَّ زَمَانَهُ

(٣١٤)

وقلت :

[من الكامل]

خَصَّ التَّحِيَّةَ بَعْضَهُمْ بِكَمَالِهَا
 تِلْكَ الْإِشَارَةُ فِي بَدِيعِ مِثَالِهَا
 وَفُؤَادُ هَذَا مَرْتَعٌ لِنِبَالِهَا

مَرَّ الْغَزَالُ عَلَى مُحِبِّهِ وَقَدْ
 وَمَضَى يَتِيهِ عَلَى الْمَحَاسِنِ قَائِلاً
 لَكُمْ السَّلَامَةَ مِنْ سِهَامِ لَوَاحِظِي

(٣١٥)

وقلتُ في غلامٍ واضعٍ كَفَّهُ على خَدِّهِ :
[من الكامل]
بَدْرٌ على كُرْسِي الخُدُودِ يَمِينُهُ مُتَفَكِّراً في قَتْلِ ذِي الأَشْوَاقِ
قَدْ قَالَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ في مَوْقِفِي حَتَّى تَقُومَ قِيَامَةُ العُشَّاقِ

(٣١٦)

وقلتُ :
[من الوافر]
وَرَسَّامٌ يَفُوقُ البَدْرَ حُسْنًا بِهِ لَمْ يُبْقِ لِي في الجِسْمِ رَسْمًا
بِزَكَارِ البَهَاءِ يَقِيسُ وَجْدِي لِيَجْعَلَ شَخْصَهُ في القَلْبِ رَسْمًا

(٣١٧)

وقلتُ :
[من الوافر]
سَلَوُهُ لَمْ يُعَامِلْنِي بِهَجَرٍ وَلَمْ يَرْحَمْ فُؤَاداً فِيهِ مُغْرَمٌ
وَمِنْ طَبَعِ الجَمِيلِ الرِّفْقُ فِيمَنْ غَدَا في حُبِّهِ أَبَداً مُتَيِّمٌ

(٣١٨)

وقلتُ مُؤَرِّخاً :
[من الرمل]
رَوْضَةٌ حَلَّتْ بِهَا بِنْتُ التَّقَى فِي نَعِيمٍ وَهَنَاءٍ سَاكِنَةٌ
مِنْ بَنِي النَّحَاسِ مَنْ أَمَسَتْ لَهُمْ جَنَّةُ المَأْوَى رِضَاءً ضَامِنَةٌ
لِجَوَارِ المُصْطَفَى لَمَّا مَضَتْ وَمَدِيدِ العَفْوِ كَانَتْ ظَاعِنَةٌ
فَبِذَا تَارِيخُهَا (دُمُ) بِالصَّفَا جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَى آمِنَةٌ

(٣١٩)

وقلت:

[من الوافر]

أَحِبُّ الرِّاءَ تَهَيَّامًا بِـ«رُشْدِي» وَإِنْ فِي هَجْرِهِ قَدْ ضَاعَ رُشْدِي
يُمَثِّلُ شَخْصُهُ شَوْقِي لِعَيْنِي فَيَأْلَفُ طَبْعُهُ بُعْدِي وَصَدِّي
فَهَلْ حُدِّثْتُمُو عَنْ مِثْلِ هَذَا وَهَلْ أَبْصَرْتُمُو وَجْداً كَوَجْدِي

(٣٢٠)

وقلت:

[من الطويل]

عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ اسْتَهَامَ بَعْثُهُ وَلَوْ نَظَرَ الْمِرْآةَ هَامَ بِنَفْسِهِ
صِحَاحُ مِرَاضٍ كَمْ فَتَكَنَ بِمُهْجَةٍ لَهَا تَرَكَ الْجَبَّارُ شِدَّةَ بَأْسِهِ

(٣٢١)

وقلت مشطراً:

[من الكامل]

قَلْبُ الْمُتَيْمِ كَادَ أَنْ يَنْفَتَّتَا وَفِرَاقُ صَبْرِي بِالتَّأْوِهِ قَدْ أَتَى
فَالِإِلَامَ يَا مَلِكَ الْمَحَاسِنِ هَاجِرِي وَإِلَى مَتَى هَذَا الصُّدُودُ إِلَى مَتَى
يَا مُعْرِضاً عَنِّي بِغَيْرِ جَنَایَةٍ وَأَصَاحَ لِللَّوَاثِي وَصَبْرِي مَوْتَا
إِنْ كُنْتَ تَرْمِينِي بِصَدِّ مُتْلِفٍ فَعَوَائِدُ الْغِزْلَانِ أَنْ تَتَلَفَّتَا
صَدٌّ وَهَجْرٌ زَائِدٌ وَصَبَابَةٌ وَنُحُولُ جِسْمٍ لِلْكَأَبَةِ أَثْبَتَا
حُزْنٌ وَتَسْهِيدٌ وَعَذْلٌ عَوَازِلِ مَا كُلُّ هَذَا الْأَمْرِ يَحْمِلُهُ الْفَتَى

(٣٢٢)

وَقُلْتُ مُشْطَرًّا، وَالْأَصْلُ لِأَحَدِ الْأُدْبَاءِ :
[من الوافر]
(دَوَاعِي الْأُنْسِ بِالْأَفْرَاحِ وَافَتْ) وَحُزْتُ مِنَ اللَّقَا أَفْصَى الْأَمَانِي
(وَبُلْبُلُ حَظَّنَا يَشْدُو سُرُورًا) (وَعَرَدَ بِالصَّفَا وَزُقُ التَّهَانِي)
(فَيَا بُشْرَاكَ يَا قَلْبِي تَمَلَّى) وَكُنْ بِالصَّفْوِ فِي طُولِ الزَّمَانِ
(وَيَا قَلْبِي تَهَنَّا بِإِنْشِرَاحِ) فَقَدْ وَافَاكَ رَبُّ اللَّطْفِ هَانِي

(٣٢٣)

وَقُلْتُ مُحْمَسًا :
[من مجزوء الرمل]
أَذْهَبَ التَّقْرِيبُ صَدِّي وَوَفَّانِي الْيَوْمَ رُشْدِي
يَا هَنَائِي دَامَ سَعْدِي (وَافَتْ الْأَفْرَاحُ عِنْدِي)
وَصَفَا وَقْتُ التَّهَانِي
يَا صَفَائِي حَيْثُ مِنْ رُشْدِي الْوَصْلُ ضَمِنَ
إِنْ يَقْلُ غَيْرِي يَهِنَ (حِينَمَا شَرَفَ إِنْ
سَانَ عَيْنِ اللَّطْفِ هَانِي)

(٣٢٤)

وَقُلْتُ مُشْطَرًّا :
[من مجزوء الرمل]
(وَافَتْ الْأَفْرَاحُ عِنْدِي) وَفُؤَادِي فِي أَمَانِ
(وَصَفَا وَقْتُ التَّهَانِي) وَوَفَّانِي الْيَوْمَ رُشْدِي
(حِينَمَا شَرَفَ إِنْ) سَانَ ذِيكَ الزَّمَانِ
(سَانَ عَيْنِ اللَّطْفِ هَانِي) صَدُّهُ يَغْدِلُ إِحْ

(٣٢٥)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخًا بِرُكَّةَ مَاءٍ أَنْشَأَهَا أَحَدُ أَصْحَابِنَا عِنْدَ ضَرْحِ نَبِيِّ اللَّهِ ذِي
الْكَفْلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

فِي جَوَارِ صَاحِبِ الْكَفْلِ غَدَاً حَوْضُ مَاءٍ فَاقَ أَعْلَى الْمُشْتَرِي
جُدَّدَتْ آثَارُهُ بَعْدَ الْبَلَى مِنْ سَعِيدِ ذِي ثَنَاءٍ أَعْطَرَ
إِذْ لَالَ الْمُضْطَفَّى آلِ الْعَبَا مَنْ سَمَوْا بِالطَّيِّبِ عَرَفَ الْعُنْبَرِ
وَالصُّحَابِ الْأَكْرَمِينَ الشُّرَفَا صَارَ وَقْفًا فِي الْمَسَا وَالْبُكَرِ
وَلِرُوحِ وَالِدِ السَّاعِي بِهِ ذَاكَ عُثْمَانُ التَّقِيُّ وَالسَّرِي
يَا لَهُ فَضْلٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى قَدْ حَبَاهُ بِالثَّوَابِ الْأَكْبَرِ
كُلُّ مَنْ ذَاقَ رَحِيقَ مَائِهِ صَادِرًا عَنْ وَرْدِهِ الْعَذْبِ الرَّوِي
سَلَسِيلٌ فِيهِ قَدْ أَرَّخْتُهُ (بَارِقٌ مِنْ مَاءِ عَيْنِ الْكَوْثَرِ)

(٣٢٦)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخًا وَفَاةَ رَجُلٍ شُجَاعٍ مَاتَ قَتِيلًا:

[من الوافر]

لِسَاكِنِ ذَا الضَّرْحِ جَزِيلُ أَجْرِ شَهِيداً قَدْ قَضَى شَهْمًا رَخِيًا
رَأَى حُمَرَ الْمَنَايَا فَاخْتَسَاهَا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لَهُ نَجِيًا
وَقَالَتْ لِلْخُلُودِ بِخَيْرِ مَأْوَى نُورُخُ (وَالنَّعِيمُ غَدَاً عَلِيًّا)

(٣٢٧)

وَقُلْتُ مُخَمَّسًا:

[من الرمل]

قَدْ تَجَلَّى الْحَطُّ وَالنَّحْسُ انْتَنَى وَالصَّفَا لِلْوَقْتِ أَضْحَى دَيْدَنَا

وَبَدَا الْوَاشِي يُنْدِي فِي الْعَنَاءِ (أَيَّنَ أَيَّامٌ نَقَضْتُ بِالْمُنَى

ذَهَبْتُ سَالِيَةً مِّنَا الشُّرُورُ)

وَجَّهْتُ أَسْدُ الْمَعَالِي جُنْدَهَا نَحْوَ أَهْلِ الْمَجْدِ تَبْغِي رُشْدَهَا

قَالَتِ الْأَعْدَاءُ تَبْكِي عِنْدَهَا (وَأَتَتْ أَيَّامٌ نَحْسٍ بَعْدَهَا

فَدَهَنَّا بِهِمُومٍ وَكُدُورٍ)

يَا لَهَا مِنْ مِخْنَةٍ قَدْ أَرَعَدَتْ لِأُولِي الْجَهْلِ جَمِيعاً شَرَدَتْ

قَالَ أَهْلُ الْوَجْدِ طُرّاً إِذْ بَدَتْ (رَفَعَتْ مِّنَا الصَّغَارَ وَغَدَتْ

تَخْفِضُ الْكِبَارَ نَاراً بَعْدَ نُورٍ)

قَالَ عَنْ هَذَا النَّبَا طِعَامُنَا عِنْدَمَا قَدْ صَدَقَتْ أَحْلَامُنَا

وَأَتَتْهَا بِهَا أَعْوَامُنَا (لَيْتَ شِعْرِي هَلْ نَرَى أَيَّامَنَا

فِي هَنَاءٍ وَصَفَاءٍ وَحُبُورٍ)

(٣٢٨)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخاً:

[من الكامل]

مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ الْقَادِرِ

يَزْهُو النَّعِيمُ بِهِ بَعِزٌّ وَافِرِ

أَمْسَى بِهَا بِالْفَضْلِ أَوْفَى ظَافِرِ

يَسْعَى إِلَيْهِ مِثْلَ بَذْرِ سَافِرِ

دَارِ النَّعِيمِ لِحَيْرِ جُودِ ظَاهِرِ

بَذْرٌ سَرَى تَارِيخُهُ (لِغَافِرِ)

يَا رَوْضَةً قَدْ جَادَهَا صَوْبُ الرِّضَا

لَا زِلَتْ مِنْ جَنَاتٍ عَدْنٍ مَنْزِلًا

وَبِهَا لِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرُ كَرَامَةٍ

وَبِكَوْنِ الْفِرْدَوْسِ يُسْقَى مَنْ أَتَى

لَمَّا دَعَاهُ اللَّهُ لِلْإِحْسَانِ فِي

لَبَاهِ طَوْعاً لِلْجَنَانِ فَحَبَّذَا

(٣٢٩)

وقلتُ مؤرِّخاً مولوداً لبعضِ الأصحاب : [من الرمل]

رَاحَ يَخْتَارُ التَّهَانِي مَوْرِدَا	مَنْهَلُ الْأَفْرَاحِ لِلْأُنْسِ اهْتَدَى
وَأَتْنَنِي نَحْوَ الصَّفَا يُنْشِدُنَا	هَذِهِ الْأَوْقَاتُ لِلْبُشْرِى هُدَى
يَا هَنَاءَ لَمْ تَزَلْ أَوْقَاتُهُ	بَذَرَهَا يَطْلُعُ فِي طُولِ الْمَدَى
فِي بَنِي سُلْطَانَ أَرْبَابِ الثَّنَا	مَنْ غَدَاوا فِي الْمَكْرُمَاتِ مَشْهَدَا
وَسَلِيمٍ مِنْهُمْو يَا طَالَمَا	حَازَ بِالْمَجْدِ الْجَمِيلِ السُّؤْدَا
بَذَرُ أَفْضَالٍ بَدَا مِنْ بُرْجِهِ	كَوَكَبُ بِالْمَجْدِ يَسْمُو الْفَرْقَدَا
لَمْ يَزَلْ فَجَرُ التَّهَانِي قَائِلَا	فَازَ صُبْحِي بِالْمَعَالِي سَرْمَدَا
وَأَتَى مِيلَادُهُ فِي طَالِعِ	بِالسُّعُودِ قَدْ تَبَاهَى وَارْتَدَى
مَطْلَعُ اللَّمَشْتَرِي سُلْطَانُهُ	وَعَنِ الزُّهْرَةِ بِالْحِطِّ شَدَا
يَا هَنَاءَ قَدْ أَتَى تَارِيخُهُ	(فَرَحاً ضِيَاءُ صُبْحِي قَدْ بَدَا)

(٣٣٠)

وقلتُ : [من الرمل]

يَا لِيَالِي الْوَصْلِ فِي نَادِي الصَّفَا هَلْ لَكَ الْيَوْمَ إِلَيْنَا مِنْ رُجُوعٍ

دور

يُنْعِشُ الرُّوحَ بِالْطَّافِ الْوَفَا	وَتَعُودُ الْجَفْنَ لَذَاتُ الْهُجُوعِ
مَنْ مُجِيرِي مِنْ حَبِيبٍ سَلْبَا	بُعْدُهُ الْمَعْقُولَ وَالصَّبْرُ اسْتَقَالُ
كُلَّمَا طَالَ الزَّمَانُ اقْتَرَبَا	مِنْ فَوَادِي وَإِلَى الْهَجْرَانِ مَالُ
وَالنَّوَى أَبْدَى إِلَيَّ الْعَجَبَا	وَوُجُودِي قَدْ حَكَى طَيْفَ الْخَيَالُ

ذَا هِيَامٍ ذَابَ مِنْ فَرْطِ الْوُلُوعِ
مُطْفِئاً نَارَ الْجَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَاهُ مُسْعِفاً
مُظْهِراً مِنْ رَثِّ جِسْمِي الْخُفا

دور

يُضْرِمُ النَّارَ بِأَحْشَاءِ الْأَسِيرِ
مَنْ عَلَيْهِ مُعْضِلُ الْأَمْرِ يَسِيرُ
أَيْنَمَا حَلَلْتُ أَمْ أَيْنَ أَسِيرُ
وَجَوَى يَقْضِي عَلَيَّ بِالْخُضُوعِ
تُغْلِنُ الْأَشْوَاقَ فِي ظِلِّ الرُّبُوعِ

مَا لَهُ يَأَلَّ وَدِّي لَمْ يَزَلْ
وَهَوَاهُ قَدْ قَضَاهُ فِي الْأَزَلْ
مَا اخْتِيَالِي إِنْ بَيَّ الْأَمْرُ نَزَلْ
لَا أَرَى لِي غَيْرَ دَمْعٍ ذَرَفَا
وَتَبَارِيحٍ تَزِيدُ اللَّهْفَا

دور

وَالرِّضَا فَرَضٌ عَلَيَّ وَاجِبُ
يَأْتِنِي وَالْمَقْتُ مِنْهُ لَا زَبُ
لَوْ أَتَنِّي بِالنَّوَى الْعَجَائِبُ
أَنْ يُجَارِيَ الشَّمْسَ فِي كُلِّ طُلُوعِ
لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قُنُوعُ

عَادِلٌ فِي حُكْمِهِ كَيْفَ جَرَى
وَالصَّفَا فِي يَدِهِ إِنْ أَمَرَا
وَهَوَاهُ قَدْ قَضَى أَنْ أَشْكُرَا
وَعَرَامِي بِالصَّفَا قَدْ حَلَفَا
لَوْ أَبَى وَالصَّبْرُ وَالْجِسْمُ اخْتَفَى

دور

فَانْصِفُونِي إِنْ ذَا أَمْرٌ عَجَابُ
فَحَلَا فِي حُبِّهِ مُرُّ الْعَذَابِ
يَجْعَلُ الْعَهْدَ الْوَثِيقَ فِي ارْتِيَابِ
وَجَّهَ الْعُذَالَ نَحْوِي الْجُمُوعِ
مِنْ وَصَالٍ جَمَدَتْ فِيهِ الدُّمُوعُ

وَلَهِي وَالْحُسْنُ مِنْهُ فِي ارْتِيَادِ
وَهَوَانِي قَدْ أَتَى طَبَقَ الْمُرَادِ
هَلْ لَهُ مِنْ مَانِعٍ طِيبِ الْوِدَادِ
أَسْفِي عَمَّا مَضَى وَأَسْفَا
وَهُوَ لَا يُعِيدُ مَا قَدْ سَلَفَا

(٣٣١)

رَشَفُ الشَّمُولِ مِنْ عِلْمِ الْأُصُولِ^(١)

(٣٣٢)

وَقُلْتُ عَلَى لِسَانِ صُورَةٍ غَادَةٍ خَيَالِيَّةٍ : [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْحُسْنَ تَعَشَّقُهُ النَّهْيُ وَبَعَثْتُ لِلصَّبِّ الْبَعِيدِ خَيَالًا
وَبَعَثْتُ لِلصَّبِّ الْبَعِيدِ خَيَالًا وَبَعَثْتُ لِلصَّبِّ الْبَعِيدِ خَيَالًا

(٣٣٣)

وَقُلْتُ مَادِحًا مَرْدَمَ بَكْ زَادَهُ مُحَمَّدٌ رَاشِدٌ بَاشَا وَمُهَنْتُهُ بَرْتَبَةُ «مِيرْمِيرَان»

السَّنِيَّةُ : [من الكامل]

يَا مِنْهَلًا صَفَا لِلْوَارِدِ دُمُ بِالْتَّهَانِي رَغَمَ أَنْفِ الْحَاسِدِ
وَابْنَ الْمَكَارِمِ فَوْقَ مَنَزَلِ شَمْسِهَا فَلَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ نَرَى بِمَحَامِدِ
وَالْمَدْحُ فِي أَهْبَى صِفَاتِكَ هَائِمٌ وَلَهُ بِكَوْثَرِهَا أَجَلُ مَوَارِدِ
لِمَ لَا يَهِيْمُ وَالْ مَرْدَمَ سَادَةٌ نَظَمَ الزَّمَانُ ثَنَاءَهُمْ بِقَصَائِدِ
أَكْرِمَ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرٍ مَا مِنْهُمْ أَبَدًا سِوَى الشَّهْمِ الْكَرِيمِ الْمَاجِدِ
هُمُو سَمَاءُ الْمَكْرُمَاتِ وَشَمْسُهُمْ هَذَا الْهُمَامُ الرَّاشِدُ بْنُ الرَّاشِدِ
فَخَرُّ الْمَنَاصِبِ وَابْنُ بَجْدَةٍ مَجْدَهَا بَذَرُ الْمَعَانِي ذُو الْكَمَالِ السَّائِدِ
أَلَقْتُ تَقَالِيدًا إِلَيْهِ مَنَاصِبُ فَمَضَى بِهَا لَمْ يُلَفَ غَيْرَ الْحَامِدِ

(١) لما كانت هذه المنظومة خارجة عن موضوع الديوان، وكانت تستحق أن تُفرد بشكل مستقل، قمتُ بإفرادها، وطباعتها مستقلة، وقد صدرت بعنوان، «رشف الشمول في علم الأصول» بدمشق سنة ١٤٢٤هـ، والله الحمد وحده، وعليه فقد تم حذفها من هنا، والإحالة عليها هناك.

الآن نِلْتُ مِنَ الزَّمَانِ مَقَاصِدِي
يَا لَيْتَنِي قَدْ مِتُّ قَبْلَ مَوَاعِدِ
وَلَهُ بِذَاكَ اللَّهُ خَيْرُ مُسَاعِدِ
فَلَقَدْ بَنَى رُكْنًا لِمَجْدِ صَاعِدِ
لَمْ تَحْصِ مَدَحَهُمْ بِدِيْعِ قَصَائِدِ
عِظْمًا لِأَصْبَحَ فَوْقَ أَوْجِ عُطَارِدِ
رَبُّ الْعَلَاءِ مُبِيدُ أَثَرِ الْجَا حِدِ
تَأْتِي بِشِيرًا بِالْعَلَاءِ الْوَا فِدِ
مِنْ حُسْنِ مَرْتَبَةٍ كَنْظَمِ قَلَائِدِ
أَهْلُ «لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَفَوَائِدِ»

وَإِذَا رَأَاهُ الْحَقُّ قَالَ مُنَادِيًا
وَالْبَاطِلُ الْمَشْهُومُ وَلَّى قَائِلًا
لَمْ يَذِرْ غَيْرَ الْحَقِّ وَالْحِلْمَ بِهِ
أَنْعَمَ بِهِ مِنْ رَاشِدٍ أَكْرَمَ بِهِ
وَكَذَاكَ أَفْعَالُ الْكِرَامِ إِذَا بَدَتْ
لَوْ أَنَّ رُتْبَتَهُ تَنَاسَبَ قَدْرَهُ
لَكِنَّمَا فَخْرُ الْمُلُوكِ وَعِزُّهُمْ
أَهْدَى إِلَيْهِ «ميرميران» لِكَيْ
وَيَنَالَ مِنْهَا بَعْدَهَا أَسْمَى الْمُنَى
بُشْرَاكَ يَا مَوْلَى الْفَضَائِلِ إِنَّكُمْ

(٣٣٤)

[من الرجز]

وقلت في جموع القلة :

أَفْعَلَةٌ وَأَفْعُلٌّ وَفِعْلَةٌ
فَاجِرِ الْقِيَّاسِ وَاتَّبِعْ مَحَجَّتِي

أَفْعَالُ يَأْتِي مِنْ جُمُوعِ الْقِلَّةِ
وَمَاعِدَا هَذَا فَجَمْعُ الْكَثَرَةِ

(٣٣٥)

[من الرمل]

وقلتُ مُخَمَّسًا :

وَالْجَوَى يُنْشَرُ مَا مِنْهُ انْطَوَى
(قُلْتُ لَمَّا خَفَقَ الْقَلْبُ جَوَى

سِرُّ هَذَا الْكَوْنِ يُطَوَى فِي الْهَوَى
يَا غَزَالًا فِي فُؤَادِي قَدْ ثَوَى

حِينَ شَامَتْ قُرْطَاكَ الْخَفَاقَ عَيْنِي

فَعَدَا النَّجْمُ لِوَجْدٍ سَابِقَا

كَانَ لُبُّ النَّاسِ فِيكَ وَامِقَا

فَكِلَا النَّوْعَيْنِ أَمْسَى عَاشِقًا (كُنْتَ لَا تَمْلِكُ إِلَّا خَافِقًا
فَهَنِيئًا لَكَ مُلْكُ الْخَافِقَيْنِ)

(٣٣٦)

وقلتُ مُسْطَرًّا: [من الرمل]
(قُلْتُ لَمَّا خَفَقَ الْقَلْبُ جَوَى) وَانْجَلَى عَنْ سِرٍّ مَا أَخْفَاهُ غَيْبِي
كَهَرَبَاءِ الْحُبِّ قَدْ حَقَّقْتُهَا (حِينَ شَامَتْ قُرْطَكَ الْخَفَاقَ عَيْنِي)
(كُنْتَ لَا تَمْلِكُ إِلَّا خَافِقًا) مَوْضِعَ السَّرِّ بَقْلِبِ الْمَغْرِبَيْنِ
فَمَلَكْتَ الشَّرْقَ فِي نُورِ الْبَهَا (فَهَنِيئًا لَكَ مُلْكُ الْخَافِقَيْنِ)

(٣٣٧)

وقلتُ: [من الرمل]
وَاصِلَ الصَّبِّ وَقَدْ طَالَ النَّوَى وَحَشَا الْعُذَالِ بِالْعَطْفِ شَوْى
فَاسْتَمِعْ مَا كَانَ فِي قُدْسِ طَوَى (قُلْتُ لَمَّا خَفَقَ الْقَلْبُ جَوَى)
حِينَ شَامَتْ قُرْطَكَ الْخَفَاقَ عَيْنِي
قَدْ غَدَا قُرْطُكَ مِثْلِي عَاشِقًا هَائِمًا فَوْقَ الْخُدُودِ وَامِقًا
يَا سُلَيْمَانَ الْمِلَاحِ السَّابِقَا (كُنْتَ لَا تَمْلِكُ إِلَّا خَافِقًا)
فَهَنِيئًا لَكَ مُلْكُ الْخَافِقَيْنِ

(٣٣٨)

وقلت مؤرِّخاً وفاة أحمد أفندي القوّتلي: [من الكامل]
رَوْضُ بَرْوَجٍ ثُمَّ رَيْحَانِ سَمَا وَنَعِيمَ جَنَاتٍ وَحُسْنَى هَاطِلَهْ

قَدْ ضَمَّ شَهْمًا بِالثَّقَى أَوْقَاتُهُ
 فِي دَارِ دُنْيَاهُ الصَّلَاحُ سَمِيرُهُ
 هُوَ كَوَكَبٌ مِنْ آلِ قُوتَلِي ثَوَى
 وَلَهُ شَرَابُ الْعَفْوِ فِي دَارِ الْبَقَا
 كَانَتْ وَطَاعَةِ ذِي الْجَلَالِ آهَلُهُ
 وَمَضَى وَأَحْمَدُ فِعْلُهُ وَالْفَضْلُ لَهُ
 بِجَوَارِ رَبِّ لَا يُخَيِّبُ سَائِلُهُ
 أَرْخُ (حَلَا بِالرَّحْمَةِ الْمُتَوَاصِلَةِ)

(٣٣٩)

وقلت :

[من الوافر]

إِلَهُ الْخَلْقِ مَا هَذَا الْقَضَاءُ
 حَكَمْتَ بِحُكْمَةٍ خَفِيَتْ عَلَيْنَا
 أَفِي هَذَا شَقَاءٌ رُمْتَ مِنِّي
 وَهَلْ رُمْتَ انْتِقَاماً مِنْ عُبَيْدٍ
 إِلَيْكَ الْأَمْرُ إِنْ قَدَّرْتَ شَيْئاً
 وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ بَعْضِ الْعَطَايَا
 فَمَا فِعْلِي وَإِنِّي فِي اضْطِرَارٍ
 وَهَلْ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدُ انْقِضَاءُ
 وَسِرٌّ لَيْتَهُ كُشِفَ الْغِطَاءُ
 أَمْ السَّعْدُ بِهِ كَانَ انْجِلَاءُ
 ضَعِيفٌ مَا لَهُ أَبَدٌ غِنَاءُ
 فَمَا يُغْنِي التَّبَصُّرُ وَالِدُعَاءُ
 وَصَبْرِي قَدْ تَقَاسَمَهُ الْفَنَاءُ
 وَكَادَ الْجِسْمُ يُتْلِفُهُ الْعَنَاءُ

(٣٤٠)

وقلت مشطراً :

[من المجتث]

(إِيَّاكَ إِيَّاكَ مِمَّنْ)
 يَسْتَبْشِرُونَ إِذَا مَا
 (وَفِي دِمَشْقَ أَنْعَاسِ)
 وَآخِرُونَ ذِيَابُ
 لَا خَيْرَ يُرْجَى لَدَيْهِمْ
 (يُغْزَى الْفَخَّارُ إِلَيْهِمْ)
 كَالْبَحْرِ فَيَضُ يَدَيْهِمْ
 (لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ)

(٣٤١)

وقلتُ:

[من مجزوء الكامل]

صَبْرِي لَقَدْ أَنْفَقْتُهُ وَتَجَلُّدِي مَزَقْتُهُ
عَجَباً لِحَالِ دُقَّتِهِ (مَرِضَ الْحَبِيبُ فَرَزْتُهُ
فَمَرِضْتُ مِنْ أَسْفِي عَلَيْهِ)

ثَوْبَ السَّقَامِ أَعَارَنِي وَبِالْفَنَاءِ أَجَارَنِي
لَمَّا التُّحُولُ أَدَارَنِي (شَفِيَ الْحَبِيبُ فَزَارَنِي
فَشَفِيتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ)

(٣٤٢)

وقلتُ، وقد كتبتُهُ على ظهرِ كتابٍ أرسلتُهُ لبعضِ الأَحْبَابِ: [من الكامل]

إِنَّ الْهَدِيَّةَ خَيْرُ مَا صَانَ الْوَفَا وَأَعَزُّ مَا ارْتَاخَتْ لَهُ الْأَحْبَابُ
ذَكَرَى الْوِدَادِ بِهَا يَفُوقُ لَذَاذَةً رَشَفَ السَّمُولِ فَتَذَهَبُ الْأَوْصَابُ
فَلَکُمْ وَرِيقَاتٍ بَدَا اسْتِخْيَاؤُهَا بَقْبُولِهَا مِنْ فَضْلِكُمْ تَرْتَابُ
فَارْحَمْ تَعَثَّرَ ذَنِيلُهَا يَا مَنْ بِهِ أَدْباً وَلُطْفاً تَفْخَرُ الْأَصْحَابُ
وَحَيَاتِكُمْ لَا أَتْنِي عَنْ وَدِّكُمْ أَبَدًا وَلَا تَغْتَالُهُ أَسْبَابُ
إِنْ كُنْتُ رُوحِي قَبْلَ ذَا أَهْدَيْتُهَا فَاجْلُ مَا يُهْدِي اللَّيْبُ كِتَابُ

(٣٤٣)

وقلتُ مُشْطَرًّا:

[من البسيط]

مَرَّتْ بِحُلَّةٍ دِيْبَاجٍ مُسَهَّمَةٍ شَمْسٌ تَرَاءَتْ لَنَا فِي جُنْحِ ظَلَمَاءٍ

طُرَاتُهَا النَّجْمُ تَبْدُو مِنْ تَمَوُّجِهَا سَوْدَاءَ قَدْ سَحَبَتْهَا فِي سُوَيْدَائِي
كَأَنَّهَا وَهِيَ تَمْشِي فِي مُنْقَبِهَا غَزَالَةٌ كُسِفَتْ عَنْ مَنْظَرِ الرَّائِي
أَوْ نَزْكَ قَدْ مَضَى فِي الْجَوِّ يَلْمَعُ أَوْ رُمُحٌ مِنَ الْبَرْقِ يُلَوِّى دَاخِلَ الْمَاءِ

(٣٤٤)

وَقُلْتُ مُحَمَّسًا: [من الخفيف]
مَنْ مُجِيرِي وَالْحُبُّ قَدْ رَامَ سَلْبَا وَعَذَابًا لِمُذْنَفٍ صَارَ صَبَا
مِنْ جَوَاهُ يَصِيحُ وَالْوَجْدُ لَبَّى (يَا مَرِيضَ الْجُفُونِ عَذَّبْتَ قَلْبَا
كَانَ قَبْلَ الْهَوَى صَحِيحًا سَوِيًّا)
يَا مَلِيكَ الْجَمَالِ سَابِي الْعِبَادِ سَالِبًا رَاحَتِي بِطُولِ الْبِعَادِ
أَوَاهُ رِفْقًا بِحَقِّ طَيْبِ الْوِدَادِ (لَا تُعَذِّبْ بِنَاطِرِيكَ فُؤَادِي
فَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا)

(٣٤٥)

وَقُلْتُ أَثْنَاءَ تَقْرِيطِ رِسَالَةٍ أَلْفَهَا الشَّابُّ النَّجِيبُ عَمْرَ أَفْنَدِي الطَّيْبِي،
سَمَّاهَا: «كَشَفَ اللَّثَامَ فِي رَدِّ قَوْلِ الْمُبْتَدِعِينَ اللَّثَامَ وَإِثْبَاتِ إِحْيَاءِ أَبَوَيْهِ عَلَيْهِ
السَّلَام»: [من مجزوء الرمل]

عَمْرُ الطَّيْبِي اجْتَنَاهَا فَازْدَهَتْ حُسْنًا وَطِيَا
وَمِنْ الشَّرْعِ انْتَقَاهَا فَهَوَ قَدْ كَانَ الْمُصِيَا
كُلُّ مَنْ يَعْشَقُ حَبَا يُبْغِضُ فِيهِ الْمُرِيَا
وَيَرَاهُ خَيْرَ شَخْصٍ وَيَرَى النَّقْصَ سَلِيَا

كَيْفَ وَالْمُخْتَارُ طَلَّه
فَالزَّمِ التَّعْظِيمَ وَأَسْأَلُكَ
نَسَبُ الْمُخْتَارِ شَمْسُ
طَاهِرٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
ذُو الْبَهَاءِ كَانَ الْحَيَّيَا
خَيْرَ نَهْجٍ يَا لَيْبَا
وَسَنَاهَا لَنْ يُوْوَبَا
مَا أَتَى فِي السَّرِّ حُوبَا

(٣٤٦)

وَقُلْتُ أَثْنَاءَ كِتَابِ أَرْسَلْتُهُ إِلَى بَعْضِ الْأَعَزَّاءِ وَهُوَ فِي السَّجْنِ : [من الكامل]
يَا مَنْ شَمَائِلُهُ أَرَقُّ وَأَلْطَفُ
إِنْ كَانَ صَدْرُكَ ضَائِقًا فِي سِجْنِهِ
أَوْ كُنْتَ تَأْسَفُ يَا وَجِيهٌ مِنَ الْأَعَا
لَا تَبْتَيْسُ فَالْعُسْرُ يَأْتِي بَعْدَهُ
وَالْفَضْلُ لَا يُؤْتَاهُ إِلَّا مَا جِدُّ
وَإِذَا الْأُمُورُ تَعَاظَمَتْ أَلْقَى لَهَا
وَالشَّمْسُ لَيْسَ يَضُرُّهَا طَبَقُ الْغُيُ
كَمْ قَبْلَكَ الْمَاضُونَ مِنْ آلِ النَّهْيِ
فَانْجَابَ لَيْلُ الشَّكِّ عَنْ أَحْسَابِهِمْ
وَمَضَى الظَّلَامُ فَأَصْبَحُوا فِي نِيرٍ
فَاصْبِرْ أَخِيَّ فَعَهْدُنَا مَا شَمْتَهُ
أَعَزُّ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَكَ وَأَنْتَ فِي
تَبًّا لَهُمْ مِنْ غَادِرِينَ تَرَقَّبُوا
وَالصَّحْبُ إِنْ كَانُوا بِعَقْلِ نَاقِصٍ
مِنْ نَسَمَةِ الْأَسْحَارِ وَهُوَ الْأَظْرَفُ
فِيهِ ابْتِلَى مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ يُوسِفُ
دِي فَاصْطَبِرْ فَمَقَالُهُمْ لَا يُؤْسِفُ
يُسِرُّ بِأَنْوَاعِ الصَّفَا يَتَأَلَّفُ
مَاضِي الْعَزَائِمِ شَأْوُهُ لَا يُوصَفُ
صَدْرًا رَحِيبًا بِالتَّصَاغِرِ يُسَعِفُ
مِ وَلَا الْكُسُوفِ إِذَا أَتَاهَا تَضَعْفُ
سِيمُوا بِخَسْفٍ لِلْفَرَائِصِ يُرْجَفُ
فَرَقُوا مَقَامًا لِلْبَصَائِرِ يُرْهِفُ
نُورًا يُضِيءُ وَكَوْكَبٌ لَا يُخَسَفُ
يَوْمًا عَنِ الْوُدِّ الْقَدِيمِ يُصَرَّفُ
ضَيْقِي وَأَبْنَاءُ الْوَفَا لَمْ يُسَعِفُوا
فُرْصَ الزَّمَانِ فَعَالُطُوكَ وَسَوْفُوا
تَرَكَوْا الْعَشِيرَ لِنَحْسِهِمْ يَتَأْسَفُ

يَا لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ عَالِمٌ
لَحَذَوْتُ حَذُوَ أُولِي الْمَفَاحِرِ وَالنُّهَى
لَكِنَّ مِثْلَكَ بَاعَ دُرّاً بِالْحَصَى
جَعَلُوكَ مَلْعَبَةً لِحُبِّ خِدَاعِهِمْ
وَالدَّهْرُ فِي دَوْرَانِهِ يُعْطِي الْفَتَى
يَا أُمَّ دَفِرِ كَمْ خَدَعْتَ مُبَجَّلاً
وَمَزَجْتَ بِالسُّمِّ الزُّعَافِ شَرَابَهُ
كَمْ مِنْ حَكِيمٍ قَدْ قَلَكَ وَإِنَّهُ
فَالصَّبْرُ مُخْتَارُ الْكِرَامِ عَلَى الْمَدَى
وَالْيُسْرُ يَأْتِي بَعْدَ عُسْرِ دَائِمًا

بَصْنِعِهِمْ وَبِمَا إِلَيْهِ يُصَرَّفُوا
فَرَأَيْتُ أَنِّي بِالْحَقَائِقِ أُعْرِفُ
فَسَرُوا إِلَى الْأَسْفِ الْمُبِينِ وَأَسْلَفُوا
وَالْحَقُّ يَغْلُو وَالْأَبَاطِلُ تُتْلَفُ
عَقْلًا يَعْزُّ عَلَى السَّمَاءِ وَيَشْرَفُ
فَعَدَا بِقَيْدٍ مِنْ قُيُودِكَ يَرْسُفُ
وَيَظُنُّهُ صِرْفًا وَذَاكَ الْقَرْقَفُ
مِنْ سُوءِ فِعْلِكَ وَالْخَدِيعَةِ يَرْجُفُ
وَاللَّهُ بِالْعَبْدِ الْمَفْوضِ يَلْطَفُ
فَاصْبِرْ فَرُبُّكَ بِالْمَسْرَةِ يَغْطِفُ

(٣٤٧)

وقلت متغزلاً :

فَوَادِي لِلْهَوَى سُلِّمَتْ قَسْرًا
سَرَيْتَ لِمَنْزِلِ الْأَحْبَابِ لَيْلًا
لِسِرِّ الْكَهْرَبَاءِ شَهَدْتَ ذَوْقًا
فَمَا بَالُ الْقُلُوبِ لَهَا انْجَذَابُ
وَمَا بَالُ الْمُحِبِّ يَذِلُّ رَغْمًا
أَرَى فِي الْكَوْنِ لُغْزًا دَقَّ مَعْنَى
بَدَتْ شَمْسُ الْجَمَالِ فَقَابَلَتْهَا
مَرَايَا الْاِخْتِرَاقِ غَدَا إِذَا مَا

فَحُزْتُ مِنَ اللَّحَاطِ النُّجْلِ أَسْرًا
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِالْوُجْدِ أَسْرَى
لِتَكْشِفَ مِنْ حَبَايَا الْحُبِّ سِرًّا
إِلَى الْحُسْنِ الْمُرِيعِ تَرَاهُ جَبْرًا
وَإِنْ يَكُ أَشْجَعَ الْأَسَادِ طُرًّا
تَرَى فِي كَشْفِهِ الْأَلْبَابِ حَيْرَى
سُوَيْدَاءُ الْفُؤَادِ فَظَلَّ جَمْرًا
يُقَابِلُ بِالصِّفَا شَمْسًا وَيَذَرَا

وَلَكِنْ مَا عَهَدْنَا الْبَدْرَ نَارًا
 إِذَا حَقَّقْتُ أَنَّ الْبَدْرَ فِيهِ
 وَعِنْدَ الْقُطْبِ يُعْلَمُ ذَاكَ طَبْعًا
 غَرَامِي وَالتَّيَاعِي وَاشْتِيَاقِي
 يُبَشِّرُنِي بِهَجْرَانِي وَصَدِّي
 عَذُولِي فِي الْهَوَى أَمْسَى جَهُولًا
 تَسَاوَتْ عِنْدَهُ صُورُ الْمَعَانِي
 فَلَوْ يَذْرِي مِنَ الْحُسْنِ الْمُفَدَّى
 فَفِي مَعْنَى الْجَمَالِ يَحَارُّ عَقْلُ
 فَإِنْ مِنْهُ الشُّعَاعُ عَلَى كَيْفِ
 فَلَا الدَّرْعُ الْمَنِيعُ وَلَا الْحَنَائِيَا
 لَهُ بِالرَّادِيَوْمِ شَيْءُ مَعْنَى
 وَفِي تَلَفِ الثُّفُوسِ مِنَ الْمَوَاضِي
 عَجِبْتُ مِنَ الْمُحِبِّ عَلَى لَظَاهُ
 أَمَا يَخْشَى الْفَنَاءَ بِهِ إِذَا مَا
 وَأَعَجَبُ مِنْهُ أَنَّ الْحَبَّ يَجْنِي
 بِهِ قَلْبُ الْحَقَائِقِ قَرَّ عَيْنًا
 بِهِ امْتَنَازَ الصَّفِيِّ مِنَ الْمَعَانِي
 يَصِيرُ بِهِ الْجَبَانُ شَدِيدَ بَأْسٍ
 وَيَصْعَدُ بِالْبَلِيدِ إِلَى مَقَامٍ
 هُوَ السَّرُّ الْمَصُونُ فَكَمْ تَجَلَّى
 فَمَا هَذَا الْمَعَانِي يَا خَلِيلِي

فَكَيْفَ يَزِيدُنِي الْإِقْبَالَ حَرًّا
 حَرُورٌ فِي الْفُؤَادِ يَزِيدُ أَزْرًا
 فَقَلْبِي لِلْغَرَائِبِ كَانَ خِذْرًا
 عَجِيبٌ ظِلٌّ لِلْعُشَّاقِ خِذْرًا
 فَهَلَّا بِالتَّوَاصُلِ مِنْهُ بُشْرَى
 غَيْبًا لَا يَرَى لِلْفَضْلِ قَدْرًا
 فَمَا لِلظَّاهِرَاتِ يُطِيقُ خُبْرًا
 عَجَائِبَ سِرِّهِ مَا أَزْدَادَ كُفْرًا
 بِفَلَسَفَةِ الْعُلُومِ يَظِلُّ دَهْرًا
 تَسَلَّطَ يَطْوِيهِ فِي الْحَالِ فَوْرًا
 عَنِ الْقَلْبِ الْجَرِيحِ تَكُونُ غَفْرًا
 وَلَكِنْ بِاخْتِرَاقِ الْحُجُبِ أَذْرَى
 وَأَطْرَافِ الرَّمَاكِ يَجْلُ قَدْرًا
 وَذَاكَ الْفِعْلِ كَيْفَ يُطِيقُ صَبْرًا
 يُقَابِلُهُ فَلَا يَأْلُوهُ غَدْرًا
 فَيَقْتُلُ صَبَّهُ صَدًّا وَهَجْرًا
 فَكَمْ نَسَبَ الْغَيْبِ إِلَيْهِ سِحْرًا
 مَعَانِي الْعِشْقِ تَلْبِيسًا وَمَكْرًا
 شُجَاعًا يَنْشُرُ الْأَبْطَالَ نَشْرًا
 بَعِيدٌ فِي الْمَدَى فِكْرًا وَغَوْرًا
 فَأَعْجَزَ كَشْفُهُ سِرًّا وَجَهْرًا
 أَجْنِي وَاسْبِرِ الْأَغْوَارَ سَبْرًا

(٣٤٨)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخًا وَفَاةَ أَحَدِ الْأَحْبَابِ ، وَكَانَ قَدْ جُرِحَ فِي فَخِذِهِ جُرْحًا قَطَعَ
لَهُ ثَلَاثَةً مِنَ الشَّرَائِينِ ، فَمَاتَ مِنْهَا : [من الكامل]

لَمَّا تَكَامَلَ ذَا الْهِلَالِ بِبُزْجِهِ لَيْلًا إِلَى جَنَاتِ عَدْنٍ قَدْ سَرَى
فَمَضَى وَلِلْأَدَبِ الْحَزِينِ لِحُزْنِهِ عَيْنٌ تَفِيضُ عَلَيْهِ دَمْعًا أَحْمَرًا
لَاقَى مِنَ الدُّنْيَا جِرَاحًا فَانْتَشَى نَحْوَ النَّعِيمِ لِأَنْسِهِ مُتَبَخِّرًا
لِلْأَنْسِ أَرَّخَ (زَاهِيًا لِكَمَالِهِ قَمَرًا هَوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكَوَّرًا)

١٣٢٤هـ

(٣٤٩)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخًا وَفَاةَ الْمَرْحُومِ عَبْدِ الرَّحِيمِ أَفْنَدِي بْنِ الْعَلَّامَةِ عُمَرَ أَفْنَدِي
الْغَزِّيَ الْعَامِرِيَّ الدَّمَشْقِيَّ : [من الكامل]

لِلَّهِ رَوْضٌ حَلٌّ فِيهِ عَالِمٌ سَامِي الذُّرَا فِي فَضْلِهِ عَبْدُ الرَّحِيمِ
مِنْ سَادَةِ وَهُمْوُ بَنُو الْغَزِّيِّ مَنْ شَادُوا الْعُلَا بِالْعِلْمِ وَالْمَجْدِ الْقَدِيمِ
لَمَّا ارْتَوَى مِنْ كَوْنِهِ التَّقْوَى وَمِنْ صَافِي الرِّضَا حُبًّا بِمَوْلَاهُ الْكَرِيمِ
نَادَاهُ فِي تَارِيخِهِ (أَقْبَلَ إِلَى رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَجَنَاتِ النَّعِيمِ)

١٣٢٤هـ

(٣٥٠)

وَقُلْتُ عَلَى لِسَانِ صُورَةٍ غَادَةِ خَيَالِيَّةٍ : [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْحُسْنَ تَعَشَّقُهُ النَّهْيُ وَيَزِيدُ أَرْبَابَ الْغَرَامِ خَبَالًا
أَتَحَفَّتُ ذَا الْوَجْدِ الْقَرِيبَ بِمَنْظَرِي وَبَعَثْتُ لِلصَّبِّ الْبَعِيدِ خَيَالًا^(١)

(١) تقدم ذكر هذين البيتين، برقم: (٣٣٢).

وَقُلْتُ مَا دِحًا مَرْدَمُ بَكَ زَادَهُ سَعَادُ تَلُو مُحَمَّدَ رَاشِدَ بَاشَا وَمُهِتَّةُ بُرْتَبَةِ
«ميرميران» السَّيِّئَةِ : [من الكامل]

يَا مِنْهَلًا عَذْبًا صَفَا لِلْوَارِدِ
وَابْنَ الْمَكَارِمِ فَوْقَ مَنْزِلِ شَمْسِهَا
وَالْمَدْحُ فِي أَبْهَى صِفَاتِكَ هَائِمٌ
لِمَ لَا يَهِيْمُ وَآلُ مَرْدَمَ سَادَةٌ
أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرٍ مَا مِنْهُمْ
وَهُمُو سَمَاءُ الْمَكْرُمَاتِ وَشَمْسُهُمْ
فَخَرُّ الْمَنَاصِبِ وَابْنُ بَجْدَةٍ مَجْدِهَا
أَلَقْتُ مَقَالِيدًا إِلَيْهِ مَنَاصِبُ
وَإِذَا رَأَاهُ الْحَقُّ قَالَ مُنَادِيًا
وَالْبَاطِلُ الْمَشْهُومُ وَلَّى قَائِلًا
لَمْ يَذَرِ غَيْرَ الْحَقِّ وَالْحُكْمَ بِهِ
أَنْعَمَ بِهِ مِنْ رَاشِدٍ أَكْرَمَ بِهِ
وَكَذَلِكَ أَفْعَالُ الْكِرَامِ إِذَا بَدَتْ
لَوْ أَنَّ رُتْبَتَهُ تُنَاسِبُ قَدْرَهُ
لَكِنَّمَا فَخْرُ الْمُلُوكِ وَعِزُّهُمْ
أَهْدَى إِلَيْهِ «ميرميران» لِكَيْ
وَيَنَالَ مِمَّا بَعْدَهَا أَسْمَى الْمُنى

دُمُ بِالتَّهَانِي رَغَمَ أَنْفِ الْحَاسِدِ
فَلَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ نَرَى بِمَحَامِدِ
وَلَهُ بِكُوْنِهَا أَجَلُ مَوَارِدِ
نَظَمَ الزَّمَانُ ثَنَاءَهُمْ بِقَصَائِدِ
أَبْدَأَ سِوَى الشَّهْمِ الْكَرِيمِ الْمَاجِدِ
هَذَا الْهُمَامُ الرَّاشِدُ بْنُ الرَّاشِدِ
بَذَرُ الْمَعَالِي ذُو الْكَمَالِ السَّائِدِ
فَمَضَى بِهَا لَمْ يُلَفَّ غَيْرَ الْحَامِدِ
الآنَ نِلْتُ مِنَ الزَّمَانِ مَقَاصِدِي
يَا لَيْتَنِي قَدِمْتُ قَبْلَ مَوَاعِدِ
وَلَهُ بِذَلِكَ اللَّهُ خَيْرُ مُسَاعِدِ
فَلَقَدْ بَنَى رُكْنًا لِمَجْدٍ صَاعِدِ
لَمْ تُخْصِ مَدَحُهُمْ بِدِيْعٍ فَصَائِدِ
عَظْمًا لِأَضْحَتْ فَوْقَ أَوْجِ عُطَارِدِ
رَبُّ الْعَلَاءِ مُبِيدُ أَثَرِ الْجَاحِدِ
يَأْتِي بِشِيرًا بِالْعَلَاءِ الْوَافِدِ
مِنْ حُسْنِ مَرْتَبَةٍ كَنَظَمِ قَلَائِدِ

بُشْرَاكَ يَا مَوْلَى الْفَضَائِلِ إِنَّكُمْ
وَلَسَوْفَ سُلْطَانُ الْوَرَى يُهْدِيكُمْ
فَاسْلَمْ وَدُمَ فَسَنَاءُ سَعْدِكَ ظَاهِرٌ
وَبِهِ الْعُلَا أَرْخُهُ (دَامَ بِالصَّفَا

أَهْلٌ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَفَوَائِدِ
أَجَلَى الْمَرَاتِبِ فِي نِظَامِ فَرَائِدِ
فَوْقَ النَّعَائِمِ فِي أَمَانِ الْوَاحِدِ
لِمِيرْمِيرَانَ الْهَنَاءِ بِرَاشِدِ)

(١٣٢٥)

(٣٥٢)

وَقُلْتُ مَا دِحًا صَاحِبَ الدَّوَلَةِ شُكْرِي بِأَشَا وَالِي وَلَايَةِ سُورِيَّةِ الْجَلِيلَةِ،
وَمَهْنَتُهُ بِرُتْبَةِ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ :

[من الكامل]

بُشْرَى لَنَا فَالْسَّعْدُ أَقْبَلَ بِالْمُنَى
وَبَدَا التَّرْقِيَّ وَالتَّقْدُمُ سَافِرًا
وَكَوَاكِبُ الْإِسْعَادِ حَلَّ بِبُرْجِهَا
وَصَحَائِفُ الْأَكْوَانِ لَاحَ بِبُشْرِهَا
سُورُ الشَّيْءِ مُسْطَرَّاتٌ فَوْقَهَا
ذَاكَ الْوَزِيرُ وَمَلَجَأُ الْإِنْصَافِ مَنْ
لَقِبَ الْوِزَارَةَ قَالَ عِنْدَ قُدُومِهِ
وَالْأَمْنُ قَالَ كَمَالُهُ أَرْخَ (هُنَا

وَأَتَى لِسُورِيَّا الْهَنَا مُتَفَنِّيًا
عَنْ حُسْنِهِ يُنْشِي الْمَحَامِدَ مُعْلِنًا
بَذَرٌ يَحُورُ مِنَ الْكَمَالِ الْأَحْسَنَا
سَطْرَانِ قَدْ رَقَمَا الْمَدِيحَ وَأَتَقْنَا
تَزْهُو بِشُكْرِ الْأَصْفِ السَّامِيِّ السَّنَا
مَنْ عَذْلِهِ تُمْسِي الْمَخَافُفُ مَأْمَنًا
شُكْرِي لِشُكْرِي لَا يَزَالُ مُدَوِّنَا
وَرَدَ الْبَشِيرُ بِمَا يُقَرُّ الْأَعْيُنَا)

(١٣٢٥)

دُو الدَّوَلَةِ الشَّهْمُ الْعَلِيُّ مَكَانَةً
قَدْ جَدَّ فِي صِدْقِ بِخِدْمَةِ دَوْلَةٍ
قَامَتْ عَلَى أَعْلَى النُّجُومِ وَلَمْ تَزَلْ

وَالِ عَلَى سُورِيَّةِ حِصْنُ لَنَا
أَوْصَافُهَا بِالْحُسْنِ كَلَّتْ أَلْسُنَا
تَسْمُو وَتَعْلُو وَالْحَوَاسِدُ فِي فَنَّا

وَأَسْوَدَهَا تَحْمِي بَدِيعَ جَمَالِهَا
 هِيَ ذُو الْمَقَالِ وَرَبُّ كُلِّ فَصَاحَةٍ
 مَا مِنْ حَكِيمٍ شَامَ فَضْلَ رُفِيَّهَا
 بَسَطَتْ عَلَى كُلِّ الْمَمَالِكِ عَدْلَهَا
 وَعَلَى بِلَادِ الشَّامِ حِينَ تَفَضَّلَتْ
 وَتَوَشَّحَتْ بِسُرُورِهَا حُلَّالَ الْبَهَا
 وَأَمِيرُ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ اخْتَارَهُ
 فَلَهُ الْبِشَارَةُ كُلَّمَا شَمْسُ الْعُلَا
 وَالْحَظُّ قَالَ وَلِلصَّفَاءِ سَرَائِرُ
 لَمَّا بِأَيْمَنِ طَالِعِ أَرْخُتُهُ
 فَعَدُوُّهَا فِي حَنْفِهِ قَدْ كُفِّنَا
 وَسِوَى مَنَاهِجِهَا يَظَلُّ الْأَلْكَنَا
 إِلَّا أَقْرَأَهُ وَحَقَّقَ مُذْعِنَا
 تَخْتَارُ مِنْ خَيْرِ الْوُلَاةِ ذَوِي الْغِنَا
 بِوَزِيرِهَا جَاءَ الْهَنَا مُسْتَوْطِنَا
 فَبَدَا التَّرَقِّي وَالنَّسَامِي بَيْنَا
 لِوِزَارَةِ وَالصُّدُقِ مِنْهُ تَيْقِنَا
 فِي أَوْجِهَا عَنْ فَضْلِهِ لَنْ تَظْعِنَا
 تُنْشِي الْمَحَامِدَ وَالْمَدِيعَ تَيْمُنَا
 (حَازَ الْوِزَارَةَ دَامَ شُكْرِي بِالْهَنَا)

(١٣٢٥)

(٣٥٣)

أُنْشَدْنَا أَحَدَ الْأَدْبَاءِ بَيْتًا، ثُمَّ طَلَبَ إِجَازَتَهُ، فَالْبَيْتُ :
 [من الكامل]
 كَمْ لَيْلَةٍ مَنَعَ الْغَرَامُ مَنَامِي وَحَلَا لِقَلْبِي فِي هَوَاكَ سَقَامِي
 فَأَجَزْتُهُ بِقَوْلِي :
 [من الكامل]

وَمُهِجَتِي مِنْ مُقْلَتِي قَطَرْتُ دَمًا
 وَالْفَجْرُ كُفِّنَ بِالظَّلَامِ لِأَنَّهُ
 رَفَقًا أَيَا مَلِكِ الْمَحَاسِنِ رَحْمَةً
 أَنَا عَبْدُ حُسْنِكَ يَا أَمِيرُ مَلَا حَةً
 وَتَنْهَيْدِي يَزْدَادُ مِنْهُ ضِرَامِي
 قَدْ مَاتَ وَالْأَشْجَانُ مِنْ لُؤَامِي
 عَطْفًا عَلَيَّ بِوَافِرِ الْإِنْعَامِ
 فَاخْكُم بِحُكْمِكَ فِي غَرِيبِ غَرَامِي

(٣٥٤)

وقلتُ مؤرِّخاً وفاةَ الشَّيخِ أَبِي الصَّفَا المَالِكِيِّ : [من الكامل]

لَأَبِي الصَّفَاءِ المَالِكِيِّ لَقَدْ صَفَا وَرَدُّ الْمَسْرَةِ وَالصَّفَا بِنَعِيمِهِ
قَدْ جَدَّ فِي التَّقْوَى وَأَخْلَصَ قَصْدَهُ فِي جَعْلِهِ الْقُرْآنَ خَيْرَ نَدِيمِهِ
فَحَبَّاهُ رَبُّ الْعَرْشِ فَضْلاً بَاهِراً وَسَنَا رِضَاءَ زَادَ فِي تَكْرِيمِهِ
طُوبَى لَهُ تَأْرِخُهَا (بِهَا الْهَنَا جَنَاتُ عَدْنٍ زُيِّنَتْ لِقُدُومِهِ)

(٣٥٥)

وقلتُ مادِحاً صَاحِبَ السَّعَادَةِ يَحْيَى بَاشَا أَغْرِيْبُوز، ومَهْتِئاً له بِمِيرْمِيرَانَ
الرَّفِيعَةِ الشَّانِ : [من الكامل]

وَافَى عَلَى رَغَمِ الْعِدَا يَتَأَوَّدُ ظَنِّي أَغْنَى بِالْمَحَاسِنِ مُفْرَدُ
وَبَدَا فَشَمْنَا الشَّمْسَ لَاحَتْ فِي الدُّجَى وَالبَدْرُ مِنْ فَوْقِ الْحَوَاجِبِ يَرُصُّدُ
وَرَمَى الْقُلُوبَ بِسَهْمٍ لَحْظٍ دُونَهُ سِلْكُ تَكْهَرَبَ بِالبَهَا يَتَوَلَّدُ
لَا بَدْعَ فِي سِرِّ الْجَمَالِ فَإِنَّهُ عَنْ فَهْمِ أَرْبَابِ الْحِجَا لَا يَبْعُدُ
فَشُعَاعُهُ يَطْوِي الْكَثِيفَ وَيَرْتَقِي حَتَّى يَكُونَ اللَّبَّ مِنَّا الْمَوْرِدُ
لَوْ شَاءَ دَعْوَةَ مَنْ ثَوَى فِي قَبْرِهِ لَبَّاهُ طَوْعاً هَائِماً يَتَوَدَّدُ
وَيَطِيرُ شَوْقاً فِي مَنَاطِيدِ الْهَوَى فِي الْجَوِّ وَهُوَ مِنَ الصَّبَابَةِ يُرْعَدُ
فَشُعَاعُ «رَنْتَجَن» لَفِي خَجَلٍ وَمِنْ أَفْعَالِهِ حَسِداً وَقَهْراً يَكْمَدُ
مَا كَوَّكَبَ أَمْسَى يُصَادِمُ كَوَّكَباً وَلَهُ بِإِتْلَافِ الْحَيَاةِ يُهْدَدُ
بِأَشَدِّ مِنْ فِعْلِ الْعُيُونِ بِمُهْجَةٍ مِنْ حَرِّ آلَامِ الْجَوَى تَتَوَقَّدُ
عَجَباً لِقَلْبٍ فِي الْغَرَامِ مُوَلِّهِ يَبْقَى وَسَيْفُ اللَّحْظِ فِيهِ يُجَرَّدُ

وَإِذَا الْقَوَامُ سَطَا بِشِدَّةِ بَأْسِهِ
 أَلِفَ امْتِلَاكِ قُلُوبِ أَرْبَابِ الْهَوَى
 مُتَعَلِّمًا مِنْ فَضْلِ يَحْيَى سِيرَةٍ
 مِنْ «آلِ أَغْرِيوز» شَهْمُ سَيِّدُ
 مَا إِنْ تَوَلَّى مُنْصِبًا إِلَّا بَدَا
 مِنْ حُسْنِ مَنْقَبَةٍ وَأَفْضَلِ سِيرَةٍ
 وَإِذَا الْكِرَامُ تَسَابَقَتْ نَحْوَ الْعُلَا
 فَتَظَلُّ أَهْلَةً بِهِ أَرْجَاؤُهَا
 فَلِذَاكَ كَافَاهُ الْمَلِكُ بِرُتْبَةٍ
 أَنْعَمَ بِهَا مِنْ رُتْبَةٍ فَرَحًا بِهَا
 وَالْقَوْسُ إِنْ تُعْطِيَ لِبَارِيهَا لَهَا
 بُشْرَاكَ يَا مَنْ بَانَ حُسْنُ فِعَالِهِ
 وَلَكَ الْهَنَاءُ وَبِمِثْلِ مَا قَدْ حُزَّتْهُ
 فِي نِعْمَةٍ مَا مَالَ غُصْنٌ فِي نَقَا
 طَرَبًا لَنَا أَرَّخَ (عُلَا يَحْيَى لَهُ
 هَيْهَاتَ مِنْهُ ذَابِلٌ وَمُهَنْدُ
 إِنْ غَوَّروا فِي سَيْرِهِمْ أَوْ أَنْجَدُوا
 مِنْهَا الْمَهَابَةَ وَالسَّنَا يَنْقَلَدُ
 وَلَهُ الْفَضَائِلُ وَالْمَكَارِمُ تَشْهَدُ
 لِفِعَالِهِ الْحُسْنَى الْبَدِيعَةِ يُحْمَدُ
 حِصْنِ الْمَحَامِدِ وَالنَّاءِ يُشِيدُ
 فَلَا وَجْهًا عِنْدَ التَّسَابُقِ يَضَعْدُ
 وَتَوَدُّهُ وَهُوَ الْهُمَامُ السَّيِّدُ
 مِنْ بَعْدِهَا سَيَّالٌ مَا هُوَ أَزِيدُ
 وَبِفَضْلِهَا خَدُّ الزَّمَانِ مُورَدُ
 شَرَفٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى لَا يُفْقَدُ
 عَنْ طِيبِ أَصْلِ طَاهِرٍ لَا يُجْحَدُ
 وَبِمِثْلِهِ أَبَدًا وَأَنْتَ الْأَمْجَدُ
 وَلِسَانُ أَهْلِ الْوُدِّ فِيكُمْ يُنْشَدُ
 بِمِرْمِيرَانِ الْهَنَاءِ مُتَجَدِّدُ)

(٣٥٦)

سَأَلَنِي بَعْضُ الْأَصْحَابِ تَارِيخًا يَكُونُ تَذْكَارًا لَوْلَادَتِهِ، فَقُلْتُ: [من الكامل]
 تُطَوِّى الْمَظَاهِرُ ثُمَّ يُنْشَرُ طَيْهَا
 وَوُجُودُنَا فِي ذَا الْوُجُودِ لِحِكْمَةٍ
 وَالْعَقْلُ عَنْ تَحْقِيقِهَا فِي حَيْرَةٍ
 أَبَدًا بِأَمْرِ الْوَاحِدِ الْقَيُّومِ
 لَمْ نَدْرِ مِنْهَا غَيْرَ ظِلِّ رُسُومِ
 لَا يَهْتَدِي إِلَّا بَنُورٍ وَرُسُومِ

في هذه الدنيا - رَعَاكَ اللهُ - كَمْ
وَتَلَاهُ جِيلٌ بَعْدَهُ ثُمَّ انْطَوَى
مَا إِنْ عَرَفْتُ مُؤَرَّخاً (تَذْكَارُهُ)
وَوِلَادَتِي أَرَّخْتُهَا (فِي كَوْنِهَا)
جِيلٍ مَضَى عَنْهَا بِفَرْطٍ وَجُومٍ
فَاعْجَبْ لِأَمْرِ لَيْسَ بِالْمَفْهُومِ
إِلَّا ظَلاماً فِيهِ بَعْضُ نُجُومٍ
لَأَرَى عَجَائِبَ سِرِّهَا الْمَكْتُومِ

(٣٥٧)

وَكَتَبْتُ عَلَى صُورَةٍ شَمْسِيَّةٍ لِبَعْضِ الْأَحْبَابِ :
[من البسيط]
هَذَا خَيَالِي شُعَاعُ الشَّمْسِ صَوْرَهُ
وَرَاءَهُ صُورَةٌ جَلَّتْ عَنِ الْفِكْرِ
يُبْدِي مِثَالِي وَلَا يُبْدِي سَنَا هِمَمِي
وَالرَّسْمُ يُعْرِبُ أَحْيَاناً عَنِ الْأَثَرِ

(٣٥٨)

وَقُلْتُ مُهْتِئاً صَاحِبَ السَّعَادَةِ مَظْهَرُكَ بِالرُّتْبَةِ الْأُولَى مِنَ الصَّنَفِ
الثَّانِي، وَمُؤَرَّخاً :
[من مجزوء الرمل]
صُبْحُ أَوْقَاتِ التَّهَانِي
وَالْحُسُودُ الْغَمَرُ وَلَّى
وَالْمَعَالِي طَائِعَاتٌ
تَلْتُمُ الْأَذْيَالَ شُكْرًا
وَالدَّرَارِي فِي نَظِيمِ
يَايَنِي الْمَشْكُورِ مِنْكُمْ
كَمْ لَكُمْ بِيضُ أَيَادٍ
وَهِيَ مِنْ عَهْدٍ قَدِيمٍ
يَحْسُدُ النَّجْمُ عُلاَهَا
فِي رِيَاضِ الْأَنْسِ أَسْفَرُ
بِالذُّمِّوعِ يَتَعَثَّرُ
فِي حِمَاكُمْ تَبَخَّتْ
وَهِيَ لِلنَّعْمَةِ أَشْكُرُ
مَدْحُ أَضْحَتْ عِقْدَ جَوْهَرٍ
بِالْتَّنَا الْكَوْنُ تَعْطُرُ
فَضْلُهُنَّ لَيْسَ يُخَصَّرُ
لِجَمِيعِ الْمَجْدِ مَضْدَرُ
وَسَنَاهَا مِنْهُ أَشْهَرُ

مِنْكُمْ مَظْهَرُ فَضْلٍ
 فَاضِلٌ شَهْمٌ لِيَبْ
 فِي بَلِيغِ الْقَوْلِ عَنْهُ
 وَإِذَا مَا جَالَ يَوْمًا
 قَدْ حَبَاهُ اللَّهُ فَضْلًا
 وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 زَادَهُ عِزًّا مُنِيفًا
 رُبَّةً أَوْلَى لِثَانٍ
 فَبَهَا رَوْضُ التَّهَانِي
 وَهِيَ مِرْقَاةٌ سَوَاهَا
 وَلَهَا بَذْرَانُ أَدَى
 حَيْثُ قَالَ فِيهِ أَرْخُ
 لِمَعَانِي الْعِزِّ أَظْهَرُ
 سَيِّدٌ مِنْ خَيْرِ مَعْشَرِ
 طَرْفَةِ بَنِ الْعَبْدِ قَصْرُ
 فِي الْمَعَالِي لَيْسَ يُنْكَرُ
 فَضْلُهُ لَا زَالَ يُشْكَرُ
 وَرِضَاءٌ مِنْهُ أَوْفَرُ
 مِنْ صُنُوفِ الْمَجْدِ تُشْكَرُ
 بِالْهَنَاءِ وَالسَّعْدِ أَثْمَرُ
 يُرْتَقَى مِنْهَا لِأَكْبَرُ
 خَادِمًا فَرَضًا وَبَشَرُ
 (سَيِّدٌ لِلْمَجْدِ مَظْهَرُ)

(١٣٢٦)

(٣٥٩)

[من الرمل]

وَقُلْتُ مُورِيًّا بِنَهْرِ الصِّفَا فِي لَبْنَانِ:
 بَدُرٌ تَمَّ عَنْ جَمَالٍ قَدْ سَفَرُ
 قُلْتُ مِنْ أَيِّ الْبُرُوجِ قَالَ لِي
 قُلْتُ هَلْ بِالْقُرْبِ مِنَّا رَوْضَةٌ
 قَالَ هِيََا لِلصَّفَا سَوِيَّةٌ
 وَانْتَشَى كَالظَّبْيِ فِي ابْتِسَامَةٍ
 صَاحَ فِي عُشَّاقِهِ أَيْنَ الْمَفَرُ
 أَصْلُ أُمِّي كَانَ مِنْ دَيْرِ الْقَمَرِ
 مَاؤُهَا يُسْلِي وَيُنْسِينِي الضَّجَرُ
 كَوْنُورُ يُنْسِيكَ وَعِثَاءُ السَّفَرِ
 أَسَرْتُ لُبِّي وَوَالْتَنِي السَّهَرُ

(٣٦٠)

وقلتُ في مَلِيحٍ نَقَلَ كَأْسَ الشَّرَابِ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ، وَانْكَسَرَ : [من الرجز]
طَافَ عَلَى النُّذْمَانِ بِالرَّاحِ رَشَا أَهْيَفُ الْقَدِّ بَعَيْنَيْهِ ابْتِهَاجُ
قَدْ كَسَرَ الزُّجَاجَ فِي مَلَمَسِهِ مِنْ عَادَةِ الْأَلْمَاسِ تَكْسِيرُ الزُّجَاجِ

(٣٦١)

وقلت مُشْطَرًّا بَيْنِي سَيِّدِنَا حَسَّانُ : [من الطويل]
(لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِغْشَارَ عُشْرِهَا) تَحَلَّتْ بِهَا الْأَزْمَانُ لَمْ تَرَ ذَا فَقْرٍ
وَلَوْ قَسَمَ الْوَهَّابُ بَعْضَ نَوَالِهَا (على البرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ)
(لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا) تَسَامَتْ فَجَلَّتْ بِالْحِسَابِ عَنِ الْحَضَرِ
وَكَيفَ يَرُومُ الْعَقْلُ حَصَرَ حُدُودِهَا (وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ)

(٣٦٢)

صَدَقَ الْمَقَالِ الْمُنْصَفِ

فِي مَدَحِ

عبد الرحمن بك اليوسف : [من الكامل]

الْوَقْتُ يَعْشَقُ أَنْ تَرَى أَسْحَارُهُ أَبْنَاءَهُ الْأَحْرَارَ هُمْ أَنْصَارُهُ
يَتَسَابَقُونَ إِلَى اغْتِيلَاءِ شُؤُونِهِ وَعَلَيْهِمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ مَدَارُهُ
تَتَعَلَّقُ الْأَمْالُ فِيهِمْ بَعْدَمَا قَدْ قَوَّضَتْ بُيَانَهُ أَشْرَارُهُ
لِلَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ رَدَّتْ إِلَى الْوَطَنِ الْمَفْدَى جُلًّا مَا يَخْتَارُهُ
أَلْفُوا السَّائِي وَالْعَدَالَةَ وَالْإِخَا فَجَمِيعُهُمْ فِي ذَا الصُّوَى مِضْمَارُهُ
وَإِذَا اسْتَبَدَّ ذَوُو الْجَهَالَةِ جَرَّدُوا سَيْفًا إِلَى الْأَعْدَاءِ تَمْضِي نَارُهُ

وَالنَّصْرُ تَلَمَعُ بَيْنَهُمْ أَنْوَارُهُ
وَبَدَا لَدَيْهَا لِلْبَصِيرِ صَغَارُهُ
فَكَرَأَ مِنَ الْمَلَأِ الْعَلِيِّ نِجَارُهُ
وَعَلَا عَلَى فِرْعَوْنِهِ تَيَّارُهُ
فِرْعَوْنُ فِي مِصْرَ تَعَالَتْ دَارُهُ
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ مَكْرُهُ وَنَضَارُهُ
فِي غَيْهِ إِلَّا أَنْمَحَتْ آثَارُهُ

لَا يَزْهَبُونَ الْمَوْتَ فِي طَلَبِ الْعُلَا
وَإِذَا السِّيَاسَةُ بِالصِّفَاتِ تَلَوْنَتْ
أَعْطُوا الْمَشَاكِلَ فِي صُعُوبَةِ حَلِّهَا
لَمَّا تَمَادَى الْمُسْتَبِدُّ بِجَهْلِهِ
صَاحُوا بِهِ كَصِيَاحِ مُوسَى عِنْدَمَا
فَآتَوْا بِهِ قَسْرًا رَهِينَ ذُنُوبِهِ
مَا قَابَلَ الظُّلْمُ الشَّرِيعَةَ مُعْجَبًا

يُقْصَى عَنِ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ دِمَارُهُ
يُحْمَى الْحِمَى بِسُيُوفِهَا وَذِمَارُهُ
تَخِيَا بِنُورِ عُقُولِهِمْ أَدْوَارُهُ
وَالْمَجْدُ يَعْشَقُهُمْ فَهُمْ سَمَّارُهُ
قَدْ فَاحَ فِي أَوْجِ الْعُلَا مِغْطَارُهُ
كَادَ الْهُبُوطُ بِهَا يَتِمُّ شِعَارُهُ
صَارَتْ بِهِ أَنْصَارُهُ أَخْيَارُهُ
عَنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدِّسَتْ أَسْرَارُهُ
وَمُقَلَّدُ تَرْجِيِ الْخَنَا أَطْوَارُهُ
وَقَضَى التَّفَاضُلَ بَيْنَهُمْ أَقْدَارُهُ
شَرَفٍ يَدُومُ مَدَى الزَّمَانِ وَقَارُهُ
فَنَدَاهُ سُورِيًّا غَدَتْ تَمَتَّارُهُ
مَحْسُودُهُ يَذْنُو إِلَيْهِ بَوَارُهُ

وَبِمُهِجَتِي أَبْطَالَ دُسْتُورِ بِهِمْ
فَلْيَعْلَمْ الْأَعْدَاءُ أَنَّ أُسُودَنَا
وَبِهِ مِنَ الْأَحْرَارِ خَيْرُ عِصَابَةٍ
أَلْفُوا الشَّهَامَةَ فَهِيَ غَرْسُ صُدُورِهِمْ
وَعَلَيْهِمْ أَرْبَى ابْنُ يُوسُفَ مَنْزِلًا
بَذَلَ النَّفَائِسَ فِي ارْتِقَاءِ مَنَازِلِ
فَلْيَهْنَأِ الْوَطَنُ الْعَزِيزُ بِهِ فَقَدْ
وَبِهِ يُؤْمَلُ أَنْ يَفُوزَ لِأَنَّهُ
هَلْ يَسْتَوِي حُرُّ الضَّمِيرِ بِطَبْعِهِ
لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْأَنَامَ مَعَادِنًا
وَأَدَامَ فِينَا عَابِدَ الرَّحْمَنِ فِي
أَحْيَا مَسَالِكِ يُوسُفَ فِي عَصْرِهِ
وَلَهُ الْمَحَبَّةُ فِي الْقُلُوبِ تَمَكَّنَتْ

سَلْ مَكَّةَ وَطَرِيقَهَا وَحَجَّيْجَهَا
 كَمْ أَلْفَتْ يُمْنَاهُ بَيْنَ قَبَائِلِ
 وَبَيْتُ يَحْرُسُ فِي اللَّيَالِي مُوَكِّباً
 مَا أَمَّ بَيْتَ اللَّهِ فِينَا مُحْرِمٌ
 إِنَّ الْحِجَارَ إِلَيْهِ أَوْفَى مُغْرِمٍ
 قَدْ نَزَهَتْ عَنْ كُلِّ مَسْلَكٍ خَائِنِ
 لَا يُكْرِ السَّمْسُ الْمُنِيرَةَ فِي الضُّحَى
 تُنْيِكَ عَنْ أَفْضَالِهِ أَخْبَارُهُ
 غَنَى الْمُهَنْدُ بَيْنَهُمْ أَوْتَارُهُ
 لِلْكَعْبَةِ الْغَرَاءِ كَانَ أَوَارُهُ
 إِلَّا بِمَذْحَتِهِ سَمَتْ أَشْعَارُهُ
 تَشْتَاقُهُ أَفْطَارُهُ وَدِيَارُهُ
 مَتَمَلَّقِي مُتَلَوْنِ أَفْكَارُهُ
 إِلَّا الَّذِي قَدْ أَعْمَيْتْ أَبْصَارُهُ

وَسَلِ الْمَدَارِسَ وَالْيَتَامَى فِي الدُّجَى
 فَشِمَالُهُ لَمْ تَذَرِ جُودَ يَمِينِهِ
 لَا يَعْشَقُ الدُّسْتُورُ غَيْرَ جَمَالِهِ
 قَدْ صَارَ أَهْلُ الْقَهْقَرَى مِنْ خَوْفِهِمْ
 وَالصَّادِقُ الْحَزُّ الْكَرِيمُ لَفِي هَنَا
 وَالْغَادِرُ الْمُخْتَالُ ذُو وَجَلٍ وَلَوْ
 كَمْ قَدْ قَضَى بِحَيَاتِهِمْ مِذْرَارُهُ
 وَتَتَنُّ مِنْ ثِقَلِ النَّدَى زُوَارُهُ
 فِي شَامِنَا مَهْمَا تَنَاءَتْ دَارُهُ
 مِنْهُ بِمَسْخِ مُهْلِكِ إِعْصَارُهُ
 يَزْدَادُ مَا طَرَدَ الظَّلَامَ نَهَارُهُ
 بَلَغَتْ بَلَاغَةَ يَغْرُبُ أَعْدَارُهُ

وَاذْكُرْ بَلِيلَ الْوَقْفَةِ الْأَغْمَارِ إِذْ
 نَقِمُوا عَلَى الدُّسْتُورِ فَانْهَالُوا عَلَى
 يَتَسَابِقُونَ إِلَى الْغَوَايَةِ وَالضَّلَا
 فَبَدَا نَصِيرَ الْحَقِّ فِيهِمْ وَحَدَهُ
 وَانْسَلَّ شَيْطَانُ الْغَوَايَةِ مُذْبِراً
 ثَارُوا وَجَيْشُ الطَّيْشِ طَارَ شَرَارُهُ
 دَارِ الْحُكُومَةِ وَالْمَجْرَةِ غَارُهُ
 لِي وَكُلُّهُمْ بِالْحَقِّ هُمْ كُفَّارُهُ
 حَتَّى بَدَأَ مِنْ ذِي الضَّلَالِ خَسَارُهُ
 يَدْعُو الثُّبُورَ وَلَا يَقَرُّ قَرَارُهُ

تِلْكَ الشَّهَامَةُ لَا فِعَالُ مُنَافِقٍ بَلَغْتَ ذُرًّا أَوْطَانِهِ أَوْزَارُهُ
وَإِذَا الْحَسُودُ أَبَى ظُهُورَ فَضِيلَةٍ نَطَقْتَ بِتَارِيخِ الثَّنَا أَسْفَارُهُ
فَالْيَنَاقُ شَبَلُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْيُوسُفِي الصَّدْقُ مُنْسُوبٌ وَأَنْتَ مَنَارُهُ
وَبِفَضْلِكَ التَّارِيخُ جَذْلَانٌ إِذَا غَنَى بِتَكَرُّارِ الْمَدِيحِ هَزَارُهُ
وَالْمَجْدُ فِي جَذْوَاكَ ظَلٌّ مُتَيَّمًا يُعْزَى لِمَجْدِكَ عِزُّهُ وَفَخَارُهُ
إِنْ أَجْهَدَ النَّفْسَ الْبَلِيغُ مُهَيَّمًا فِي مَدْحِكُمْ لَمْ يَأْتِهِ مِعْشَارُهُ
فَاسْلَمْ إِلَى الْأَوْطَانِ بِذُرٍّ زَاهِرًا مَا دَامَ فِي فَلَكِ الْعُلَا سَيَّارُهُ

(٣٦٣)

وقلت مُورِيًّا في ياسمين : [من الوافر]
فَقَدْتُ مِنَ الْغَرَامِ فَضْلَ رُشْدِي وَقَدْ أَضْحَى صَلاحي فِي صَلاحي
وَمِلْتُ إِلَى الْحَدِيثِ وَكُنْتُ قَبْلًا أُخَادَعُ بِالظَّلَامِ عَنِ الصَّبَاحِ
وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْحَقَّ جَهْرًا يُنَادِينِي بِحَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ
رَأَيْتُ صَلاحي دِينِي خَيْرَ شَيْءٍ أَلُوذُ بِهِ لِيَخْضُلَ لِي نَجَاحِي

(٣٦٤)

وذهبتُ لعيادة مفتي دمشق سليمان أفندي الجوخدار، فلم تيسر لي ورويته، فكتبت إليه مضمناً آية من القرآن :
يَا مَالِكَ الْأَلْبَابِ مُلْكًا مُحْسِنًا [من الكامل]
لَمَّا حَجَبْتَ حَجَبْتَ كُلَّ مَسْرَّةٍ (لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)
لَا تَخْشَ شَيْئًا فَهُوَ غَيْمٌ زَائِلٌ عَنَّا وَلَجَّ زَمَانُنَا فِي صَدِّهِ
وَاللَّهُ يَأْمُرُ بِالشَّفَا مِنْ عِنْدِهِ

وقلت مراسلاً أحد الأحاب :

يا سائراً وسفين البحر تحمله
قلبي كمرجلك الحزين تضرماً
بالله إن جئت الديار عشية
يا بحر هل أزعجت خاطر فاتني
إنني عهدتك يا ظلوم مفزقاً
يا نغر بيروت لماذا ختني
لعب الزمان بنا فشئت شملنا
أترأه يوماً باللقاء مبشري
أترأه ينسى العهد فيما بيننا
لم أنسه والشحب تسكب دمعها
فأتى يدا عيني يقول بلطفه
ويجود بالوصل العفيف تكرماً
لم أنس زورته وأذيال الدجى
يُمسي يعطيني كؤوس حديثه
أترى يعود زماننا في دمر
ويعود صفو زماننا بالفيجة
وأسامر البدر المنيّر بجلق
يا سائق الوابور فيه مهنجتي
هلاً استوى في بحر دمي إنه

[من البسيط]

سل نارها تنيك عن أنفاسي
وبخاره قد ناب عن إنلاسي
خبره أني غبت عن إحساسني
أم كنت ذا لطف وذا إناس
ذا سطوة ممزوجة بالباس
وتركت بذري للعناء يقاسي
وأتى بفعل الغادر الخناس
من قبل أن أُمسي لدى أزماسي
رُحماء لست لعهد بالناسي
والليل جاء بوجهه العباس
أتريدني من جملة الجلّاس
رغماً لأنف العاذل التعاس
ألقت بقلب الصبح مرّ الياس
وجيئه جنح الدجى نبراسي
والعيش طلق والحبيب مؤاسي
والرؤض ماس بقده الميَّاس
بين الرياض ولا نرى من باس
ألقيت في أي الثغور مراسي
لا بحر يعدل لجّه بقياس

(٣٦٦)

وقلت أيضاً:

[من الكامل]

مَا لِي يُعَالِطَنِي الْحَيَالُ وَيَكْذِبُ
وَأُظَنُّ إِنْ نَظَرْتُ عُيُونِي شِبْهَهُ
قَدْ كَانَ عَوْدَنِي الزِّيَارَةَ رَحْمَةً
فَمَضَى فَصِرْتُ مُرَاقِباً أَوْقَاتَهُ
وَأَرَى عَوَازِلَهُ تُزْخَرِفُ ذَمَّهُ
تَرْمِيهِ بِالْقَذْفِ الشَّنِيعِ نِكََايَةً
كَذَبُوا وَحَقٌّ وَدَادِهِ هُوَ مُنِيبِي
إِنِّي لَهُ الْخَلُّ الْوَفِيُّ وَإِنْ نَأَى
دُمُ يَا سَعِيدُ بَرِّغَمٍ ضِدِّكَ فِي هَنَا
أَسْعَى لِمَا تَخْتَارُ جُهْدِي فَاقْتَرِحْ
وَإِذَا كَتَمْتَ عَلَى صَدِيقِكَ حَالَةَ

وَيَقُولُ صَبْرًا إِنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا
أَنَّ الْحَبِيبَ أَتَى إِلَيَّ فَأَطْرَبُ
مِنْهُ وَبَدْرِي سَافِرٌ لَا يُحْجَبُ
فَأَقُولُ جَاءَ وَإِنْ مَضَتْ أَتَعْتَبُ
كَيْدًا وَتَسْقِينِي الْمَلَامَ وَتَكْذِبُ
وَيَبُودُهُمْ أَنِّي لَهُ لَا أَكْتُبُ
مَهْمَا يَكُنْ فَهُوَ الْمُنَى وَالْمَطْلَبُ
عَنِّي وَأَمْسَى وَدُهُ يَتَقَلَّبُ
إِنِّي وَإِنْ جَدَّ النَّوَى نِعَمَ الْأَبُ
أَيًّا تُرِيدُ وَمَا لِسَانُكَ يَطْلُبُ
نَمَّ الْعَدُولُ بِهَا فَأَنْتَ الْمُذْنِبُ

(٣٦٧)

وقلتُ:

[من الوافر]

أَيَا دَارَ السَّعَادَةِ أَنْتِ مِصْرُ
وَإِنِّي مِثْلُ يَغْقُوبَ بِحُزْنِي
وَهَذَا يُوسُفُ نِعَمَ الْأَمِينُ
وَلِي فِي الْحُبِّ مِنْ قِدَمِ فُنُونُ

(٣٦٨)

وقلتُ عندَ صياحِ «الشمندفير» بعدَ الوداعِ : [من الكامل]

مَهْ يَا سَفِينَ الْبَرِّ مَالِكِ صَائِحُ هَلْ أَنْتَ لِي بَعْدَ الْبِعَادِ تَكِيدُ
أَبْعَدْتَ حَبِّي عَنْ عُيُونِي عَنْوَةً وَتَرَكْتَ جَفْنِي بِالذُّمُوعِ يَجُودُ
فَمَتَى تُبَشِّرُ بِاللِّقَاءِ وَيَأْتِنِي عِيدٌ بِوَصْلِ الْحَبِّ وَهُوَ سَعِيدُ
قَسَمًا بِهِ لَا أَثْنِي عَنْ حُبِّهِ وَعَلَيَّ فِي قَوْلِي إِلَهُ شَهِيدُ

(٣٦٩)

وقلتُ وقد كَرَّرَ صياحَه : [من الكامل]

كُفَّ الصِّيَاحُ فَإِنَّ صَبْرِي قَدْ فَنِيَ وَعَلَيَّ رَبِّي بِالْفِرَاقِ لَقَدْ قَضَى
أَوَاهُ وَالْهَفْيِ عَلَى زَمَنِ اللَّقَا فَمَتَى أَرَى بِدْرِي أَمَامِي قَدْ أَضَا
مِنْ بَعْدِهِ أَنْكَرْتُ كُلَّ مُصَاحِبٍ فَأَنَا الْغَرِيبُ وَذَاكَ مِنْ حُكْمِ الْقَضَا

(٣٧٠)

وقلتُ : [من الكامل]

حَلَفَ الزَّمَانُ لِيُنْسِيَنِي عَهْدَهُ حَنِثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفَّرِ
مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّيَ أَسْلُوهُ أَوْ يَخْلُو لِعَيْنِي الْغَيْرُ فَهُوَ الْمُفْتَرِي
لَوْ أَنَّ بِي سَعَةً لَمَا فَارَقْتُهُ وَلَكُنْتُ خُضْتُ الْيَوْمَ مَتْنِ الْأَبْحُرِ

(٣٧١)

وقلتُ : [من الكامل]

إِنْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ قُرْبَ لِقَائِنَا عِشْنَا مَعًا وَصَفَتْ لَنَا أَيَّامُنَا
وَإِذَا تَبَاعَدَتِ الدِّيَارُ فَإِنِّي بِسِوَاهُ لَا أَلْهُو وَلَا أَرْجُو الْمُنَى

(٣٧٢)

وقلت مخاطباً للبدر :

إِنْ كُنْتَ يَا بَدْرَ السَّمَاءِ مُشَاهِداً
وَالثِّمَ شَبِيهَكَ وَاحْتَرِسْ مِنْ لَحْظِهِ
خَبْرُهُ أَنَّ الدَّمْعَ شِبْهُ خُدُودِهِ
هَلْ يَأْتُرِي نَسِيَّ الْعُهُودِ وَمَلْنِي
عَهْدِي بِهِ صِدْقِ الْوِدَادِ وَإِنَّمَا
بَدْرِي عَلَيْهِ فَأَكْثِرِ التَّسْلِيمَا
فَهَوَ الْمُكَلِّمُ قَلْبَنَا تَكْلِيمَا
وَالجِسْمَ بَعْدَ الْبُعْدِ صَارَ سَقِيمَا
أَمْ كَانَ فِي صِدْقِ الْوِدَادِ مُقِيمَا
بِفِرَاقِهِ كَانَ الزَّمَانُ ظَلُومَا

(٣٧٣)

وقلت أيضاً :

[من البسيط]

يَا سَائِلَ الرَّسْمِ إِنَّ الرُّكْبَ قَدْ رَحَلَ
سَارَ السَّفِينُ بِهِمْ فِي الْبَحْرِ وَاسْفِي
فَجَابَ دُمْرَ مَعَ لُبْنَانٍ مُسْتَبِقَا
يَعْلُو الدُّخَانَ عَلَى هَامَاتِهِ وَلَهُ
فَجَاءَ بَيَّرُوتَ يُثَحِّفُهَا سَنَا قَمَرٍ
فَغَارَ مِنْهُ سَفِينُ الْبَحْرِ فَاخْتَطَفَتْ
وَأَزْبَدَ الْبَحْرُ وَالْأَمْوَاجُ قَدْ رَقَصَتْ
حَثَّ الْمَسِيرَ وَقَلْبِي بَعْدَهُ فَرِقُ
وَقَامَ عُدَّالُنَا بِالْإِفْكِ تَقْصِيدُهُ
لَمْ أَذِرْ حَالَتَهُ مِنْ بَعْدِمَا اتَّخَذَتْ
مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ صَارَ الشَّعْرُ لِي نَسْبَا
وَعَادَرُوكَ وَحِيداً تَرْقُبُ الْأَمَلَا
فَصَارَ وَجْدُكَ فِي الْأَخْشَاءِ مُشْتَعِلَا
رِيحَ الشَّمَالِ وَجَابَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا
مِنَ الزَّفِيرِ صُرَاخٌ بِالدُّخَانِ عَلَا
مِنْ جَنَّةٍ عَنْهُ رِضْوَانٌ لَقَدْ غَفَلَا
أَيْدِيهِ بَذْرًا بِأَنْوَاعِ الْبَهَا كَمَلَا
وَصَاحَ وَابُورُهُ أَهْلًا بِمَنْ نَزَلَا
كَأَنَّ سُورِيَّةَ عَنْهَا الضِّيَا رَحَلَا
كَيْمَا يَرَوْا حُبَّهُ وَالْوَجْدَ مُرْتَحِلَا
أَيْدِي الْفِرَاقِ لَنَا غَبَّ النَّوَى سُبُلَا
وَكُنْتُ قَبْلًا تَرَكْتُ الشَّعْرُ وَالْغَزَلَا

يَا بَحْرُ وَيَحْك هَلْ أَرَعَجْتَ خَاطِرَهُ
وَهَلْ بَخَلْتَ بِهِ عَنْ نَيْلِ بُغْيَتِهِ
فَاللَّهُ يَحْرُسُهُ دَوْمًا وَيَكْلُوهُ
أَمْ الْحَنَانُ بَدَا وَالرَّفْقُ قَدْ حَصَلَ
أَمْ هَلْ لِدَارِ الْمَعَالِي وَالْهَنَا وَصَلَ
بِالْحِفْظِ مَا قَارَى آيِ الْكِتَابِ تَلَا

(٣٧٤)

وقلت:

[من البسيط]

إِنِّي ذَكَرْتُكَ وَالْقَانُونَ ذُو لَهْفٍ
فَقُلْتُ لِلْعُودِ هَلْ عَوْدُ الزَّمَانِ لَنَا
فَخَاصَمْتُهُ «الْكَمَنْجَا» وَهِيَ قَائِلَةٌ
قَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلًا بَاتَ مُفْتَرِقًا
مِنْ بُعْدِنَا وَلَهَيْبِ الْقَلْبِ فِي سُعْرِ
فَقَالَ قَانُونُهُ إِنْ عُذْتُ لِلشَّجَرِ
لَا تُنْسُوا هَائِمًا قَدْ ضَلَّ فِي الْفِكْرِ
وَيُسْعِدُ الطَّالِعَ الْمُنْحُوسَ فِي الْبُكْرِ

(٣٧٥)

وقلت:

[من الوافر]

أَيَا «قَانُونُ» وَيَحْك زَادَ نَوْحِي
وَيَا سَقَمَ «الْكَمَنْجَا» صَارَ جِسْمِي
فَهَلْ أُلْفِي بُعِيدَ الصَّوْمِ عِيدًا
أَرَى بِوَصَالِهِ غَيْرِي مُهْنًا
وَيَا «عُودُ» مَتَى بَدْرِي يَعُودُ
شَبِيهَكَ وَالِدُمُوعُ لَهُ تَجُودُ
سَعِيدًا جَاءَنِي فِيهِ سَعِيدُ
وَأَنِّي عَنْهُ فِي جِسْمِي بَعِيدُ

(٣٧٦)

وقلت:

[من الوافر]

أَلَا يَا عَاذِلِي فِي الْحُبِّ دَغْنِي
فَمَاذَا تَبْتَغِي يَا وَغْدُ مِنِّي
فَحَالِي صَارَ فِي أَمْرِ غَرِيبٍ
وَإِنِّي قَدْ غَدَوْتُ بِلَا حَيِّبٍ

وقلت:

[من البسيط]

إِنَّ الْمَحِبَّ كَثِيرُ الْغَمِّ ذُو أَمَلٍ
فَالْدَّهْرُ يُتْلَفُهُ وَالْحُبُّ يُقْتُلُهُ
لَيْتَ الْمَحَبَّةَ مَا كَانَتْ أَوَائِلُهَا
أَوْهٍ مِنَ الْحُبِّ أَضْنَى مُهْجَتِي وَأَنَا
يُرِيدُ هَتَكِي وَلَمْ أَظْفَرْ بِنَيْلِ مُنَى
جَنَيْتُ ذَنْبًا فَعَقْبَاهُ إِلَى نَدَمِي
أَيْنَ الْخَلَاصُ وَرُوحِي فِي التَّرَاقِ وَقَدْ
وَالنَّجْمُ أَقْرَبَ لِي مِمَّا أَحَاوِلُهُ
لَيْسَ الْمَلُومُ سِوَى نَفْسِي وَلَيْسَ لَهَا
وَهَذِهِ سُنَّةُ الْعُشَاقِ تُخْرِقُهُمْ

وقلت مراسلاً:

[من البسيط]

وَجَادَ رَبْعَكَ هَطَّالٌ مِنَ الْمَطَرِ
مَرَّ النَّسِيمِ عَلَى الرُّوضَاتِ وَالشَّجَرِ
أَعْدُهُ خَيْرٌ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عُمْرِي
أَخِيَا فُوَادِي شَذَاهُ أَوَّلَ الْبُكَرِ
وَلِلْبُخَارِ زَفِيرٌ دَائِمُ الشَّرِّ
بَذَرِ بَدَا عِنْدَهُ أَجَلِي مِنَ الْقَمَرِ

مُئِيفُ عِزٍّ فَمَا أَبْهَى شَمَائِلُهُ
لِلْيُوسُفِيِّ يَنْتَمِي إِفْضَالُهُ وَإِذَا
سَامَ الْمَكَارِمَ فَانْقَادَتْ لَهُ عَجَلًا
يَا طِيبَ أَيَّامِنَا اللَّائِي مَضَتْ وَلَنَا
بَيْنَ الصَّنَوْبِرِ قَدْ كَانَتْ مَجَالِسُنَا
وَلِلْوِدَادِ صَفَاءٌ طَابَ مَوْرِدُهُ
حَتَّى أَعَدَّتْ لَنَا عُدَّةً شَرَكَا
وَأَصْبَحَ الْخِلُّ لَا يَزَعَى لَنَا ذِمَّمَا
ثُمَّ انْتَنَى لَا عَدِمْتُ الدَّهْرَ طَلْعَتُهُ
جَاءَ الرَّسُولُ فَلَمْ يَظْفَرْ بِمَطْلَبِهِ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ يَأْنَسِلُ الْكِرَامُ فَلَا

كَأَنَّمَا لَفْظُهُ قَدْ صِيغَ مِنْ دُرِّ
مَا شِئْتَ تَنْعَتُهُ قُلْ طِيبُ الْأَثَرِ
فَنَالَ مِنْهَا ثَنَاءً مُسْنَدَ الْخَبَرِ
فِي سَفْحِ لُبْنَانَ أَصْنَافٍ مِنَ السَّمَرِ
أَسَامِرُ الرَّيِّمِ أَحْيَانًا إِلَى السَّحَرِ
أَنْعِمَ بِهِ مِنْهَلًا فِي الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ
وَأَبْدَلْتُ صَفُونًا بِالْبُعْدِ وَالْكَدْرِ
كَأَنَّ أُلْفَتَنَا كَانَتْ إِلَى الْحَجَرِ
يُخَيِّبِي الْوِدَادَ وَيَدْعُونِي إِلَى السَّفَرِ
إِنِّي لَهُ عَنْ مَغِيبِي خَيْرٌ مَعْتَذِرِ
تَجْعَلُ صُدُودَكَ يُدْنِينِي إِلَى الْخَطَرِ

(٣٧٩)

[من البسيط]

وقلت:

إِنَّ الْحَبِيبَ الَّذِي أُلْفِيهِ مُشْتَرَكَا
وَلَا أَلُومُ أَخَا غَدْرِ عَلَى سَفِهِ
يَفِرُّ عَنْهُ فُؤَادِي خَشْيَةَ الشَّرِكِ
وَمَا لَهُ رَادِعٌ عِنْدِي سِوَى التَّرِكِ

(٣٨٠)

وقلت أرثي الأديبَ الفاضِلَ الصَّالِحَ الشَّيخَ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُبَارَكِ الْجَزَائِرِيِّ
الْمُتَوَفَّى فِي جُمَادَى سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ: [من الكامل]
لِلَّهِ شَكْوَى الْقَلْبِ مِنْ بُرَحَائِهِ
لَوْ كَانَ يَنْفَعُ فِي الْخُطُوبِ تَأْوُهُ
فَهِيَ الَّتِي أَوَدَتْ بِحُسْنِ عَزَائِهِ
لَشَفَيْتُ مِنْهُ الْقَلْبَ مِنْ بَلَوَائِهِ

وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْمُصَابِ مُفَاجِئًا
 دَهْرٌ يُلَاعِبُ لُبَّ أَرْبَابِ النَّهْيِ
 فَكَأَنَّنَا الْأَعْرَاضُ لَا نَبْقَى بِهِ
 يَا أُمَّ دَفْرِ هَلْ مَدَارِكُ حَالِفُ
 بَيْنَا الْمُفْضَلُ يَسْتَوِي لِعَلَائِهِ
 كَابِنِ الْمُبَارَكِ نُحْبَةِ الْأَشْرَافِ مَنْ
 أَمْسَى يُحَسِّنُ زَادَهُ لِمَعَادِهِ
 رُوحٌ بِهِيَكْلِهَا اسْتَهَامَتْ بُرْهَةً
 مِثْلَ الزُّجَاجَةِ يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا
 قَدْ كَانَ مَنْزِلُهَا بِأَرْفَعِ رُتْبَةٍ
 أُمَحَمَّدٌ يَا بَنَ الْمُبَارَكِ مَنْ سَعَى
 أَوْدَعْتَنَا حُزْنًا وَأَنْتَ مُهَيِّمٌ
 وَتَرَكْتَ فِينَا مِنْ عُلُومِكَ آيَةً
 فَلْيَبْكِهِ النَّظْمُ الْبَدِيعُ وَيَبْكِهِ
 وَلُغَاتُ يَعْرُبَ قَدْ أَقَامَتْ مَأْتَمًا
 تَأْيِينُهُ فِي عَصْرِنَا وَرِثَاؤُهُ
 شَخْصٌ تَلَوَّنَ مِنْ تَقَى وَهْدَايَةٍ
 سِرٌّ بَدَا لِأُولِي الْبَصَائِرِ بُرْهَةً
 فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَطْلَعُ بَذَرِهِ
 وَإِذَا النُّفُوسُ الزَّائِكِيَّاتُ تَكَامَلَتْ
 حَيْثُ ضَرِيحُكَ رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ مَا

ضَاقَ الزَّمَانُ بِأَرْضِهِ وَقَضَائِهِ
 وَيَسِيرُ حَيْثُ يُرِيدُ فِي أُنْبَائِهِ
 أَنْيَنَ فِي تَصْرِيفِهِ وَمَضَائِهِ
 أَلَّا يُجَاوِرَنَا سِوَى الْأَوَائِهِ
 إِذْ صَارَ فِي الْأَرْمَاسِ مِنْ غَبْرَائِهِ
 أَرْبَى عَلَى الْكُبَرَاءِ مِنْ نُظَرَائِهِ
 ثُمَّ انْتَهَى فِي الصُّبْحِ نَحْوَ بَقَائِهِ
 لِكَمَالِهَا تَخْتَالُ فِي أَحْشَائِهِ
 ثُمَّ اسْتَطَارَ لِدَارِهِ وَعَلَائِهِ
 فَتَسَقَّلَتْ ثُمَّ ارْتَقَتْ لِسَنَائِهِ
 لِحِوَارِ أَهْلِ الْمَجْدِ مِنْ آبَائِهِ
 فِي مَنْزِلٍ لَمْ نُخْصِ بَعْضَ بَهَائِهِ
 فِيهَا الْبَدِيعُ ازْدَادَ فِي غُلُوَائِهِ
 الْإِنْشَاءُ فِي إِصْبَاحِهِ وَمَسَائِهِ
 فَسَعَى إِلَيْهِ الْجُلُ مِنْ أُنْبَائِهِ
 قَدْ أَصْبَحَا حَقًّا عَلَى أَدْبَائِهِ
 لِيَدُلَّ مَنْ قَدْ حَارَ فِي ظُلُمَائِهِ
 ثُمَّ انْطَوَى فِي مُسْتَكِنٍ خَفَائِهِ
 مِنْ بَعْدِ مَا انْتَبَهَرَ الْعُلَا بِضِيَائِهِ
 جَذِبَتْ إِلَى أَبْدَانِهَا بِوَفَائِهِ
 دَامَ الزَّمَانُ مُمْتَعًا بِذُكَائِهِ

وَأَثَابَكَ الْحُسْنَى بِجَنَاتِ الرِّضَا وَزِيَادَةٍ مِنْ فَضْلِهِ وَعَطَائِهِ
وَرَعَى بَيْنَكَ وَأَسْبَغَ النُّعْمَى لَهُمْ أَنْتَ الذُّكَاؤُ وَهُمْ نُجُومُ هُدَايِهِ

(٣٨١)

وَقُلْتُ أَيْضاً ارْتَجِلاً عَلَى لِسَانِ طَلَبَةِ الْمَدَارِسِ : [من الوافر]

أَرَى فِي الشَّرْقِ نُوراً قَدْ تَجَلَّى وَبَدَرًا فِي سَمَاءِ الْعِزِّ هَلًا
وَأَشْرَافاً يُنَادُونَ الْمَعَالِي فَتَأْتِيهِمْ وَلَيْلُ الصَّدِّ وَلَى
وَأَقْمَاراً بِسُورِيَا نَرَاهَا بِإِحْيَاءِ الْعُلُومِ تَرُومُ شُغْلَا
فَيَا آلَ الْمَعَالِي أَنْجِدُونَا وَأَحْيُوا بِالْعُلُومِ بَلَى تَجَلَّى
فَإِنْ كُنَّا صِغَاراً سَوْفَ نَسْمُو فَكُونُوا فِي عَلَانَا الْيَوْمَ أَهْلَا
أَبَانَ الْغَرْبُ عَنْ سِرِّ غَرِيبٍ فَأَعْجَزَ مَنْ تَقَدَّمَ أَوْ تَوَلَّى
وَقَدْ كُنَّا أَمَامَهُمْ فَصَارُوا أَيْمَنَّا وَنَحْنُ اسْمٌ أَذْلًا
فَأَحْيُوا سَادَتِي مَجْدًا قَدِيمًا بَنَاهُ الْأَوَّلُونَ وَقَدْ تَخَلَّى
دَعُونَا نَسْتَبِقْ قَصَبَ الْمَعَالِي وَنُحْيِي مِنْ عَلَانَا مَا اضْمَحَلَا
وَتَتْرُكْ مَنْ يُنَادِي بِانْشِقَاقٍ وَلَمْ يَرْقُبْ بِنَا ذِمَّمًا وَإِلَّا
نَكُونُ لَدَى الزَّمَانِ عَلَى إِخَاءٍ لِنَسْقِي ضِدَّنَا ذُلًّا وَوَيْلَا
كَفَى يَا قَوْمَنَا مَا قَدْ رَأَيْنَا وَمَا بِالنُّومِ مِنَّا قَدْ تَجَلَّى
فَنَحْنُ صِغَارُكُمْ فَاسْعَوْا عَلَيْنَا وَلَا تَدْعُوا مَكَانَ الْغَيْثِ مَحَلَا
فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ الْغَرْسَ الْمُفْدَى قَطَفْتُمْ مِنْ نَتَائِجِهِ وَإِلَّا

وَقُلْتُ مُهَيِّئَا حَضْرَةَ الْأَمِيرِ عَلِيٍّ بِأَسَا الْجَزَائِرِيِّ ابْنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ حِينَ
جَاءَ مِنْ حَرْبِ الطُّلَيَّانِ فِي طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١٣٣١ هـ،
وَنَشَرْتُ يَوْمَئِذٍ فِي جَرِيدَةِ الْمَهَاجِرِ عَدَدَ ٥٦ : [من الكامل]

بَذَرُ الْمَسْرَةِ فِي بُرُوجِ كَمَالِهِ
وَالشَّمْسُ تَشْرُ مِنْ أَشْعَتِهَا عَلَى الدِّ
وَدِمَشْقُ تَطْرُبُ مِنْ وَفَاءِ حَبِيبِهَا
بَذَرُ سَرَى لِلْغَرْبِ يَكْسُوهُ السَّنَا
وَعَدَا عَلَى الطُّلَيَّانِ حَرْ شِهَابِهِ
لِلَّهِ أَخْلَصَ مَا نَوَى بِجِهَادِهِ
سَبَطَ النَّبِيُّ وَسِرُّ بَضْعَةٍ حَيْدَرٍ
وَعَلِيٌّ أَهْلُ الْمَجْدِ مِنْ قَوْمِ هُمُو
نَادَتْ طَرَابُلُسُ لَهُ لِيُغِيثَهَا
وَأَقَامَ حَرْبًا شَبَّتَ أَطْفَالَ مَنْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ تَسْلِيمُهَا مِنْ غَادِرٍ
لَأَرَى الْعِدَا حَرْبًا يَشُبُّ ضِرَامُهَا
وَكَذَلِكَ السَّادَاتُ لَا تُدْعَى إِلَى
لِلَّهِ أَبْطَالٌ تَلُوذُ بِهِ لَدَى
وَالْبَحْرُ يَنْتَظِرُ اللَّحْمَ مِنَ الْعِدَا
وَالْجَوُّ يَنْسُجُ مِنْ خُيُوطِ دُخَانِهِ

بِقُدُومِ مَنْ بَهَرَ الْعُلَا بِفَعَالِهِ
عَلَيَاءُ تَرُسُّ مِنْهُ حُسْنُ خِصَالِهِ
مِنْ بَعْدِ مَا لَجَّ الْجَفَا بِمِطَالِهِ
إِنَّ الْكَوَائِبَ سَيَرُهَا لِحِيَالِهِ
فَتَزَلْزَلَتْ أَرْكَانُهُمْ بِخِيَالِهِ
فَأَذَاقَ أَهْلَ الْبَغْيِ مُرَّ نِضَالِهِ
لَيْثُ الْوَعْيِ مُرْدِي الْعِدَا بِنِزَالِهِ
أَقْمَارُ دِينِ اللَّهِ فِي إِقْبَالِهِ
فَأَرَى زَيْرَ اللَّيْثِ فِي أَشْبَالِهِ
أَعْدَى عَلَيْهَا فَاثْنَى بِوَبَالِهِ
نَجِسٍ تَوَلَّى هَائِمًا بِضَالِهِ
فَيَكُونُ مَذْفَنُ جُلْهِمْ بِرِمَالِهِ
أَعْلَى الْعُلَا إِلَّا سَمَتْ بِكَمَالِهِ
أَنْ بَاءَ جَيْشُ النَّحْسِ فِي زِلْزَالِهِ
وَالْوَحْشُ يَنْعَمُ فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ
وَالصَّاعِقَاتُ تَثُورُ مِنْ أَبْطَالِهِ

وَالرَّعْدُ مِنْ ضَرْبِ الْقَنَابِلِ صَائِحٌ
وَالْأَرْضُ مَادَتْ وَالْجِبَالُ كَانَتْهَا
وَابْنُ الرَّسُولِ يُحَرِّضُ الْأَقْوَامَ فِي
تِلْكَ الْمَكَارِمِ لَا ادِّعَاءَ مَفَاخِرِ
أَرْضَى النَّبِيَّ مُحَمَّدًا بِفِعَالِهِ
يَا بَنَ الَّذِي قَهَرَ الْفِرَنْجَةَ سَيْفُهُ
وَجَبُوشُهُ فِي الْبَأْسِ كَانَتْ تَحْتَمِي
وَالدَّهْرُ يَرْسُمُ مِنْ مَنَاقِبِهِ عَلَى
إِنَّ الْعَدُوَّ لَكُمْ يَمُوتُ بِغَيْظِهِ
يَا بَنَ الْأَمِيرِ الشَّهْمِ عَبْدِ الْقَادِرِ
الدَّهْرُ طَوَّعَ يَمِينِكَ اللَّاتِي بِهَا اذْ
وَالسَّيْفُ يَعْشَقُهَا لِيَنْشُرَ نَظْمَ مَا
فَيَسِيرُ إِذْ تُنْشِي الْجَحَافِلُ قَسْطَلًا
فِي مَدْحِكَ الزَّاهِي سَمَتْ أَقْدَارُ مَنْ
فَاسْلَمَ عَلَى رَغَمِ الْحُسُودِ مُعْظَمًا

وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ خِلَالِ ظِلَالِهِ
سُفُنٌ تَسِيرُ إِلَى نَدَى إِقْبَالِهِ
بَأْسٍ شَدِيدٍ غَابَ عَنْ عُدَالِهِ
لَا تَزْتَقِي أَعْلَامُهَا لِنَعَالِهِ
وَكَذَاكَ أَعْمَالُ الَّذِي مِنْ آلِهِ
وَأَذَاقَهُمْ طَعْمَ الرَّدَى بِنِبَالِهِ
بَجَوَادِهِ وَتَظَلُّ مِنْ إِنْزَالِهِ
صَفَحَاتِهِ مَا كَانَ عِنْدَ مَجَالِهِ
وَعُمُرُكُمْ يَزْدَادُ مِنْ آجَالِهِ
مَنْ تَقْصُرُ الْأَقْمَارُ عَنْ إِجْلَالِهِ
بَهَرَ السَّحَابُ الْجَوْنَ فِي تَهْطَالِهِ
نَظَمْتُ جَبُوشَ الضَّدِّ عِنْدَ ضَلَالِهِ
لَمْ يَدْرِ مَا يُمْنَاهُ عِنْدَ شِمَالِهِ
يَنْحُوهُ فِي بُكْرِ وَفِي آصَالِهِ
وَالضَّدُّ مَشْغُولٌ بِشَوْمِ خَبَالِهِ

(٣٨٣)

وَقُلْتُ فِي مَدْحِ الْأَمِيرِ سَعِيدِ بْنِ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بَاشَا بْنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ
الْجَزَائِرِيِّ، وَنَحْنُ فِي قَرْيَةِ «عَوْلَم» بِالْقُرْبِ مِنْ بُحَيْرَةِ «طَبْرِتَّة» : [مَنْ الْبَسِيطُ]
فِي طَالِعِ السَّعْدِ مِنْ أَفْقِ الْهَنَاءِ بَدَا
وَبُلْبُلُ الرُّوضِ غَنَّى فَالْغُصُونُ بِهِ
دَاعِي الْبَشَائِرِ وَالْإِقْبَالِ قَدْ وَفَدَا
تَحْتَالُ تَيْهًا وَدَاعِي الْأُنْسِ قَدْ وَرَدَا

أَضْحَى الزَّمَانُ يُجَلِّي الْعِزَّ فِي طَرَبٍ
لَيْثُ الْوَعَى وَإِمَامُ الْمَكْرُمَاتِ وَمَنْ
أَبَاؤُهُ الْعُرُ مِنْ خَيْرِ الْأَنَامِ لَذَا
ذُرِّيَّةُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
أَبْدَى الْكِتَابُ كَثِيرًا مِنْ مَدَائِحِكُمْ
نُورُ النَّبُوءَةِ يَزْهُو فِي وُجُوهِهِمْ
وَالْمَوْرِدُ الْعَذْبُ صَافٍ مِنْ سَعِيدِهِمْ
لَا غَرَوْا إِنْ سَادَ فِي أَدْنَى شَيْبَتِهِ
تَبَارَكَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَاهُ مَرْتَبَةً
فَفِي الْمَعَائِدِ أَتَقَى مَنْ رَأَيْتُ وَفِي
وَفِي الْمَكَارِمِ تَلْقَى الشُّحْبَ فِي عَجَلٍ
بَنِي الْأَمِيرِ لِأَنْتُمْ خَيْرُ مَنْ رَكِبَ
فَفِي الْجَزَائِرِ مِنْ آثَارِكُمْ عَجَبٌ
وَقَطُرُ «دِرْنَا» وَمَا وَالَاهُ ظَلَّ بِهِ
مَدْحِي لَكُمْ قَاصِرٌ فِي كُلِّ آوِنَةٍ
فَاللَّهُ يُخَفِّظُكُمْ دَوْمًا وَيَنْصُرُكُمْ

إِلَى الْأَمِيرِ الَّذِي أَضْحَى لَهُ سَنَدًا
كَهْفًا لِمَنْ رَامَهُ فِي النَّائِبَاتِ غَدَا
مَنْ رَامَ فَوْزًا يَنْلُ مِنْ حُبِّهِمْ رَشَدًا
هُمْ الْهَدَاةُ لِمَنْ يَرْجُو سَبِيلَ هُدَى
فَحَسْبُكَ الْفَضْلُ مِنْ رَبِّ بِهِ شَهَدَا
هُمْ النُّجُومُ لِمَنْ أَوْطَانَهُمْ قَصْدَا
نَجَلَ الْعَلِيِّ الَّذِي يَرْوِي لِمَنْ وَرَدَا
فَالشُّبْلُ يُدْعَى عَلَى رَغَمِ الْعِدَا أَسَدَا
تَغْلُو الْبُدُورَ وَتَسْمُو أَوْجَهَا أَبَدَا
قَهْرِ الْكُمَا تَرَى أَبْطَالَهُمْ بَدَدَا
فَبَارَكَ اللَّهُ فِي جَدِّ وَمَا وَلَدَا
ظَهَرَ الْمَطِيِّ وَحَثَّ السَّيْرَ مُجْتَهِدَا
وَمَرَبِعُ الشَّامِ مِنْ أَفْضَالِكُمْ حُمْدَا
مِنْ طِيبِ ذِكْرِكُمْ مَا أَعْجَزَ الْعَدَدَا
وَصِدُّكُمْ فِي لُطَى نَارِ الْجَحِيمِ غَدَا
مَا طَالَعُ السَّعْدِ فِي أَفْقِ الْهَنَاءِ بَدَا

(٣٨٤)

وَقُلْتُ مُؤَرِّخًا وَفَاةَ شَفِيقَةَ بِنْتِ سَلِيمِ أَفْنَدِي الْعَمْرِي الدَّمَشَقِيَّ : [من الكامل]

يَا مَنْزِلًا قَدْ صَارَ أَبْهَى رَوْضَةٍ
لِشَفِيقَةٍ تُنْمِي إِلَى الْفَارُوقِ مِنْ
يُسْقَى بِغَيْثِ الرَّحْمَةِ الْهَطَالِ
بَيْتِ الْعُلَا وَالْعِزِّ وَالْإِجْلَالِ

لَبِثْتُ نِدَا الرَّحْمَنِ مُسْرِعَةً إِلَى
وَبِهَا الرِّضَا قَدْ فَازَ أَرْنَحُ (وَلَهَا)
عِزٌّ مَنِيْعٌ فِي نَعِيْمٍ ظِلَالِ
قَدْ حَلَّ فِي عِشْرِينَ مِنْ شَوَالِ

(٣٨٥)

وَقُلْتُ أَمْدَحُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِكَ الْيُوسُفُ ، وَقَدْ قَدِمَ مِنَ الْأَسْتَانَةِ : [من الكامل]

الْكُونُ يُظْهِرُ كَامِنَ الْأَسْرَارِ
وَلَهُ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ خَزَائِنُ
وَهْدَاةُ فَضْلِ أَيْنَمَا قَصَدُوا تَرَا
إِنْ مَاطَلُوا الْأَغْيَارَ فِي بَدْءِ السُّرَى
كَمْ مُشْكِلَاتٍ قَدْ تَفَاقَمَ أَمْرُهَا
وَرَأَى الْمُزْخَرِفُ مَرْتَعًا فِي رَبْعِهَا
فَأَتَتْ أَشْعَةً فِكْرَةٍ مِنْ مَاجِدِ
فَأَزَاحَ ظَلَمَتَهَا بِنُورِ ذِكَائِهِ
لِلَّهِ قَوْمٌ كَالدَّرَارِيِّ فِي الْوَرَى
لَا تُدْرِكُ الْأَقْمَارُ مَنْزِلَهُمْ كَمَا
هُوَ عَابِدُ الرَّحْمَنِ فَخْرُ زَمَانِنَا
رَبُّ الْكَمَالِ الْيُوسُفِيُّ مَنْ مَدَحُهُ
مَا الْبَدْرُ إِنْ يَبْدُو عُلاَهُ لِنَاطِرِ
مَوْلَى بِهِ الْأَوْطَانُ فِي فَخْرِ وَمَنْ
مِنْ أَعْيُنِ الْأَفْلَاكِ عُوْذَ مَجْدِهِ
وَإِذَا الْأُمُورُ تَعَاظَمَتْ وَتَشَابَهَتْ

بِمَشَارِقِ الْأَفْكَارِ لِلْأَخْيَارِ
مِفْتَاحُ مُقْفَلِهَا يَدُ الْأَحْرَارِ
هُمْ أَبْدَلُوا الْإِعْسَارَ بِالْإِسَارِ
فَالسَّبْقُ يُعْرِفُ آخِرَ الْمِضْمَارِ
وَاسْتَغْلَقَتْ فِي سَائِرِ الْأَدْوَارِ
دَوْرًا بِهِ لَبِثْتُ يَدُ الْأَغْيَارِ
خَبِرَ الزَّمَانَ بِصَائِبِ الْأَفْكَارِ
كَالَلَّيْلِ تَكْشِفُهُ يَدُ الْأَسْحَارِ
حُجِبَتْ مَعَالِيهِمْ عَنِ الْأَبْصَارِ
لَمْ يُدْرِكُوا شَمْسًا سَمَتْ بِفَخَارِ
كَهْفُ الْعُلَا مِنْ سَادَةِ أَطْهَارِ
ذَكَرَى الْأَنَامِ بِسَائِرِ الْأَقْطَارِ
مَا الشَّمْسُ بَلْ مَا سَائِرُ الْأَقْمَارِ
نُعْمَاهُ تَرْفُلُ فِي حُلِيِّ نَضَارِ
لَا مِنْ عُيُونِ الْحَاسِدِ الْغَدَّارِ
كَانَتْ إِلَيْهِ مَعُونَةُ الْأَقْدَارِ

إِنَّ الَّذِي يَبْغِي عِلَّاهُ وَشَأْوَهِ
 مَاضِي الْعَزِيمَةِ فِي الْخُطُوبِ إِذَا دَهَتْ
 هِمَمٌ عَلَتْ أَمْسَى الْحُسُودِ لِأَجْلِهَا
 دَارُ السَّعَادَةِ بِالسُّعُودِ لَقَدْ سَمَتْ
 فَلِذَاكَ نَدْعُوهُ وَنَدْعُو قَوْمَهُ
 فِي رِفْعَةِ الْأَوْطَانِ يَتَّحِدُونَ لَا
 مَوْلَايَ سُورِيَا بِكُمْ دَامَ الْهَنَاءُ
 وَالْعِيدُ جَاءَ مُبَشِّرًا بِقُدُومِكُمْ
 فَهُوَ السَّفِيرُ لَنَا لَدَيْهِ رِسَالَةٌ
 إِنِّي وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ مُقْصَرُ
 فَاسْلَمَ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي طُولِ الْمَدَى

(مُتَطَلَّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةٌ نَارِ)
 وَبِذَاكَ يَشْهَدُ صَادِقُ الْأَخْبَارِ
 مُتَسَنِّمًا لِغَوَارِبِ الْأَكْدَارِ
 مُذْ حَلَّهَا وَالْوَقْتُ فِي أَخْطَارِ
 طُولِ الْمَدَى بِالسَّادَةِ الْأَنْصَارِ
 يَتَسَابِقُونَ إِلَى سَرَابِ فَخَارِ
 لِرُبُوعِهَا بِلَوَامِعِ الْأَنْوَارِ
 وَمُبْرَهِنًا عَنْ طَيْبِهِ الْمِغْطَارِ
 تَحْكِي اعْتِلَاءَكَ فِي لَطِيفِ وَقَارِ
 فِي خِدْمَتِي لَكُمْ وَفِي أَشْعَارِي
 مَا أَعْقَبَ الظُّلُمَاءُ ضَوْءَ نَهَارِ

(٣٨٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْغَفَّارِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى حَبِيبِهِ الْمُخْتَارِ، وَآلِهِ
 السَّادَةِ الْأَخْيَارِ، فَإِنِّي نَاطِمٌ فِي هَذِهِ الْعُجَالَةِ مِنْ كُلِّ بَحْرٍ مِنْ أَبْحُرِ الْعَرُوضِ
 السَّتَّةِ عَشَرَ بَيْتَيْنِ مِنَ الْعَرُوضِ الْأُولَى مِنَ الضَّرْبِ الْأَوَّلِ مِنْ كُلِّ بَحْرٍ، مَعَ
 ذِكْرِ الْأَوْزَانِ؛ تَيْسِيرًا لِتَذَكُّرِ الْمُعَانِينَ لِهَذَا الْفَنِّ، وَلِلْمُعْتَنِينَ بِهِ، وَاللَّهُ الْمُسِيرُ
 وَالْمُسَهِّلُ، فَأَقُولُ:

بَحْرُ الطَّوِيلِ

زَمَانِي سَعِيدٌ إِنْ أَرَاكَ مُوَاصِلِي
 فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ
 وَحُزْنِي إِذَا عَزَّ اللَّقَاءُ طَوِيلُ
 لِحَاطٌ لِفَتْكِي لَا تَزَالُ تَصُولُ

بَحْرُ الْمَدِيدِ

يَالْقَوْمِي فِي الْهَوَى عَزَّ صَبْرِي وَالنَّوَى بِالْهَتِكِ كَانَ الْكَفِيلَا
فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ عَنْ مَدِيدِ الشَّوْقِ أَرْوِي النُّحُولَا

بَحْرُ الْبَسِيطِ

هَذَا الصُّدُودُ فَأَيْنَ الْعَهْدُ يَا قَمَرُ كَيْفَ الْبُدُورُ عَنِ الْأَحْبَابِ تَسْتَرُ
مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ بَسِيطُ شَوْقِي إِلَيْكُمْ جَاءَ يَعْتَدِرُ

بَحْرُ الْوَافِرِ

عِذَا رُ مُعَذِّبِي بِبَدِيعِ لُطْفٍ تَلَاعَبَ بِالْعُقُولِ كَمَا أَرَادَا
مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ بِوَافِرِ حُسْنِهِ مَلَكَ الْفُؤَادَا

بَحْرُ الْكَامِلِ

لَهْفِي عَلَى زَمَنِ مَضَى لِلْقَائِهِ وَأَبَاحَ طَرْفِي أَنْ يَجُودَ بِمَائِهِ
مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ شَغْفِي إِلَيْهِ كَامِلٌ بِوَفَائِهِ

ومنه

سَمَحَ الْحَبِيبُ بِعُطْفِهِ وَوَصَالِهِ وَشَفَى الْفُؤَادَ بِلُطْفِهِ وَدَلَالِهِ
فَهُوَ النَّعِيمُ إِذَا وَفَى بِعُهُودِهِ مُتَجَنِّبًا خَبَرَ الْقَلْبِ فِي بَالِهِ

(٣٨٧)

وقلتُ مراسلاً صاحبَ السَّعَادَةِ مُحَمَّدَ بَاشَا الْعَظَمِ : [من الكامل]

بِمُحَمَّدٍ فَوْزِي إِذَا دَهْرِي أَتَى ضِدَّ الْمُرَادِ يَكُونُ مِنْهُ مُسْعِدِي
وَإِذَا تَسَنَّرْتُ بِظِلِّ جَنَاحِهِ نِلْتُ الْعِلَاءَ وَذَابَ قَلْبُ الْحُسَدِ

يَا سَيِّدًا مَلَأَ الْمَسَامِعَ مَدْحُهُ
 مَا ثَمَّ مَنْقَبَةٌ وَفَضْلٌ بَاهِرٌ
 فَلَهُ الْعَلَاءُ لَفِي اسْتِيقَاقٍ دَائِمٍ
 شَهْمٌ كَرِيمٌ الْأَصْلُ زَاكِ فَرْعُهُ
 وَرِثَ الْمَفَاخِرَ سَادَةً عَنْ سَادَةٍ
 فَهُمْ الْعِظَامُ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ الَّذِي
 وَجَمَالُهُمْ بِمُحَمَّدٍ مِنْ فَضْلِهِ
 إِنَّ الْبَلِيغَ لَا لَكُنْ فِي مَدْحِهِ
 لَا زَالَ كَهْفَ الْقَاصِدِينَ وَمَدْحُهُ
 فَلَكُمْ نَفْيٌ عَنِّي تَحَامُلُ حَادِثٍ
 وَلَسَوْفَ يَشْمُلُنِي بِلُطْفٍ طِبَاعِهِ
 لَمْ أَنْسَ مَا دَامَتْ حَيَاتِي فَضْلُهُ

الْفَخْرُ مِنْ أَثْوَابِ فَضْلِكَ يَزِيدِي
 فِي ذَا الزَّمَانِ لِغَيْرِ فَضْلِ مُحَمَّدٍ
 وَلَهُ الثَّنَاءُ يَقُولُ هَذَا مَقْصِدِي
 فَرْعُ الْأَكَارِمِ ذِي الْفَخَارِ السَّرْمَدِي
 شَادُوا الْعُلَا بِمُهَنْدٍ وَبِسُودٍ
 فَوْقَ السَّمَاءِ مَحَلُّهُ بِتَجَدُّدٍ
 يُثْنِي عَلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْغَدِ
 وَالْجُودُ فِيهِ مُفْصِحٌ بِتَأَكُّدٍ
 لِأُولِي الْبَلَاغَةِ مِنْ صَفَاءِ الْمَوْرِدِ
 فَعَدَوْتُ فِي زَمَنِ لَطِيفٍ أَسْعَدِ
 إِنِّي لِحُسْنِ وَفَائِهِ لَمْ أَجْحَدِ
 فَلَكُمْ لَهُ فِي مِثْلٍ مِثْلِي مِنْ يَدِ

(٣٨٨)

وقلت مخمساً:

إِلَهُ الْجَمَالِ فِي الْقُلُوبِ مَكِينُ
 أَذَلَّتْ قُورَاهُ فَاعْتَرَاهُ جُنُونُ
 إِذَا مَا قَسَا قَلْبٌ وَلَيْسَ يَلِينُ
 (عُيُونُ عَنِ السَّحْرِ الْمُبِينِ تُبِينُ

لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ الْجُفُونِ سُكُونُ)

غَرَامٌ يُذِلُّ الْأُسْدَ فِي غَابِ اللَّوَى
 تُلَاعِبُ أَهْلَ الْعَقْلِ رَغْمًا عَلَى السَّوَى
 وَأَلْحَاطُ رِيمٍ لَا تَقُومُ لَهَا الْقَوَى
 (إِذَا أَبْصَرْتَ قَلْبًا خَلِيئًا مِنَ الْهَوَى

تَقُولُ لَهُ كُنْ مُغْرَمًا فَيَكُونُ)

(٣٨٩)

وقلتُ مُسْطَرّاً:

[من الطويل]

(عُيُونٌ عَنِ السَّحْرِ الْمُبِينِ تُبِينُ) لَهَا بِفُؤَادِ الْعَاشِقِينَ فُنُونُ
إِذَا فَتَكَتْ كَانَتْ سُيُوفاً مَوَاضِيّاً (لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ الْجُفُونِ سُكُونُ)
(وَإِنْ أَبْصَرْتَ قَلْباً خَلِيقاً مِنَ الْهَوَى) رَمْتُهُ بِسِحْرِ كَانَ مِنْهُ جُنُونُ
فَتَأْمُرُهُ بِالطَّوْعِ رَغْماً فَإِنْ أَبَى (تَقُولُ لَهُ كُنْ مُغْرَماً فَيَكُونُ)

(٣٩٠)

وقُلتُ مُؤَرِّخاً وفاةَ أحمد بن عبيد السَّقْبَانِي :

[من الكامل]

هَذَا ضَرِيحُ ابْنِ عُبَيْدٍ أَحْمَدٍ بِالنُّورِ يَزْهُو حَائِزاً طِيبَ الثَّنَا
قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَزِيزاً مُكْرَماً وَاخْتَارَ فِي أَعْلَى الْجِنَانِ سَكَنَا
فَسَبَقْتُ مِنْ رَبِّهِ الْحُسْنَى لَهُ وَلِلرَّضَا بُشْرَى لَهُ حَقّاً دَنَا
لِابْنِ عُبَيْدٍ الْعِزُّ أَرْخُهُ (زَكَا) فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ دَارِ الْهَنَا

(١٣٢٦)

(٣٩١)

وقُلتُ مُؤَرِّخاً وفاةَ الشَّيْخِ حَلَمِي تَقِيٍّ الدِّينِ :

[من الكامل]

لِلَّهِ رَوْضٌ قَدْ زَهَا حَلَمِي بِهِ فِي حُلَّةِ النَّعْمَاءِ فِي سِرٍّ لَطِيفِ
أَبْنَاءُ خَيْرِ الْخَلْقِ نُورٌ لَامِعٌ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْعِزِّ الْمُنِيفِ
لَمَّا أَتَى دَارَ الرِّضَا قَالَتْ لَنَا تَأْرِخُهُ (حَلَّ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّرِيفِ)

(١٣٢٤)

(٣٩٢)

وقلت مؤرّخاً وفاة امرأة من بني العمري :

يا مَنْزِلاً قَدْ صَارَ أَبْهَى رَوْضَةٍ يُسْقَى بِغَيْثِ الرَّحْمَةِ التَّهْطَالِ
لِشَفِيقَةٍ تُنْمَى إِلَى الْفَارُوقِ مِنْ بَيْتِ الْعُلا وَالْعِزِّ وَالْإِقْبَالِ
وَبِهَا الرُّضَا قَدْ قَالَ أَرَّخْ (وَلَهَا قَدْ حَلَّ فِي عِشْرِينَ مِنْ شَوَالِ)

(٣٩٣)

وقلت في واقعة حال :

طُهُورُ الذَّلِيلِ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ عُيُونُ ذَوِي الْمَحَبَّةِ لَا يُبَالِي
وَيَطْعُنُهُمْ بِرُمُحِ الْقَدِّ طَعْنًا وَيَغْزُوهُمْ بِرَشَقَاتِ النَّبَالِ
وَمَنْ يَغْضَبُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ لِحَاطٍ تَجْتَنِّي وَزَدَ الْجَمَالِ
عَلَيْهِ أَنْ يُلَازِمَ قَعَرَ بَيْتٍ وَيَفْعَلْ فِعْلَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ
فَسَوْفَ الشَّعْرُ يَجْزِيهِ جَزَاءً عَلَى مَا نَالَ مِنْ قُبْحِ الْفِعَالِ
وَيَقْرَعُ سِنُّهُ نَدْمًا وَلَكِنْ مَضَى مَا كَانَ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ

(٣٩٤)

وقلت :

بِالْيَأْسِ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ فَخَلَّ مَنْ بِالْيَأْسِ مِنْكَ عَنِ الْوَفَا مَشْغُولُ
وَإِذَا الْخَلِيلُ غَدًا مَلُولًا يَأْسًا عَامِلُهُ فِي يَأْسٍ مَدَاهُ يَطُولُ
فَتَقَلُّبُ الْأَحْبَابِ قَدْ أَوْهَى الْقَوَى هَيْهَاتَ أَنْ يُضْفِيَ الْوِدَادَ خَلِيلُ

(٣٩٥)

وقلت مُخَمَّسًا، والأصلُ لِلشَّيْخِ عِمَادِ الدِّينِ الدَّمَشَقِيِّ البقاعي في مَلِيحٍ
بِمَحَلَّةِ «التَّعْدِيلِ»: [من الكامل]

يَا مَنْ تَوَلَّعَ بِالجَمَالِ وَحَزَبِهِ يَشْكُو مِنَ اللَّحْظِ الجِرَاحَ بِقَلْبِهِ
إِنْ كَانَ يُضْعِفُكَ الهَوَى فِي حَزَبِهِ (إِيَّاكَ وَالتَّعْدِيلَ لَا تَمَرُّزُ بِهِ

(وَحَذَارٍ مِنْ ظَبِي هُنَاكَ كَحِيلِ)

كَمْ مُسْتَهَامَ رَامَ مَيْلَةً عِطْفِهِ فَجَبَاهُ مِنْ رُوحِ القَوَامِ بِحَتْفِهِ
لَمَّا رَأَى الْأَرْوَاحَ قَبْضَةً كَفِّهِ (مَا زَالَ يَجْرَحُ مَنْ رَأَاهُ بِطَرْفِهِ)

(فَتَوَقَّ شَرَّ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ)

(٣٩٦)

وقلت مخمسا: [من الكامل]

قَلْبِي لِغَيْرٍ وَدَادِكُمْ لَنْ يَأْلَفَا فَلِمَ الصُّدُودُ وَرَسْمُ جِسْمِي قَدْ عَفَا
يَا سَادَةً تَرْكُوْا الشَّجِيَّ عَلَى شَفَا (عُودُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَا)

(كَرَمًا فَإِنِّي ذَلِكَ الْخِلُّ الْوَفِي)

(٣٩٧)

وقلتُ في مَرَثِيَّةِ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجَزَائِرِيِّ الْحَسَنِيِّ،
وكانَ قد تُوُفِّيَ في القُسْطَنْطِينِيَّةِ مَنَفِيًّا أَيَّامَ الحَرْبِ الْعَامِّ: [من البسيط]

يَا دَهْرُ هَلَّا تُؤُوبُ الْيَوْمَ بِالْحَجَلِ لَمَّا فَجَعْتَ الْمَعَالِي بِالْأَمِيرِ عَلِي
وَتَفَرَّعُ السَّنَّ قَرَعَ النَّادِمِينَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالْعَجَلِ

لَقَدْ أَتَيْتَ بِرُزْءٍ مِنْهُ أَزْمَنًا
وَجَرَعْنَا كُؤُوسَ الْبَيْنِ مُتْرَعَةً
أَوَاهُ صَبْرًا عَلَى فِعْلِ أَتَيْتَ بِهِ
لَمَّا رَأَى أَنْفُسًا لِلْفَخْرِ سَامِيَةً
فَاخْتَارَ فِي أَرْفَعِ الْفِرْدَوْسِ مَنْزِلَةً
تِلْكَ الْمَنَازِلُ تَهَاوَا النُّفُوسُ وَمَنْ
رُوحٌ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَنْزُلُهَا
وَأَوْرَثَتْ أَنْفُسًا حُزْنًا يَذُوبُ لَهُ
فَالْعَيْنُ بَاكِيةٌ حُزْنًا تَقُولُ لَنَا
قَدْ كَانَ بَحْرًا شُجَاعًا فَائِضًا كَرَمًا
وَفِي طَرَابُلُسٍ لِلَّهِ مَشْهُدُهُ
مِقْدَامُ فَضْلِ وَحَرْبٍ وَالْإِلَهُ لَهُ
إِنْ عَلَّمَ الْأُسْدَ أَنْوَاعَ الطَّعَانِ فَمَا
فَهُمْ كَدَائِرَةِ أَطْرَافِهَا اسْتَبَهَتْ
مِنْ سَادَةِ تَعْلَمُ الْجَوَازِءُ مَنْزِلَهُمْ
شُهْبُ النُّجُومِ شُهُودٌ فِي فِضَائِلِهِمْ
مِنْ سَادَةِ تَعْلَمُ الْجَوَازِءُ مَنْزِلَهُمْ
لَا يَأْلُقُونَ سِوَى فِعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا
آلَ النَّبِيِّ وَإِنَّ اللَّهَ طَهَّرَهُمْ
مَا غَابَ بَدْرُ لَهُمْ إِلَّا وَقَامَ لَهُ

آبَتْ بِجُرحٍ عَظِيمٍ غَيْرِ مُنْدَمِلٍ
لَيْسَتْ تُرَدُّ بِتَذْيِيرٍ وَلَا حِيلٍ
رَمَيْتَ يَا دَهْرُ كَفَّ الْمَجْدِ بِالشَّلَلِ
أَرَادَ عِزًّا مَدَى الْأَزْمَانِ لَمْ يَزَلِ
مَعَ جَدِّهِ خَيْرَةَ الْأَمْلَاكِ وَالرُّسُلِ
يَهْوَى سِوَاهَا فَبَيَّنَ الْعُذْرَ وَالْعَدْلِ
ثُمَّ ارْتَقَتْ لِلْسَّنَا مِنْ عَالِمِ الدَّخْلِ
صُمُّ الصُّخُورِ وَيَسْمُو ذِرْوَةَ الْجَبَلِ
أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ
مَا بِالْكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَلَا بَحَلٍ
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
نِعْمَ الْمُعِينُ لِحَيْرِ الْقَصْدِ وَالسُّبُلِ
قَدْ شِئْتَ فِي وَصْفِهِ عِنْدَ اللَّقَا فَقُلِ
فَلَنْ تَرَى بَدَلًا يُغْنِيكَ عَنْ بَدَلٍ
فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ حَلُّوا مَنْزِلَ الْحَمَلِ
وَالْأَرْضُ تَشْهَدُ فِي التَّفْصِيلِ وَالْجُمَلِ
وَالْأَرْضُ تَشْهَدُ فِي التَّفْصِيلِ وَالْجُمَلِ
يَزِيدُ قَاصِدُهُمْ فِي حُرْقَةِ الْفَشَلِ
مِنْ كُلِّ رَجَسٍ وَمِمَّا كَانَ مِنْ زَلَلِ
بَدْرُ سَنَاهُ عَلَى الْأَيَّامِ لَمْ يَحُلِ

إِنْ غَابَ عَنَّا عَلِيٌّ فَالْكَرَامُ لَهُمْ
فَالسَّابِقُونَ تَسَامَوْا فِي خِلَافَتِهِمْ
عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَبْغُونَ الثَّبَاتَ فَهُمْ
يَرَوْنَ فِي الصَّبْرِ مِفْتَاحاً لِكُلِّ رَجَا
عَلَى الْأَمِيرِ سَلَامُ اللَّهِ مَا ظَهَرَتْ
تَارِيخُهُ قَدْ أَتَى (غُفْرَانُهُ) فَسَمَا
فَمِنْ ضَرِيحِكَ نَوْرُ الْعَفْوِ مُنْبَعِثٌ
خَلَّافَتْ سَادَةٌ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
فَالْفَضْلُ بَيْنَهُمْ كَالْعَارِضِ الْهَاطِلِ
فِي شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا يُلَوْنَ لِلْوَهْلِ
وَإِنَّهُ وَأَبِي أَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ
شَمْسُ النَّهَارِ لَدَى الْإِبْكَارِ وَالْأَصْلِ
فِرْدَوْسُ عِزٍّ لَهُ مِنْ أَشْرَفِ التُّزْلِ
وَأَنْتَ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فِي شُغْلٍ

(٣٩٨)

وقلت مؤرخاً وفاة مصطفى هاشم التاجر: [من البسيط]

يَا رَوْضَةً فِي فَرَادِيسِ الْجَنَانِ لَهَا
حَوَيْتِ جُوداً وَفَضْلاً عَزَّ مَطْلَبُهُ
لَا زَالَ فَضْلُ الْكَرِيمِ يَمْنَحُ مَنْ
لَمَّا لَهُ لَامِعُ الْغُفْرَانِ أَرَّخَ (بَدَا
مَقَامُ صِدْقِ جَوَارِ الْمُصْطَفَى الْهَاشِمِيِّ
مَعَ الثَّقَى وَالرِّضَا وَالْعِزِّ مِنْ رَاحِمٍ
قَدْ حَلَّهُ سَحَرًا غِيثَ الرِّضَا الدَّائِمِ
لَا حَ الْهَنَا وَالسَّنَا لِمُصْطَفَى هَاشِمٍ)

(١٣٣٥)

(٣٩٩)

وقلت مؤرخاً: [من الكامل]

حَيَّا إِلَاهَهُ رَوْضَةَ الْعَفْوِ الَّتِي
تُنْمِي إِلَى السَّمَاعِ نِسْبَتَهَا وَفِي
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ كَانَ مَقَامُهَا
قَدِمَتْ عَلَى رَبِّ الْعَلَا وَقُدُّومُهَا
ضَمَّتْ خَدِيجَةً فِي نَعِيمٍ وَسُرُورٍ
ذَاكَ التَّنَاسُبِ نُورُهَا مِنْ فَوْقِ نُورٍ
تَزْهُو بِهِ مَا بَيْنَ وَلَدَانٍ وَحُورٍ
يَا طَيْبَهُ أَرَّخَ (بَدَا وَهُوَ الْغُفُورُ)

وقلت :

[من الكامل]

يا رَوْضَةً ضَمَّتْ سَمِيَّ الْمُصْطَفَى
 مِنْ آلِ هَاشِمٍ الْكَرَامِ أُولِي الثَّقَى
 قَدْ حَلَّ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ بِجِيرَةٍ
 فَلَكَ التَّهَانِي دَائِمًا أَرَّخَ (بِهَا)

مِنْ نَسْلِ قَوْمٍ قَدْ سَمَوْا بِالْجُودِ
 لَا زِلْتَ مَهْبِطَ رَحْمَةِ الْمَعْبُودِ
 تَسْمُو بِخَوْضِ نَبِيِّهَا الْمَوْرُودِ
 وَلَكَ الْهَنَا بُشْرَاكَ طِيبُ خُلُودِ

وَقُلْتُ أَيْضًا فِي مَرَثِيَةِ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بَاشَا أَيْضًا :

[من الكامل]

صَبْرًا وَإِنْ كَانَ الْمُصَابُ جَلِيلًا
 خَطْبُ أَلَمٍ بِفُرْقَةِ السَّنَدِ الَّذِي
 فَالْمَجْدُ بَعْدَ أَمِيرِهِ يَبْكِي وَفِي
 فَقَدْ الْأَمِيرِ غَدَا كَفُرْقَةِ جَدِّهِ
 وَلَهُ بِأَعْمَاقِ الْجَوَارِحِ أَنَّهُ
 فَقَدْ الْأَمِيرِ عَلِيٍّ ابْنِ الْمُصْطَفَى
 حَكَمَ الْإِلَهُ بِذَا قَضَى رَبُّ الْمَشَا
 وَتَسَابَقَتْ أَرْضُ الْبِلَادِ لِضَمِّهِ
 وَإِذَا سَرَى الْبَدْرُ الْمُنِيرُ لُبْرَجِهِ
 أَمْسَى عَلِيٌّ فِي الْجِنَانِ وَبُعْدُهُ
 رَفَقًا أَمِيرَ الْمَجْدِ إِنَّكَ سِرْتَ فِي
 وَنَزَلْتَ وَالْجَنَاتُ طَابَتْ مَنْزِلًا

فَاللَّهُ يُجْزِي الصَّابِرِينَ جَزِيلًا
 لَمْ تُبْقِ فُرْقَتُهُ لَنَا مَعْقُولًا
 ثَوْبِ الْحِدَادِ مُزْمَلٌ تَزْمِيلًا
 خَيْرِ الْأَنَامِ مُمَثَّلًا تَمَثِيلًا
 يَزْدَادُ مِنْهَا رَنَّةً وَعَوِيلًا
 كَنَزِ الْوَفَا جَعَلَ الزَّمَانَ عَلِيلًا
 رِقٍ وَالْمَغَارِبِ فَاتَّخَذَهُ وَكِيلًا
 فَاخْتَارَ دَارَ الْمُلْكِ مِنْهُ مَقِيلًا
 تَخَذَ الْمَسِيرَ إِلَى الْكَمَالِ سَبِيلًا
 عَنَّا عَظِيمٌ وَالتَّصَبُّرُ عِيْلًا
 مَلَأَ الْمَلَائِكِ لَا تُرِيدُ قُفُولًا
 وَقُطُوفُهَا لَكَ ذُلَّتْ تَذْلِيلًا

فَاهِنًا بَعِيشٍ فِي النَّعِيمِ مُخَلَّدًا
فِي جِيرَةِ الْمُخْتَارِ جَدَّكَ لَمْ تَزَلْ
رُوحٌ مُقَدَّسَةٌ تَدَانَتْ بُرْهَةً
مَنْ شَاءَ أَنْ يُحْصِيَ مَزَايَاهَا الَّتِي
وَتَرَكْتَ فِينَا رَحْمَةً بِنَفْسِنَا
أَسْدُ الْوَعْيِ غِيْظُ الْعِدَى بَحْرُ النَّدَى
فَسَعِيدٌ فِيهِ السَّعْدُ فِي أَوْجِ الْعُلَا
وَأِمَامٌ أَهْلُ الْمَجْدِ عَبْدُ الْقَادِرِ
لَا يُمَكِّنُ التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا كَدَا
يَا آلَ طَهَ أَنْتُمْ أَهْلُ الثَّبَا
فَالصَّبْرُ شِمَتُكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ
فَرَسُولُ رَبِّ الْخَلْقِ لَمْ يَكُ خَالِدًا
مَا مَاتَ مَنْ تَرَكَ الْخَلَائِفَ مِثْلَكُمْ
فَعَلَى الْأَمِيرِ سَلَامٌ رَبِّي وَالرَّضَا
أَوْ مَا عَلَيَّ فِي الْجَنَانِ لَهُ الْهَنَا

وَلَكَ الشَّاءُ مُرْتَلٌ تَزِيلًا
مُتَفَاخِرًا وَاللَّهُ كَانَ كَفِيلًا
وَتَصَاعَدَتْ لِمَكَانِهَا تَحْوِيلًا
خُصَّتْ بِهَا وَجَدَ الْمَقَامَ مَهُولًا
شِبْلَيْنِ أَضْحَوْا لِلْعُلَا تَحْجِيلًا
وَعَلَى الْمَعَالِي قَدْ جَرَزْنَ ذُيُولًا
شَمْسُ الْكَمَالِ وَمَا تُرِيدُ أَفُولًا
وَالْمَجْدُ مِنْهُ مُهَلَّلٌ تَهْلِيلًا
ئِرَّةٌ وَلَيْسَ كَمَا لَهُمْ مَجْهُولًا
تِ بِكُلِّ خَطْبٍ قَدْ غَدَا مَمْلُولًا
فَدَعُوا الْحُسُودَ بِصَبْرِكُمْ مَحْذُولًا
وَالْمَوْتُ سَيْفٌ لَمْ يَزَلْ مَسْلُولًا
بَلْ كَانَ حَيًّا فِي الْأَنَامِ جَلِيلًا
مَا انْهَلَّ غَيْثٌ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
مَعَ جَدِّهِ أَرْخَ (حَوَى تَفْضِيلًا)

(٤٠٢)

وقلت مُرْتَجِلًا بِالتَّمَاسِ بِعُضِّ الْأَصْحَابِ مُطَرَّرًا: [من الطويل]

سَلَامٌ عَلَى الْحَبِّ اللَّطِيفِ مَعَ الْوَفَا
مُحَالٌ بَأَنْ نَنْسَى الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا
يَهُونُ عَلَيَّ الْمَوْتُ فِي تَرْكِ حُبِّكُمْ
وَأَهْلًا بِمَنْ هَجَرَ التَّبَاعُدَ وَالْجَفَا
وَإِنْ زَالَ رَضْوَى وَالْحُجُونُ مَعَ الصَّفَا
وَإِنِّي بِذِكْرَاكُمْ يَدُومُ لِي الصَّفَا

حَلَالٌ لَدَى الْعُشَاقِ سَفْحُ دُمُوعِهِمْ رَبِّي عَنِ الْعُشَاقِ دَوْمًا لَقَدْ عَفَا
هَنِيئًا لِمَنْ كَانَ الْحَبِيبُ جَلِيسَهُ فلهذا بَجَنَاتِ النَّعِيمِ وَقَدْ كَفَى

(٤٠٣)

وَقُلْتُ مَا دِحًا فَخَرَ الدِّينَ بِكَ مَدِيرَ أَوْقَافِ سُورِيَّةَ: [من البسيط]

فَاقَتْ دِمَشْقُ بِفَخْرِ الدِّينِ إِذْ ظَهَرَ وَعِزُّ أَوْقَافِهَا لِلْأَوْجِ فِيهِ سَرَى
خُصَّتْ بِفَضْلِ بَدَا فِي طَيْهِ أَثَرُ فِي وَصْفِهِ حَارَتِ الْكِتَابُ وَالشُّعْرَا
رُحْمَاكَ يَا أَوْحَدًا تُمْسِي الْعُلُومُ بِهِ بِالْفَخْرِ إِذْ صُبْحُهَا وَالنُّورُ مِنْكَ يُرَى
يَحْمِي عِلَّاكَ أَهْيَلُ الْعِلْمِ فِي زَمَنِ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُمْ فَجَاوَرُوا الْفُقَرَا
بِالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ لَا زَالَ الْعِلَاءُ لَهُ بِمَدْحِكُمْ أَثَرٌ لِلضَّدِّ قَدْ أَسْرَا
كَيْفَ الْمَدَائِحُ لَا تَهْوَاكُمُ وَلَكُمْ أَسْنَى مَقَامٍ عَلَى أَوْجِ الْعُلَا ظَهَرَ

(٤٠٤)

وَقُلْتُ^(١) بَعْدَ الْحَرْبِ الْكَبْرَى مُتَأَسِّفًا عَلَى الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَلَى
مَا حَلَّ بِهَا، وَقَدْ نُشِرَتْ فِي جَرِيدَةِ «الْإِقْبَالِ» الْبَيْرُوتِيَّةِ: [من الكامل]

دَعْ ذِكْرَ سُعْدَى وَالزَّمَانَ الْمَاضِي وَاشْرَحْ بِرَبِّكَ عِلَّةَ الْأَمْرَاضِ
تَرَكَتْكَ سَلَمَى وَاسْتَبَدَّتْ غَيْرُهَا وَبَنَتْ مَطَامِعَهَا عَلَى الْأَنْقَاضِ
لَا دَرَّ دَرُّكَ يَا زَمَانَ فَإِنِّي مَا دُمْتُ حَيًّا لَسْتُ عَنْكَ بِرَاضِي
يَا دَارَ سَلَمَى إِنَّ سُكَّانَ الْحِمَى قُرِضَتْ مَعَالِمُهُمْ بِلَا مِقْرَاضِ
تَرَكَوْا سُلَيْمَى بَيْنَ أَنْيَابِ الْأُسُ دِ تَقُولُ وَيَلِي مَنْ يَرُمُ إِنِّهَاضِي

(١) من هنا بدأت الكتابة باليد اليسرى.

يَا أَيُّهَا التُّعْمَانُ نُعْمَانُ الْأَرَا
قَدْ حَطَمُوا عَهْدَ الْحَطِيمِ وَبَدَّلُوا
لَا عَاصِمَ لَكَ يَا بَنَ نُوْحٍ فَاتَّبِدْ
حَكَمْتَ نَفْسَكَ طَامِعاً فِي لُقْمَةٍ
وَأَلَوَعَتَاهُ لِمُذْنَفٍ ظَفِرَ الْوُشَا
يَشْكُو إِلَى الْعُقْبَانِ شَوْمَ جُرُوحِهِ
يَا آلَ بَذَرٍ وَالْخُدَيْيَةِ حَلَّ فِي
عَهْدِي بِدَارِ أَحِبَّتِي بِالْمُنْحَنِ
فَرُبُّوعُهَا أَصَحَّتْ يُنَادِمُ مِصْرُهَا
يَتَمَتَّعُ الْوَرَادُ مِنْ قَمْعِ الظَّمَا
يَا لِلْعَشِيرَةِ لِلْمُتَيْمِ إِنَّهُ
يَهْفُو الْفُؤَادُ إِلَى الْجَزَائِرِ كُلَّمَا
قَدْ كَانَ فِي جِبَالِهَا مَلْهُى وَفِي
لِكِنِّهَا قَدْ نَازَعَتْهُ مَرَائِشُ
يَا لَهْفَ قَلْبِي كَمْ يُجَادِبُهُ الْغَرَامُ
وَاللَّيْلُ يَمْضِي وَالْكَوَكِبُ تَنْجَلِي
أَتَرُومُ مِنِّي أَنْ أَكُونَ بِسُخْرَةٍ
ذَاكَ الْمُحَالُ أَيَا فُؤَادُ فَمِلْ إِلَى
يَسْرِي بِأَرْضِ النَّيْرَبَيْنِ بِجَلْقٍ
فَإِذَا ظَفِرَتْ بِرَشْفَةٍ مِنْ دِجَلَةٍ
وَإِذَا تَمَحَّضَتِ اللَّيَالِي نُجِبَتْ

كِ أَمَا عَلِمْتَ بِمَكْرِ ذِي الْأَعْرَاضِ
عَهْدَ الْحَبِيبِ بِذِلَّةِ الْأَعْرَاضِ
وَاحْكُمْ بِمَا تَهْوَى فَأَنْتَ الْقَاضِي
لَوْ أَنَّهَا بِتَمَرُوقِ الْأَعْرَاضِ
هُ بِحُبِّهِ فَعَدَا عَلَى أَرْمَاضِ
يُسْلِي الْفُؤَادَ بِدَمْعِهِ الْفَيَاضِ
وَادِي الْغَضَى جُرْثُومَةُ الْأَمْرَاضِ
فَتَبَدَّلَتْ بِالصَّدِّ وَالْإِعْرَاضِ
لِشَرِّ مِنَ النَّيْلَيْنِ ذَاتِ بَيَاضِ
لَكِنَّهُ شَرِبَ عَلَى إِذْهَاضِ
لَمْ تُؤْنَسْهُ تُونِسُ بَرِيَاضِ
مَرَّ النَّسِيمُ بِعِرْقِهِ النَّبَاضِ
رَوْضَاتِهَا عَوْضٌ مِنَ الْأَعْوَاضِ
فَابْتَدَتْ الْخِلَآنُ بِالْإِيمَاضِ
إِلَى التَّنَقُّلِ فِي دُجَا الْإِعْمَاضِ
وَالْعَيْنُ لَمْ تُدْرِكْ هُنَا الْإِعْمَاضِ
بَرِيَاضِ أَنْدُلُسٍ بِلَا إِنْمَاضِ
وَرَدِ حَلَا بِتَلَالُؤِ الرِّضْرَاضِ
أَنْعِمْ بِمَا تَخْوِيهِ طَيْبَ أَرَاضِ
قُلْ لِلْفِرَاتِ ظَفِرْتُ بِالْأَوْفَاضِ
بِعَجَائِبِ مِنْ بَعْدِ طُولِ مَخَاضِ

عَهْدُ الْجَزِيرَةِ لَمْ أَكْذُ أَنْسَى لَهُ
هِيَ مَزْنَعُ الْأَرَامِ وَالْأَسَادِ مَنْ
أَحْيَا الْفَضَائِلَ وَاسْتَهَانُوا بِالْأُلَى
جَادَ الْحَيَا وَادِي الدَّوَابِ مَا ابْتَغَى
فَمَتَى أَرَاكَ أَيَا مَنَازِلَ يَغْرُبُ
وَالْإِلَامَ يَا قَلْبِي الْخَوُونُ تَبِيعُنِي
وَلَرُبَّ يَوْمٍ بِالْحَجُونِ وَبِالْصَّفَا
فَمَضَى وَخَلَفَنِي الْأَسَى مِنْ بَعْدِهِ
وَإِذَا النُّفُوسُ تَصَاغَرَتْ وَتَبَلَّدَتْ
إِنْ أَنْرَمْتُ أَمْرًا تَرَاهُ فِي غَدٍ
يَا أُمَّ دَفِرِ ضَاقَ بِي رَحْبُ الْفَلَا
وَأَتَى حِرَاضًا ذَلَّةً مِنْ بَعْدِهِ
لَا تَسْتَطِيعُ الدَّوْدَ عَنْ جَنَابَتِهَا
فَلَنَجْعَلَ الْبُضْبَاضَ أَشْرَفَ مَأْكَلٍ
وَالنَّفْسُ لَا تَهْنَأُ بغيرِ أَلِفِهَا
فَلَعَلَّ سَلَمَى أَنْ تَجُودَ بِوَصْلِهَا

حُسْنَ الْوِدَادِ لِقَوْمِهِ الرُّوَاضِ
جَبَرُوا؟؟؟ شَهَامَةُ بَرَّاضِ
أَلْفُوا سُومَ الْحَيَّةِ النَّضْاضِ
طِيبَ الْمَعِيشَةِ مِنْ رَمَاضِ
تَتَمَتَّعِينَ بِعَيْشِكَ الْفَضْفَاضِ^(١)
بَيْعَ الْإِمَاءِ قَانِعًا بَرَّاضِ
أَلْهُو بِهِ بِمَحَاسِنِ التَّرِياضِ
وَعَدًا مَجَالَ الْفَاتِكِ الْعِرْبَاضِ
قِنَعْتُ لِخَسَّتِهَا بِفَضْلِ بَضَاضِ
مُتَنَاقِضًا كَالنَّاقَةِ الْمَجْهَاضِ
وَاعْتَالَ حَبِي صَوْلَةُ الْفَضْفَاضِ
فَبَدَتْ بِذُلِّ الْعَاشِقِ الْمَخْرَاضِ
وَحُقُوقُهَا آلتَ إِلَى الْإِذْحَاضِ
فِي بَلَدٍ قَدْ جَادَ بِالْبُضْبَاضِ
وَالْفَدُّ عَنْهُ مُفَرَّقُ الْأَبْعَاضِ
وَنَدِينُ عُذَالِ الْهَوَى بِقِرَاضِ



(١) كذا وردت هذه الأبيات في الأصل المخطوط، وهي كما ترى مضطربة وقلقة، فلعل ذلك لما كان يعانيه الشاعر من مرض وألم وكتابة بيده اليسرى، وسيمر بك نظائرها فيما سيأتي.

[الباب السابع]
السلامة في المستشفى

[الباب الرابع]

(٤٠٥)

نِمْتُ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَوَالٍ عَامِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ فِي
عُرْفَتِي فِي مَدْرَسَةِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَسَا الْعِظَمِ فِي دِمَشْقَ، فَانْتَبَهْتُ وَقَتَ الْفَجْرِ، وَإِذَا
بِي قَدْ أُصِيبْتُ بِخَدَرٍ فِي رَجْلِي وَفِي يَدَيِ الْيُمْنَاوَيْنِ، بِحَيْثُ بَطُلْتُ حَرَكَتَهُمَا،
فَنَقَلْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَى الْمُسْتَشْفَى الْعَامِّ بِدِمَشْقَ الْمَبْنِيِّ بِالْبَرَامِكَةِ، فَكُنْتُ
فِيهِ كَالْغَرِيبِ، وَصَارَ مَنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ وَأُضِغِي لَهُ قَلْبِي كَالْعَدُوِّ الْمُجَاهِرِ
الْمُحْتَالِ، وَمَنْ بِهِ مِنَ النَّصَارَى يَعْرِفُونَ قَدْرِي، وَيُلَاطِفُونِي أَحْسَنَ مُلَاطَفَةٍ،
فَكُنْتُ أَسْأَلِي نَفْسِي بِنِظْمِ الشَّعْرِ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ تَرَكَتُهُ، وَأُرَوِّضُ يَدَيِ الْيُسْرَى
عَلَى كِتَابَةِ مَا أَنْظَمُهُ .

وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ تَذْكَارًا لِمَا بُلِيتُ بِهِ، فَيَذَنُّهُ فِي هَذَا الدِّيَّانِ؛ لِيَكُونَ سَانِحَةً
مِنَ السَّوَانِحِ، يَعْلَمُ مَا كُنْتُ أُلَاقِيهِ مِنْ تَقَلُّبَاتِ الدَّهْرِ وَغَدْرِهِ، وَهَذِهِ طَلِيعَةُ
السَّوَانِحِ أَقُولُ:

لِلَّهِ أَشْكُو الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْ أَلَمٍ وَمِنْ هُمُومٍ بِهَا زَادَا ضَنْيَ ضَرَمِي
قَدْ بَثُّ لَيْلِي فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا وَفِي صَبَاحِي لَا أَمْشِي عَلَى قَدَمِي

أَيَقِظْتُ طَرْفِي وَرَجْلِي مَسَّهَا خَدَرٌ
 نِصْفِي الْيَمِينُ أَرَاهُ لَا حِرَاكَ بِهِ
 مِنْ قَبْلُ كُنْتُ كَسَخْبَانِ بِلا مَلَلٍ
 مَكَثْتُ فِي غُرْفَتِي وَالْوَهْمُ خَامِرَنِي
 سُكَّانُ مَدْرَسَتِي ثَارَتْ مَطَامِعُهُمْ
 جَاؤُوا عِجَالاً وَقَالُوا فِي الْوَصِيَّةِ قَدْ
 غَدَرْنَا وَمَكْرَأَ أَتُوا لِلْإِسْتِلَابِ فَمَا
 فَقُلْتُ: مَالِي سِوَى الْأَسْفَارِ مِنْ نَشَبٍ
 رَأَيْتُ كُلَّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ
 جَاءَ الطَّيِّبُ فَأَعْطَانِي الدَّوَاءَ بِلا

وَجَاوَبَتْهَا يَدِي بِالضَّعْفِ وَالْوَدَمِ
 وَلَسْتُ أَظْهَرُ مَا أُبْدِيهِ مِنْ كَلِمِي
 وَمُرْهَفُ الْقَلَمِ الْمَحْبُوبِ مِنْ خَدَمِي
 فِي وَحْدَةٍ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَالْأُمَمِ
 فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمُ لِلْغَدْرِ بِالذَّمِ
 جَاءَتْ بِهَا سُنُّ مِنْ قَبْلُ أَنْ تَنِمَ
 فِيهِمْ صَدِيقٌ سِوَى لِصٍّ وَمُجْتَرِمٍ
 مَمْلُوءَةٌ بِصَحِيحِ الْعِلْمِ وَالْحِكَمِ
 بِالطَّرَفِ يَرْمُقُنِي وَالسَّمْعُ فِي صَمِّ
 مُقَابِلٍ وَبَدَا فِي أَنْسِ مُخْتَكِمِ

دخولي المستشفى

قَضَيْتُ يَوْمًا وَثَانِي الْيَوْمِ جَاءَ فَتَى
 فَسَيَّرُونِي مَحْمُولاً إِلَى نُزُلٍ
 وَأَصْعَدُونِي كَأَنِّي مَيِّتٌ حُمِلْتُ
 إِلَى سَرِيرٍ وَحَوْلِي فِي أَسْرَتِهِ
 فَبِتُّ فِيهِ مَبِيتَ الْوَالِهَيْنِ إِذَا
 هَذَا يَصِيحُ وَلَا خِلٌ يُصِيخُ لَهُ
 وَذَا يَنْسُ أَنْيْنَ الْوَالِهَيْنِ لَهُ
 وَآخِرُونَ بِهِ يَنْغُونُ رَاحَتَهُمْ
 وَوَاحِدٌ سَجْنُهُ أَفْنَى تَصْبُرُهُ

وَقَالَ دَارُ الشِّفَا خَيْرٌ لِمُعْتَمِرٍ
 لَمْ نَلْقَ فِيهِ سِوَى الشَّاكِي مِنَ الْأَلَمِ
 أَعْوَادُ حَدْبَائِهِ لِلْقَبْرِ مِنْ أَكَمِ
 كُلُّ عَلِيلٍ بِهِ ضَرْبٌ مِنَ اللَّيْمِ
 بِالْهَجْرِ ذَاقُوا الضَّنَى فِي دَاجِي الظُّلَمِ
 وَذَاكَ يَصْرُخُ فِي الظُّلْمَاءِ وَاعْغَمِي
 صَوْتُ يُرَدِّدُهُ مِنْ مُنْكَرِ النَّعَمِ
 وَذَا بِلا مَرَضٍ يَحْتَالُ لِلْقَمِ
 يَوْمٌ دَارَ الشِّفَا قَدْ قَالَ وَاسْقَمِي

وَالْقَائِمُونَ بِأَمْرِ الطَّبِّ أَكْثَرُهُمْ
يَحْتَاجُ دَاخِلُهُ كُلَّ اللُّغَاتِ إِذَا
إِلَى الْخُصُوصِ نَقَلْتُ فَالتَّقِيْتُ بِهِ
يُمْسِي وَيُضْبِحُ فِي نَوْمٍ وَفِي كَسَلٍ
فَاللَّهُ يُلْهِمُنِي الصَّبْرَ الْجَمِيلَ عَلَى
مَكَثْتُ عَشْرًا وَيَوْمَيْنِ عَلَى لَبَنِ
جَاءَ الطَّيِّبُ يَرُومُ الْفَخْصَ عَنْ مَرْضِي
أَضْحَى يُلَاطِفُنِي أَحْلَى مُلَاطَفَةٍ
حُسْنِي الطَّيِّبُ جَزَاهُ اللَّهُ صَالِحَةً
إِلَى الْأَكَارِمِ يَنُمِي مِنْ بَنِي سَبَحٍ
بَدْرُ الْأَطْبَاءِ فِي بُلْدَانِنَا وَلَهُ
فَظَلَّ شَهْرَيْنِ يَسْقِينِي الدَّوَا وَأَنَا
طَوْرًا تُدَلِّكُنِي شَمَطَاءُ خَادِمَةٍ
يَتْلُوهُ ذَلِكَ يَدِي وَهِيَ تُضَاحِكُنِي
وَالزَّائِرُونَ يُرِينِي الدَّاءَ أَنْمَلَةً
عَلَى الْوُقُوفِ قَدَرْتُ بَعْدُ وَانْطَلَقْتُ
وَالْكَهْرَبَاءُ غَدَتْ فِيهَا مُعَالَجَتِي
لِي ثَلَاثُ عَامٍ أَعَانِي الدَّاءُ مُضْطَرِبًا
يَا رَبِّ لَا أَرْتَجِي عَوْنًا سِوَاكَ فَلَا
إِنْ لَمْ تُعِنِّي فَمَنْ لِي مُنْجِدٌ وَأَنَا

لَا فَرْقَ يَعْرِفُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبَهْمِ
يَبْغِي مُخَاطَبَةَ الْخُدَّامِ وَالْحَشَمِ
جَارًا خَلَاتِقُهُ أَذْهَى مِنَ التُّهَمِ
وَإِنْ تَكَلَّمَ قَالَ الْجَارُ وَاسَامِي
هَذَا الْمُصَابِ وَيَشْفِي دَائِي الْعَمَمِ
لَا شَيْءَ أَرْزُقُهُ إِلَّا مِنَ الْغَنَمِ
فِي دَقَّةٍ وَلَهِيْبُ الْقَلْبِ فِي ضَرَمِ
حَسَنَاءُ تُنَبِّئُ عَنْ لُطْفٍ وَعَنْ شَمَمِ
وَزَادَهُ شَرَفًا فِي سَائِرِ الْأُمَمِ
لَا زَالَ مُشْتَهَرًا فِي الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
مَآثِرٌ مِنْ جَمِيلِ الْحِلْمِ وَالشِّيمِ
عَلَى فِرَاشِي فِي أَحْشَاءِ مُضْطَرِمِ
مِنَ الْفِرْنَسِيْسِ مِنْ نِصْفِي إِلَى الْقَدَمِ
فَاعْجَبْ لَهَا إِذْ أَتَتْ فِي زِيٍّ مُلْتَزِمِ
بَعْضٌ وَبَعْضٌ يُرِينِيهِ كَذِي سَلَمِ
رَجُلِي فَكَانَ لَهَا نَوْعٌ مِنَ الْهِمَمِ
غِبًّا وَدَائِي بِهِذَا غَيْرُ مُنْحَسِمِ
لَمْ أَذِرْ مِنْ بَعْدِهِ مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ
أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ يَا بَارِي النِّسَمِ
غَرِيبُ دَارٍ فَقِيرٌ غَيْرُ مُحْتَرَمِ

يَا خَالِقَ الْخَلْقِ يَا مَنْ لَا شَرِيكَ لَهُ
أَجِبْ دُعَائِي وَعَجِّلْ بِالشِّفَاءِ فَقَدْ
وَضَلَّ حُسْنِي عَلَى التَّدْلِيلِ يَغْرِضُنِي
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهَا مُتَقَلِّصاً عَصَبِي
فَاسْتَحْسَنَ الْأَطِبَّاءُ تَرْكَهَا زَمَناً
وَأَحْضَرُوا لِي دَوَاءً زَادَتْ حَلَاوَتُهُ
وَهَذِهِ عَلَّتِي أَشْكُو لِخَالِقِهَا
هَذَا مَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ، وَأَنَا فِي حَالَةِ الْمَرَضِ الشَّدِيدِ أَكْتُبُ بِيَدِي
السَّمَالِ.

(٤٠٦)

وَقُلْتُ وَالْقَلْبُ فِي ضَرَمٍ أَمْدَحُ سَيِّدَ الْأُمَمِ :
[من البسيط]
حَيَّا زُرُوداً وَحَيَّا مَوْطِنَ الْعَرَبِ
مَنَازِلُ تَرْبُهَا كُحْلُ الْعُيُونِ فَمَنْ
جَادَ الْحَيَّا مَشْرِقَ الْأَنْوَارِ غَارَ حِرَا
جَاءَ الْأَمِينُ بِهِ بِالْحَقِّ مُعْجِزَةً
خَيْرُ الْخَلِيقَةِ كَانَ الْأَصْطِفَاءُ لَهُ
مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى آيَاتُهُ نَسَخَتْ
دَعَا إِلَى اللَّهِ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ
بَيْنَ النَّبِيِّينَ وَالْأَمْلَاقِ قَاطِبَةً
وَكُلُّهُمْ نَائِبٌ فِي نَشْرِ شِرْعَتِهِ
وَأَرْضُ يَثْرِبَ هَطَالٌ مِنَ الشُّحْبِ
يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهِ يَنْجُو مِنَ الْوَصَبِ
بِالنُّورِ جَلَّى ظِلَامَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
تُحْيِي قُلُوباً بِهَا الطُّغْيَانُ فِي لَجَبِ
فِي عَالَمِ الْغَيْبِ قَبْلَ الْعَرْشِ وَالْحُجُبِ
مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ مِنْ سِفْرِ وَمِنْ كُتُبِ
فَمَنْ أَجَابَ اهْتَدَى وَالْوَعْدُ لَمْ يُجِبِ
شَاعَتْ بُبُوتُهُ فِي سَالِفِ الْحَقَبِ
فَشَانُهُ بَيْنَهُمْ لَيْسَ بِمُضْطَرَبِ

تَوْرَاهُ مُوسَى بِهِ جَاءَتْ مُبَشِّرَةٌ
فَهُوَ النَّبِيُّ الَّذِي آيَاتُهُ ظَهَرَتْ
قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ بِالنُّورِ الْمُبِينِ فَمَنْ
وَمَنْ تَمَرَّدَ فِي طُغْيَانِهِ وَلَغَا
تَبَّتْ يَدَاهُ وَتَبَّ السَّامِعُونَ لَهُ
آيَاتُ حَقٍّ وَصِدْقٍ كُلَّمَا تَلَيْتَ
قَدْ أَنْكَرَ الْوَحْيَ قَوْمٌ لَا خَلَاقَ لَهُمْ
وَأَنْكَرَ الْبَعْضُ إِعْجَازَ الْكِتَابِ وَقَدْ
فَالِإِنْسُ وَالْجِنُّ لَوْ رَأَوْا مُعَارِضَةً
هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي قَدْ جَاءَ مُعْجِزَةً
نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ حَقًّا بِلَا رَيْبٍ
أَسْرَى بِهِ رَبُّنَا لِلْقُدْسِ فِي غَسَقٍ
وَاللَّيْلِ أَضْحَى شَمْسَ كَوَكِبِهِمْ
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَحْلَى شَمَائِلَهُ
فَاقَ النَّبِيِّنَ تَكْرِيماً وَمُعْجِزَةً
وَلَمْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا
أَتَى بِشَرْعٍ عَلَى الْأَزْمَانِ مُنْطَبِقٍ
فَحَارَبَ الشُّرْكَ وَالْأَصْنَامَ بَدَّدَهَا
خَوَارِقَ الْمُعْجِزَاتِ الْغُرَّ قَدْ خَرَقَتْ
إِنْ سَرَّ مَنْ قَبْلَهُ إِهْلَاكُ أُمَّتِهِ
يَدْعُو لَهُمُ بِالْهُدَى فِي كُلِّ نَازِلَةٍ

وَقَدْ أَتَى الْوَصْفُ فِي الْإِنْجِيلِ مِنْ كُتُبِ
مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ فِي مَظْهَرِ الْعَجَبِ
شَاءَ الْهِدَايَةِ أَضْحَى غَيْرَ مُخْتَجِبٍ
صَارَ السَّمِيرُ لَهُ حَمَالَةً الْحَطَبِ
وَفِي الْجَحِيمِ لَهُ مَثْوًى مِنَ اللَّهَبِ
زَادَتْ عَجَائِبُهَا لِلْعَارِفِ الْعَرَبِيِّ
ظَنُّوه فَلَسَفَةً بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ
حَلَّوْا زَخَارِفَهُمْ بِالشَّكِّ وَالرَّيْبِ
آيَاتِهِ رَجَعُوا بِالْعَجْزِ وَالتَّعَبِ
فَاعْجَزَ الْبُلْغَا بِالشُّعْرِ وَالْحُطْبِ
يَزِمِي مُعَارِضَهُ الْمَفْتُونُ بِالشُّهْبِ
إِلَى مَقَامٍ عَنِ الْأَمْثَلِكِ مُخْتَجِبٍ
مِنْهُ اسْتَمَدُّوا جَمِيعاً أَعْظَمَ الرُّتَبِ
تُعَلِّمُ الْمُقْتَدِي قِسْطاً مِنَ الْأَدَبِ
وَحُبُّهُ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبِ
وَلَا الْجُمَانُ وَلَا مَالٌ مِنَ الذَّهَبِ
لَا يَقْبَلُ النَّسْخَ وَالتَّبْدِيلَ فِي سَبَبِ
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ التَّوْحِيدِ فِي نَسَبِ
مَا لَفَّقَ السَّحَرُ وَالْكُفَّانُ مِنْ لَهَبِ
فَالْمُضْطَفَى رَحْمَةً وَالصَّدْرُ فِي رَحَبِ
وَاللَّهُ يُسَلِّيهُ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ كُرْبِ

كَمْ أَضْمَرُوا الْغَدْرَ مُقْرُونًا بِكَيْدِهِمْ
وَبِالْمَلَائِكَةِ الْجَبَّارِ أَيْدَهُ
كَمْ أَوْقَدَ الْمُشْرِكُونَ الْحَرْبَ فَاثْقَلُوا
لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ رَبُّ الْعَرْشِ أَرْسَلَهُ
كَمْ مِنْ غَزَاةٍ بِهَا قَلْبُ الْعِدَا وَجَلُّ
قَدْ أَرْهَبَتْ كُلَّ صِنْدِيدٍ شَجَاعَتُهُ
وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ مُشْرِقَةً
صَلَّى عَلَيْهِ الْإِلَهُ وَالْمَلَائِكَةُ
فِيَا سَمِيعَ الدُّعَا أَرْجُو بِخُرْمَتِهِ
إِنِّي غَرِيبٌ فَلَا أَهْلٌ وَلَا سَكَنٌ
يَا رَبَّ عَجَلْ لِمُضْطَرِّ إِبْرَاهِيمَ
بِالْمُضْطَفَى سَيِّدِ الْأَكْوَانِ مَرْحَمَةً
حَارَ الطَّيِّبُ بِدَائِي كُلَّمَا بَدَّلَ الـ
صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى الْهَادِي الشَّفِيعِ لَنَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَمَا

(٤٠٧)

وَقُلْتُ بِقَلْبٍ كَسِيرٍ أَمْدَحُ الْبَشِيرَ النَّذِيرَ:

[من الكامل]

يَا سَعْدُ مِلِّ لِلرَّفَقَتَيْنِ فَحَاجِرٍ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِحَيٍّ مُنْعَرَجِ اللَّوَى
وَاقِرَ السَّلَامِ عَلَى الْحَبِيبِ الْهَاجِرِ
فَاشْرَحْ لَهُمْ وَجْداً ثَوَى بِضَمَائِرِي

وَعَلَى الْعَقِيقِ عَقِيقُ دَمْعِي قَدْ هَمَى
شَوْقاً إِلَى أَنْوَارِ طَيْبَةِ إِنَّهَا
اخْتَارَهَا الرَّحْمَنُ مَوْطِنَ أَحْمَدِ
أَخْفَاهُ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَنِ الْعَدَا
وَيَقُولُ لِلصَّدِيقِ لَا تَحْزَنْ فَإِنَّ اللَّهَ عَوْنٌ لِلْمُجِدِّ الصَّابِرِ
رَجِعُوا وَقَدْ أَنْجَى إِلَهُ نَبِيَّهِ
وَعَدَا عَلَى فَرَسٍ سُرَاقَةً فَانْبَرَى
وَأَتَى الْهَنَاءَ لَأُمِّ مَعْبَدٍ إِنَّهَا
نَزَلَ النَّبِيُّ بِهِ فَأَخْصَتْ نَعْتَهُ
وَدِيَارُ طَيْبَةِ أَشْرَقَتْ لِقُدُومِهِ
طُوبَى لَأَنْصَارِ الْهُدَى فَلَهُمْ عَلَى
ضَمُّوا النَّبِيَّ وَمَنْ يَهَاجِرُ نَخْوَهُ
فَعَلَامَةُ الْإِيمَانِ حُبُّهُمْ وَبُغْدُ
هُمْ حِصْنُ دِينِ اللَّهِ وَالْأَسَدُ الْأَلَى
مَا فِيهِمْ إِلَّا شُجَاعٌ بَاسِلٌ
وَعَلَى الْأَلَى هَجَرُوا الدِّيَارَ وَهَاجَرُوا
هَجَرُوا لَذِيذَ النَّوْمِ فِي جُنْحِ الدُّجَى
قَدْ عَوَّدُوا أَنْفُسَهُمْ خَوْضَ الْوُغَى
تَرْكُوهُمْ وَالْحَرْبُ تُوقِدُ نَارَهَا
فَهُمْ سُيُوفُ اللَّهِ وَالنَّجْمُ الَّذِي
نَالَ السَّعَادَةَ صَحْبُ شَمْسِ الْإِهْتِدَا

فَالنَّوْمُ طَلَّقَ لِلْعُذَيْبِ مَحَاجِرِي
بَلَدُ الْحَبِيبِ وَحُجَّةُ الْمُتَفَاحِرِ
فَسَرَى كَبْدَرٍ فِي الدِّيَاجِي زَاهِرٍ
فِي الْغَارِ وَالْأَيْكُ ثَوْتُ فِي الظَّاهِرِ
بِالرُّغْمِ عَنْ إِفْكِ الْجَحُودِ الْفَاجِرِ
صَلَدٌ فَقَيْدَ سَاقِهِ بِالْحَافِرِ
كَانَتْ تَهَيَّئُ نُزْلَهَا لِلْسَّائِرِ
وَالشَّاةُ قَدْ دَرَّتْ بِخَيْرِ ظَاهِرِ
بِالنُّورِ فِيهَا كُلُّ بَذْرِ سَافِرِ
طُولِ الْمَدَى فَضْلٌ وَطِيبُ مَفَاحِرِ
وَحَمَوُهُ مِنْ كَيْدِ الْجَحُودِ الْمَاكِرِ
ضُهُمُ نِفَاقٍ وَاقْتِرَافُ كَبَائِرِ
يَخْمُوا عَرِيَّتَهُمْ بِسَيْفِ بَاتِرِ
خَوَاضُ أَهْوَالٍ بِقَلْبِ صَابِرِ
رِضْوَانِ رَبِّي مَعَ سَلَامِ عَاطِرِ
وَأَشْبَعُوا بِالسَّيْفِ بَطْنَ الطَّائِرِ
وَبَلَّوْا أَعَادِيَهُمْ بِشَقِّ مَرَائِرِ
رِزْقِ الْوُحُوشِ وَطَعْمَةِ لِلْكَاسِرِ
فِيهِ اهْتَدَى اللَّهُ كُلُّ مُسَافِرِ
فَالْبَدْوِيُّ فِيهِمْ كَالْحَاضِرِ

يَا سَعْدُ هَذَا النُّورُ قَدْ عَمَّ الدُّنَا
هَذَا النَّبِيُّ شَاهِدٌ وَمُبَشِّرٌ
وَهُوَ الَّذِي اللَّهُ أَضْحَى دَاعِيًا
وَمُبَشِّرًا أَهْلَ الْإِجَابَةِ بِالرُّضَا
وَهُوَ الَّذِي لِلْأَنْبِيَاءِ خَاتَمٌ
يَهْدِي إِلَى سُبُلِ السَّلَامِ كَلَامُهُ
جَمَعَتْ لَهُ الْأَحْزَابُ أَسَدَ عَرِينِهَا
فَأَرْسَلَ اللَّهُ جُنُودًا لَنْ تُرَى
وَكَفَى اللَّطِيفُ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ
وَأَنْزَلَ اللَّهُ الَّذِينَ ظَاهَرُوا
وَرِثُوهُمْ وَالسَّيْفُ يَحْكُمُ فِيهِمْ
صَبَرَ الصَّحَابُ وَصَابَرُوا وَرَابَطُوا
فَلْيَهْنِهِمْ رِضْوَانُ رَبِّهِمْ إِذَا
نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ لِنَصْرِهِ
فِي يَوْمٍ بَدْرٍ وَحَيْنٍ لِلْعَدَا
لِلَّهِ كَمِ مِنْ غَزْوَةٍ مَحْمُودَةٍ
ضَاءَتْ بِهَا الدُّنْيَا بِنُورٍ بَاهِرٍ
وَتِجَارَةُ الطُّغْيَانِ قَدْ رَجَعَتْ بِلَا
فَاللَّهُ قَدْ مَدَحَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
فَبِمَدْحِهِ أَرْجُو شِفَاءً عَاجِلًا
لَا سِيَّمَا دَائِي الَّذِي قَدْ عَاقَنِي
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا نَجُمُ بَدَا

وَبِهِ انْجَلَتْ ظِلْمُ الظَّلَامِ السَّائِرِ
وَنَذِيرٌ مَنْ أَضْحَى بِقَلْبٍ كَافِرٍ
مَا مَالَ عَنْ دَعْوَاهُ غَيْرُ مُكَابِرٍ
وَالْعَفْوِ مِنْ رَبِّ كَرِيمٍ غَافِرٍ
وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْقَادِرِ
وَيَفُوحُ رِيَّاهُ بِطَيْبِ عِبَاهِرِ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ بِالشَّجَاعَةِ مَاهِرِ
وَالرَّيْحَ زَلْزَلَهُمْ بِأَعْظَمِ زَاجِرِ
وَالْحَقُّ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ نَاصِرِي
مِنَ الصِّيَاصِي عِبْرَةٌ لِمُظَاهِرِ
وَالذُّكُ صَيَّرَهُمْ بِقَبْضَةِ آسِرِ
وَلَا زُمُوا التَّقْوَى بِقَلْبٍ عَامِرِ
حَلَّ الشَّقَاءُ لِكُلِّ فَذَمٍ خَاسِرِ
فَأَذَاقَتْ الْأَعْدَاءَ شَرَّ مَصَادِرِ
ذُلٍّ تَوَالَّى عِنْدَ شُؤْمٍ مَآثِرِ
كَانَتْ لِلَّيْلِ الشُّرْكَ أَعْظَمَ حَاسِرِ
وَبَدَا الْفَلَاحُ بِأَوَّلٍ وَبِآخِرِ
رَبِحٍ وَوَلَّى أَهْلَهَا بِخَسَائِرِ
فِي مُعْجِزٍ لِنَاطِمٍ وَلِنَائِرِ
مِنْ كُلِّ دَاءٍ مُزْعِجٍ لِسَرَائِرِ
عَنْ خِدْمَةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الطَّاهِرِ
وَأَتَى الْعَلِيلَ شِفَاؤُهُ بِبَشَائِرِ

وقلت أمدحُ سيّد الأَكْوانِ :

[من الكامل]

وَالْوَجْدُ أَصْبَحَ فِي الْفُؤَادِ نَزِيلًا
فِيهِ الشِّفَاءُ لِمَنْ أَقَامَ عَلَيْهِ
طَابَتْ فَأَضْحَتْ مَوْرِدًا وَمَقِيلًا
وَالِدَاءُ فِيهِ قَدْ أَلَمَّ وَيَلًا
صَارَتْ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ دَلِيلًا
بِالْوَحْيِ فِيهَا فَضِّلَتْ تَفْضِيلًا
وَقُطُوفُهَا قَدْ ذُلِّلَتْ تَذْلِيلًا
وَأَحَاطَهُ فَتَوَى بِهِ مَشْمُولًا
وَاللَّهُ زَادَ عِلَاءَهَا تَفْضِيلًا
مَعْنَاهُ أَنْزَلَهُ إِلَاهُهُ نُزُولًا
بِالرُّشْدِ وَالْإِصْلَاحِ ظَلَّ^(١)
كَذَبُوا بِذَلِكَ وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا
وَالرُّشْدُ بُدِّلَ بِالشَّقَا تَبْدِيلًا
وَأَقَامَ لِلتَّوْحِيدِ فِيهِ دَلِيلًا
وَالرُّجْزَ فَاهْجَزَ وَابْتِغِ الْمَأْمُولًا
وَاسْجُدْ لَهُ مُتَبَيِّنًا تَبَيِّنًا
وَاتْلُ الْكِتَابَ مُرْتَلًا تَرْتِيلًا
إِعْطَاءَ مُحْتَاجِ أَتَاكَ ذَلِيلًا
لَا تَخْشَ ضُرًّا كَانَ أَوْ تَنْكِيلًا

آيَاتُ حُبِّكَ رُتِّلَتْ تَرْتِيلًا
نَفْحُ الْخُزَامَى إِنْ تَهَبَّ بِهِ الصَّبَا
يَا حَادِي الْأَطْعَانِ يَمَّمْ رَوْضَةً
فَنَسِيْمُهَا فِيهِ الشِّفَاءُ لِمَنْ غَدَا
لَمَّا غَدَتْ وَطَنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
هِيَ مَشْرِقُ الْأَنْوَارِ وَالْبَلَدُ الَّذِي
هِيَ طَيْبَةُ وَالطَّيْبُ مِنْهَا أَصْلُهُ
خَيْرُ الْبَقَاعِ مَا حَوَى خَيْرَ الْوَرَى
وَبِذَاتِهِ السَّبْعُ الطَّبَاقُ تَشَرَّفَتْ
وَلَهُ الْكِتَابُ الْمُعْجِزُ الْبُلْغَاءُ فِي
بِالْحَقِّ أَنْزَلَهُ بِشِيرًا هَادِيًا
نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ فَيَا حَسْرَاتِ مَنْ
قَدْ جَاءَ وَالْأَضْنَامُ مَعْبُودٌ لَهُمْ
فَأَمَاطَ غَيْمَ الْغَيِّ عَنْ شَمْسِ الْهُدَى
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ أَصْبَحْ مُنْذِرًا
كَبَّرَ إِلَهَكَ إِنَّهُ لَكَ نَاصِرٌ
قُمْ فِي الدُّجَا إِلَّا قَلِيلًا نَاسِكًا
طَهَّرْ ثِيَابَكَ لَا تَكُنْ مُسْتَكْثِرًا
وَاصْبِرْ لِرَبِّكَ إِنَّهُ لَكَ عَاصِمٌ

(١) كلمة غير واضحة في الديوان .

فَدَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ فِي سِرٍّ وَفِي
حَتَّى اخْتَفَى الشَّرْكَ وَأَصْبَحَ أَهْلُهُ
يَتَحَيَّرُونَ وَلَا مَنَاصَ لَهُمْ وَلَا الـ
تَعْساً لِعِبَادِ الْحِجَارَةِ إِنَّهُمْ
ظَنُّوا النَّجَاةَ بِهَا فَخَابُوا خَبِيئَةً
سَلَّ أَهْلَ خَيْبَرَ كَيْفَ مَضَرَّعُهُمْ وَقَدْ
وَقَرِظَتُهُ الْبَاغُونَ شَتَّتَ شَمْلَهُمْ
وَبَنُو النَّضِيرِ إِلَيْهِمْ لَمَّا افْتَرَوْا
وَالْمُشْرِكُونَ بِيْطْنٍ بَكَّةَ أُشْرِبُوا
وَأَتَى بِهَا الْفَتْحُ الْمُبِينُ فَاتِحاً
فِي حَجَّةِ التَّوْدِيْعِ أَنْزَلَ رَبُّنَا
وَرَضِيَ لَنَا الْإِسْلَامَ دِيناً خَالِصاً
وَالْوَارِدُونَ الْحَوْضَ يُعْطَوْنَ إِذَا
وَلَسَوْفَ يَبْعَثُهُ إِلَهُهُ مَقَامَهُ الـ
وَاللَّهُ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ وَالْوَرَى
وَيَقُولُ يَا رَبَّ النَّجَاةَ لَأُمْتِي
يَا مُصْطَفَى الرَّحْمَنِ يَا مَنْ شَرَعُهُ
كُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ كُلِّ مُشْفَعٍ
يَا رَبَّ أَدْعُوكَ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ
وَعَدَا بِهِ التَّوْحِيدُ فِي أَوْجِ الْعُلَا
أَنْ تَذْهَبَ الدَّاءُ الْمَلَمَّ بِسَاحَتِي
إِنَّ الطَّبِيبَ بِهِ تَحَيَّرَ وَانْتَشَى

عَلَيْنِ يُجَاهِرُ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
يَسْتَنْجِدُونَ رَنَّةً وَعَوِيلَا
أَضْنَامُ تُوضِحُ لِلنَّجَاةِ سَبِيلَا
لَمْ يَرْتَضُوا خَيْرَ الْأَنَامِ رَسُولَا
فِيهَا الْهَلَاكُ وَقُتِلُوا تَقْتِيلَا
زَادَ الْعِنَادُ وَضَلُّوا تَضَلِيلَا
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ بِهِمْ مَأْهُولَا
سَاقَ الْبَلَاءِ أَعْنَةً وَنُصُولَا
بَعْدَ التَّفَاخُرِ أَنَّةً وَذُهُولَا
بَابَ الْجِنَانِ لِمَنْ يُرِيدُ دُخُولَا
الْيَوْمَ كُمِّلَ دِينُكُمْ تَكْمِيلَا
وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ ضَحَى وَأَصِيلَا
وَرَدُّوا عَلَيْهِ غُرَّةً وَحُجُولَا
مَحْمُودَ وَهُوَ مُبَجَّلٌ تَبْجِيلَا
كُلُّ تَرَاهُ بِشَأْنِهِ مَشْغُولَا
وَالْيَوْمَ أَصْبَحَ مُؤْلَمًا وَمَهُولَا
قَدْ نَسَخَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَا
أَضْحَى بِهِ مُتَطَفِّلاً تَطْفِيلَا
مَنْ أَوْضَحَ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا
وَالشَّرْكَ وَلَّى خَاسِئاً مَخْذُولَا
فَضْلاً فَغَيْرَكَ لَا أَرَى مَسْئُولَا
وَدَوَاؤُهُ لَمْ يُجَدِ فِيهِ فَيْتِلَا

يَا مَنْ شَفَى أَيُّوبَ مِنْ أَذْوَائِهِ
يَا مَنْ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّ إِذْ
وَاصْرِفْ بِقَوْلِكَ كُنْ بِلَائِي بِالشِّفَا
صَلِّ عَلَى عَلِيكَ اللَّهُ يَا عَلِمَ الْهُدَى
مَعْقُودُ صَبْرِي قَدْ غَدَا مَحْلُولَا
يَدْعُوهُ إِجْعَلْ لِي دُعَا مَقْبُولَا
فَسَرِيعُ جُودِكَ لَمْ يَكُنْ مَمْطُولَا
مَا الرِّكْبُ أَضْمَرَ لِلْحِجَارِ رَحِيلَا

(٤٠٩)

وَقُلْتُ عَلَى حَسَبِ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ :
[من مجزوء الكامل]
إِنَّ بِلَاداً طَبَعَهَا
بُغْضُ الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا
هَيْهَاتَ أَنْ تَرْفُقِي وَأَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ شَمْلَهَا

(٤١٠)

وَقُلْتُ :
«فيلومينا» شَمْسُ الْحُسْنِ
غَابَتْ عَنْ مَشْفَانَا زَمْنًا
وَإِذَا طَلَعَتْ فِيهِ قَالَ
الشَّمْسُ تَحْسُدُ طَلَعَتَهَا
وَعَلَى فَمِهَا كَتَبَ الْحُسْنُ
مَنْ ذَاقَ سُلَافَتَهَا أَضْحَى
وَأَرَأَقِمُ صُدْغِيهَا قَرُبَتْ
بِالْحَبِّ غَدَوْتُ نَشْوَانًا
وَالصَّبْرُ وَدَّعَ حِينَ نَأَتْ
كَفَلْتُ رُوحِي بِمَحَاسِنِهَا
سَارَتْ فَالشَّرْقُ بِهَا أَزْهَرُ
وَفُؤَادِي فِيهِ يَنْفَطِرُ
هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ
وَتَغِيبُ إِذَا الْوَجْهُ أَسْفَرُ
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْنُزُ
بِالْوَجْدِ يُعَرِّدُ إِذْ يَسْكُرُ
مِنْهُ فَحَمَتْ كَنْزَ الْجَوْهَرُ
لَسْتُ أَصْحُو حَتَّى الْمَحْشَرُ
..... دَمًّا أَحْمَرُ
وَبِرِّيَا ذِكْرَاهَا الْأَعْطَرُ

وَعَرَامِي زَادَ بِفِرْقَتِهَا يَا قَلْبُ صَحَا الدَّاءُ الْأَكْبَرُ
لَوْلَا مَرَضٌ قَدْ قَيَّدَنِي لَتَبِعْتُ ذَاكَ الْبَدْرَ الْأَنُورُ
وَأَكُونُ مَعَ الْخُدَّامِ لَهُ لَأَرَى ذَاكَ النَّادِي الْأَعْطَرُ
يَا جَنَّةَ حُسْنٍ تَرَكْتَنِي بِجَحِيمِ الْبُعْدِ أَتَحَسَّرُ
ذَهَبْتُ لِلْأَوْطَانِ صُبْحاً فِيهَا رَوْضُ الْأَنْسِ بَشَّرُ
وَدِمَشْقُ الشَّامِ قَدْ كَسَيْتُ مِنْ فِرْقَتِهَا ثوباً أَغْبَرُ
هَذَا الْعَذْرَاءُ مَرِيئُماً وَبِهَا الْإِنْجِيلُ لَقَدْ أَخْبَرُ
فَلَهَا مِنِّي الْوُدُّ الصَّافِي مَا الْأَلْحَاطُ النَّجْلُ تَسَحَّرُ
وَلَهَا الْأَمْرُ فِيمَا شَاءَتْ مَهْمَا كَانَ الْفِكْرُ صَوَّرُ

(٤١١)

كَانَتْ تِلْكَ الْغَادَةُ تَقْرَأُ عَلَيَّ مَعَانِي الشُّعْرِ، فَلَمَّا قَرَأْتُ قَصِيدَةَ ابْنِ
زَيْدُونَ، أَحَبَّتُهَا، وَوَلَعْتُ بِهَا، فَنَظَّمْتُ لَهَا قَصِيدَةً عَلَى مَنَوَالِهَا، وَهِيَ:

[من البسيط]

يَا جَنَّةَ عَنْ رِيَاضِ الْخُلْدِ تُغْنِينَا شَرُّ الْغَرَامِ بِهَا قَدْ صَارَ لِي دِينَا
مِنْ قَبْلُ كُنْتُ وَلَيْسَ الْغَيْدُ تَأْسِرُنِي وَالْيَوْمَ سَاحِرُهُ الْأَلْحَاطِ تَسِينَا
فَاعْجَبْ لَصَبِّ لَهُ دَاءٌ يُكَابِدُهُ وَلَيْسَ يُغْتَقَهُ وَهُوَ ابْنُ سِتِينَا
سَارَ الْقِطَارُ بِشَمْسِي نَحْوَ بَلَدَتِهَا وَنَارُهُ فِي الْحَشَا وَالْقَلْبِ تَكْوِينَا
لِلَّهِ لَيْلٌ قَضَيْنَاهُ مُسَامَرَةً فِي كَلِمَةِ ابْنِ زُرَيْقٍ وَابْنِ زَيْدُونَا
وَالْعِلْمُ يُطْرِبُنَا وَالْعِلْمُ نَالِنَا وَالْوُدُّ حَارِسُنَا وَالْفَضْلُ سَاقِينَا
وَبِالْعَفَافِ وَبِالْآدَابِ مَفْخَرُنَا فَلْيَخَسْ حَاسِدُنَا دَوْماً وَوَاشِينَا

يَا مُتَّهَى الْحُسْنِ لَا نَرْضَى بِكُمْ بَدَلًا
 إِنِّي أَرَى مَلَكًا فِي زِيٍّ آنَسَةٍ
 تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَحْلَى شَمَائِلَهَا
 عِلْمُ الْفَتَاةِ بِهِ تَزْهُو مُفَاخِرَةً
 يَا مُدَّعِينَ بِأَنَّ الْعِلْمَ يَسْلُبُهَا
 فَالْعَالِمَاتُ بِهِنَّ الدُّورُ عَامِرَةٌ
 يَا زِينَةَ الْآنِسَاتِ الْغَيْدِ لَا بَرَحَتْ
 يَا مُؤْنَسًا كُنْتُ أَسْلُو فِيهِ عَنْ مَرَضِي
 رُوحِي وَرُوحُكَ أَقْنُومَانِ فِي جَسَدٍ
 فِي عَالَمِ الْآنَسِ نَجْوَانَا وَإِنْ بَعُدَتْ
 تُبْدِي الْقُلُوبُ أَشْعَتَهَا فَتُنَبِّئُنَا
 كَأَنَّمَا كَوَكَبُ الْمَرِيخِ أَرْسَلَهَا
 لَا أَبْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَ اللَّقَاءِ فَكَمْ
 سَارَتْ لِبَلَدَتِهَا تَبْغِي زِيَارَتَهَا
 بَلَابِلُ الدَّوْحِ قَدْ قَالَتْ مُعَرِّدَةً
 وَخَلَقْنَا بِنَارِ الْوَجْدِ تُضَرِّمُهَا
 عَلَّ الدِّيَارَ تَجُودُ بِاللِّقَاءِ كَرَمًا
 لَا أَبْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَ الْوِصَالِ فَقَدْ
 عَهْدُ الْوِدَادِ وَثِيقٌ لَسْتُ أَنْقُضُهُ

مَا دَامَتِ الرُّوحُ فِي الْأَخْشَا تُنَادِينَا
 جَاءَتْ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى تُنَاجِينَا
 يَزِيدُ فِي الْآنِسَاتِ الْعِلْمُ تَحْسِينًا
 عَلَى الرِّجَالِ وَلِي مِنْهَا بَرَاهِينًا
 ثَوْبَ الْعَفَافِ لَقَدْ صِرْتُمْ مَجَانِينَا
 وَالْجَاهِلَاتُ لَهَا صِرْنُ الشَّيَاطِينَا
 أَيَّامُ سَعْدِكَ بِالْحُسْنَى تُهْنِينَا
 مَتَى يَعُودُ اللَّقَاءُ فِي رَغَمٍ وَاشِينَا
 بِالْقُدْسِ صَارَا أَقَانِيمًا كَمَا شِينَا
 أَجْسَامُنَا وَلَذِيذَ الصَّفْوِ يَسْقِينَا
 عَنِ الْمَوَدَّةِ فِي أَسْلَاكِ «مَرْكُونَا»
 لِعَالَمِ الْأَرْضِ تُخْبِرُنَا وَتَحِينَا
 بِالْقُرْبِ تَنْشُرُنَا وَالْبُعْدُ يَطْوِينَا
 فَأَنْبَتَتْ أَرْضُهَا وَرَدًا وَنَسْرِينَا
 لَنَا الْبِشَارَةُ [قَدْ] وَافَتْ «فَلُومِينَا»
 نَارُ الصَّبَابَةِ فِي أَحْشَانِنَا حِينَا
 فَلَمَحَةٌ مِنْ جَمَالِ الْحَبِّ تُغْنِينَا
 كَانَتْ بَطْلَعَتِهَا غُرًّا مَيَّامِينَا
 وَحَفْظُهُ بَيْنَنَا أَقْصَى أَمَانِينَا

أَشَاعَ بَعْضُ الْعَوَّاءِ الْمُدَّعِينَ الْعِلْمَ أَنَّ تَعْلِيمَ الْإِنَاثِ حَرَامٌ، وَأَقَامُوا
النَّكِيرَ عَلَى تَعْلِيمِهِنَّ بَيْنَ الْعَوَامِّ، فَأَتَتْنِي تِلْكَ الْأَدِيبَةُ تَبَحُّثُ مَعِيَ فِي هَذَا
الْمَوْضُوعِ، وَمَعَهَا اثْنَانِ مِنْ أَطِبَّاءِ الْمَسِيحِيِّينَ، فَلَمَّا انْقَضَى الْبَحْثُ، نَظَّمْتُ
هَذِهِ الْقَصِيدَةَ، فَقُلْتُ:

إِنْ تَرُمُ مَجْدًا سَمَا هَامَ الْحَمَلُ
وَاعْتَرِبَ لِلْغَرْبِ فِي تَخْصِيلِهِ
كُنْ لَدَى التَّخْصِيلِ فِي جِدٍّ وَلَا
أَيْنَمَا نَظَرْتَ فِي الْكَوْنِ تَجِدْ
هَذِهِ أَهْرَامٌ مُضِرٌّ عِبْرَةٌ
وَبَقَايَا تَذْمُرُ وَبَابِلُ
وَحُصُونٌ بَعْلَبَكَ أَلْبَسَتْ
وَادِي مُوسَى نُزْهَةً الْأَبْصَارِ مَنْ
وَتُمُودُ لِلْبَرَايَا تَرْكُوا
وَدِيَارُ الْعُرْبِ كَمْ فِيهَا بِنَا
كُلُّهَا آثَارُ عِلْمٍ مَنْ مَضَى
هَذِهِ آثَارُ أَقْوَامٍ خَلَتْ
وَالدَّهَارِيرُ عَفَتْ أَكْثَرَهَا
وَعَدَا الْعِلْمُ يُنَادِي أَهْلَهُ
وَعَلَى الْأَقْطَارِ يَسْتَوْلِي وَفِي
فَأَزَالَ الْغَرْبُ شَكْوَاهُ بِمَا

فَامْرَجِ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ بِالْعَمَلِ
وَاهْجُرِ الْعُدَالَ أَرْبَابَ الزَّلَلِ
تَغْتَرِرْ بِقَوْلِ أَرْبَابِ الْكَسَلِ
مِنْ بَقَايَا الْعِلْمِ مِنْ قَوْمٍ أُولِ
وَبَرَايِيهَا وَأَصْنَافِ الْقُلُلِ
وَبَنِي غُصَّانٍ فِي ضَاخِي الْجَبَلِ
كُلٌّ مَنْ نَاوَاهَا ثَوْبَ الْخَجَلِ
طَافَ فِيهِ حَارٌ فِي أَمْرِ جَلَلِ
أَثَرًا مِنْ بَعْدِهِمْ لِمَنْ عَقَلَ
شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَأَكَلَ
فَاتَّبَعَ الْحَقُّ وَدَعَا عَنْكَ الْخَطْلُ
وَبَقَايَا الْعِلْمِ فِيهَا لَمْ تَزَلْ
وَوَظْلَامُ الْجَهْلِ غَطَّى وَسَدَلْ
مَنْ يُجِئْنِي نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ
مَقْعَدِ التَّكْرِيمِ يُعْلَى وَيُجَلْ
حَارَ مِنْ مَالٍ جَلِيلٍ وَخَوَلْ

خَضَعَ الْجَوُّ لَهُمْ وَالْبَرُّ فِي
زَا حَمَ الْأَطْيَارَ طَيَّارَاتُهُمْ
وَالْجَوَارِي الْمُنْشَاتُ مَلَأَتْ
شَارَكَ الْحَيَّانَ غَوَاصَاتُهُمْ
عَجَباً لِلْكَهْرَبَاءِ أَبْدَعَتْ
هَذَّبُوا الْعِلْمَ وَأَحْيَا ذِكْرَهُ
صَدَقَ الْوَرْدِيُّ فِيمَا قَالَهُ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَضْلِي أَبَداً
وَقُصَارَى الْقَوْلِ أَنَّ الْغَرْبَ فِي
فَتَمَّتْ يَا شَرْقُ تَحْذُو حَذْوَهُ
كُلَّمَا الشَّمْسُ عَلَيْكَ أَشْرَقَتْ
نِعْمَ قَوْمٌ بِالثَّبَاتِ أَصْبَحُوا
عِنْدَهُمْ جَمْعُ الْقُلُوبِ سُنَّةُ
خَلَعُوا ثَوْبَ الْخُمُولِ وَغَدَوْا
أَيْنَ هُمْ يَا سَعْدُ أَخْبَرْنِي فَقَدْ
وَالْخُرَافَاتُ غَدَتْ مَعْبُودَةً
وَعُرُورُ الْقَوْمِ فِي ظَاهِرِهِمْ
وَالْعَوَامُ فِي حَبَالِ مَكْرِهِمْ
نَبَذُوا الْعِلْمَ الصَّحِيحَ وَانْبَرَوْا
لَمْ يَرَاعُوا حِكْمَةَ الْبَارِي وَلَمْ
يَا دِيَارَ الْعَرْبِ حَيَّاكَ الْحَيَا

طَاعَةِ وَالْبَحْرُ مِنْهُمْ فِي وَجَلْ
وَفَسِيحُ الْبَرِّ غُصَّ بِالْعَجَلْ
كُلَّ بَحْرِ وَبِهَا الشَّمْلُ اتَّصَلَ
وَبَرِيدُ الْبَرْقِ لِلدُّنْيَا شَغَلَ
مَا يَحَارُ فِيهِ أَرْبَابُ الْحَيْلِ
فَبِهِمْ يَصَاحُ يُضْرَبُ الْمَثَلُ
مِنْ نِظَامٍ جَاءَ فِي أَنْهَى حُلُلِ
إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ
حَالَةٍ قَدْ أَذْهَشَتْ كُلَّ الْمَلَلِ
طَارِحاً مِنْ فِيكَ أَفْيُونُ الْكَسَلِ
عَابَتْكَ وَهِيَ مِنْكَ فِي خَجَلِ
فِي ظِلَالِ الْجَدِّ يَا نِعْمَ الظَّلَلِ
مَنْ يُلَازِمُهَا جَنَى أَحْلَى عَسَلِ
فِي لِبَاسٍ مِنْ ذِكَاةٍ مُرْتَجَلِ
ضَاقَ صَدْرِي وَنِدَائِي فِي فَشَلِ
مَنْ يُكَذِّبُهَا فَعْنُهُ لَا تَسَلِ
قَدْ حَكَى قَوْمٌ بِسُوءٍ وَهْبَلِ
قَدْ غَدَتْ مُنْقَادَةً مِثْلَ الْجَمَلِ
يَدْعُونَ الْمَجْدَ فَرْدًا وَجَمَلِ
يُرْضِيهِمْ خَالِقُهُمْ عَزَّ وَجَلِ
وَطَنَ الْأَمْجَادِ مِنْ كُلِّ بَطَلِ

كُنْتُ مِنْ أَرْضِ سَبَا بِالْيَمَنِ
مِنْ قَرَى مُتَّصِلٍ بُيَانُهَا
وَأَبَاةُ الضَّيْمِ تَحْمِيهَا فَمَا
مَزَقَ التَّفْرِيقُ فِيهَا شَمْلَهَا
فَانْهَضُوا يَا عُرْبُ لِلْعُلْيَا فَمَا
يَا حُمَاةَ الْجَارِ أَحْمُوا مَجْدَكُمْ
وَانْظُمُوا الشَّمْلَ كَنْظَمِ شِعْرِكُمْ
وَاَجْعَلُوا الْعِلْمَ الصَّحِيحَ حِلْيَةً
وَاسْتَرِدُّوهُ مِنَ الْغَرْبِ فَقَدْ
إِنَّ سَعْيَ الْمَرْءِ فِي نَيْلِ الْعُلَا
لَأَرَاظِي الْقُدْسِ فِي عِزٍّ جَلَلٍ
بِرِيَاظٍ وَبِهَا الشَّمْلُ اتَّصَلَ
يَطْمَعُ الْأَعْدَاءُ مِنْهَا بِالْوَشَلِ
وَيَفْقِدُ الْأَنْسِ طَرْفُهَا اِكْتَحَلَ
عِنْدَكُمْ مَأْوَى جَبَانٍ وَبَحَلَ
بِالْقَنَا مِنْ قَبْلِ سَوْفٍ وَلَعَلَّ
مِنْ بَسِيطٍ وَسَرِيعٍ وَرَمَلَ
فِي صُدُورٍ مَنْ تَحَفَّى وَانْتَعَلَ
كَانَ فِيكُمْ أَمْنًا ثُمَّ انْتَقَلَ
كَالْهَلَالِ كُلَّمَا سَارَ اكْتَمَلَ

(٤١٣)

ثُمَّ أَتَبَعْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِقَصِيدَةٍ ثَانِيَةٍ فِي تَعْلِيمِ الْإِنَاثِ فَقُلْتُ : [من الرمل]
خَيْرُ فَضْلٍ لِلْفَتَاةِ الْأَدَبُ
فَاجْعَلُوا نَدِيمَهَا صَنْعَتَهَا
إِنَّ مَنْ كَانَتْ بِغَيْرِ صَنْعَةٍ
فِي حُلُوقِ الْأَهْلِ تُمْسِي غُصَّةً
وَلَهَا عِلْمُ الْحِسَابِ زِينَةٌ
فَبِهِ تَعْرِفُ أَنَّ تَشْرِي وَلَا
وَلَهَا التَّارِيخُ أَبْهَى حِلْيَةٍ
تَذْكُرُ الْبُعْبُعَ وَالْغُولَ لَهَا
فَهُوَ عِزٌّ وَلَهُ تَنْتَسِبُ
فَهِيَ دَارُ مَجْدِهَا وَالْحَسَبُ
عَنْ رُبُوعِ أُنْسِهَا تَغْتَرِبُ
وَلَهُمْ مِنْ كُلِّ هَمٍّ تَجَلِبُ
إِنْ مَضَتْ لِشَأْنِهَا تَكْتَسِبُ
مَالُهَا فِي بَيْعِهَا يُتَهَبُ
فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ عَجُوزٍ تَكْذِبُ
فَتَظَلُّ مِنْ خَيَالٍ تَهْرُبُ

يَسْلُبُ التَّنْجِيمُ مِنْهَا مَالَهَا
كَمْ عَجُوزٍ بِالْخُرَافَاتِ لَهَا
كُلُّ شُؤْمٍ الْغَايِبَاتِ أَصْلُهُ
حُسْنُهَا تَذْيِيرُهَا مَنْزِلُهَا
إِنَّمَا الْمَنْزِلُ لِلْعَيْشِ سَمَا
فَإِذَا الْجَهْلُ سَرَى مِنْ دُونِهِ
وَضِيَاءُ الْعِلْمِ يَكْشُوهُ سَنًا
مَالُهَا تَحْفَظُهُ وَمَا لَهَا
وَالْعَفَافُ نِعَمَ مَلْبُوسٍ لَهَا
عَلَّمُوهَا قَوْمَنَا الْجُغْرَافِيَا
فِيهَا تَعْرِفُ حَدَّ قُطْرِيهَا
أَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْهَا طَالِبًا
لِنَرَى الْأَحْقَابَ مَعَ وَادِي سَبَا
وَدِيَارِ الْعُرْبِ مِمَّنْ قَدْ مَضَى
عِلْمُ تَقْوِيمِ الْبِلَادِ كَمْ بِهِ
أَتَرَى الْمَرْأَةَ مِنْهَا حُرِمَتْ
أَتَرِيدُ أَنْ تَرَى النُّجْمَ وَلَا
أَمْ تَقُولَ الْبَذْرُ حُوتٌ غَالَهُ
أَمْ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا مَا كُسِفَتْ
يَا رِجَالًا عَلَّمُوا غَادَتَكُمْ
عَلَّمُوهَا الْخَطَّ كَيْ تَبْقَى لَكُمْ

وَهِيَ فِي حَسْرَتِهَا تَتَحَبُّ
حِيلُ صَوْنِ الْفَتَاةِ تَسْلُبُ
جَهْلُهَا التَّارِيخَ وَهُوَ الْمَطْلَبُ
فَبِهِ تَسْمُو وَفِيهِ تُتَحَبُّ
وَالْغَوَانِي فِيهِ هُنَّ الْكَوَكَبُ
جَاءَهُ الْكَسْفُ وَمِنْهُ يَغْرُبُ
وَبِهِ الْمَنْزِلُ دَوْمًا طَيِّبُ
فِي سَوَى فِعْلِ الْجَمِيلِ مَذْهَبُ
سُنْدُسٌ فِيهِ طِرَارٌ مُذْهَبُ
عَلَّهَا عَنْ دَارِهَا تَغْتَرِبُ
وَبُنُودًا قَدْ حَوَتْهَا الْكُتُبُ
سَيَرْنَا فِي الْأَرْضِ لَيْسَ يَذْهَبُ
وَتُمُودٌ لِلْجِبَالِ نَقُبُوا
دَرَسَتْ آثَارُهُنَّ الْحَقَبُ
كُتِبَ لِلْمُسْلِمِينَ تَكْتُبُ
يَا دَعِيَ الْعِلْمِ أَنْتَ السَّبَبُ
تَعْرِفَ السَّيْرَ وَمَا يَنْقَلِبُ
وَحَجِيجُ الْقَوْمِ فِيهِ يُغْلَبُ
غَرِقَتْ فِي الْيَمِّ إِذْ تَخْتَجِبُ
إِنَّهَا فِي الدَّارِ أُمٌّ وَأَبُ
أَثَرًا وَالنَّسْلُ مِنْهَا يُنْجَبُ

إِنَّهَا الْمَدْرَسَةُ الْأُولَى لَهُ
 فَلَهَا صَوْنٌ وَمَجْدٌ بَادِحٌ
 وَبِهِ تَأْمَنُ غِشَّ الْبَاعَةِ
 حَسُنُوا أَخْلَاقَهَا كَيْلَا يَكُنْ
 زَوْجُوهَا مِنْ لَيْبٍ مِثْلِهَا
 وَغُرُورُ الْمَرْءِ بِالْمَالِ لَهُ
 إِنَّمَا الْفِتْنَةُ عِنْدَ الْعُقْلَا
 كَمْ فَقِيرٍ سَيِّدٌ مِنْ عِلْمِهِ
 إِنْ تُنَادِمُهُ تَجِدُهُ صَخْرَةً
 وَمُهِوْرُ الْغَانِيَاتِ وَضَعُهَا
 يَأْنِسُ الْأَهْلُ بِهِ وَالزَّوْجُ لَا
 وَضَعُهَا فِي الْجَاهِلِينَ نَقْمَةً
 تَحْشَرُ النَّسْلَ وَتَبْقَى فِي عَنَا
 إِنْ حَشَرَ الْمَرْءُ مَعَ أَضْدَادِهِ
 اِرْفَعُوا عَنْهَا حِجَابَ جَهْلِهَا
 إِنْ مَنْ كَانَتْ بِهَا عِلْمٌ وَلَا
 فِي الدُّنْيَا وَالْآذَى يُوقِعُهَا
 كُلُّ شَرٍّ فِي الْبَطَالَاتِ أَتَى
 قَدْ مَحَضَتْ النَّصْحَ فَالْعَاقِلُ يَسْمَعُهُ وَقَدْ حَدَاهُ الطَّرَبُ
 وَنِظَامِي لِلَّذِي يَنْغِي الْهُدَى

وَقُلْتُ أَتَذَكَّرُ أَيَّامَ الْأَحْبَابِ :

[من الرمل]

لازمة

يَا رَعَى اللَّهِ زَمَانًا سَلَفًا بِرُيُوعِ الشَّامِ وَقْتِ الْغَلَسِ
فِيهِ وَقْتِي طَابَ مَعَ أَهْلِ الْوَفَا وَكُؤُوسِ الْوُدِّ فِيهِ نَحْتَسِي

دور

زَادَنِي الْبُعْدُ الْأَلِيمُ وَصَبَا وَغَرَامًا كُنْتُ عَنْهُ فِي رِضَا
وَلَهَا الْفُؤَادُ مَالَ وَصَبَا رَاضِيًا فِي حُكْمِهِ وَمَا قَضَى
أَنْشَقُ النَّشْرَ إِذَا هَبَّتْ صَبَا مِنْ دِيَارِ بَدْرُهَا فِيهَا أَضَا
لَسْتُ أَبْغِي مِنْ سِوَاهَا خَلْفًا لَا وَلَا ثَوْبَ السُّلُوكِ أَكْتَسِي
كَيْفَ أَنْسَى عَهْدَ أَيَّامِ الصِّفَا وَزَمَانًا فِيهِ جَبِّي مُؤْنَسِي

دور

رُبُّ رَبِّي فِي وَادِي النَّقَا أَحْوَرُ الطَّرْفِ أَغْنَى أَغِيدُ
شَمْسُ حُسْنٍ بِالْجَمَالِ أَشْرَقَا مِنْهُ ضَاءَ الْبَدْرِ ثُمَّ الْفَرْقَدُ
فَاقَ أَرْبَابَ الْجَمَالِ رَوْنَقَا وَهُوَ مِنْ بَيْنِ النُّجُومِ الْأَسْعَدُ
عِيْلَ صَبْرِي مِنْ جَفَاهُ شَغَفَا حِينَ سَارَ الْوَجْدُ مَجْرَى النَّفْسِ
بِتُّ فِي لَيْلِي وَطَرْفِي مَاغَفَا وَكُؤُوسَ الْوَجْدِ فِيهِ أَحْتَسِي

دور

ظَبِيَّةٌ مِنْ آلِ غَسَّانَ لَهَا مَرْتَعٌ مَا بَيْنَ عِلْمٍ وَأَدَبِ
مَا رَأَاهَا نَاسِكٌ إِلَّا لَهَا لِلْجَوَى وَالْوَجْدِ صَلَّى وَاقْتَرَبِ

فِي سَبَا قَدْ قَلَدْتَ مَجْدَ الْعَرَبِ
وَرِدَاءَ الْبُرِّ فِيهِ أَكْتَاسِي
لَسَرَيْتُ نَحْوَهَا فِي الْغَلَسِ

وَبُنُو بَلْقَيْسَ قَالُوا إِنَّهَا
أَهْ لَوْ كَانَ زَمَانِي مُسْعِفَا
وَمَكَانَ مَرَضِي حَلَّ الشُّفَا

دور

بَيْنَ وَرْدٍ وَرِيَاضٍ وَشَجَرٍ
فَوْقَ حَصْبَاءَ تَلَالُ كَالدُّرَرِ
وَعَلَى الرَّبْوَةِ تَاهَ وَافْتَحَرُ
وَاكْتَسَتْ أَرْجَاؤُهُ مِنْ سُنْدُسٍ
حَدَقْتُ فِيهِ عُيُونُ النَّرْجِسِ

يَا رَعَى اللَّهُ عُهُودَ النَّيْرِينِ
مَاؤُهُ يَنْسَابُ أَمْثَالَ اللَّجِينِ
قَدْ سَمَا بِالْحُسْنِ أَعْلَى الشَّرَفَيْنِ
سَارَ فِيهِ الْبَسْطُ وَالْقَبْضُ اخْتَفَى
وَالرَّقِيبُ طَرَفُهُ لَمَّا غَفَا

دور

مِنْ دِمَشْقَ فِي رِيَاضٍ وَنَهْرٍ
فَتَلَطَّيْتُ بَعْدَ بُعْدِي بِالشَّرَرِ
مَلِكُ أَنْتَ وَمَا أَنْتَ بِشَرٍ
يَلْثَمُ الْأَقْدَامَ كَالْمُخْتَلِسِ
وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسٍ

يَا عُيُونَ الْغَيْدِ فِي أَعْلَى الشَّرَفِ
لَحْظُكَ الْفَتَانُ قَلْبِي اخْطَفَ
مَلِكُ الْجَمَالِ بِالْحُسْنِ اعْتَرَفَ
وَعُصَيْنُ الْبَانِ نَحْوَكُ هَفَا
تَسْرِقُ الْأَغْصَانُ مِنْكَ الْهَيْفَا

دور

وَيَعُودُ شَمْلُنَا مُجْتَمِعَا
وَكُؤُوسَ الْوُدِّ نُسْقِي جُرْعَا
نَجْمَعُ الْآدَابَ وَالْعِلْمَ مَعَا
فَزَمَانَ الْوُدِّ مِنَّا مَا نُسِي

فَمَتْنِي يَا شَمْسُ نَحْطِي بِاللِّقَا
وَيَذُودُ الْجَفْنُ عَنْهُ الْأَرْقَا
وِظْلَامُ الْبُعْدِ يَبْدُو مُشْرِقَا
فَكَفَانَا مَا نُقَاسِيهِ كَفَى

لَيْلُنَا نَنْهَبُ مِنْهُ زُلْفَا وَالرَّقِيبُ مُمَعِنٌ فِي الْهَوَسِ

دور

بَعْدَكَ الْقِرْطَاسُ صَارَ لِي نَدِيمٌ فِيهِ أَلْهُو عَنْ هِيَامِي وَالْقَلَقُ
وَخَيَالِي فِي بَوَادِيهِ يَهِيمُ فِي نَهَارِي وَاللَّيَالِي فِي قَلَقُ
بَشْدَا الْأَخْبَابِ إِنْ جَاءَ النَّسِيمُ نَظَمَ الْبُشْرَى لَدَيَّ فِي نَسَقُ
وَأَتَانِي بِالْوَفَاءِ طُرْفَا تَتَهَادَى فِي أَعَزِّ مَلْبَسِ
وَتَبَدَّى شَمْلُنَا مُؤْتَلَفَا وَزَمَانَ الْبُعْدِ عَنَّا قَدْ نُسِي

(٤١٥)

وَقُلْتُ سَانِحَةٌ :

[من الكامل]

يَا زَمَنَ الْمَأْمُونِ عَوْدُكَ أَحْمَدُ طُوبَى لَأَنْفَاسٍ بِهِ تَتَرَدَّدُ
قَدْ كُنْتَ رَبْعَ الْعُلَمَاءِ الْحُكْمَا فِي كُلِّ فَنٍّ فَضْلُهُمْ لَا يُجْحَدُ
دَارَ السَّلَامِ كُنْتَ شَمْسًا فِي الضَّحَى كُلُّ الْأَنَامِ بِفَضْلِهَا تَسْتَرْشِدُ
وَالْوَقْتُ زَاهٍ وَالسَّلَامُ زَاهِرٌ وَالْأُنْسُ فِيهِ وَالْمَعَايشُ تُحْمَدُ
وَيَقُولُ كُلُّ مُهَذَّبٍ فِي طَبْعِهِ بِاللهِ يَا زَمَنَ الصِّفَا لَا تَبْعُدُ
قَدْ حَسَدَتْكَ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ عَلَى تِلْكَ الْمَعَالِي وَتَلَاهَا الْفَرْقَدُ
حَتَّى رُمِيتَ بِالتَّارِ فَأَصْبَحْتَ نُعْمَاكَ بُؤْسًا وَالرَّدَى يَتَجَدَّدُ
وَالْقَتْلُ عَمَّ السَّاكِنِينَ بِرَبْعِهَا وَالْعِلْمُ بَاكِ عَيْنُهُ لَا تَجْمَدُ
وَمِيَاهُ دِجْلَةَ بِالْدمَاءِ أَشْكَلَتْ وَجُيُوشُ أَهْلِ الْإِنْتِقَامِ تُعْرِبُدُ
لِلَّهِ كَمْ مِنْ كُتُبٍ قَدْ أُغْرِقَتْ مِنْ فَقْدِهَا لِلْعِلْمِ طَرْفُ أَرْمَدُ
فَمُصَابُ بَغْدَادَ لَهُ أَسْفَ الْوَرَى وَلِلْهَوْلِ مَا قَدْ حَلَّ يَبْكِي الْجَلْمَدُ

مِنْ بَعْدِهِ الْفِتْنُ الْعَظِيمَةُ أَقْبَلْتُ
يَادَهُرُ كَمْ مِنْ نَكْبَةٍ مِنْ أَجْلِهَا
وَالشَّامُ مِنْ تَيَمُورٍ قَدْ مُنِيتَ بِمَا
لِلَّهِ فِي هَذِي الْخَلِيقَةِ حِكْمَةٌ
وَسُيُوفُ أَهْلِ الْبَغْيِ فِيهَا تُوقِدُ
عَيْنُ الْحَكِيمِ لِهَوْلِهَا لَا تَرْقُدُ
بَصَائِفُ التَّارِيخِ طُرّاً تُسْرِدُ
تَدْعُ الْمُهْذَبَ فِكْرُهُ يَتَبَلَّدُ

(٤١٦)

وقلت في واقعة حال :

[من الكامل]

يَا شَمْسَ أَفْلَاكِ الْجَمَالِ الزَّاهِرَةِ
الشَّمْسُ أَجْمَلُ مَا تَكُونُ إِذَا بَدَتْ
إِنَّ التَّعَقُّفَ فِي الْقُلُوبِ مَكَانُهُ
وَمَقَالُ أَهْلِ الْإِفْكِ لَمْ تَعْبَأْ بِهِ
لَمْ يَزِمِ بِالْفَحْشَاءِ نَفْساً حُرَّةً
مَنْ قَالَ إِنَّ الْمِسْكَ لَا رِيحَ لَهُ
لَا تَأْسَفِي يَا دُرَّةً مِنْ إِفْكِهِمْ
وَفَخَّارَ رَبَّاتِ الْوُجُوهِ السَّافِرَةِ
لِلْعَيْنِ فِي وَسْطِ النَّهَارِ ظَاهِرَةِ
لَا بِالمُلَاءَةِ وَالْبَرَاقِعِ سَاتِرَةِ
نَفْسٌ لَهَا شَرَفُ الْعَفَافِ طَاهِرَةِ
إِلَّا حَسُودٌ ذُو طِبَاعٍ خَاسِرَةِ
أَكْذَبُهُ فِي الْحَالِ رِيحٌ عَاطِرَةِ
أَنْتِ الْفَرِيدَةُ فِي الْمَزَايَا الْفَاحِرَةِ

(٤١٧)

وقلت مؤرخاً :

[من الكامل]

بُشْرَى رَشِيدٍ فِي كَمَالِ سُعُودِهِ
بَذَرٌ بَدَأَ فِي أَسْعَدِ الْأَوْقَاتِ قَدْ
وَالْوَقْتُ بَشَرْنَا بِطِيبِ وُرُودِهِ
بِالْعِزِّ وَالْإِقْبَالِ وَافَى وَالثَّنَا
بِنُصُوحِ التَّارِيخِ (زَاهٍ لِلْعُلَا
وَلَهُ الْهَنَاءُ بِنَجَابَةِ مَوْلُودِهِ
وَافَى كَعِطْرِ النَّدِّ طِيبُ وُرُودِهِ
يَخِيَا سَعِيداً مُنْعَمًا بِوُجُودِهِ
وَلَهُ الْمُهْنَى قَائِلًا لِرَشِيدِهِ
قَمَرٌ تَكَامَلَ فِي سَمَاءِ سُعُودِهِ

(٤١٨)

وقلتُ مُودِّعاً الدُّكتورَ حُسْنِي بِكَ سَبِّحْ لَمَّا سَافَرَ إِلَى بَارِيزَ : [من الكامل]

سَافَرْتَ يَا حُسْنِي بِأَيْمَنِ طَالِعِ لِلْمَجْدِ تَسْتَصْفِي عُلُومَ الْمَغْرِبِ
وَتَعُودُ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي أَوْجِ الْعُلَا فَالشَّرْقُ يَرْقُبُ مِنْكَ أَهْنَا مَطْلَبِ
نَلْتَ الْفَخَارَ الْمُرتَجَى يَا شَرْقُ إِذْ أَوْجَدْتَ فِي أَهْلِكَ كُلَّ مُهَذَّبِ
وَلَسَوْفَ فِي حُسْنِي جَمَالُكَ وَالْهَنَا يَتَكَامِلَانِ فَطَبَّ بِأَعْلَى كَوَكَبِ

(٤١٩)

وكتبتُ إِلَى أَنَسَةِ مَسِيحِيَّةٍ دَخَلَتْ مَدْرَسَةَ الطَّبِّ : [من الرمل]

أُبْشِرِي يَادُرَّةَ الْغَوَاصِ إِذْ صِرْتَ بِالْعِلْمِ تُبَاهِي النُّجَبَا
فَاسْهَرِي اللَّيْلَ لِإِذْرَاكِ الْعُلَا وَاجْعَلِي الْمِدْرَاسَ أُمًّا وَأَبَا
إِنَّ فَنَّ الْكِيمِيَاءِ زَاهِرٌ إِذْ غَدَا لِلْأَنَسَاتِ نَسَبَا
فَارْتَقِي لِلطَّبِّ وَانْحِي نَحْوَهُ فَهَوَ أَرْقَى وَأَجَلُّ حَسَبَا
إِنَّهُ لِلْأَنَسَاتِ شَرَفٌ وَعَلَيْهِنَّ دَرُسُهُ قَدْ وَجَبَا

(٤٢٠)

وقلتُ أَيْضاً فِي شِكْوَى الزَّمَانِ : [من البسيط]

قَضَيْتُ عُمْرِي فِي جَهْدٍ وَفِي تَعَبٍ وَمَا حَصَلْتُ بِهِ يَوْماً عَلَى أَمَلٍ
وَعِشْتُ مُنْفَرِداً فِي كِسْرِ مَدْرَسَتِي كُتِبِي نَدِيمِي فِي حِلِّي وَمُرتَحَلِي
مَنْ يَأْخُذُ الْعِلْمَ عَنِّي صَارَ يَحْسُدُنِي وَيَبْتَغِي فُرْصَةً لِلْسَّعْيِ فِي فَشَلِي
يَطْوِي الْمَحَاسِنَ وَالزَّلَّاتُ يَنْشُرُهَا إِنْ غَابَ عَنِّي سَعَى بِالْكِدِّ وَالْحِيلِ

يُسَدِّدُ السَّهْمَ كَيْ يَزِمِي بِهِ شَرَفِي كَأَنَّهُ مِنْ رُمَادٍ مِنْ بَيْتِي تُعَلِّ
فَاللَّهُ حَسْبِي عَلَى هَذَا الزَّمَانِ فَقَدْ حَلَبْتُ شَطْرِيهِ مِنْ صَابٍ بِلا عَسَلٍ

(٤٢١)

وقلتُ أيضاً: [من مجزوء الكامل]

سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الحُظُوفُ ظَ بِحُكْمِهِ بَيْنَ البَشَرِ
هَذَا غِنًى مُكْرَمٌ وَذَا فَقِيرٌ مُحْتَقَرٌ
وَجَاهِلٌ مُعَزَّزٌ وَعَالِمٌ فِيهِ احْتَقَرُ
يُمَسِّي بِلا مَأْوَى وفي حَيَاتِهِ عَلَى خَطَرُ

(٤٢٢)

وقلت: [من مجزوء الكامل]

إِنَّ بِـلَاداً طَبَعُهَا بُغْضُ العُلُومِ وَأَهْلِهَا
هِيَئَاتَ أَنْ تَرْقَى وَأَ نَّ الدَّهْرَ يَجْمَعُ شَمْلَهَا

(٤٢٣)

وقلتُ: [من مجزوء الرجز]

وَعَادَةَ تَسْأَلُنِي مَا الْجَبْرُ مِنْ فَنِّ الحِسَابِ
فَقُلْتُ يَا كُلَّ المُنَى أَنْ تَرْفَعِي عَنَّا الحِجَابِ

(٤٢٤)

[وقلت]: [من الرجز]

أَصْعَبُ مَا لَقِيْتُهُ فِي مَرَضِي مُطْلُ الَّذِي يَعُودُنِي فِيمَا أُرِيدُ
يَخْرُجُ عَنِّي وَهُوَ يُضْمِرُ الجَفَا والانتظارُ قَالَ لِي هَلْ مِنْ مَزِيدُ

(٤٢٥)

أيضاً:

[من المحدث]

نَفْسِي سَمِثْتُ فِي الْمُسْتَشْفَى
مَنْ يَدْخُلُهُ لَيْسَ يَشْفَى
وَالْحَقُّ لَهَا فِي أَنْ تَسَامَ
وَمِنْ الْخُدَامِ يَتَأَلَّمُ
سَعِدْتُ أَيَّامُ تَارِكِهِ
وَإِلَى اللَّهِ الْبَارِي سَلَّمَ

(٤٢٦)

وقلتُ:

[من الرمل]

يَا صَبَاحاً كَانَ فِيهِ مَرَضِي
قَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَوْدَائِي الْجَفَا
هَلْ أَرَى فِيكَ الشِّفَاءَ زَائِرِي
وَلَهُمْ تَمَلُّقٌ فِي الظَّاهِرِ

(٤٢٧)

وقلتُ على لِسَانِ الْحَيَوَانَاتِ :

[من الرمل]

جَاءَ قَوْمٌ غَابَ ضِرْغَامُ ضُحَى
وِظِلَالُ الدَّوْحِ فِيهِ انْبَسَطَتْ
وَشَذَا الْأَزْهَارِ يَحْكِي لَهُمْ
فَرَأَهُمْ أَسَدُ الْغَابِ بِهِ
أَظْهَرَ النَّوْمَ لَهُمْ مِنْ كَرَمٍ
وَتَلَهَّى كَيْ يُرِيهِمْ أَنَّهُ
كُلُّ شَيْءٍ قَدْ جَرَى
هَكَذَا الدَّهْرُ يُعَادِي

يَقْطِفُونَ ثَمَرَاتِ الشَّجَرِ
وَبِهِ رَاقِبَتُ مِأَةِ النَّهْرِ
نَفْحَةُ الْمِسْكِ وَطِيبَ الْعَنْبَرِ
فَأَزَالَ مَا بِهِ مِنْ ضَجَرٍ
كَيْ يَأْمَنُوا مِنْهُ مَكَانَ الضَّرَرِ
كَانَ يَشْكُو مِنْ عَنَاءِ السَّهْرِ
لِي لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْغَرِيبِ
كُلُّ مِقْدَامٍ لِيَبِ

طَمِعَ الْقَوْمُ بِهِ فَارْتَكَبُوا
وَأَتَوْهُ وَاسْتَحَلُّوا ضَرْبَهُ
فَأَسَالُوا دَمَهُ مِنْ رَأْسِهِ
وَمَضَوْا عَنْهُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
صَبَرُوا اللَّيْثَ زَمَانًا فَبَرَا
وَعَدَا يَخْطُرُ فِي بُسْتَانِهِ
فَأَتَاهُ الْقَوْمُ فِي أَعْذَارِهِمْ
قَالَ إِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ
وَجِوَارُ الْوَحْشِ أَهْنَا مَوْرِدَا
فَاسِدُ الْأَخْلَاقِ لَا تَأْمَنُ لَهُ
لَيْسَ يُرْمَى بِالْحَجَارَةِ سِوَى
كُلَّمَا هَذَبْتَ قَدْماً فَاسِداً
طِينَةُ النَّاسِ اللَّثَامُ عُجِنَتْ
وَأَنْشَى الضَّيْعَمُ عَنْهُمْ قَائِلاً

فِي الْفَعَالِ سَيَّاتِ الْمُفْتَرِي
وَهُوَ يُبْدِي أَنَّهُ لَمْ يَشْعُرِ
فَبَدَا الْجِسْمُ بِلَوْنٍ أَحْمَرِ
قَدْ أَتَوْا فِعْلاً حَمِيدَ الْأَثَرِ
وَمَضَى عَنْهُ زَمَانُ الْخَطَرِ
فِي عُيُونٍ قَدْ رَمَتْ بِالشَّرَرِ
يَرْتَجُونَ الْعَفْوَ مِنْ مُقْتَدِرِ
إِنَّمَا الْعَذْرُ طِبَاعُ الْبَشَرِ
مِنْ جِوَارٍ فَاسِدٍ فِي نَظَرِي
وَاحْتَرَسَ مِنْهُ بِحِصْنِ الْحَذَرِ
شَجَرٍ قَدْ أَيْنَعَتْ بِالثَّمَرِ
عَادَ فِي؟؟؟ كَالْحَجَرِ
بِمِيَاهِ مَكْرِهِمْ وَالْبَطَرِ
لَيْتَكُمْ كُتِّمَ رَهِينَ الْحَفَرِ

(٤٢٨)

[من الرمل]

وقلت موشحاً في واقعة حال :

لازمة

كَانَتِ الْمَرَأَةُ فِي رَوْضٍ نَضِيرُ
فَاحَ مِنْ أَزْهَارِهِ نَفْحُ الْعَبِيرُ
وَمُحَيَّاها الْبَدِيعُ مُسْفَرُ
وَهِيَ فِي كُتُبِ الْفُنُونِ تَنْظُرُ

دور

فَأَتَى شَيْخٌ إِلَيْهَا نَاصِحَا
بِعُيُونٍ حَمَلَقَتْ بِالنَّظَرِ

(فِكْرُكَ ضَلَّ فِي الْعُلُومِ سَابِحًا)
 قَالَ إِنِّي لَمْ أَكُنْ مُسَامِحًا
 إِنَّمَا الْمَرَأَةُ عَقْلُهَا قَصِيرُ
 فِي قَوَامٍ فَاتِنٍ حِينَ تَسِيرُ
 إِنَّ فِي فِعْلِكَ عَيْنَ الضَّرْرِ
 كَشَفَ وَجْهَ ذِي جَمَالٍ أَزْهَرَ
 هَكَذَا عَنْهَا الثَّقَاتُ أَخْبَرُوا
 عَنْ مُرَادِ النَّفْسِ لَيْسَ تَصْبِرُ

دور

قَالَتِ الْغَادَةُ أَيُّهَا الْمُلِيمُ
 قَدْ سَلَبْنَا اللَّبَّ مِنْ كُلِّ حَلِيمٍ
 وَمَلَكْنَا مِنْ دَهَائِنَا الْحَكِيمِ
 يَا تُرَى مَنْ هُوَ فِي عَقْلِ يَسِيرُ
 حَكِّمُوا عُقُولَكُمْ فِيمَا يَصِيرُ
 أَنْتَ مِنْ آلِ سَبَا أَمْ آلِ هُودُ
 بِذَكَاءٍ لَا يُرَى فِيهِ جُمُودُ
 فَأَنْتُمْ بِالْأَسْرِ مِنَّا فِي قُيُودُ
 نَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ أَلَا فَاعْتَبِرُوا
 وَارْجِعُوا عَنْ غَيِّكُمْ وَارْذَجِرُوا

دور

بَيْنَنَا مَدْرَسَةٌ طُوبَى لَهَا
 جَهْلُنَا أَوْلَادَنَا يُذِلُّهَا
 يَا جَهُولًا عَنْ عُلُومٍ قَدْ نَهَى
 أَنْتَ فِي غَيٍّ وَفِي سُوءِ الْمَصِيرِ
 لَسْتَ فِي شَأْنِ الزَّمَانِ بِخَبِيرِ
 إِنَّ تَكُنْ مَعْمُورَةً يَعْلَمِنَا
 وَنَرَى شَقَاءَهُمْ مِنْ ظُلْمِنَا
 غَادَةٌ تَرْجُو نَجَاحَ قَوْمِنَا
 وَحَقُّودٌ وَأَذَانَا تُضْمِرُ
 لِلنَّصُوحِ عَقْلُكَ يَفْتَقِرُ

دور

كَشَفِي الْوَجْهَ وَسَتْرُهُ سَوَاءُ
 عَقْلُ مَنْ كَانَتْ بِجَهْلٍ كَالْهَبَاءِ
 يَغْشَقُ النَّاطِرُ مَا يُخْفِي الْغِطَاءُ
 إِنِّي أَنْتَنِي فَحَسَّنْ يَا سَمِيرُ
 إِنَّ أَكُنْ عَفِيفَةً مُهَذَّبَةً
 أَسْفَرَتْ أَوْ أَصْبَحَتْ مُخْتَجِبَةً
 وَالظُّهُورُ لِلْمَلَالِ مُقَرَّبَةً
 لِي عُلُومِي فِيهَا أَسْتَرُ

وَعِطَاءُ الْوَجْهِ لَا يُجْدِي نَقِيرُ عَنْ فَتَاةٍ جَهْلَهَا مُسْتَكْثِرُ

دور

بُهِتَ الشَّيْخُ وَغَشَاهُ الْحَجَلُ
إِنَّمَا الْغَادَاتُ أَتَقَنَّ الْجَدْلُ
لَيْسَ عِنْدِي مِنْ جَوَابٍ بِالْعَجَلُ
وَأَرِيكَ النَّصَّ كَالْبَدْرِ الْمُنِيرُ
وَتَوَلَّى وَالْفُؤَادُ فِي سَعِيرُ
وَتَنَى عِطْفِيهِ تِيهًا ثُمَّ قَالَ
قَوْلُهُنَّ يَسْلُبُ عَقْلَ الرَّجَالِ
أَسْبُرُ الْإِسْفَارَ فِي جُنْحِ اللَّيَالِ
وَإِلَيْكَ بِالْجَوَابِ أَخْضِرُ
قَائِلًا سِحْرُ الْفَتَاةِ يُؤْثِرُ

(٤٢٩)

وقلت :

[من مجزوء الرجز]

كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مُسْفِرَةً
آدَابُ تِلْكَ مُثْمِرَةً
جَهْلُ ذَوَاتِ الْأَسْوَرَةِ
يَبُتُّ الرَّجَالِ دَمَرَةً
تَسْتُرُهُنَّ حَبَرَةً
وَالجَاهِلَاتُ مُحْضِرَةً
فَالجَاهِلُ مَا أَفْقَرُهُ
أَعَفَّ مِنْ مُحْتَجِبَةٍ
وَهَذِهِ كَالْعَقَرَةِ
أَضَلُّ الْبَلَا وَالْمَثَرَةِ
بُنْتُ الدَّلَالِ الْمُعْجَبَةِ
لِلْمُؤَبَقَاتِ مَجْلِبَةٍ
مِنْ الْفَسَادِ أَغْرَبَةٍ
لِلْعُقْلِ قَبْلَ التَّجَرِبَةِ

(٤٣٠)

وقلت :

[من مجزوء الرجز]

لَيْتَ شُعَاعَ «رَتِّكِن»
لِيَكْشِفَ السَّرَّ الْمُخْبَى
سَارَ مَسِيرَ الْأَرْتَقَا
أَفِي صُدُورِ الْأَصْدِقَا

(٤٣١)

وقلت:

[من الرجز]

الْفَالُ وَالزَّجْرُ وَفَنُّ الطَّيْرَةِ
لَيْسَحَرُوا الْغَرَّ الضَّعِيفَ عَقْلُهُ
مَا صَدَّقَ التَّنْجِيمَ إِلَّا أَبْلَهُ
مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْخُرَافَاتِ لَهَا
كُنْ طَالِبَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَانْحُهُ
أَقْوَالُ قَوْمٍ مِنْهُمْ مُبْتَكِرَةٌ
وَيَخْدَعُوهُ كَخِدَاعِ السَّحَرَةِ
مِنْ رِجَالِ جَاهِلِينَ أَوْ مَرَّةٍ
أَصْلُ أَصِيلٌ فَهُوَ مِثْلُ الْبَقَرَةِ
كَيْلًا تَكُونُ لِلْحَكِيمِ مَسْخَرَةٌ

(٤٣٢)

وقلتُ:

[من الرمل]

قَدَّرَ اللَّهُ وَمَآشَاءَ فَعَلْ
لَا تَقُلْ لَوْ أَنَّنِي أَوْ لَيْتَنِي
إِنْ تَثِقَ بِاللهِ فِي دَاءٍ أَتَى
لَيْسَ هَذَا مِنْ أَفَاعِيلِ رُحْلٍ
فَهُوَ مِنْهُ لِلشَّيَاطِينِ مَحَلٌّ
عَنْ قَرِيبٍ تَجِدِ الدَّاءَ رَحْلٌ

(٤٣٣)

وقلتُ في شُكْوَى الزَّمَانِ:

[من الرمل]

لَا تَلُمُ رَسُولَكَ فِي بُطْئِهِ
دَهْرُنَا دَهْرُ الْغَيْبِ الْجَاهِلِ
حِكْمَةٌ لَمْ نَذِرْ مَا أَسْبَابُهَا
وَلَمْ الْحِظُّ وَأَفْعَالُ الزَّمَنِ
وَالْعَلِيمُ صَارَ مِنْهُ فِي مِحْنٍ
حَيَّرَتْ أَهْلَ الْعُقُولِ وَالْفِطَنِ

(٤٣٤)

وقلت:

[من البسيط]

يُقَالُ بِالْجِدِّ يَبْغِي الْمَرْءُ حَاجَتَهُ وَإِنْ تَكَاسَلَ لَمْ يُدْرِكْ لَهَا أَثَرَا
لِي حَاجَةٌ بِالْمَسَاعِي كُنْتُ أَطْلُبُهَا دَهْرًا طَوِيلًا وَلَا أُلْفِي لَهَا خَبْرَا

(٤٣٥)

وقلتُ:

[مجزوء الرمل]

رَبِّهُ الْحُسْنِ سَبْتَنَا بِاللَّحَاطِ الْجُودِرِيَّةِ
شَارَكْتُ أَهْلَ الْعُلُومِ بِالْفُنُونِ الصَّيْدَلِيَّةِ

(٤٣٦)

أيضاً:

[من مجزوء الرمل]

يَا ذَوَاتِ الْخِذْرِ هُبُّوا لِلْعُلُومِ وَأَطْلُبُوهَا
نَسَلُكُمْ يَزْدَادُ نُبْلًا وَعَلَى الْجَهَّالِ تِيهَا
إِنَّمَا الْعَادَاتُ رُكْنٌ فِي الْبُيُوتِ عَمَرُوهَا
يَا مَصَايِحَ الدِّيَارِ اخْذَرُوا أَنْ تُطْفِئُوهَا
مَانِعُ التَّغْلِيمِ عَنْكُمْ جَاهِلٌ يُمَسِّي سَفِيهَا

(٤٣٧)

وقلت:

[من الكامل]

فَلَسَفَةُ الْيُونَانِ قَدْ هَذَبَهَا قَوْمٌ وَجَاءَ غَيْرُهُمْ بِفَلَسَفَةٍ
وَالْكُلُّ حَيْرَ فِكْرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ دَهْرٌ خَوْوُنٌ ذُو دَهَاءٍ وَسَفَةٍ

(٤٣٨)

أَيْضاً:

[من الرمل]

كُنَّا مُتَّبِعٌ أَهْوَاءَهُ	يَجْذِبُ الشَّرْعَ إِلَى مُرَادِهِ
فَالْيَهُودُ حَرَفَتْ تَوْرَاتَهَا	وَسِوَاهُمْ ضَلَّ فِي الْحَادِ
وَالْحَنِيفِيُّ غَدَا مُؤَوَّلًا	شَرْعَهُ فَحَادَ عَنْ رَشَادِهِ
فَالزَمُوا كِتَابَ رَبِّ قَادِرٍ	وَاتْرُكُوا الْمُحْتَالَ فِي عِنَادِهِ

(٤٣٩)

وقلت أيضاً:

[من الوافر]

مُحَيَّا النَّاسِ لِلْفَطَنِ الْأَرِيبِ	يَشِفُّ عَنِ الْمُخْبَا فِي الْقُلُوبِ
فَكَمْ فِي اللَّحْظِ مِنْ سِرٍّ دَقِيقِ	يُجَلِّي مَا تَسْتَرَّ عَنْ قَرِيبِ
وَلِلْقَلْبِ إِلَى الْقَلْبِ اتِّصَالٌ	بِهِ يَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ الْعَجِيبِ
مَدَارِكُهُ تَسَامَتْ فِي سَنَاهَا	وَنُورُ الْعَقْلِ كَشَّافُ الْغُيُوبِ
فَنَفْسُكَ أَعْجَبُ الْأَشْيَاءِ يَا مَنْ	يُرِيدُ الْكَشْفَ عَنْ سِرٍّ غَرِيبِ

(٤٤٠)

وَلَمَّا كَانَ قَبْرُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ فِي بُسْتَانِ الْمُسْتَشْفَى، وَكَانَ قَرِيباً
مِنِّي لَمَّا كُنْتُ فِيهِ، تَذَكَّرْتُ هَذَا الْجَوَارَ، فَقُلْتُ:

[من مجزوء الرمل]

ابْنُ تَيْمِيَّةَ جَارِي	وَأَنَا مِنْهُ قَرِيبِ
كُتِبَ قَدْ أَبْعَدُوهُمَا	عَنْهُ فَالْأَمْرُ عَجِيبِ
قَامَ فِي سِجْنِ الْأَعَادِي	مُفْرِداً عَنِ الْقَرِيبِ

يَشْتَكِي مِنْ ظُلْمِهِمْ
وَإِذَا سَجَنِي دَائِي
وَالْأَخْلَاءُ جَفَوْنِي
لَا كِتَابَ الْيَوْمِ عِنْدِي
كُلُّ شَيْءٍ قَدْ جَرَى لِي
هَكَذَا الدَّهْرُ يُعَادِي
حِينَ لَا تَمَّ مُجِيبُ
فِيهِ قَدْ حَارَ الطَّيِّبُ
مُغْنِينَ فِي الْمَغِيبِ
لَا وَلَا خِلُّ أَرِيبُ
لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْغَرِيبِ
كُلُّ مِقْدَامٍ لَيْبُ

(٤٤١)

وَقُلْتُ مُهَنَّا رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ رَضَا بِكَ سَعِيدَ بَوَازِرَةِ الْمَعَارِفِ بِدَوْلَةِ
سُورِيَّةِ : [من الكامل]

بُشْرَى لَنَا إِذْ مَجَّدْنَا الزَّاهِي سَمَا
وَبَدَا لِسُورِيَا الْجَمَالَ بِمَظْهَرِ
لِلَّهِ دَرْكُ يَا زَمَانَ السَّعْدِ إِذْ
هُوَ شَمْسُنَا وَكَوَاكِبُ الْعُلَمَاءِ بِهِ
وَالْمَعْهَدُ الطَّبِّيُّ حَازَ مَفَاخِرًا
أَضْحَى الْمُشَارَ إِلَيْهِ مَا بَيْنَ الْمَلَا
وَالْمَجْمَعُ السُّورِيُّ جَمَعَ شَمْلَهُ
بِالْجَازِبِيَّةِ قَدْ حَكَمْتَ عَلَى الْفَضَا
وَلَكَ الْمَعَارِفُ أَصْبَحَتْ مُنْقَادَةً
خَطَبَتْ وَدَادَكَ فَاسْتَجَبَتْ لَهَا وَلَمْ
فَتَفَاخَرَتْ إِذْ صِرْتَ أَنْتَ وَزِيرَهَا
وَهَزَارُ رَوْضِ الْعِلْمِ فِيهِ تَرَنَّمَا
بَهَرَ النَّوَاطِرَ وَاسْتَطَالَ الْأَنْجُمَا
بِرَضَا سَعِيدٍ جُذْتَ فِيهِ تَكْرُمَا
طَافَتْ فَأَصْبَحَ نُورُهُنَّ مُتَمَّمَا
بِرَئِيسِهِ وَعَلَى السَّمَاكِينِ سَمَا
وَعَلَى الْمَعَاهِدِ كُلِّهِنَّ تَقَدَّمَا
وَالَيْكَ يَا زَيْنَ الْمَحَافِلِ سَلَّمَا
ثَلِ فَاسْتَجَابَتْ نَحْوَ ذِيكَ الْحِمَى
وَالثَّغْرِ مِنْهَا قَدْ غَدَا مُتَبَسِّمًا
تَتْرُكُ حِمَاَهَا هَائِمًا مُتَأَلِّمًا
وَالْبَاسُ [مِنْهَا] قَدْ تَبَدَّلَ أَنْعَمَا

يَا قُطْبَ دَائِرَةِ الْكَمَالِ وَمَنْ لَهُ
 إِنَّ الْمَعَارِفَ وَحْدَتْ لِوَحِيدِهَا
 لَا زِلْتَ مَشْكُورًا وَمَذْحُكٌ لَمْ يَزَلْ
 لَمَّا تَسَامَى الْمَعْهَدُ الطَّبِّي بِكُمْ
 فَأَجِبْتَ طَلِبَتَهَا فَحَقَّ لَهَا الْهَنَاءُ
 وَالسَّعْدُ بِشَرِّ أَرْخَتْ (أَيَّامُهُ
 أَسْنَى الْمَحَامِدِ وَالْكَمَالَاتِ انْتَمَى
 فَبَدَا بِهِ عَقْدُ الْجَمَالِ مُنْظَمًا
 يُثْلَى عَلَى طُولِ الزَّمَانِ مُعْظَمًا
 طَلَبْتَ مَعَارِفُنَا الشِّفَاءَ مِنَ الظُّمَاءِ
 وَلِسَانُهَا عَنْ كُلِّ مَذْحٍ تَرْجَمًا
 شَيَّدْتَ رُكْنًا لِلْعُلَا لَنْ يُهْدَمَا)

(١٣٤٣)

(٤٤٢)

وقلت أيضاً مؤرخاً:
 آيَاتُ مَجْدِكَ قَدْ حَلَا تَخْيِيرُهَا
 أُمُتِلْتَ النِّعْمَاءُ دَامَ لَنَا الْهِنَاءُ
 وَبِكَ الْمَعَارِفُ بِالْفَخَارِ تَتَوَجَّهَتْ
 مِرْآةُ فِكْرِكَ بِالْمُحِبِّ أَخْبَرَتْ
 وَالسَّعْدُ فِي الْإِقْبَالِ أَرْخُهُ (وَيَا
 وَعَبِيرُ مَذْحِكَ لِلْعَلَاءِ سُورُهَا
 إِذْ أَنْتَ عَيْنُ أُولِي الْعُلُومِ وَنُورُهَا
 وَأَتَى بِإِعْلَانِ السُّرُورِ بِشِيرُهَا
 كَالرَّادِّيَوْمِ وَزَادَ عَنْهُ نُورُهَا
 فَرَحَ الْمَعَارِفِ حَيْثُ أَنْتَ وَزِيرُهَا)

(١٩٢٥)

(٤٤٣)

وَقُلْتُ فِي نَافِعِ أَفَنْدِي الْحَرِيرِيِّ الْحَلِيِّ، وَكَانَ طَبِيبِي يُدَاوِينِي:

[من مجزوء الرمل]

إِنْ تَكُنْ [تَبْغِي] شِفَاءً
 فَاتَّخِذْ قَوْلِي نُصْحًا
 مِنْ دَوَاءٍ هُوَ نَافِعٌ
 وَاقْصِدِ الدُّكْتُورَ نَافِعٌ

(٤٤٤)

وقلتُ:

[من مجزوء الكامل]

مُدَبَّرَ الْجِسْمِ لَقَدْ عَجَزْتَ عَنْ تَدْيِيرِهِ
وَالْيَأْسُ قَدْ خَامَرَنِي وَالظَّنُّ فِي تَخْيِيرِهِ
فَلَا أَبَالِي بَعْدَ ذَا بِمَغْيِيرِهِ وَحُضُورِهِ

(٤٤٥)

وقلتُ:

[من الرمل]

مَلَكَتْ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ لِحَاطِهَا وَلِكُلِّ نَفْسٍ لَا تَزَالُ عَزِيزَةً
إِنْ قِيلَ مَنْ هَارُوتُ أَبْطَلَ سِحْرَهُ سِحْرُ الْعُيُونِ النَّجْلِ قُلْتُ عَزِيزَةً

(٤٤٦)

وقلتُ:

[من الرمل]

غَادَةٌ قَدْ أَسَرَتْ عُقُولَنَا حُسْنُهَا يَزْدَادُ فِي كُلِّ صَبِيحَةٍ
أَقْبَلْتُ فِي جِيدِ غِزْلَانِ النَّقَا وَجَبِينَ فَوْقَ وَجَنَاتِ صَبِيحَةٍ
قُلْتُ مَا الْإِسْمُ أَيَا ذَاتَ الْبَهَا وَالْعُيُونِ النَّجْلِ قَالَتْ لِي صَبِيحَةُ

(٤٤٧)

بَلَّغْنِي أَنَّ الشَّيْخَ أَحْمَدَ السَّنُوسِي نَزَلَ ضَيْفًا فِي دَارِ الْأَمِيرِ سَعِيدِ
الْجَزَائِرِيِّ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ الدَّهَابَ إِلَيْهِ، فَكَتَبْتُ لَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِيَتُوبَ عَنِّي فِي
الرَّيَاةِ فَقُلْتُ:

[من الكامل]

لَا زِلْتَ يَا نَزَلَ الْكِرَامِ سَعِيدَا بِالسَّعْدِ تَسْمُو إِذْ تَضُمُّ سَعِيدَا

وَبِكَ الْمَكَارِمُ وَالشَّهَامَةُ وَالنَّدَى
أَكْرَمَ بِشَهْمٍ مَاجِدٍ مُتَفَضِّلٍ
ذُو هِمَّةٍ عَلِيَاءَ لَا تَذْرِي الْوَنَى
سَعِدَتْ مَطَالِغُ سَعْدِهِ فِي بُرْجِهَا
فَهُوَ السَّعِيدُ عَلَى الدَّوَامِ وَضِدُّهُ
بَطْلٌ إِذَا لَقِيَ الْكُمَاةَ عَنَتْ لَهُ
يَرْمِي الْغُيُوبَ بِصَائِبَاتٍ فِكْرِهِ
وَمُوقِّقٌ فَلِذَا أَرَادَ قَضِيَّةً
حَفِظَ الْكَرِيمُ لَنَا السَّعِيدَ بِفَضْلِهِ

وَجَمِيلٌ فَعَلٍ لَمْ يَزَلْ مَحْمُودًا
قَدْ طَابَ أَصْلًا ظَاهِرًا وَجُدُودًا
رَفَعَتْ لَهُ فِي الْخَافِقِينَ بُنُودًا
لِيَكِيدَ ضِدًّا خَامِلًا وَحَسُودًا
يُسْقَى الْمَذَلَّةَ خَاسِسًا مَطْرُودًا
شُمُّ الْأَنْوَفِ وَفَتَتْ الْجُلُودَا
وَيَرَى الْمُخْبَأَ حَاضِرًا مَشْهُودًا
مَهْدَ الْإِلَهَ سَبِيلَهَا تَمْهِيدًا
وَأَدَامَ وَرَدَ نَوَالِهِ مَوْزُودًا

(٤٤٨)

وَقُلْتُ مُودَّعًا رَيْسَةَ الْمُسْتَشْفَى:
شَمْسُنَا الشَّمْسُ الْمُضِيَّةُ
مُذْ بَعْدْنَا عَنْ حِمَاهَا
فَافْتَرَقْنَا فِي قُلُوبِ
رُوحِهَا رُوحُ عَفَافِ
أَلْفَتْ رُوحِي حِمَاهَا
إِنْ تَرْمُ تَرْكُ وَدَادِي
فَأَنَا قَيْسُ هَوَاهَا
سَاعَةُ التَّوْدِيْعِ حَانَتْ
لَيْسَ ذَاكَ بِاخْتِيَارِي

[من مجزوء الرمل]

«فَيْلُومِينَا» الْيَازِجِيَّةُ
صُبْحُنَا أَضْحَى عَشِيَّةُ
جَامِعَاتِ بِالسَّوِيَّةِ
حَسَنْتُ مِنْهَا الطَّوِيَّةُ
وَبِهِ صَارَتْ شَجِيَّةُ
وَلَهَا فِي ذَاكَ نِيَّةُ
وَهِيَ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ
وَلَهَا النَّفْسُ أَيْيَّةُ
بَلْ بَدَا عَكْسَ الْقَضِيَّةِ

فَاذْكُرْنِي يَا حَيَاتِي
عَلَّ أَيَّامَ الْفِرَاقِ
وَأَتَى دَائِي شِفَاءٌ
وَخُلُصْتُ مِنْ أَذَاهُ
عِنْدَهَا نَقَضِي حُقُوقاً
يَا نَسِيمَ الْفَجْرِ حَيِّي
مَعْهَدَ الْأَحْبَابِ وَاقْرَأْ
إِنِّي بِالرَّغْمِ عَنِّي
وَحَيَالُ الْحَبِّ أُسِّي
أَنَا لَا أَبْغِي سِوَاهَا
كَيْفَ لَا أَهْوَى فِتَاةً
وَاجْعَلِي النَّفْسَ رَضِيَّةً
بِالْلُّقَا عَادَتْ بِهِيَّةً
مُذْهَبٌ عَنِّي الْبَلِيَّةُ
بِرِيَاضِ عِبْهَرِيَّةُ
وَجَبْتُ لِي بِالسَّجِيَّةُ
بِالنُّسَيْمَاتِ الشَّدِيَّةُ
فِيهِ أَصْنَافُ التَّحِيَّةُ
صِرْتُ فِي أَرْضِ قَصِيَّةُ
وَالْمَزَايَا الْعَبْقَرِيَّةُ
إِنْ تَكُنْ عَنِّي غَنِيَّةُ
بِالذِّكَاةِ أَلْمَعِيَّةُ

هَذَا آخِرُ مَا أَتَمَمْتُ نَظْمَهُ فِي الْمُسْتَشْفَى، وَكَتَبْتُهُ بِيَدِي الْيُسْرَى، وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ (١).



(١) يقول محقق الكتاب نور الدين بن صلاح الدين طالب: فرغت من النظر الأخير
فيه صباح الاثنين السابع عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة ست وعشرين
وأربعمئة وألف، في منزلي بمدينة «دومة» الزاهرة، موطن صاحب هذا الديوان
الإمام عبد القادر بن بدران، رحمه الله وغفر له ورفع درجته في المهديين، وتقبل
منا عملنا وجعله خالصاً لوجهه الكريم، وكان البدء في تحقيقه في أوائل سنة أربع
وعشرين وأربعمئة وألف، تخللته مشاريع وأسفار وأمراض، أسأل الله أن يجعلها
في سبيله، وخدمة لدينه وسنة نبيه ولغة كتابه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم.

الفَهْرَسُ الْعَامَّةُ

أولاً : فهرس الأعلام

ثانياً : فهرس الأماكن

ثالثاً : فهرس القوافي

رابعاً : فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
إبراهيم باشا	١٣٢
إبراهيم	٦١
ابن السبكي	١٣٥
ابن الصبابة يكنى بـ«الطبائي»	٩٨
ابن العربي	١٩٨
ابن بدر الدين	١٨٧
ابن بدران	١١٧ ، ١٦٠ ، ١٠١ ، ٧٨ ، ٦٢
ابن زريق	٢٨٤
ابن زيدون	٢٨٤
ابن سهل الأندلسي	١٦٥
ابن عساكر	١٥٤ ، ١٥٣
أبو الخير عابدين	١٧٨
أبو الصفا المالكي	٢٣٦
أبو الفتح بن عبد القادر الخطيب الدمشقي	١٥٤ ، ١٥٣
أبو نواس	٥٣
أحمد أفندي القوتلي	٢٢٥

العلم	الصفحة
أحمد السنوسي	٣٠٦
أحمد باشا الشمعة	١٨٥ ، ١٧٢ ، ١٦٩ ، ١٥٩
أحمد باشا بن عمر باشا	١١٠
أحمد بك بن حيدر باشا المصري	١٣٣ ، ١٣٢
أحمد بن السبيع	١٤٤
أحمد بن تيمية	٣٠٣
أحمد بن طه	١٣٩
أحمد بن عبيد السقباني	٢٦٠
أحمد حسن الشطي	٥٥ ، ٥٤
أحمد سعاد أفندي	٢٠٠
أرسطو	٦١
أرطاليس	٥٨
أسطرنوميا	٦١
أسعد أفندي	٢٠٠ ، ١٩٩
إسماعيل - عليه السلام -	٨٧
إكليل بك المؤيد	١٨٨ ، ١٨٧
الأمير عبد القادر الجزائري	٢٥٤ ، ١٣٧
أمين أفندي ترزي	١٦٠
أيوب - عليه السلام -	٢٨٣
أيوبي زاده سعيد أفندي	١٩٦ ، ١٩٥
البحتري	٥٢
بدر الدين بن يوسف المغربي	٥٧ ، ٥٦
تيمور	٢٩٤
جالوت	١٣٨

العلم	الصفحة
جو مطريا	٦١
جول كانبون	١٤٤ ، ١٤٥
حاتم	١٤٢
حسان بن ثابت - رضي الله عنه -	٢٤٠
حسن أفندي بيهم البيروتي	١٢٠
حسن باشا	١٦١ ، ١٧٦
حسني بك سبح	٢٩٥
حلمي تقي الدين	٢٦٠
الحي زاده زاهد أفندي	٢٠٩
حيدر (يعني : علياً)	٢٥٣
ذو الكفل - عليه السلام -	٢١٩
رشدي بك	١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥
رضا بك سعيد	٣٠٤
الزمخشري	١٢٧
زينب	٧٧
سعيد الفرا	١٩٨
سعيد بك اليوسفي	١٨٠
سعيد بن الأمير علي الجزائري	٢٥٤ ، ٣٠٦
سعيد أفندي	٦٢
سليم العطار	٥٠ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ١١٣
سليم سمارة	١٩٨
سليمان أفندي الجوخدار	٢٤٣
سنا بنت المفدي	١١٢
سوفسطا	٦١

العلم	الصفحة
سيويه	٥٢
الشافعي	٥٢
شفقة آل العمري	٢٦١
شفقة بنت سليم أفندي العمري الدمشقي	٢٥٥
شكري باشا	٢٣٥ ، ٢٣٤
شمس الدين أبو المعالي محمد بن القماح	١٣٥
الشهاب الخفاجي	١١٥ ، ١١٤
صادق باشا المؤيد	١٩٠ ، ١٨٩
صالح أفندي طه	١٠١ ، ٩٩
صبيحة	٣٠٦
الصلتي	٢٠٨
طاهر بن أحمد بن عبد القادر الجزائري	١٨٧
عارف المنير	٩٩
عبد الحلیم	١٠٦
عبد الحميد (السلطان العثماني)	١٨٩ ، ١٧٢ ، ١٦٢
عبد الخالق أفندي	١٩٩
عبد الرحمن القصار	١٢١
عبد الرحمن بك اليوسف	٢٥٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٠
عبد الرحمن بن كثير المكي	١١٥
عبد الرحيم الغزي	٢٣٢
عبد الرزاق البيطار	١٩٨
عبد العزيز أفندي الدكدكجي	٢٠٧
عبد الفتاح المحمودي اللاذقي	١٠٣
عبد القادر أفندي الميداني	١١٠

العلم	الصفحة
عبد القادر الجيلي	١٣٤
عبد الله أبو طالب الحسني	١٤٣
عثمان باشا	٥٩ ، ٥٩
عزيزة	٣٠٦
عظم زاده محمد فوزي باشا	٢١١ ، ٢١٠
علي - رضي الله عنه -	١٦٤
علي الجزائري	١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٩٢ ، ٢٥٣ ،
	٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
علي بك بن مردم بك	١٠٦
عماد الدين الدمشقي البقاعي	٢٠٢ ، ٢٦٢
عمر أفندي الطيبي	٢٢٨
عمر العطار	٥٧ ، ٥٨
عيسى - عليه السلام -	٥٩
فخر الدين بك	٢٦٧
الفرزدق	١٢٦
فرعون	٢٤١
فرنسيس فتح الله مراش الحلبي	٢١٢
فيلومينا	٢٨٥ ، ٣٠٧
القاسم بن عبس المعروف بـ «أبي دلف العجلي»	٦٦
قيس	٣٠٧
كافور	١٤٦
الكليم - عليه السلام -	٥٩
ليلي العامرية	٣٠٧
المأمون	٢٩٣

العلم	الصفحة
محمد أبو الهدى الصيادي	١٨٨ ، ١٨٩
محمد أفندي المنيني	١٥٨
محمد الأنباي المصري	١٢٤
محمد اليوسفي	٢٤٣
محمد باشا العظم	٢٥٨
محمد باشا بن علي باشا	١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٥٨
محمد بن المبارك الجزائري	٢٥٠ ، ٢٥١
محمد حسن الشطي	٥٤ ، ٥٥
محمود أفندي أبو الشامات	١٦٨
محمود أفندي شيخ الأرض	٢٠١ ، ٢٠٢
محيي الدين بك	١٦٥ ، ١٧٥
محيي الدين بن عربي	١١٣
مردم بك زاده محمد راشد باشا	٢٢٣ ، ٢٣٣
مسلم بن الوليد «صريع الغواني»	٦٦
مصطفى أفندي الدكدك	٢٠٤
مصطفى الشطي	١٠٨
مصطفى هاشم التاجر	٢٦٤
مظهر بك	٢٣٨
المعري	١٢٧ ، ١٦٣
معن	١٤٢
مكي بك	١٨٣
موسى - عليه السلام -	٢٤١ ، ٢٧٧
النابعة	٦٥
ناظم باشا	١٩٤

العلم	الصفحة
نافع أفندي الحريري الحلبي	٣٠٥
نجل ابن حنبل	٥٥
نجم الدين الغزي	١١١
نوار	١٢٦
نوري بك	١٠٣
هاروت	٣٠٦
يحيى باشا أغريوز	٢٣٧ ، ٢٣٦
يعقوب - عليه السلام -	٢٤٥
يعيش	١٣٧
يوسف - عليه السلام -	٢٤٥ ، ٢٢٩ ، ٨٧

* * *

ثانياً: فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
الأزهر	١٢٤
الآستانة	٢٥٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٤
أندلس	١٣٨
أوربا	١٣٣
إيطاليا	١٣٣
بابل	٢٨٦
باريس	٢٩٥ ، ١٤٦
بانياس	١٣٨
بحيرة طبرية	٢٥٤
بدر	٢٨٦ ، ١٨٠
البرامكة	٢٧٣
بردى	١٣٨
بعلبك	٢٨٦
بغداد	٢٩٣
بنو النضير	٢٨٢
بنو غسان	٢٨٦

المكان	الصفحة
بيروت	١٣١، ١٧٧، ٢٤٤، ٢٤٧
تدمر	٢٨٦
تونس	١٤٥، ٢٦٨
تيارت	١٤٣
ثمود	٢٨٦
ثنية العقاب	١٦٦
جبل قاسيون	١٩٨
الجزائر	١٣٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ٢٥٥، ٢٦٨
الجزيرة	٢٦٩
جلق	١٠٥، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٨، ١٦١،
الحجاز	١٧٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢٦٨، ١٠٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢٤٢،
الحجرة النبوية الشريفة	٢٨٣
الحديبية	٢٠٤
حصون بعلبك	٢٦٨
حلب	٢٨٦
حنين	١٢٣
خيبر	٢٨٠
دجلة	٢٨٢
درنا	٢٩٣، ٢٦٨
دمر	٢٥٥
	١٣٢، ٢٤٤، ٢٤٧

المكان	الصفحة
دمشق	٥٣، ٥٦، ١١٠، ١٥٨، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٥، ٢١٠، ٢٢٦، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٩٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٥، ١٧٥، ١٨٧، ١٩٣، ١٣٧، ١٦٧، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٩، ١٦١، ١٧٦، ١٩٤، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٧، ٣٠٤، ٧١، ١٥٥، ٥٩، ٧١، ١٠٨، ١١٠، ١٣١، ١٣٢، ١٦٣، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢٣٥، ٢٥٥، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٤، ٦٠، ٢٦٨، ١٣٨، ٢١٩، ٢٥٣، ٢٦٣، ١٥٥، ٦٤، ٢٧٩، ٥٥، ٦٠، ٢٥٤، ٢٧٩،
دومة	
رأس العين	
سبأ	
سوريا	
سوق ساروجا	
سينا	
الشّام	
شط الفرات	
صنعاء	
ضريح نبي الله ذي الكفل	
طرابلس الغرب	
الطور	
طيبة المختار	
العراق	
عولم	
الغار	

المكان	الصفحة
الغوطة	١٣٧
فرنسا	١٤٢
الفيجة	٢٤٤
قبر الإمام ابن تيمية	٣٠٣ .
قبر نبي الله موسى	٥٦
القدس	٢٨٨ ، ٢٨٥ ، ٢٧٧
قريظة	٢٨٢
القسطنطينية	٢٦٢ ، ١٨٩
قصر سعيد بنا الدمشقي	٦٢
القطيفة	١٦٦
الكثيب الأحمر	٥٦
الكعبة	٢٤٢
لبنان	٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٧ ، ٢٣٩
مدرسة الحديث الأشرفية بدمشق	١٢٠ ، ٩٨
مدرسة عبد الله باشا العظم	٢٧٣
مراكش	٢٦٨
المرجة	١٣٨
مرسيليا	١٣٢
المزة	٧١
المستشفى العام بدمشق	٢٧٣
مستغانم	١٤٠
مصر	٢٨٦ ، ٢٦٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤١ ، ٦٠
معسكر	١٤٣
مكة	٢٨٢ ، ٢٤٢

المكان	الصفحة
الميدان	١٩٨
نابلس	٥٥
نجد	١٧٠ ، ٥٥
نهر الصفا	٢٣٩
النيل	٢٦٨
وادي موسى	٢٨٦
يبرود	١٦٧
اليمن	٢٨٨
اليونان	٣٠٢
	* * *

ثالثاً: فهرس القوافي

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
حيا الحيا دوما البديعة	الفيحاء	٤٦	الكامل	١٩٨	١٣٧
أزف الصباح فجدة	الرمضاء	١٥	الكامل	١	٤٩
دع الأيام تفعل ما	انقضاء	٤	الوافر	٢٣	٦٨
إله الخلق ما هذا	انقضاء	٧	الوافر	٣٣٩	٢٢٦
وما اسم خماسي	خفاء	١١	الوافر	١٧١	١٢٢
وما اسم رباعي	بالبكاء	٢	الوافر	١٧٢	١٢٢
قال العواذل لم هجرت	الظلماء	٣	الكامل	٧٣	٨٣
مرت بحلة ديباج	ظلماء	٤	البسيط	٣٤٣	٢٢٧
بناء عن قديم الدهر	بناء	٣	الوافر	٢٣٧	١٦٦
يا بدر ما هذا الجفا	صاحباً	٢	مجزوء الكامل	٨٤	٨٦
ما انثنى إلا فؤادي	نهباً	٧	الرمل	٩٢	٨٨
فتن الفؤاد جمال حب	منقبا	٢	الكامل	١٣٥	١٠٧
أبا الفتح فتحت لكل	باباً	٢	الوافر	٢١٩	١٥٣
لله أشكو ذباباً	التهاباً	٢	المجث	٢٣٩	١٦٦
أعلى الفضائل تهذيب النفوس لمن تأديبا		٢	البسيط	٢٩٧	٢٠٧
من مجبري والحب قد	صبا	٤	الخفيف	٣٤٤	٢٢٨

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
عمر الطيبي اجتناها	وطيبا	٨	مجزوء الرمل	٣٤٥	٢٢٨
مولاي إني صرت في شرك	مخرجا	٥	الكامل	٧٩	٨٥
نشر الصباح على الظلام	جناحا	٢١	الكامل	١٠	٥٩
ومن أرض الجزائر قد	صبحا	٤	الوافر	٢١١	١٤٦
يا روح روحي دع	عميدا	٢	مخلع البسيط	٣٥	٧٢
كيف احتيالي وما وفي	رشدا	٢٦	البسيط	١٢٤	١٠١
رب لطف من	طردا	٢	مجزوء الرمل	١٤٨	١١٣
بدر بأفق الحسن مطلعته	تأودا	٥	الكامل	٢٨٢	٢٠٠
لا زلت يا نزل الكرام	سعيدا	١٠	الكامل	٤٤٧	٣٠٦
إني وحقك في ودادك	تصبرا	٢	الكامل	٥١	٧٦
ما بين صدهم وتشيت	تعثرا	٦	الكامل	٥٩	٧٩
هل بحالي يال ودي	نفرا	١١	الرمل	٨٧	٨٧
هذا الذي شهدت له	ولا افترا	٤	الكامل	٢١٨	١٥٣
ما المجد إلا ما أفاد	حبورا	٢١	الكامل	٢٢٨	١٥٩
هلال العدل أضحي	سرورا	١٩	الوافر	٢٥٢	١٧٦
فؤادي للهوى سلمت	أسرا	٣٠	الوافر	٣٤٧	٢٣٠
يقال بالجد يبغي المرء	أثرا	٢	البسيط	٤٣٤	٣٠٢
كمل الكمال له ورد	موسوسا	٤	الكامل	٤٨	٧٥
وأنا الذي أرعى الوداد	معا	٣	الكامل	٢١	٦٧
قلبي لغير ودادكم لن	عفا	٢	الكامل	٢٨٧	٢٠٢
ولين الأعطاف قاس	الجفا	٥	الكامل	٣٠٣	٢٠٩
سلام على الحب اللطيف	الجفا	٥	الطويل	٤٠٢	٢٦٦
أقول لهذا الدهر عتبا	صدقا	٤	الطويل	١٥٣	١١٥
ليت شعاع	الارتقا	٢	مجزوء الرجز	٤٣٠	٣٠٠

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
ولما أن تناهى في	ثقيلا	٣	الوافر	٣٠	٨٦، ٧٠
وقالوا مراد محب	قتيلا	٢	المتقارب	٨٨	٨٧
صريح الحق بالبرهان	حلا	٦	الوافر	١٧٠	١٢١
يا رب إني بالنبي	العلا	٢٢	الكامل	١٩٣	١٣٣
يا سعد قف لي بالعقيق	مقيلا	٢٥	الكامل	٢٢٧	١٥٨
يا سعد خذ لي للعذيب	نزिला	٢١	الكامل	٢٤٧	١٧١
ورد المسرة قد غدا	وأصيلا	١١	الكامل	٢٦٧	١٨٧
يا أديباً رام أسباب	ما سلا	١٣	الرمل	٢٨٧	٢٠٣
أقول لظبي بالصدود	مماطلا	٤	الطويل	٢٩٠	٢٠٤
لما رأيت الحسن تعشقه	خيالا	٢	الكامل	٣٣٢	٢٣٢، ٢٢٣
يا لقومي في الهوى	الكفيلا	٢	المديد	٣٨٦	٢٥٨
صبراً وإن كان المصاب	جزيلا	٢٧	الكامل	٤٠١	٢٦٥
آيات حبك رتل	نزिला	٤٥	الكامل	٤٠٨	٢٨١
إن أضياف اللئيم	نعيم	٣	مجزوء الرمل	٢٧٥	١٩٧
ورسام يفوق البدر	رسما	٢	الوافر	٣١٦	٢١٦
إذا جفاك حبيب كنت	أركان	٤	البسيط	٢٢	٦٧
جلسنا في رياض الأئس	علينا	٢	الوافر	١١٦	٩٧
يا بارقاً من نجود وما	أخبارنا	٢١	الرجز	١٢٢	١٠٠
أبدى ببديع الفكر	سنا	٩	المحدث	١٤٩	١١٣
قد يا غزال كيف	القنا	١٣	الرمل	١٦٤	١١٨
من مظهر السر	ساقينا	٢٠		٢٢١	١٥٤
من كان يأمل للنجاح	أمين	١٧	الكامل	٢٢٩	١٦٠
إذا المرء عداه الحظ	حزنا	٢	الوافر	٢٣٨	١٦٦
وكم من قائل «لو» بعد	زمانا	٣	الوافر	٢٦٥	١٨٧

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
قد تجلى الحظ والنحس	ديدنا	٨	الرملي	٣٢٧	٢١٩
بشرى لنا فالسعد أقبل	متفتنا	٢١	الكامل	٣٥٢	٢٣٤
إذا قدر الرحمن قرب	أيامنا	٢	الكامل	٣٧١	٢٤٦
هذا ضريح ابن عبيد	الثنا	٤	الكامل	٣٩٠	٢٦٠
يا جنة عن رياض الخلد	دينا	٢٦	البسيط	٤١١	٢٨٤
زر روضة الأنس التي أوحى	أطلالها	٤	الكامل	١٤٥	١١٢
مر الغزال على محبيه	بكمالها	٣	الكامل	٣١٤	٢١٥
إن بلاداً طبعها	وأهلها	٢	الكامل	٤٠٩	٢٩٦ ، ٢٨٣
يا ذوات الخدر	واطلبوها	٥	مجزوء الرمل	٤٣٦	٣٠٢
آيات مجدك قد حلا	سرورها	٥	الكامل	٤٤٢	٣٠٥
لمع البرق بالغوير	حيا	١٣	الخفيف	٢٦	٦٩
لساكن ذا الضريح جزيل	رخيا	٣	الوافر	٣٢٦	٢١٩
قلب المقيم كاد أن	أتى	٦	الكامل	٣٢١	٢١٧
خل الصبابة لا يمل	الهدى	٤	الكامل	٣٦	٧٢
من يكن يرضي الغواة	الردى	٥	الرملي	١٦٣	١١٨
راح يختار التهاني	اهتدى	١٠	الرملي	٣٢٩	٢٢١
سل فائن الولدان مذ	انبرى	٨	الكامل	٤٢	٧٣
فلم يبق مني الشوق غير	الورى	٢	الطويل	١٠٨	٩٤
يا حادي الركب مل نحو	سرى	٣٣	البسيط	٢٥٧	١٨٠
لما تكامل ذا الهلال	سرى	٤	الكامل	٣٤٨	٢٣٢
فاقت دمشق بفخر الدين	سرى	٦	البسيط	٤٠٣	٢٦٧
ما ملت عن عهد الوداد	وشى	٨	الكامل	٤٧	٧٥
يا ليت شعري هل	انقضى	٢	مجزوء الكامل	٣١	٧١
كف الصياح فإن صبري	قضى	٣	الكامل	٣٦٩	٢٤٦

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
يا من رماني بالجفا	وكفى	٢	مجزوء الرجز	٩١	٨٨
عظم الهيام فصار صعب	الملتقى	٤	الكامل	٨٢	٨٥
حبيب قلبي جفاني	تولى	٢	المجث	٩٠	٨٨
حيا المهيمن تربة أمسى	المنى	٤	الكامل	١٦١	١١٧
هذا ضريح الطفلة التي	المنى	٤	الكامل	٢١٣	١٤٧
حزت المفاجر من سنا	المشهى	٢٢	الكامل	١٣	٦٣
كلما ازداد اللقا ازداد	الهوى	٢	الرمل	٥٠	٧٦
يوم الوداع أطار لبي	والجوى	٦	الكامل	٥٤	٧٧
والنجم من أفق الجمال إذا	هوى	١٤	الكامل	١١٢	٩٥
سر هذا الكون يطوي	انطوى	٤	الرمل	٣٣٥	٢٢٤
واصل الصب وقد طال	شوى	٤	الرمل	٣٣٧	٢٢٥
إن الهدية خير ما صان	الأحباب	٦	الكامل	٣٤٢	٢٢٧
وغادة تسألني	الحساب	٢	مجزوء الكامل	٤٢٣	٢٩٦
ما نحوكم لج العلا في	كثب	١١	الكامل	٢٤٩	١٧٤
حيا زروداً وحيا موطن	السحب	٤٦	البسيط	٤٠٦	٢٧٦
جواهر العلم ما انضمت	بالأدب	٢	البسيط	٢٩٨	٢٠٧
نسبة التحقيق أعلى	الأقرب	١	الرمل	٣٠١	٢٠٨
إن المحب كثير الغم ذو	حرب	١٠	البسيط	٣٧٧	٢٤٩
سافرت يا حسني بأيمن	المغرب	٤	الكامل	٤١٨	٢٩٥
ما بال أحباب الفؤاد	أنسب	١٧	الكامل	٢٥٠	١٧٥
وروض حله شهم	حسب	٦	الهزج	٣٠٤	٢٠٩
خير فضل للفتاة	تنتسب	٤٩	الرمل	٤١٣	٢٨٨
عذولي عن سبيل الرشد	راغب	٢	الوافر	١٥٩	١١٧
روحي الفداء لغادة	يقلب	٥	الكامل	٥٣	٧٧

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
محيا الناس للفتن	القلوب	٥	الوافر	٤٣٩	٣٠٣
عابت دهرى في تقدم من	يؤب	٢	الكامل	١٥٥	١١٥
حبيبي بالصدود جرح	الطيب	٢	الوافر	١٠١	٩١
هل في أفق عظيم	يغيب	١٤	الرمل	٢٨١	٢٠٠
رح يا رسول إلى الحبيب	التعذيب	٤	الكامل	٣٠٨	٢١٢
رح يا رسول إلى الحبيب	رقيب	٤	الكامل	٣٠٩	٢١٢
رح يا رسول إلى الحبيب	عجيب	٤	الكامل	٣١٠	٢١٣
رح يا رسول إلى الحبيب	لقريب	٤	الكامل	٣١١	٢١٣
رح يا رسول إلى الحبيب	لييب	٤	الكامل	٣١٢	٢١٣
ألا يا عاذلي في الحب	غريب	٢	الوافر	٣٧٦	٢٤٨
ابن تيمية جاري	قريب	٩	مجزوء الرمل	٤٤٠	٣٠٣
لنور العلم يهدي كل	العجائب	١٥	الوافر	١٤٠	١٠٩
ما انتنى إلا فؤادي	نهما	٧	الرمل	٩٢	٨٨
أضحى الهوى والجفا والبعد	لاحتجا	٤	البسيط	٢٣٦	١٦٥
لا يألف المجد إلا السادة	انتخبا	٣٤	البسيط	٣٠٧	٢١٠
أبشري يادرة الغواص	النجبا	٥	الرمل	٤١٩	٢٩٥
غزال دعاني بهجري	الرقيا	٢	المتقارب	٦٤	٨١
حيا الحيا أرض الجزائر	أغدقت	٥	الكامل	٢٠٦	١٤٤
كم قد رأينا	محتجة	٧	مجزوء الرجز	٤٢٩	٣٠٠
علوم من الوهاب أعظم	نفحة	٤	الطويل	٥	٥٣
غادة قد أسرت عقولنا	صبيحة	٣	الرمل	٤٤٦	٣٠٦
يا شمس أفلاك الجمال	السافرة	٧	الكامل	٤١٦	٢٩٤
الفال والزجر وفن	مبتكرة	٥	الرجز	٤٣١	٣٠١
لما سألت عن	المزة	٤	مجزوء الكامل	٣٢	٧١

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
ناشدته بالله أنشد	طبيعة	٣	الكامل	٢١١	١٤٦
وشيوخ أحبب الثقلين	النبوة	٤	الوافر	١٣٣	١٠٧
أهيف قد قد قلبي	الجؤذرية	٢	مجزوء الكامل	٤٠	٧٣
زفرت القلب إذا	آنية	٢	المحدث	٩٨	٩٠
أيا بحر العلوم وشمس	مضية	٧	الوافر	٢٧٩	١٩٨
شمسنا الشمس المضية	اليازجية	٢٠	مجزوء الرمل	٤٤٨	٣٠٧
لهفي على زمن مضى	بمائه	٢	الكامل	٣٨٦	٢٥٨
الناس للخير ما أحلى	محتاج	٤	البسيط	١٥٠	١١٣
طاف على الندمان بالراح	ابتهاج	٢	الرجز	٣٦٠	٢٤٠
سقامي من نفارك	الجراح	٤	الوافر	١٠٠	٩١
يا ندمي قد دنا	راح	٤١	الرمل	٢٤٨	١٧٢
فقدت من الغرام فضل	صلاح	٤	الوافر	٣٦٣	٢٤٣
أتى والقلب في	مجروح	٣	الهزج	٩٥	٨٩
بالحمد ما بزغ الهلال	ألوح	٦	الكامل	١٢٧	١٠٤
صاح لا تسأل لماذا	البلاد	٢	الرمل	٨٩	٨٨
أتى شهر الصيام بكل	ناد	٤	الوافر	١٨٢	١٢٥
يا زمن المأمون عودك	تتردد	١٥	الكامل	٤١٥	٢٩٣
منهل الأشجان	ورد	٥	مجزوء الرمل	١٣٨	١٠٨
زان خد البدر	ورد	٦	مجزوء الرمل	٢٩٥	٢٠٦
وافى على رغم العدا	مفرد	٢٦	الكامل	٣٥٥	٢٣٦
يا منهلاً للوارد	الحاسد	١٨	الكامل	٣٣٣	٢٢٣
يا منهلاً عذباً صفا	الحاسد	٢١	الكامل	٣٥١	٢٣٣
ومملك الحسن البديع لقد	بالصد	٤	الكامل	٦٥	٨١
هيفاًؤكم سفكت دما	الغد	٢	الكامل	٨١	٨٥

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
طبيبي ثناء يا دمشق	الفرقد	١٠	الكامل	٤	٥٣
فمن أطاعك فأنفعه	والحمد	٤	البسيط	١٧	٦٥
أيا بدر العلا لا زال	أحمد	٥	الوافر	١٩١	١٣٢
أنفح البان من وادي	عود	٧	الوافر	١٢	٦٢
يا لقومي من لصب	صدود	٢	الرمل	٣٧	٧٢
يا طيف حب معيدي	الصدود	٤	المجث	٤٥	٧٤
وكننت أظن أن الورد	الصدود	٣	الوافر	٦٨	٨٢
هذا ضريح ضم من أهل	الجدود	٥	الرجز	٢٠٢	١٤٣
أيا قانون ويحك زاد	يعود	٤	الوافر	٣٧٥	٢٤٨
يا روضة ضمت سمي	بالجود	٤	الكامل	٤٠٠	٢٦٥
يأبى الحبيب وضاً سوى	بالتفريد	٣٣	الكامل	٢٤٥	١٦٨
ورروض حله شهم	الحميد	٤	الوافر	٢٩٣	٢٠٥
مه يا سفين البر مالك	تكيد	٤	الكامل	٣٦٨	٢٤٦
أصعب ما لقيته في	أريد	٢	الرجز	٤٢٤	٢٩٦
يا من بدا بصباتي له	زائد	٤	الكامل	٥٥	٧٧
عذار معذبي بديع	أرادا	٢	الوافر	٣٨٦	٢٥٨
حل السرور بأرض الشام	وفدا	١٥	البسيط	٢٦٩	١٨٩
في طالع السعد من أفق	وفدا	١٨	البسيط	٣٨٣	٢٥٤
لله روض ضم طيب	الجودا	٥	الكامل	٢٨٥	٢٠٢
ظبي رمانى بالبعاد	لائذ	٢	الكامل	٢٧	٧٠
ماذا تؤمل من زمان	الإضرار	٦	الكامل	١٥٧	١١٦
علي العلق يسمو بافتخار	كالحمار	٢	الوافر	١٨٥	١٢٦
أهديتكم رسماً بديعاً	تذكار	٢	الكامل	١٩٦	١٣٧
لقد مر بنا من قوم	الفخار	٢	الوافر	١٩٧	١٣٧

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
حي العذيب ورامة	الأسحار	٣٣	الكامل	٢٧٤	١٩٥
الكون يظهر كامن	للأخيار	٢٧	الكامل	٣٨٥	٢٥٦
ومهفهف الأعطاف خمري	بواتر	٣	الكامل	٧٢	٨٣
إني نزيل بالكريم ومن	متواتر	٣	الكامل	١٤٦	١١٢
هذا الصدود فأين العهد	تستتر	٢	البسيط	٣٨٦	٢٥٨
مهما تكلف للسلو ترى	تتكاثر	٢	الكامل	١١٤	٩٦
بالله صل مضناك يا بدر	الكوثر	٢	الكامل	٢٧٧	١٩٨
يا سعد مل للرقمتين	الهاجر	٤٦	الكامل	٤٠٧	٢٧٨
جاء قوم غاب ضرغام	الشجر	٢٢	الرمل	٤٢٧	٢٩٧
ما لاح برق بالعذيب	مفاخر	٢١	الكامل	٢٧٣	١٩٤
يا روضة قد جادها صوب	القادر	٦	الكامل	٣٢٨	٢٢٠
لعبد القادر الميداني	مكرر	٤	الوافر	١٤٢	١١٠
كل من يصحب غير	وضرر	٣	الرمل	١٦٨	١٢١
سبحان من قسم الحظوظ	البشر	٤	مجزوء الكامل	٤٢١	٢٩٦
تلخيص قولي بحال الحب	مختصر	٤	البسيط	٦٧	٨٢
حييت لبنان في الآصال	المطر	١٧	البسيط	٣٧٨	٢٤٩
ما رمت في روض المحاسن	نواظر	٥٧	الكامل	٣	٥٠
إني ذكرك والقانون ذو	سعر	٤	البسيط	٣٧٤	٢٤٨
شرع الجمال بذاك أفتى	مفر	٧	الكامل	٨٦	٨٦
أبدى التجني	ظافر	٢	مجزوء الكامل	١٠٣	٩٢
إليك ربي أرفع	الظفر	٦	مجزوء الرجز	١٧٥	١٢٣
صبح أوقات التهاني	أسفر	٢١	مجزوء الرمل	٣٥٨	٢٣٨
بدر تم عن جمال قد	المفر	٥	الرمل	٣٥٩	٢٣٩
حلف الزمان لينسيني	فكفر	٣	الكامل	٣٧٠	٢٤٦

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
كانت المرأة في روض	مسفر	٢٧	الرملي	٤٢٨	٢٩٨
يا رب هذا العشاق	سقر	٣	البسيط	٩٧	٩٠
له راح لو أن معشار	ذا فقر	٤	الطويل	٣٦١	٢٤٠
مر النسيم على الأغصان في	البكر	٧	البسيط	١٩٠	١٣٢
قد يا صاح الصبر وهي	الذكر	١٣	المحدث	٢٢٥	١٥٦
هذا خيالي شعاع الشمس	الفكر	٢	البسيط	٣٥٧	٢٣٨
لي في فنون الحب أحسن	وعمر	٣	الكامل	٧٥	٨٤
له الله ظيباً قد أسال	السهر	٣	الطويل	٧٠	٨٢
إن المقدم في الشفاعة	الظاهر	٥	الكامل	٢٣٢	١٦٤
تجلى جمال الحق في عالم	الدهر	٢٤	الطويل	٢٦٨	١٨٨
فيلومينا شمس الحسن	أزهر	١٩	المحدث	٤١٠	٢٨٣
إذا ما قيل من روح	طاهر	٢	الوافر	٢٦٦	٢٨٧
حسن المآثر من دعواك	مقهور	٨	البسيط	١٨٧	١٢٧
دولة الإقبال	سرور	٢٤	الرملي	٢٣٠	١٦١
حيا الإله روضة العفو	وسرور	٤	الكامل	٣٩٩	٢٦٤
أهجر وصبر واشتياق	نصير	٢	الطويل	٣٨	٧٢
بنان النائبات إذا	النصير	٤	الوافر	٢٨٩	٢٠٤
يا قلب لا تبدي التضجر	صائر	٤	الكامل	٢	٥٠
كم ليلة قد بت فيها	ستائر	٢	الكامل	٧١	٨٣
إنما العيد أذاك	الافتخار	٧	الرملي	٢٣٥	١٦٥
هل بحالي يال ودي	نفرا	١١	الرملي	٨٧	٨٧
من بعد نفي القرب عني	أصفرا	٤	الكامل	١٢٠	٩٩
خطب به عقل اللبيب	أحمرا	١٥	الكامل	٢٠٣	١٤٣
رشا من الأتراك شاد	المياس	٢	الكامل	٦٩	٨٢

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
ماس يزهو في رياض	القبس	٤	الرمل	٩٣	٨٩
في رياض طيبها الذاك	السندس	١٧	الرمل	٧	٥٦
لاح للمشتاق من نحو	الغلس	٣٢	الرمل	٢٤٦	١٦٩
يا رعى الله زماماً	الغلس	٣٧	الرمل	٤١٤	٢٩١
عرج على قاضي النحوس	الفلوس	٥	الكامل	١٤٣	١١٠
أقمت في فرنسا عند	الخسيس	٧	الوافر	٢٠٠	١٤٢
قد عاشرت أهل اللواط	نغصا	٢	الكامل	١٥٦	١١٦
يلاقيه الحبيب بكل	اغتماض	٣	الوافر	٢٥٩	١٨٢
دع ذكر سعد والزمان	الأمراض	٤٢	الكامل	٤٠٤	٢٦٧
قبلته شغفا فقطب	وأعرضا	٢	الكامل	٩٤	٨٩
شيخنا المصري	اللواط	٤	الرمل	١٣٤	١٠٧
أنسمة الفجر أم نشأت	البسط	٣٢	البسيط	٦	٥٤
قد كنت أحسب أن الدر	البسط	٢	البسيط	١٣٦	١٠٨
ما في الهوى سوى	ألفاظ	١		٢٥٥	١٧٨
ولو شئت أن أبكي دماً	مودع	٢	الطويل	١٠٩	٩٤
إن تكن تبغي	نافع	٢	مجزوء الرمل	٤٤٣	٣٠٥
ولما تبدت للرحيل	الأضالع	١٢	الطويل	٢٦٣	١٨٤
يا ليالي الوصل في نادي	رجوع	٢٢	الرمل	٣٣٠	٢٢١
لما اجتمعنا والحبيب	وتمنعا	٢	الكامل	٢٢٣	١٥٦
أهدي مقاماً على الجوزاء	اتضعا	١٥	البسيط	٢٩٩	٢٠٧
بلغ الزنى سيل الغرام	يعرف	٣	الكامل	٢٣٤	١٦٤
يا من شمائله أرق	الأظرف	٢٤	الكامل	٣٤٦	٢٢٩
يا صاحبي ما أنصفت	اتصف	٣	الكامل	٤٣	٧٤
إلى دار البقا كرماً	واللطف	٤	مجزوء الوافر	١٨٤	١٢٦، ١١٠

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
من لي بهذا الصاحب البر	الألوف	٢	الكامل	٦٦	٨١
لقد ملك المكارم	الشريف	٩	الوافر	٢٠١	٤٢
لله روض قد زها حلمي	لطيف	٣	الكامل	٣٩١	٢٦٠
ذممت فراق حبي ثم	والفراق	٢	الوافر	٧٤	٨٣
قد كان مصطلح الحديث	بمحاق	٣	الكامل	١٨٠	١٢٥
بدر على كرسي الخدود	الأشواق	٢	الكامل	٣١٥	٢١٦
على بيروت ومني كل	عابق	٢	الوافر	١٢٨	١٠٤
سقياً الأيام بـ«بيروود»	يعبق	٣	الكامل	٢٤١	١٦٧
يهدى السلام أخو الصباية	الطارق	٦	الكامل	١٢٥	١٠٣
يا غربة كلما طال المدى	والأرق	٤	البسيط	١٨٩	١٣٢
يا مدعي نظم القريض	ناهق	٢	الكامل	١٦٥	١٢٠
سلام على الشهباء	غبوق	٢	الطويل	١٧٤	١٢٣
وقاسينا من التعب	الطريق	٢	الوافر	٢٤٠	١٦٦
إن الحبيب الذي ألفيه	الشرك	٢	البسيط	٣٧٩	٢٥٠
ظبي عقول العاشقين لقد	ملك	٢	الكامل	٥٢	٧٦
يا غصن بان قد	أمالك	١١	مجزوء الكامل	١٠٤	٩٢
شرفت أرضاً طالما اشتاقت	إليك	٢٦	الكامل ثم الرمل	١٩٩	١٤٠
أرسلت لحظاً بقلب الصب	أفتاكاً	٦	البسيط	٩٦	٩٠
أيحل في شرع الهوى قتل	برضاكا	٢	الكامل	١١٠	٩٥
لقد زعموا بأنني ذو	هواكا	١	الوافر	١١٨	٩٧
ألذ العشق ما كان	بالدلال	٢	الوافر	١١٥	٩٧
قالوا فلان قد بدا في	السروال	٣	الكامل	٢٩٦	٢٠٦
يا منزلاً قد صار أبهى	الهطال	٤	الكامل	٣٨٤	٢٥٥
يا منزلاً قد صار أبهى	التهطال	٣	الكامل	٣٩٢	٢٦١

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
للحر ظن كنوز الشمس	الرجل	٢	البسيط	٢٥	٦٨
كفى أعداءنا أنا	وجل	٢	الوافر	٢٥١	١٧٦
يقبل الأرض مملوك	ومرتحل	٢	البسيط	٢٥٨	١٨٢
قدر الله وما شاء	زحل	٣	الرمل	٤٣٢	٣٠١
من لأمني في لإعتزال	اعتزل	٤	الكامل	١٦	٦٥
ظبي من الأتراك حيا	الغزل	٤	الكامل	١٠٦	٩٣
أحلى وأعذب من رحيق	ومنز	١٩	الكامل	٢٦٢	١٨٣
خليل صح في بدئي	حاصل	٧	الوافر	١٧٣	١٢٢
يا مرتع الأحياء بلغت	الهاتل	٢	الكامل	٢٨	٧٠
مواهب الفضل من عهد	خطل	٣٣	البسيط	٢٧١	١٩٢
دهر يريك الجهل أفضل	العافل	٢	الكامل	١٨	٦٦
يا أوحداً فوق أوج الشمس	والعمل	٥	البسيط	٢٧٨	١٩٨
إن ترم مجدداً سما هام	بالعمل	٤٧	الرمل	٤١٢	٢٨٦
قضيت عمري في جهد	أمل	٦	البسيط	٤٢٠	٢٩٥
إن جزت بان الحمى	مبتهل	٢٨	البسيط	٢٥٦	١٧٨
بالصبر يصفو مورد	المنهل	٣٧	الكامل	٢٦٤	١٨٥
فتك القوام بمهجتي	تصول	٢٩	الكامل	٩	٥٧
ما بال قلبك يا بدران	مسبول	٤	البسيط	٥٧	٧٨
إن رمت في التحقيق	الفحول	٢	مجزوء الكامل	١٧٩	١٢٤
اليأس إحدى راحتين	مشغول	٣	الكامل	٣٩٤	٢٦١
صبا قلبي لأحداق تصول	نزيل	٩	الوافر	١٠٢	٩٢
ما بال قلبك لا يلين	تميل	٢	الكامل	٢١٧	١٥٣
زمانى سعيد إن أراك	طويل	٢	الطويل	٣٨٦	٢٥٧
أعن نعت الحبيب كشفت	والدلالا	٢٦	الوافر	٢١٤	١٥١

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
فصل الشتاء لنعم الفصل لو	الأملا	٢	البسيط	١٣٩	١٠٩
فصل الشتاء لنعم الفصل إذا	الأملا	٢	البسيط	١٨٣	١٢٦
يا سائل الرسم إن الركب	الأملا	١٤	البسيط	٣٧٣	٢٤٧
أرى في الشرق نوراً قد	هلا	١٤	الوافر	٣٨١	٢٥٢
إن رمت تصطبج الجمال	الشآم	٢	الكامل	٣٤	٧١
حير الأبواب لما	التمام	١١	الرمل	٩٩	٩٠
ما بعد جلق للغرام	حرام	٢	الكامل	١٢٩	١٠٥
ما تبدى النور أم بدر	الغمام	٥	الرمل	١٣٧	١٠٨
حبذا المعطار لما	السلام	٤	الرمل	١٤٧	١١٢
لقد أوقعتني يا بدر	غرام	٤	الوافر	٢٠٥	١٤٤
يا نسمة الأسحار عني	سلام	٢	الكامل	٢٠٨	١٤٥
نفسي سئمت في	تسأم	٣	المحدث	٤٢٥	٢٩٧
عجبت من الأحباب كيف	رغبتم	٣٣	الطويل	٣١٣	٢١٤
قلبي وروحي في يديك	وارحم	٢	الكامل	٤٩	٧٦
هيج داع بالصفاء قلبي	قدم	٢	الرجز	٣٠٠	٢٠٨
سلوه لم يعاملني	مغرم	٢	الوافر	٣١٧	٢١٦
على مقلتي هجر الرقاد	يعظم	٨	الطويل	٢٩١	٢٠٥
يا صاحبي اشرح لنا	أسراركم	١	الرجز	١٢٢	٩٩
وزمان فيه الصغير	تحكم	٤	الخفيف	١٥٢	١١٤
حكم الغرام على القلوب	تألم	٥	الكامل	٦٢	٨٠
ولو أنني في جنة مع	جهنم	٢	الكامل	٤١	٧٣
لنا صولة نحو العداة	تذودهم	٨	الطويل	١٩	٦٦
دار الأنام ولا تأمن	تعاشرهم	٤	البسيط	١٥١	١١٤
إياك إياك ممن	لديهم	٤	المجث	٣٤٠	٢٢٦

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
تطوى المظاهر ثم ينشر	القيوم	٧	الكامل	٣٥٦	٢٣٧
زر تربة القاع التي من	النعيم	٣	الكامل	١٣١	١٠٦
لله رأس العين إن	متيم	٢	الكامل	٢٤٢	١٦٧
سرى كوكب الإعزاز شوقاً	متيم	١٦	الطويل	٢٧٢	١٩٣
بميدان الحصار بزغت	العميم	٥	الوافر	٢٨٣	٢٠١
لله روض حل فيه	الرحيم	٤	الكامل	٣٤٩	٢٣٢
ألا يا بن الصبابة	الغراما	١٣		١١٩	٩٨
صب يكابد لوعة	أقاما	٤	الكامل	٢٢٦	١٥٧
هل يا ترى حالي لحالك	وأحجما	١٥	الكامل	١٢٣	١٠١
لله محروس الخدود	المغرم	٢	الكامل	٢٣٣	١٦٤
بشرى لنا إذ مجدنا الزاهي	ترنما	١٧	الكامل	٤٤١	٣٠٤
إن كنت يا بدر السماء	التسليما	٥		٣٧٢	٢٤٧
وقفت النفس في طلب	الزمان	٥	الوافر	١٤	٦٤
حظ المحب من الأحباب	أعوان	٣	البسيط	٣٩	٧٣
ولقد بليت بأعظم العشق	الهجران	٧	الكامل	٥٨	٧٩
أيا علماء جلق	الزمان	٧	الوافر	١٨١	١٢٥
عهدت له ألا أهيم	ضمان	٢	الطويل	٢٦٠	١٨٢
وافت الأفراح	أمان	٤	الرمل	٣٢٤	٢١٨
وشادن قد سلب النوم	بالشجن	٣	الرجز	١٠٥	٩٣
يا ثغر إيطالية قد زدت	البدن	٢	البسيط	١٩٢	١٣٣
لله شهم بالفضائل يهيم	حسن	٢	الكامل	١٦٧	١٢٠
ظبي به البدر	اكتمن	٤	مجزوء الكامل	٢٥٣	١٧٧
لا تلم رسولك في	الزمن	٣	الرمل	٤٣٣	٣٠١
وقائلة لما ضيعت	المصون	٤	الوافر	٢١٥	١٥٢

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
وقائله لما ضيعت	الفنون	٤	الوافر	٢٢٢	١٥٥
عيون عن السحر المبين	فنون	٤	الطويل	٣٨٩	٢٦٠
إلهي بالشفيع	الطاهرين	٨	الوافر	١٣٠	١٠٥
ذا علي في رياض	العالمين	٥	الرمل	١٣٢	١٠٦
أيا دار السعادة أنت	الأمين	٢	الوافر	٣٦٧	٢٤٥
إله الجمال في القلوب	يلين	٤	الطويل	٣٨٨	٢٥٩
وإن حن المتيم	الحنينا	٦	الوافر	٢١٠	١٤٦
لا تركن مدى الزمان	كربه	٥	الكامل	١٦٠	١١٧
يا من تولع بالجمال	بقلبه	٤	الكامل	٣٩٥	٢٦٢
معمول قلبي من عوامل	حالاته	٣	الكامل	٧٧	٨٤
ومن يجعل الإفك العظيم	حياته	٢	الطويل	٣٠٦	٢١٠
صبري لقد أنفقتة	مزقته	٤	الكامل	٣٤١	٢٢٧
يا لائماً مغرمأ قد رام	يجرحه	٤	البسيط	٣٠٢	٢٠٨
بأبي غزاً بالنفار	بعاده	٢	الكامل	٦٣	٨١
سلم على الشهم الأديب	يبعده	٧	الكامل	٢٣١	١٦٣
من لم يجد وصل الحبيب	وبعده	٢	الكامل	٢٤٤	١٦٧
يا مالك الألباب ملكاً	بعده	٣	الكامل	٣٦٤	٢٤٣
بشرى رشيد في كمال	مولوده	٥	الكامل	٤١٧	٢٩٤
كلنا منبع	مراده	٤	الرمل	٤٣٨	٣٠٣
سلم على الطيبي الغرير	بهجره	٢	الكامل	٢٩	٧٠
قالوا تركت البعض عن	تنكره	٢	البسيط	١٦٩	١٢١
يا من تلاعبت الهموم	وعسره	١٨	الكامل	١٩٥	١٣٥
قل للغزال وقد تجنى	هجره	٢	الكامل	٢٠٧	١٤٥
الكون أشرق والسرور	سميره	١٤	الكامل	٢٨٠	١٩٩

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
الوقت يعشق أن ترى	أنصاره	٥١	الكامل	٣٦٢	٢٤٠
مدبر الجسم لقد	تدييره	٣	مجزوء الكامل	٤٤٤	٣٠٦
ملكيت قلوب العاشقين	عزيزه	٢	الرمل	٤٤٥	٣٠٦
عجبت له كيف استهام	بنفسه	٢	الطويل	٣٢٠	٢١٧
فلسفة اليونان قد	بفلسفه	٢	الكامل	٤٣٧	٣٠٢
بأبي غزال حرت في	أعطافه	٤	الكامل	١١١	٩٥
لو يعلم ابن عساكر أن	صنفه	٢	الكامل	٢٢٠	١٥٤
بحر إذا رمت النوال	هوكه	٢	الكامل	١٦٢	١١٨
لا تعتبن على الزمان	مثله	٥	الكامل	٢٤	٦٨
قام الحبيب مصلياً	أجمله	٢	مجزوء الكامل	٦٠	٧٩
هذا كتاب لم	مثله	٢	مجزوء الكامل	١٧٨	١٢٤
أفعال يأتي من جموع	وفعله	٢	الرجز	٣٣٤	٢٢٤
روض بروح ثم ريحان	هاطله	٥	الكامل	٣٣٨	٢٢٥
بدر المسرة في بروج	بفعاله	٣١	الكامل	٣٨٢	٢٥٣
سمح الحبيب بعطفه	ودلاله	٢	الكامل	٣٨٦	٢٥٨
يا قلب صبراً في الغرام	أحكامه	٢	الكامل	٤٦	٧٥
لما سباني بنور الصبح	يحكمه	٤	البسيط	٥٦	٧٨
بدر بحسن جماله	حكمه	٢	مجزوء الكامل	٨٥	٨٦
زر مرقداً قد جاده غيث	شميمه	٥	الكامل	٢٨٤	٢٠١
هذي دمشق لقد تكامل	مقامه	٤	الكامل	٣٠٥	٢١٠
لأبي الصفاء المالكي لقد	بنعيمه	٤	الكامل	٣٥٤	٢٣٦
حل المشيب بعارضي قبيل	سنه	٣	الكامل	١٧٦	١٢٤
بادر النيل المجد في	خلانه	٤	الكامل	٢٠٩	١٤٥
روضة حلت بها بنت	ساكنه	٤	الرمل	٣١٨	٢١٦

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
وساق دار بالكاسات	إليه	٢	الوافر	١١٧	٩٧
ربه الحسن	الجؤذريه	٢	الرملي	٤٣٥	٣٠٢
لله شكوى القلب من	عزائه	٢٥	الكامل	٣٨٠	٢٥٠
مالي يغالطني الخيال	يذهبوا	١١	الكامل	٣٦٦	٢٤٥
قد أكثروا في القول عن	وأكثروا	٢	الكامل	٢٠٤	١٤٤
ما للمعالي سوى آل النهى	يحلوا	٢٥	البسيط	٢٧٠	١٩٠
أيا من بالتجني قد	لاموا	٥	الوافر	٢٩٢	٢٠٥
وكم بهذا العصر من شخص	كالأنبائي	٢		١٧٧	١٢٤
حتام يا بدر التمام	لحالتي	٢	الكامل	٨٠	٨٥
هذه أظعنهم	منيبي	٢٠	مجزوء الرمل	١٤٤	١١١
يا حادي الركب يمم يمنة	النادي	٥	البسيط	٤٤	٧٤
بروحي من تركت بغير	ودي	١٢	الوافر	٦١	٨٠
في التصابي أطاب حبي	فؤادي	٧	الخفيف	١٠٧	٩٤
يا فريداً في المعالي	الأعادي	٢	الكامل	١٢١	٩٩
زرت الحبيب بليلة لا	ردي	٣	الكامل	٢١٦	١٥٣
أحب الراء تهيماً	رشدي	٣	الوافر	٣١٩	٢١٧
أذهب التقريب صدي	رشدي	٤	الرملي	٣٢٣	٢١٨
بمحمد فوزي إذا دهري	مسعدي	١٤	الكامل	٣٨٧	٢٥٨
يا مفرداً في الحسن قد فتن	لمفتري	٢	الكامل	٧٦	٨٤
سألت المجد هل لك من	نوري	٢	الوافر	١٢٦	١٠٣
كبار زماننا أضحوا	ساري	٤	الوافر	١٥٤	١١٥
بلغ سلامي لها أيها	داري	٢	البسيط	١٩٤	١٣٥
في جوار صاحب الكفل	المشتري	٨	الرملي	٣٢٥	٢١٩
يا صباحاً كان فيه	زائري	٢	الرملي	٤٢٦	٢٩٧

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
بدر الدين مولانا	وإناسي	٢	الهنج	٨	٥٧
حي النديم بكأس الشاي	جلاسي	٢	البسيط	٢٧٦	١٩٧
إن من أضنى	إنسي	٣	مجزوء الرمل	٢٩٤	٢٠٦
يا سائراً وسفين البحر	أنفاسي	١٩	البسيط	٣٦٥	٢٤٤
يا حاضراً في فؤادي	الواشي	٥	البسيط	٢٥٤	١٧٨
يا رامياً بسهام اللحظ	إتلافي	٢	البسيط	٢٤٣	١٦٧
ولما أن تفصى عن	اشتياقي	٢	الوافر	٧٨	٨٤
طبع الكرام مطيتي	أوائلي	٩	الكامل	١٥	٦٤
(م) ما لي لدى وعدك الممطول	ألمي	٥	البسيط	١١٣	٩٦
إذا طابت أصول المرء	المعالي	٢	الوافر	١٨٦	١٢٦
ما كان أسرع نقض الود	رسلي	٧	البسيط	١٨٨	١٣١
فؤاد ليس يصحو من	العلي	٢	الوافر	٢٢٤	١٥٦
طهور الذيل إن نظرت	يبالي	٦	الوافر	٣٩٣	٢٦١
يا دهر هلا تؤول اليوم	علي	٢٩	البسيط	٣٩٧	٢٦٢
كم ليلة منع الغرام	سقامي	٥	الكامل	٣٥٣	٢٣٥
يا روضة في فراديس الجنان	الهاشمي	٤	البسيط	٣٩٨	٢٦٤
لله أشكوا الذي قاسيت	ضرمي	٤٨	البسيط	٤٠٥	٢٧٣
هواني في هوى الغيد	اليمني	٤٥	الوافر	١١	٦٠
من منصفني من غادر	أضاعني	٤	الكامل	٢٠	٦٧
خيال ما أرى أم ذات	التجني	٩	الوافر	١٦٦	١٢٠
يعاهدني ألا أهيم	مكاني	٤	الطويل	٢٦١	١٨٢
دواعي الأنس بالأفراح	الأماني	٤	الوافر	٣٢٢	٢١٨
قلت لما خفت القلب	غيني	٤	الرمل	٣٣٦	٢٢٥

* * *

رابعاً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* مقدمة المحقق	٥
* طريقة التحقيق	٩
* ترجمة الشاعر	١١
- اسمه ونسبه	١١
- ولادته ونشأته	١٣
- وظائفه وأعماله	١٦
- رحلاته	١٨
- صلاته	١٩
- إجازاته	٢٠
- عقيدته	٢١
- مذهبه	٢٢
- اختياراته الفقهية	٢٤
- شعره	٢٥
- مكتبته	٢٦
- مؤلفاته	٢٨
- ثناء العلماء عليه	٣١
- وفاته	٣٣

* صور المخطوطات ٣٥

[النص المحقق]

* مقدمة المؤلف ٤٣

□ الباب الأول: فيما قلته وأنا في دمشق ٤٧

* الفصل الأول: في المدائح ٤٩

* الفصل الثاني: فيما قلته في الفخر والحماسة ٦٣

* الفصل الثالث: فيما قلته في الغزل والتشبيب والنسيب ٦٩

* الفصل الرابع: في بعض ما قلته في المراسلات والباقي لعبت بمسودته

أيدي الذاريات ٩٨

* الفصل الخامس والبستان الآنس: الحاوي على ورد بعض الغزل،

ونرجس التاريخ وجريال النصيحة، وحصباء الهجو، وبحسب ما وجد،

وإن كان حمله قد فقد، وبه ختام النظم الدمشقي، والمورد العشقي ١٠٥

□ الباب الثاني: فيما قلته أثناء سفري إلى الغرب والورود إلى ذلك المنهل

العذب، وأشرت فيه إلى تقلبات الزمان، وعجائب الملوان، وهو نذر

يسير، أودعته «الرحلة المغربية»، ولا ينبئك مثل خبير ١٢٩

□ الباب الثالث: فيما قلته حال إقامتي في «دومة» وفي أثناء رواحي إلى

غيرها حسب التنقل ١٤٩

□ الباب الرابع: السوانح في المستشفى ٢٧١

□ الفهارس العامة ٣٠٩

أولاً: فهرس الأعلام ٣١١

ثانياً: فهرس الأماكن ٣١٨

ثالثاً: فهرس القوافي ٣٢٣

رابعاً: فهرس الموضوعات ٣٤٢

* * *

